



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان -
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم علم الآثار



مذكرة لإتمام متطلبات نيل شهادة الماستر في الآثار الإسلامية تحت عنوان:

عمارة الأضرحة بمنطقة ولهاصة

(ولاية عين تموشنت)

دراسة أثرية

تحت إشراف و توجيه الأستاذ:

د. بن زغادي محمد

من جمع و إعداد الطالب:

مجاهدي إبراهيم

السنة الجامعية : 2018-2019م



سُبْحَانَ اللَّهِ
عَبْدُ اللَّهِ
مُحَمَّدٌ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَأَسَلَمَ



رموز و إختصارات

لقد إستعملت في دراستي هذه بعض الرموز، و التي هي إختصارات لبعض العبارات أو الأسماء الواردة في المتن أو الإحالة، و هذا معروف في مثل هذه الدراسات، وهي كالتالي:

د.ت : دون تاريخ

ص : صفحة

ج : جزء

مج : مجلد

ط : طبعة

م(بعد السنوات) : ميلادي

هـ (بعد السنوات): هجري

كلم² : كيلومتر مربع

م (بعد القياسات): متر

سم : سنتيمتر

° : درجة

ج ر ج : الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية

P: page

ANURB: Agence Nationale de l'URBanisme

Ph: phase

Op cit: opere citato

Ipid: Ipidem

ملاحظة: لقد إستعنا في عنونة الملاحق بالطريقة القائمة على وصف الملحق بأحد المفردات التالية:

" جدول، خارطة، مخطط، شكل، صورة." في حالت الملحقة الفردية - الوحيدة-، مقابل وصفها

ب: " لوحة" إذا إجتمع فيها ملحقتان فما فوق، سواء من نفس الوصف (صورتان أو أكثر

مثلا.)، أو مختلفتان في الوصف (صورة و مخطط، أو صورة و شكل مثلا.) .

إهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، و صلى الله على صاحب الشفاعة سيدنا مُحَمَّد
النبي الكريم، و على آله و صحبه الميامين و من تبعهم بإحسان إلى يوم
الدين، و بعد:

إلى أعز ما أملك، إلى من تعجز الأفعال و الكلمات عن الوفاء بحقوقها،
والدي الكريمين : "بن سعد" و "فتيحة".

إلى إخوتي عبد العزيز، نصر الدين، نور الدين، نورية و عكاشة و أزواجهم
و أبناءهم.

إلى أخوالي و أعمامي، أزواجهم و أبناءهم .

إلى أستاذي الفاضل "بن زغادي مُحَمَّد" ، و كل من نصحني لأدرس، و
إلى كل من ساهم في إتمامي لهذا العمل من قريب أو بعيد.

أرجو من الله عز و جل أن يتقبل منا هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، و
أن تعمّ به الفائدة، و أن يغفر لنا، و يُعلّمنا و يكتبنا مع طلبة العلم إتباعا
لسنة نبينا الكريم، عليه أفضل صلاة و أزكى تسليم.

و شكرا.

شكر و عرفان

الحمد لله العليّ العظيم كما ينبغي لجلال وجهه، و عظيم سلطانه على إستكمال هذا البحث، و لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بالشكر إلى كل من ساهم في إتمامي لهذه الدراسة، و أخص بالشكر و العرفان الأستاذ القديرة " بن زغادي مُحَمَّد " ، وقوفه و سهره على الإخراج النهائي للبحث برغم إلزامته المهنية و العلمية.

كما أتوجه بالشكر إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة لتقبلهم معالجة الجوانب الفنية و التقنية لهذه المذكرة.

و كذلك أتقدم بالشكر الجزيل لكل أساتذة و طلبة و موظفي قسم الآثار. و لا يفوتني أن أشكر إدارات مديريتنا الشؤون الدينية و الثقافة لولاية عين تموشنت ، و إدارات الدائرة الأثرية لعين تموشنت .

و لا أنسى أن أوصل الشكر و العرفان لكل مسؤولي و مواطني دائرة ولهاصة و بلديتها.

و أيضا أئمة و مقدمي المساجد و الزوايا بالمنطقة و الذين لم ييخلوا علينا بالمساعدة المادية و المعنوية.

و أخيرا أشكر كل من مراد و مُحَمَّد الذين و قفوا و صبروا معي إلى حين إتمامي للعمل

مجاهدي إبراهيم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَوْتِ
وَيُدْخِلُ الْمَوْتَ فِي الْحَيِّ
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ

رموز و إختصارات

لقد إستعملت في دراستي هذه بعض الرموز، و التي هي إختصارات لبعض العبارات أو الأسماء الواردة في المتن أو الإحالة، و هذا معروف في مثل هذه الدراسات، وهي كالتالي:

د.ت : دون تاريخ

ص : صفحة

ج : جزء

مج : مجلد

ط : طبعة

م(بعد السنوات) : ميلادي

هـ (بعد السنوات): هجري

كلم² : كيلومتر مربع

م (بعد القياسات): متر

سم : سنتيمتر

° : درجة

ج ر ج : الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية

P: page

ANURB:Agence Nationale de l'URBanisme

Ph:phase

Op cit:operecitato

Ipid:Ipidem

ملاحظة: لقد إستعنا في عنونة الملاحق بالطريقة القائمة على وصف الملحق بأحد المفردات التالية:

" جدول، خارطة، مخطط، شكل، صورة." في حالت الملحقة الفردية – الوحيدة-، مقابل وصفها

ب : " لوحة" إذا إجتمع فيها ملحقتان فما فوق، سواء من نفس الوصف (صورتان أو أكثر

مثلا.)، أو مختلفتان في الوصف (صورة و مخطط، أو صورة و شكل مثلا.) .

إهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، و صلى الله على صاحب الشفاعة سيدنا
مُحَمَّدِ النبي الكريم، و على آله و صحبه الميامين و من تبعهم بإحسان إلى
يوم الدين، و بعد:

إلى أعز ما أملك، إلى من تعجز الأفعال و الكلمات عن الوفاء بحقوقها،
والدي الكريمين: "بن سعد" و "فتيحة".

إلى إخوتي عبد العزيز، نصر الدين، نور الدين، نورية و عكاشة و
أزواجهم و أبناءهم.

إلى أخوالي و أعمامي، أزواجهم و أبناءهم .

إلى أستاذي الفاضل "بن زغادي مُحَمَّد" ، و كل من نصحني لأدرس، و
إلى كل من ساهم في إتمامي لهذا العمل من قريب أو بعيد.

أرجو من الله عز و جل أن يتقبل منا هذا العمل خالصا لوجهه الكريم،
و أن تعمّ به الفائدة، و أن يغفر لنا، و يُعلّمنا و يكتبنا مع طلبة العلم
إتّباعا لسنة نبينا الكريم، عليه أفضل صلاة و أزكى تسليم.

و شكرا.

شكر و عرفان

الحمد لله العليّ العظيم كما ينبغي لجلال وجهه، و عظيم سلطانه على إستكمال هذا البحث، و لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بالشكر إلى كل من ساهم في إتمامي لهذه الدراسة، و أخص بالشكر و العرفان الأستاذ القديرة " بن زغادي مُحمَّد " ، وقوفه و سهره على الإخراج النهائي للبحث برغم إلزامته المهنية و العلمية. كما أتوجه بالشكر إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة لتقبلهم معالجة الجوانب الفنية و التقنية لهذه المذكرة.

و كذلك أتقدم بالشكر الجزيل لكل أساتذة و طلبة و موظفي قسم الآثار.

و لا يفوتني أن أشكر إطارات مديريتا الشؤون الدينية و الثقافة لولاية عين تموشنت ، و إطارات الدائرة الأثرية لعين تموشنت .

و لا أنسى أن أوصل الشكر و العرفان لكل مسؤولي و مواطني دائرة ولهاصة و بلديتها.

و أيضا أئمة و مقدمي المساجد و الزوايا بالمنطقة و الذين لم يبخلوا علينا بالمساعدة المادية و المعنوية.

و أخيرا أشكر كل من مراد و مُحمَّد الذين و ققوا و صبروا معي إلى حين إتمامي للعمل .

مجاهدي إبراهيم.

المقدمة



مقدمة: الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين، و بعد:

قال الله تعالى: { أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة و أثاروا الأرض و عمروها أكثر مما عمروها }

(سورة الرّوم - جزء من الآية 9 -).

إنّه لخطاب قرآني ربّاني جليل، يدعونا إلى السير في الأرض و النّظر و التدبر في الذين كانوا من قبلنا، و يعتبر علم الآثار من العلوم التي تهتم بتعقب و تتبّع الأمم السابقة و ما تركته من آثار سواء عمائر كانت أو فنونا تطبيقية، فهذه الأخيرة (الآثار) تعتبر ذخرا لأمّتنا و سجلاً لإبداعها و رمزا لهويّتها و عبقريّتها، و يمكن الإشارة هنا إلى أن فن العمارة يعتبر بحق مرآة صادقة و علامة فارقة لهذا الإبداع و العبقرية، و من هذا المنطلق رأيت أن نغوص في أعماق منطقة وافرة بهذه الإبداعات المعمارية، إنهما المنطقة المحصورة بين سلسلتا مرتفعات طرارة غربا و مرتفعات سبخ شيوخ و غار البارود شرقا.

فقد عرفت ناحية و لهاصة باعتبارها جزءا من هذه المنطقة، و لكونها المجال المكاني و الزماني لدراستنا، عبر مختلف الفترات الإسلامية، عديد المنشآت المعمارية على اختلاف أنواعها و طرزها و وظيفتها و أصولها، منها ما اندثر أو هُدم أو بقي أطلالا في أفضل الأحوال ، و منها ما حوّل أو تمّ تغييره أو أجزاء منه، و منه ما بقي صامدا شامخا شاهدا على تلك الفترات المزدهرة من التاريخ الإسلامي.

و لقد إستفادت منطقة و لهاصة من هذا التنوع المعماري في الكم الهائل من المنشآت الدينية الجنائزية كالمدافن و الأضرحة و مساجدها و الحويطات، و تبقى هذه العمائر مثلا حيا لشهادتها - بمرور الوقت - على تاريخ المنطقة و عراقتها.

و تكمن أهمية الموضوع في التعريف بهذه المعالم التراثية و التنبيه إلى أهميتها و تحسيس الجميع بضرورة الحفاظ عليها، و كذا المساهمة في الخطوة الكبيرة التي تقوم بها مديريتنا الثقافة و الشؤون الدينية لعين تموشنت من أجل وضع خارطة لأهم المعالم التاريخية و الأثرية للولاية.

أمّا عن دوافع إختيار الموضوع فهي عديدة و متعدّدة، فمنها ما هو موضوعي مثل: نقص الدراسات التي عنيت بالجانب المعماري الأثري لهذه المعالم بتفاصيلها الدقيقة و المساهمة في

الإشارة إليها و ضرورة المحافظة عليها، و كذلك باعتبار أن الأضرحة و المساجد من أهم المنشآت التي ظهرت فيها لمسة الفنان و المعماري المسلم.

و منها ما هو رغبة و ذاتية مئاً مثل: رغبتنا في التعريف بمنطقة ولهاصة بصفة عامّة، و أضرحتها و مساجدها بصفة خاصة كردّ للجميل لهذه المنطقة، لكوننا أحد المتخرجين الذين حفظوا و ختموا كتاب الله ياخذى زواياها، و كذا نظير الطلب الذي تلقيناه من السلطات المعنية لولاية عين تموشنت من أجل المساهمة في إعداد دراسات مختلفة حول أهم معالمها التاريخية و العتيقة و الأثرية، و كذلك مقابل جل المساعدات و التسهيلات التي تلقيتها منذ بداية تفكيرنا في هذا الموضوع بالذات، و كذلك رغبة منا في أن يكون عملنا هذا مقدّمة لأعمال أخرى في نفس المجال و التخصّص إن شاء الله.

و تطلبت منا الدراسة الإنطلاق من إشكالية، يمكن طرحها كالآتي: ما هي أهم المنشآت الإسلامية الجنازية ذات الإعتبارات التاريخية و الأثرية و المعمارية و الفنية بمنطقة ولهاصة و كيف جاءت؟

و قد تمحورت عن هذه الأخيرة - الإشكالية- طرح مجموعة من التساؤلات تتعلق بهذه المنشآت المزمع دراستها و التي قد تُوضّح و تجيب و لو قليلا على بعض المسائل و القضايا المتعلقة بها، و هي :

- لما الإنتشار الكبير للمدافن و الأضرحة بمنطقة ولهاصة؟ و ما علاقة تاريخ المنطقة و جغرافيتها بهذا الإنتشار؟

- كيف جاء تخطيطاتها و مخططاتها المعمارية؟ و هل تعبّر هذه الأخيرة - التخطيطات و المخططات- عن خصائص تميّز بها هذه الجهة دون غيرها؟

- ما هي أهم المواصفات المعمارية و الفنية و التقنية و الرمزية لهذه المعالم؟

إن طبيعة التساؤلات التي يطرحها الموضوع تفرض علينا الإعتداد على منهجين مختلفين هما: المنهج التاريخي الذي اعتمدت فيه على تقصي نشأة هذه الأضرحة و المساجد و تطورها و تاريخها

و كذا المنهج الوصفي التحليلي للتعلم أكثر في الدراسة و الوصول إلى تشخيص المظاهر المعمارية و الفنيّة للمعالم و عناصرها، و يقوم هذان المنهجان العلميان على محورين رئيسيين:

*المحور الأول: نظري و يهتم بتاريخ هذه المنشآت، و الوثائق و النصوص التي لها علاقة بالموضوع، و خاصة تلك الآراء و النظريات التي حيكت حول الأضرحة و مساجدها.

*المحور الثاني: تطبيقي و يقوم أساسا على الدراسة الميدانية و أهم تقنياتها، من رفوعات معمارية و أثرية و قياسات زد على ذلك الإهتمام بهذه الآثار تخطيطا و بناء و عمارة و زخرفة .

و إضافة لذلك يمكننا الإشارة إلى أننا إستعنا ببعض المناهج الأخرى بين الفينة و الأخرى، في مقدمتها المنهج الأثروبولوجي عند الحديث عن العلاقة التي تربط الأضرحة بالمجتمع بكل تأثيراتها و مؤثراتها، أو المناهج الفقهية الأصولية عندما يجرنا الكلام للحديث عن الأضرحة و ما تعترها من أحكام فقهية.

وانطلاقا ممّا سبق قمنا بتحديد موضوع الدّراسة وفق خطة، إرتأينا تقسيمها إلى مقدّمة و أربع فصول، جاء أولها ممهّدا لما بعده ثمّ خاتمة مع ثبّت للملاحق و البيبليوغرافيا و الفهارس.

فتكلمنا في المقدمة إلى التعريف بالموضوع، و أهم الأسباب الدافعة إلى إختياره، مع ذكر الإشكالية الرئيسية و ما تمخض عنها من تساؤلات، و أهم المناهج و المراجع المعتمد عليها في البحث.

أما عن الفصل التمهيدي فحاولنا في إحاطة القارئ بالمجال العام للدراسة، بتحديد جغرافيا و إعطاء لمحة عن أهم مواصفاته الطبوغرافية و المناخية، ثم تطرقنا إلى التنظيم الإداري و التوزيع القبلي للمنطقة، وصولا إلى إبراز أهم الجوانب التاريخية للمنطقة إنطلاقا من مسيرتها ضمن الفترات الإسلامية المتعاقبة، و إستنادا إلى أهم النصوص التاريخية و الجغرافية المتعلقة بها.

بينما جاء الفصل الأول خصيصا لضبط بعض المصطلحات المعمارية و الروحية المتعلقة بالموضوع الأساسي لدراستنا، و كذا للإشارة إلى الضبط الفقهي للضريح كظاهرة معمارية، و كذا كظاهرة إجتماعية لها دورها في إقامة التجمعات السكنية بإعتبارها أنها قد تكون نواة أساسية لتكونها.

في حين خصصنا الفصل الثاني لوصف نماذج دراستنا معماريا، حيث إستهللناه بأهم المواضيع التي يمكن أن تكون موطننا لهذه المعالم، ثم بدأنا بوصف كل معلم على حدا، و ذا بعد تحديد موضعه و إعطاء ترجمة مقتضبة لصاحبه.

ليأتي في الأخير الفصل الثالث، و الذي كان من أهم فصول دراستنا، إذ أنه جمع بين ثناياه أهم المعطيات التخطيطية و المعمارية للنماذج المدروسة و عناصرها، و التطرق إلى أهم النقاط المشتركة و المختلفة فيها، و فيه تطرقنا إلى أهم المعطيات الفنية الزخرفية، و كذا التقنية خاصة تلك المتعلقة بتقنيات البناء و الزخرفة و موادها، لنختتمه برمزية هذه الأضرحة في حد ذاتها إنطلاقا من مكوناتها المعمارية و الفنية و التقنية و حتى الروحية.

ثمّ أنهيينا الدراسة بخاتمة أوضحنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة، و أرفقناه ببعض التوصيات التي من شأنها أن تستثمر في هذه المعالم لأجل حمايتها و الإهتمام بها.

و قد إقتضى هذا البحث دراسة مستفيضة في المصادر و المراجع العربية ، فضلا عن غيرها من المؤلفات الأجنبية، سواء في تلك التي تناولت بإسهاب و إيجاز بعد جوانب الموضوع أو ما يتعلق به، أو التي تناولت الموضوع في حد ذاته، و من أهم المصادر التي إعتمدت عليها،

- عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه " العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في ذكر العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، إذ يعتبر هذا الكتاب بحق موسوعة علمية شاملة، إستقيننا منها عدة معلومات متعلقة بتاريخ و جغرافية المنطقة، و أهم التفرعات القبلية، كما لم نفوت فرصة تحليل و وصف المؤلف للكثير من الظواهر المعمارية و العمرانية لندعم بها معطياتنا في هذا الشأن.

- و كان لا بد منا أن نرجع إلى أهم المؤلفات المتخصصة إذا ما تعلق الأمر بتبسيط المعاني و شرحها، و كان لسان العرب لصاحبه ابن منظور بنسبة كبيرة هو مصدرنا في هذا المجال، و بنسبة أقل الرازي صاحب مختار الصحاح.

- و نفس القول يمكن طرحه فيما يخص إستنباط الأحكام الفقهية، و البراهين الأصولية الفقهية، ففي هذه كان لا بد منا و أن نرجع إلى المؤلفات المتخصصة فيها، و مما إعتمدنا عليه كثيرا في دراستنا من هذا الجانب، إحياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور لأحمد

الغماري، و الذي فتح لنا أبوابا مهمة كثيرة في هذا الموضوع بالذات، و كانت المدرسة الشافعية أكثر ما إعتدنا عليها في مثل هذه العناصر لكثرة مؤلفاتها و مؤلفيها.

- إن تدعيمنا لبعض المعطيات في بحثنا بنصوص نبوية شريفة، إقتضى منا إلزاما العودة إلى كبرى أمهات كتب الحديث، و هذا ما كان بإعتادنا في الدرجة الأولى على صحيحا الشيخان البخاري و مسلم.

- إن تعريج البكري في كثير من المرات على منطقة ولهافة و تحدته عليها مرارا، جعل نضوب أعيننا نحوه، مستفيدين بما حملته أوراق كتابه المغرب في ذكر إفريقيا و المغرب من أوصاف و إشارات.

و لم تخل المراجع المعاصرة من المعلومات التي كانت مفتاحنا نحو إثراء الدراسة من جهة، و إثباتها من جهة أخرى، و من أهمها:

- مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني: دراسة عمرانية أثرية، و إن كانت في الأصل رسالة تخرج إلّا أننا إعتدنا عليها كثيرا، نظير ما جاء به صاحبها الأستاذ دحدوح عبد القادر من تفسيرات و تحليلات موسعة للعناصر المعمارية في العمارة الإسلامية.

- و كذلك فإن كتال إبراهيم عميري المعنون ب: مواد و تقنيات العمارة القديمة، كان سبيلنا نحو المعطيات التقنية لمواد البناء و تقنياته، خاصة مع توسعه فيها، و إعطاء أغلب المعلومات المتعلقة بها.

و في الحقيقة يمكن الإشارة إلى أننا تلقينا كل التسهيلات من عدة أطراف فاعلة و معنية بمجال دراستنا من قريب أو من بعيد، و لم تواجهنا أي صعوبات و التي من شأنها أن تعرقل مسارنا البحثي، و خاصة و أن هذه الأخيرة - الصعوبات - دائما ما كانت عائقا أمام الإخراج الفني و التقني و المعلوماتي الكافي و الشامل لعديد الدراسات، و الشيء الوحيد الذي يمكن إدراجه في هذه النقطة هو المسالك الوعرة الموصلة لنماذج الدراسة، و بالخصوص مجمع سيدي محمد المدني، أو كون المعلم يكون مغلقا في حد ذاته، و عدم تمكننا من ولوجه و دراسته كليا لسبب أو لآخر، و تخص هذه النقطة الضريح الأول بأولاد بودلال و المسجد القديم بزواوية

سيدي الجازولي، و عدا هاتين الصعوبتين فكل الأمور الأخرى كانت مواتية لإنجاح هذه الدراسة وإتمامها.

و في الأخير ما يسعنا إلا أن ندعو الله تعالى، راجين منه أن يسدّد حُطانا وأن يوفّقنا لإتمام عملنا إنّه ولي ذلك و القادر عليه.

فصل تمهيدي:

الإحاطة العامة بمجال الدراسة

مبحث 1: التحديد الإقليمي لمنطقة

ولهامة.

مبحث 2: منطقة ولهامة خلال الفترتين

الإسلاميتين الوسيطة و الحديثة.

الدراسة

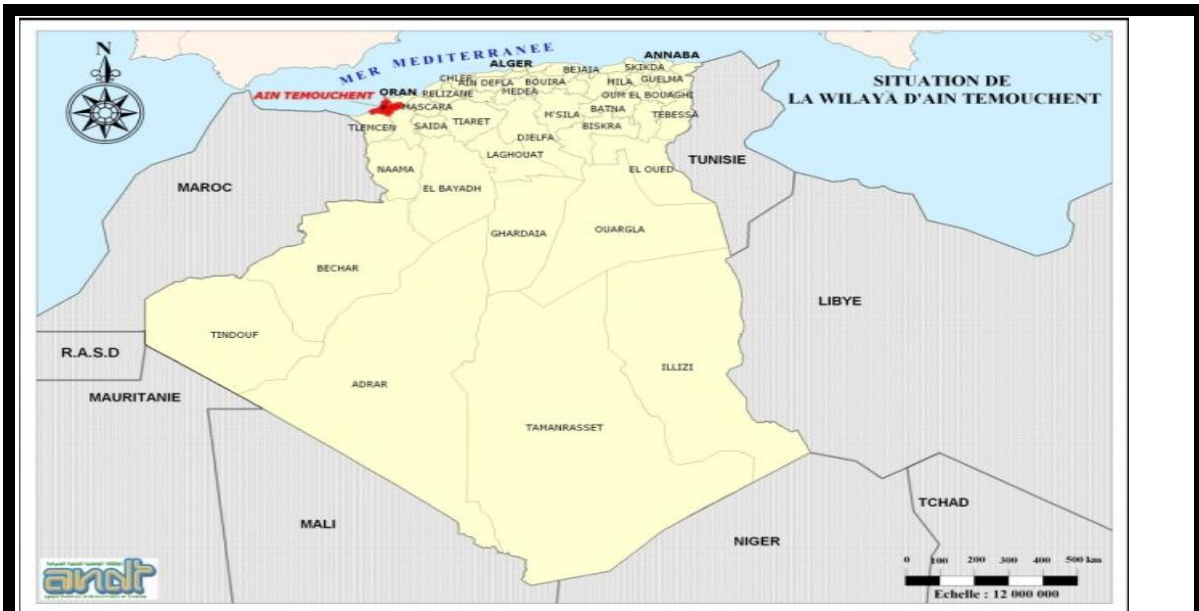
المبحث الأول : التحديد الإقليمي لمنطقة ولهاسة

إن الحديث عن منطقة ما يؤدي بنا حتما إلى تحديد مجالها العام، سواء من الناحية المكانية، أو من الناحية الزمانية و هذا ما يصطلح عليه في عرف الباحثين "الزمكان"، و بنفس الطريقة حددنا الإطار الزمكاني لمنطقة ولهاسة محل دراستنا هذه.

المطلب الأول : تحديد الموقع الجغرافي

في هذا المطلب سنقدم الحدود الجغرافية للمنطقة، وهذا ضمن النسيج العام الوطني (الولاية) و المحلي (الجوار)، مع مراعاة تدعيم ما يقال بخرائط ملحقة من أجل تقريب المراد.

1/ولاية عين تموشنت : تقع ولاية عين تموشنت بالغرب الجزائري، يحدها شمالا: البحر المتوسط، غربا: ولاية تلمسان، جنوبا: ولاية سيدي بلعباس، شرقا: ولاية وهران، و تبلغ مساحتها إجمالا : 2376,89 كلم²، في حين بلغ عدد سكانها 372621 نسمة حسب إحصاء 2008 م، و هي مقسمة إلى ثمان و عشرين (28) بلدية موزعة على ثمان (8) دوائر، بينما تتحدد ولاية عين تموشنت فلكيا بين دائرتي عرض 35,38° و 35,45° شمال خط الاستواء، و خطي طول 1,87° و 1,43° غرب خط غرينتش¹ ، و الخريطة الآتية تبين موضع الولاية:



الخارطة رقم (1) : خارطة الجزائر و يظهر فيها موقع ولاية عين تموشنت
(نقلا من موقع الوكالة الوطنية للتنمية السياحية: <http://www.andt-dz.org/ar>)

¹ ميلود رقيق ، عين تموشنت عبر العصور ، دار الكتاب العربي ، فرع سطيف ، 2010، ص.13.

الدراسة

2/منطقة ولهاصة : تقع منطقة ولهاصة على الشريط الساحلي الغربي للجزائر¹، في أقصى الحدود الغربية الشمالية لولاية عين تموشنت، يحدها شمالا: البحر المتوسط، غربا: جبال تزارة بأهم تجمعاته ، و هي بلديات بني وارسوس و بني خلاد و هنين (ولاية تلمسان)، جنوبا: بلديتا الأمير عبد القادر و الرمشي (هذه الأخيرة تابعة لولاية تلمسان)، شرقا: وادي تافنة (بلدية بني صاف)، و تقع فلكيا فلكيا بين دائرتي عرض 35,15° و 35,45° شمال خط الإستواء، و خطي طول 1,16° و 1,30° غرب خط غرينتش².



و بتحديد موضع مجال دراستنا الجغرافي نكون قد أنهينا مطلبنا هذا.

¹ تحتل المنطقة جغرافيا موقعا ساحليا ، تمثل في 25 كلم تقريبا على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط و على عمق 2 كلم ، لتشمل عديد الشواطئ الرملية و الحجرية ، منها ما هو محروس اليوم ، و الآخر غير محروس.

² ANURB ,Amenagement et Reglement (Daira de Oulhasa) ,PH3 AinTemouchent, 2010,p10.

المطلب الثاني: الطبوغرافيا و المناخ

في هذا المطلب سنختصر الكلام عن المميزات الطبوغرافية و المناخية لمنطقة ولهاصة.

1/ المختصر الطبوغرافي: ترتفع منطقة ولهاصة عن مستوى معدل متوسط سطح البحر لتصل إلى 43 م، فهي تشكل شبه هضبة تميل لتصل إلى غاية معدل مستوى سطح البحر في تماسها مع البحر، يحف بها جبال ترارة من الغرب، و وادي تافنة من الشرق، و جنوبا فحس زيدور كما سماه البكري، أو سهل ولهاصة اليوم، و هي بذلك تعد واحدة من ضمن أكثر المناطق الرطبة في الجزائر.

2/ المعدلات المناخية: يسود المنطقة مناخ البحر الأبيض المتوسط الحار صيفا و المعتدل شتاء، مع وصول الرطوبة أحيان إلى نسبة 82٪، مما أثر سلبا على عمران الإقليم و عمارته، و منها العمارة الأثرية و التقليدية بالمنطقة، و لا تتعدى كمية الأمطار بالمنطقة 500 ملم، و هي ذو معدل ضعيف نوعا ما بولهاصة أو بباقي مناطق الغرب الجزائري، مقارنة بمناطق أخرى في وسط وشرق الجزائر¹، في حين الحرارة فتتغير بتغير فصول السنة، حيث تتناقص إلى ادنى مستوياتها في فصل الشتاء، لتتجاوز أعلى قيمتها في فصل الصيف، و الجدول التالي يوضح ذلك:

المحطة	أقل معدل	أعلى معدل
مرصد مطار زناتة (ولاية تلمسان)	شهر ديسمبر: 8.6°	شهر جويلية: 33.5°
مرصد عين العلام (ولاية عين تموشنت)	شهر جانفي: 7.8°	شهر أوت: 35.1°

جدول رقم (1) : معدلات درجة الحرارة بمنطقة ولهاصة

يظهر من معطياتنا هذه اندماج المنطقة في نفس مناخ المناطق الساحلية للبلاد و هذا آخر المطلب.

¹ هذا النقصان في كمية الأمطار راجع لكون الرياح الشمالية الغربية التي تأتي بالإضطراب الجوي تفرغ غالبا شحنتها المطرية في جنوب غرب أوروبا.

المطلب الثالث : التنظيم الإداري لمنطقة ولهاسة

قصدا بالتنظيم الإداري في مطلبنا هذا، التبعية الإدارية لمنطقة ولهاسة ضمن التنظيم الإقليمي للبلاد، و هذا من ظهور بواده مع بدايات الإحتلال الغاشم الفرنسي الى آخر تنظيم إقليمي للبلاد في الدولة الجزائرية المستقلة في ثمانينات القرن العشرين الميلادي.

1/ من الإحتلال الفرنسي الى ما قبل التقسيم الإداري لسنة 1984م : بعد الإحتلال الفرنسي للجزائر، لم يتغير شيء كثير فقط عن ما كان سابقا (انظر الخارطة 3)، حيث أصبحت تلمسان أنذاك تشكل مقاطعة تابعة لعمالة وهران رفقة كل من : معسكر، وهران، مستغانم، سيدي بلعباس، و تتكون من أربع دوائر هي : تلمسان، نمور¹، لالة مغنية، سبدو، و في هذه الفترة كانت ولهاسة عبارة عن قبيلة تابعة لبلدية تلمسان بكتا فرعيها أي بني ريمان وبني فوزاج، و بتاريخ 02 أكتوبر 1874م تم ترقية ولهاسة الشراقة رفقة قبيلة بني فوزاج و قبيلة بني غنام تحت اسم بني صاف ليشكلوا بذلك البلدية المختلطة لبني صاف ويكون مركزها بني صاف، ثم بتاريخ 27 أفريل 1875م تم شطب بلدية بني صاف المختلطة مع دمج قبيلتي بني فوزاج و بني غنام مع بلدية تلمسان المختلطة أنذاك، أما مقر بني صاف فتم تحويله إلى تلمسان حيث القسم التابع لقطاع العسكري، ثم في 25 جويلية 1875م تم جمع كل من بني صاف و بني فوزاج و بني غنام تحت اسم واحد و هو بني صاف و يتم دمجها مع بلدية تلمسان المختلطة، ليأتي تاريخ 30 ديسمبر 1875م حيث تم دمج كل من دوار ندرومة، دوار بني منير، دوار بني مسهل، دوار السواحلية، دوار زاوية الميرا، رفقة إحدى عشرة قبيلة هي على التوالي: مسيردة، العشاش، أولاد عطية، بني منقوش التحاتة، أولاد ددوش، بني وارسوس، ولهاسة الغرابية، ناصف عاشور، أبيغان، بني عابد، مشكلين بذلك البلدية المختلطة لنمور (انظر الخارطة 4)، أما ولهاسة الشراقة (بني صاف) فبقيت تابعة إداريا لبلدية تلمسان المختلطة، و بمرسوم مؤرخ بتاريخ 25 أوت 1880م تم دمج كل من ولهاسة الغرابية و بني وارسوس (المنفصلتين عن البلدية المختلطة لنمور) مع قبيلة أولادرياح (المنفصلة بدورها عن البلدية المختلطة لمغنية) رفقة بني صاف تحت اسم دوار رشقون

¹ نمور: تسمى الغزوات اليوم و تقع في ساحل تلمسان.

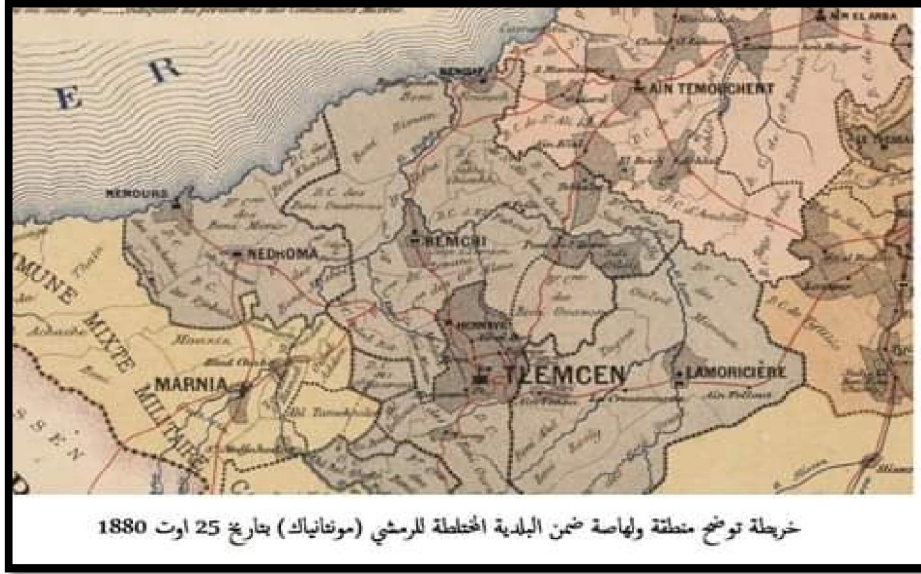
الدراسة

مع قبائل أخرى عديدة، ليشكلون بذلك البلدية المختلطة لمونتانيك¹. (انظر الخارطة 5)، و في 23 ماي 1893م تم تحديد وتشكيل قبيلة ولهاصة لتصبح دوار بلدية ولهاصة تحت اسم جبل عمارة²، و سيرت من طرف جمعية تمثل المجلس البلدي للدوار تحت رئاسة قائد الدوار .



¹ مونتانيك: تسمى الرمشي اليوم و هي تقع بين تلمسان و ولهاصة و أقاليمها الشمالية لها صلة وطيدة بولهاصة كسيدي الشريف و بني وارسوس و سيدي علي.
² نسبة لجبل عمارة القريب من دوار سيدي حساين.

الدراسة



لوحة رقم (1): خرائط التحول الإداري لمنطقة ولهاصة من سقوط إيالة الجزائر إلى اعتمادها كبلدية مستقلة (نقلا من : المركز الجهوي للأرشيف لولاية عين تموشنت)

و في 27 ديسمبر 1956 تم حذف بلدية الرشي المختلطة و بنفس الوقت تم ترقيةها إلى بلدية لتصبح مستقلة عن القبائل الأخرى، كما أنه في هذا التاريخ بالذات تم تقسيم و إنشاء بلديتين بولهاصة، واحدة تحمل اسم بلدية ولهاصة و الأخرى تحمل اسم بلدية جبل عمارة، و بتاريخ 26 ديسمبر 1957م تم دمج هاتين البلديتين تحت إسم واحد وهو بلدية جبل عمارة¹، و في 27 ديسمبر 1957م تم ترقية السيد حميدة بن حاج رئيسا لبلدية بجبل عمارة بعدما كان رئيس مؤقت، و بعد الاستقلال تم تغيير إسم بلدية جبل عمارة لتصبح بلدية ولهاصة الغرابة.

2/ بداية من التقسيم الإداري لسنة 1984م : في الحقيقة هناك اختلاف في التحديد الجغرافي لمنطقة ولهاصة، خاصة بعد تنظيم البلاد إقليميا سنة 1984م، و هذا بحسب رأي كل واحد من الدارسين للمنطقة، حيث يرى أغلب المهتمين بالمنطقة، او القاطنين بها أن منطقة ولهاصة تضم بلديتي دائرة ولهاصة و هما: سوق الإثنين و سيدي ورياش تادماية، إضافة إلى إقليم بلدية بني صاف، و هو الرأي نفسه الذي يرى أن المنطقة سميت ولهاصة الغرابة تمييزا لها عن ولهاصة الشراقة الموجودة في بونة (عنابة)، في حين يرى آخرون ان إقليم المنطقة أبعد من ذلك، إذ تضم بلديات دائرة ولهاصة و هي:

¹ و نشير أيضا أنه في هذا التاريخ أيضا أنشئت عدة بلديات أخرى منها: بلدية بني وارسوس، بلدية أولاد رياح، بلدية سبع الشيوخ، بلدية زناتة، بلدية الفحول، بلدية بني وعزان، بلدية أولاد ددوش، بلدية بني مستر، بلدية أهل غافر، بلدية برقيوة، بلدية أولاد علا، بلدية أولاد سيدي علي بن شعابيب، بلدية تماكسلت، بلدية توريرين. كل هذه البلديات كانت من قبل مدمجة بالبلدية المختلطة مونتانيك .

الدراسة

سوق الإثنين و سيدي ورياش تادماية¹، و دائرة بني صاف و هي: سيدي الصافي و الأمير عبد القادر و بني صاف، و أصحاب هذا الرأي يقولون أن سكان دائرة ولهاصة هم ولهاصة الغرابة، و ولهاصة الشراقة هم سكان دائرة بني صاف، و يفصل بينهما وادي تافنة، في حين هناك قول ثالث محلي كذلك يورد اعتبارا قريبا للمنطقة، فهي تتكون من بلديات دائرة ولهاصة و دائرة بني صاف في ولاية عين تموشنت السابقة الذكر، إضافة لبلديتي دائرة هنين بولاية تلمسان، و هما : بني خلاد (سوق الخميس) و هنين، و لو أخذنا من جانب الأحداث التاريخية المشتركة، و التوزيع القبلي و التركيبة السكانية، و العادات فإنها كلها معايير دالة على صحة الأقوال الثلاثة الواردة الذكر، أما في دراستي هذه فقد إقتصرت على إقليم دائرة ولهاصة ببلديتيها : سيدي ورياش و سوق الإثنين، و ضمن هذه المعطيات التاريخية والجغرافية و لكي نتجنب كل إلتباس في دراستنا فقد استعملنا مصطلح ولهاصة في المعنيين التاليين:

- المعنى الواسع هو كل المنطقة الواقعة من زاوية سيدي جلول إلى ضريح سيدي محمد الحسيني المشرف على واد يسر.
- المعنى الدقيق لدينا و لأهل المنطقة و يخص المقاطعة المتشكلة من البلديتين التاليتين و مداشرهما، حسب الجدول:

البلدية	المداشر و القرى و التجمعات السكنية التابعة لها
سوق الإثنين	رشقون ، الرواشد،المرجة ، الحسانية ، الدحانة ، عين مزيان ، القبار ، الحلفة ، بلقمون ، الشهبانة الفوافة ، المطارة ، سيدي يعقوب ، سيدي حساين ، السوايدة ، المدادحة ، الحرايزة ، عمورن ، الشهبانة التحاتة ، سي بوعزة ، الزوانيف التحاتة ، سيدي لعرج ، اولاد بن شريف ، سوق الإثنين ، تادماية ، الهداهدة ، سيقا ، الزوانيف الفوافة.
سيدي ورياش	أولاد سيدي يخلف (المطامرية) ، غرماوي ، أولاد بن عياد ، أولاد عزوز ، العربيين ، طربان ، زاوية سيدي الجازولي ، أولاد بن تراري ، الشعابية ، البراطلة التحاتة ، البراطلة الفوافة ، سيدي دحمان ، الدرابلة ، فرحة ، شراف ، البوازيد ، أولاد البشير ، عنزي ، سيدي ورياش ، حماموش ، بوجرة (الهداهدة)

جدول رقم (2) : التجمعات السكنية الحضرية والريفية بمنطقة ولهاصة.

و هكذا نصل إلى نهاية مطلبنا بعد إعطاء نظرة شاملة عن التنظيم الإداري للمنطقة منذ عهد الإحتلال الفرنسي إلى اليوم.

¹ و هذا اعتبارا التقسيم الإداري لسنة 1984م، انظر: الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، قانون رقم 84-09 الصادر في يوم 8 فبراير 1984م المؤرخ المؤرخ بتاريخ 4 فبراير 1984م والمتعلق بالتنظيم الإقليمي للبلاد، العدد 5، المادة 50، ص 152.

الدراسة

المطلب الرابع: تحديد جغرافية المجال القبلي للمنطقة

قبيلة ولهاصة هي قبيلة تقطن الغرب الجزائري و تحديدا غرب ولاية عين تموشنت، و تمتد ديارهم من غرب مدينة بني صاف الى حدود منطقة هنين مقر قبائل ترارة الكومية، و هو اقليم يسكنه منذ القدم قبيلة ولهاصة و هم أبناء ولهاص بن يطوفت بن نفزاو من شعوب نفزاوة، و هم اليوم قبائل عربية و بربرية مستعربة، و عروش المنطقة ينسبون كالآتي:

العرش أو الفرع	الأصل
بني خالد	وهم قبائل من زناتة البربرية وأصولهم من بني كومية وهم شعب عبد المؤمن بن علي وديارهم غرب ولهاصة بطريق هنين .
بني خالد	وهؤلاء اصلهم من منطقة بني زناسن شمال وجدة وهم خليط بين اولاد خالد العرب الادارسة و بين الزناتيين من منطقة بني زناسن .
اولاد سيدي يعقوب و اولاد عبد الرحمان بالحاج	وهؤلاء عرب من الاشراف السليمانيين الذين ذكرهم العشماوي والقاضي حشلاف وغيرهم وتعود اصولهم لعين الحوت بتلمسان.
اولاد بن دادا	وهم من ولهاصة البربرية.
بني فوزاش	من بطون ولهاصة البربرية.

الدراسة

وهؤلاء عرب اشراف اصلهم من مستغانم ومازالت فروعهم في عين تادلس.	اولاد بوراس
وهؤلاء من بني هلال اصلهم من زمورة بغيليزان ولهم دوار في ولهاصة.	عرب السويد
وهؤلاء من بني عامر الهلاليين واصلهم من اولاد بو جمعة شرق عين تموشنت.	اولاد موسى بوجمعة
وهم عرب و اصل هؤلاء من الانجاد جنوب تلمسان.	بوحامدي
وهؤلاء اصلهم من بني يفرن من بربر زناتة.	بني زمعة وبني رنان
وهم فرقة في الضفة الاخرى واصلهم من بربر ولهاصة.	بني ريمان
جدهم الحاج بلقاسم وهم عرب اشراف من مرابطي القليعة وقيل هم من اولاد عبد الله من بني عامر من بني هلال واخوانهم العلالية القبالة وهم شمال تلمسان في بلدية الامير عبد القادر. وهم من اكبر عروش المنطقة وهم عرب اشراف اصلهم من غريس من معسكر حيث ولد جدهم سيدي يخلف الادريسي ويعود اصله لمكناس من الشرفاء ومن ابناء سيدي يخلف : الحسن ولم يعقب و احمد الذي انتقل الى بلاد القبائل في جرجرة ويسمى سيدي احمد الغربي وسيدي الحاج وسيدي صالح وهؤلاء منهم عرش في ولهاصة ومعسكر وترارة وهم فرقة كبرى يصل تعدادهم لقرابة اربعين الف نسمة متوزعين على قرى ومداشر ولهاصة ومعسكر وترارة سوق الخميس ومنهم فرقة بيلعباس في بن باديس.	العلالية الظهارة اولاد سيدي بن يخلف
ويسمون الغرارسة وهؤلاء قادمون من غريس يقولون انهم من اشراف ومرابطي غريس وهم من اكبر عروش ولهاصة.	عرش اولاد بوغراس
وهؤلاء من صريح بربر ولهاصة وديارهم اخر وطن ولهاصة على البحر ومرتفعات سيقا تجاورهم وهؤلاء من العرب الاشراف حسب ما جاء به القاضي حشلاف في كتابه وذكرهم العشماوي وتعود اصولهم لفاس من المغرب.	الزوانيف اولاد عايشة
عرب وهؤلاء تعود اصولهم لمنطقة مديونة وهم من قبيلة الغسل المعقلية العربية القحطانية	الصوابرية
بربر واصولهم تعود لزنانة من تلمسان.	الحدادة
وهم من بربر ولهاصة وقيل انهم من بني ورنيد من جبل تلمسان.	اولاد بوجما واولاد كاسلي
عرب اشراف واصولهم تعود لمعسكر من اولاد سيدي قادة .	المخاترية
عرب و دوراهم جنوب ولهاصة طريق تلمسان و هؤلاء اصلهم من البواشيخ من جنوب الابيض سيدي الشيخ وقيل هم من الحميان و منهم الخليفة البوحميدي الولهاصي.	البوحمايدية
و اصلهم من بني عامر من سيدي بلعباس.	مخنطر
و هؤلاء بربر من زناتة	الرمانية والابغال
و هؤلاء اصلهم من سقونة ويقال قادمون من المغرب.	لالة واشا
و هؤلاء في تادماية و هم في الاغلب من زناتة ويقولون انهم من اولاد سيدي الشيخ.	عرش اولاد يوسف وسي البشير
و هؤلاء من بربر بني عابد من زناتة.	الشهابية

جدول رقم (3): عروش منطقة ولهاصة و اصولها.

أما من حيث الحدود القبالية لمنطقة ولهاصة، فيحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط، و جنوبا قبائل الغسل كمديوثة، اما غربا فيحدها بني عامر بتعدد فروعهم، في حين يحدهم شرقا قبائل ترارة كالسواحلية و بني وارسوس و بني خلاد، و الخريطة المقدمة توضح التوزع القبلي لولهاصة:

الدراسة



الخارطة رقم (3): موضع قبيلة ولهاسة نسبة للقبائل المتجاورة لها

تقلا من موقع سيدي يعقوب :

(<http://oulhassa.e-monsite.com/pages/articles-arabes/sidi-yacoub>)

المبحث الثاني: منطقة ولهاسة خلال الفترتين الإسلاميتين الوسيطة والحديثة

في هذا المبحث ارتأينا أن نقدم لمحة تاريخية عن منطقة ولهاسة، و هذا في فلك الفترة الإسلامية بشقيها، الأول من الفتح الإسلامي إلى سقوط الأندلس و ما تبعه من أزمات و احتلال صليبي ، ثم الثاني بداية من الإستنجاد بالمسلمين العثمانيين لدر الأعداء الصليبيين إلى دخول المحتل الفرنسي .

المطلب الأول : لمحة عن منطقة ولهاسة خلال الفترة الإسلامية

رغم أن جذور مدينة سيقا (أرشقول الإسلامية) ضاربة في التاريخ إلا أن أول ذكر للمدينة كان في فترة الغزو الروماني لشمال أفريقيا (القرن الأول قبل الميلاد)، و على امتداد حوالي 700 سنة خضعت المدينة للسيطرة الأجنبية، من الحكم الروماني إلى فترة غلبة الوندال على بلاد المغرب القديم إلى الإحتلال البيزنطي، لكن طيلة تلك الفترة لم ينعم المحتلون بالسلم والهدوء فالمنطقة كانت موطناً

الدراسة

لقبيلة زناتة و فروعها (مغراوة، مغيلة و بني يفرن) وهي قبيلة بربرية بترية معروفة بنزعتها الإستقلالية و عدم قابليتها للخضوع الأجنبي، أما في الفترة الإسلامية فبتتبع خطوات الفتح الإسلامي للمنطقة ، من عهد أبي المهاجر دينار¹ مروراً بمسيرة عقبة ابن نافع و ولاية موسى ابن نصير، وصولاً إلى عهد الولاة الأمويين، من خلال أمهات المصادر التاريخية و الجغرافية، فإننا لم نجد أي ذكر للمنطقة فيها، و يرجع الأمر في اعتقادي إلا كون أغلب المناطق التاريخية الواقعة على الشريط الساحلي لبلاد المغرب، إنما تأسست كمراكز تجارية للفينيقيين أو كموانئ للرومان و البيزنطيين، ولم يكن لها أي دور هام في الأحداث السياسية و التاريخية خلال الفترات الأولى من الفتح الإسلامي، نتيجة إنحصار النزاع و المعارك بين الفاتحين المسلمين و البربر في المناطق الداخلية، و بعد أسلمة المنطقة إرتبطت الأحداث في المنطقة ارتباطاً وثيقاً بما كان يحدث في تلمسان خاصة، أضحت المنطقة قطاعاً تابعاً للحكم الأموي في دمشق، ثم لحكم العباسيين في بغداد، مع مراعاة تبعية هذا الجزء من العالم الإسلامي أحياناً لحكم الإمارات المستقلة أو المنتفضة عن الحكم المركزي للدولة الإسلامية.

1/ عهد قبائل بني يفرن و مغيلة : إتخذت هاته القبائل من المذهب الصفري الخارج عن طاعة العباسيين توجهاً لها، و هذا بعد مبايعة أبي قرّة اليفرني على إمامة المذهب الخارجي في غرب المغرب الأوسط و المغرب الأقصى، و اتخذ عاصمتين له أغادير² في المغرب الأوسط و طنجة في المغرب الأقصى، و في هذا الوقت ظلت قبائل ولهاصة موالية لأبي قرّة اليفرني و وانضمت لجيوشه ضد الوالي العباسي عمر ابن حفص المعين سنة 150هـ، و المقيم في القيروان ثم طنبنة، إلى أن تم تولية يزيد ابن حاتم ابن قبيصة على بلاد المغرب، ففضى على حشود زناتة، فزالت دولة الصفريين هاته.

2/ عهد قبيلة مغراوة : ورثت قبيلة مغراوة إمارة أغادير بعد أبي قرّة، وهذا بزعمامة محمد ابن خزر بن صولات³، وأصبحت كل المنطقة المحيطة بتلمسان تابعة له، و تدخل ضمن هذه التبعية منطقة ولهاصة، باعتبارها بقيت جزءاً لا يتجزأ من ساحل تلمسان في هاته الفترة، بينما رئيس البلدية السابق المرحوم بن سنوسي بوزيان - رحمه الله - فيقر في محاضرة ألقاها بالمركز الثقافي بمدينة عين تموشنت

¹ ذكر الباحث في تاريخ المنطقة المرحوم عبد القادر بن يخلف-رحمه الله- في كتابه " ولهاصة :تاريخ و أصالة" ما نصه: "...و أول ظهور لمنطقة أرشقول و كان اسمها آنذاك سيقا على مسرح الأحداث يعود لحوالي سنة 683م ، فخلال إجراء أولى أكبر المعارك الفاصلة بين جيش الفتح الإسلامي بقيادة أبو المهاجر دينار وجموع قبيلة أوربة البربرية بقيادة كسيلة ، تم إختبار المنطقة من طرف الفاتحين المسلمين لتكون مركزاً لتجمع حامية عسكرية اسلامية من ميمنة الجيش الإسلامي..." ، ولا أدري من أين جاء بهذه المعلومة حيث لم يذكرها على ما أعتقد أحد لا قبله ولا بعده، لأن جيوش أبي المهاجر التقت مع جيوش كسيلة في مشارف تلمسان و المنطقة بعيدة عن موقع المعركة ، ومنطقياً لا يمكن لأي كان بها أن يساهم في المعركة هذه أيا كانت أدواره ، أنظر: عبد القادر بن يخلف ، ولهاصة: تاريخ و أصالة ، دار الرحمة للنشر و الطباعة ، وهران، 1968م ، ص13.

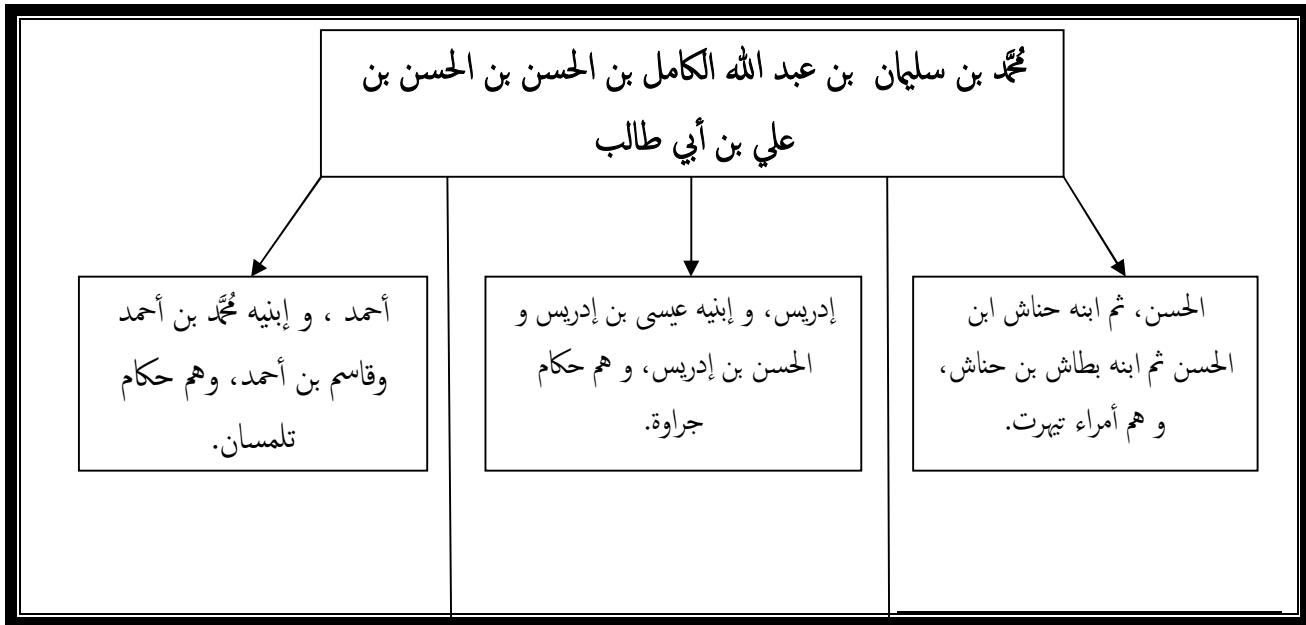
² أغادير حالياً هي إحدى الأحياء الشمالية الشرقية لمدينة تلمسان.

³ محمد رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م ، ص55.

الدراسة

بتاريخ 14 أوت 2005م: "أن الفضل في تعمير منطقة ولهاصة يعود لقبيلة مغراوة بالدرجة الأولى." و طبعا فإن هذه المعلومة غامضة نوعا ما، باعتبار الحديث عن تعمير المنطقة في عدة مصادر تاريخية و جغرافية كان قبل حكم مغراوة لتلمسان و نواحيها.

3/العهد الإدريسي : في هذه الفترة برزت منطقة ولهاصة برونزا كبيرا، فبعد دخول إدريس لبلاد المغرب مستغلا أمرين هامين، الأول بعد المنطقة عن دار الخلافة، والثاني كثرة السكان من البربر وحملهم لأموال الدين، و هذا الإستغلال من طرف إدريس كان مباشرة بعد إنهزام العلويين بمكة أمام العباسيين في موقعة فخ، ثم مروره لبلاد المغرب مع مولاه راشد¹ و وصوله إلى ويلي و اتخذهم مقاما لهما، و تواصل بناء دولة الأدارسة إلى أن اتخذوا فاس عاصمة لهم، أما تلمسان و أحوازها فقد دخلوا في طاعة الأدارسة أولا مع إدريس الأول حين دخلها سنة 174هـ/789م و شيد بها مسجده، ثم صلحا و اتفقا بين إدريس بن إدريس و محمد بن خزر المغراوي سنة 199هـ/814م²، ففقل إدريس راجعا إلى فاس جاعلا عمه سليمان بن عبد الله على تلمسان، ومن هنا تبدأ قصة السليانيين مع مدن المغرب الاوسط، و لكن مع وفاة إدريس الثاني في 213هـ/828م وتولى ابنه محمد للحكم، قسم هذا الأخير الأقاليم الداخلة في حكمه على إخوته، و كانت تلمسان من نصيب أخيه حمزة، في هذه الغضون توزع أبناء محمد بن سليمان أبناء عم حمزة ابن إدريس حاكم تلمسان الجديد على أقاليم المغرب الأوسط التابعة لتلمسان، فأسسوا مدن و مراكز تجارية ما لبثت أن تحولت إلى تجمعات سكنية، وفق المخطط التالي:



¹ علي ابن ابي زرع ، الانيس المطرب بروض الطرطاس في اخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1999م ، ص21.

² نفسه ، ص35.

الدراسة

عيسى، و ابنه إبراهيم ثم ابنه يحيى
بن إبراهيم ثم ابنه إدريس بن
إبراهيم، و هم حكام أرشقول.

إبراهيم، ثم ابنه عيسى ثم ابنه
إبراهيم بن عيسى ثم ابنه محمد بن
إبراهيم، ثم ابنه يحيى بن محمد

شكل رقم (1): تسلسل الأمراء السليمانيين على مدن المغرب الأوسط التابعة لتلمسان.

و كما يظهر في الشكل السابق فإن عيسى بن محمد هو من استوطن منطقة ولهاصة من السليمانيين، و هو من بنى جامع مدينة أرشقول حسب أبو عبيد الله البكري وسنتكلم عنه لاحقا، و بقيت المنطقة سليمانية تابعة لحكم الأدارسة، إلى غاية سقوطها في أيدي الفاطميين.

4/ خلال الصراع الفاطمي الأموي: بعد سيطرة الفاطميين على الجانب الشرقي لبلاد المغرب الأوسط خاصة بعد تغلبهم على الأغلبة في معركة أريس بالأوراس سنة 296هـ/909م، حولت أنظارها نحو الجزء الغربي منه فضلا عن المغرب الأقصى، فاحتلت جيوش عروب بن يوسف الكتامي الفاطمية تيمرت وقضى على الإمامة الإباضية بها¹، ثم قضت جيوش عبيد الله الشيعي على حكم المغراويين و السليمانيين، و أخيرا على دولة بني مدرار بسجلماسة سنة 297هـ/910م، حيث أخرج عبيد الله المهدي سجنه هناك، وبيع هذا الأخير في القيروان، و أصبحت منطقة ولهاصة في هذه الفترة ذو تبعية للفاطميين مثل باقي مدن المغرب الأوسط، حيث قضى موسى بن أبي العافية عامل الفاطميين على حكم السليمانيين في عدة مناطق من بلاد المغرب الأوسط، و بعد بسط الشيعة العبيديين على بلاد المغرب من إفريقية شرقا إلى سبته غربا، بل تعدى الأمر لأكثر من ذلك فدخلوا حتى الأندلس، مما جعل الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر أن يتحرك ضدهم، فنزل سواحل مليلية سنة 314هـ/924م، فلبى دعوته و أيد ولائه إبراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان صاحب أرشقول، وتبعه ابن عمه الحسن بن أبي العيش صاحب جراوة، و عامل الفاطميين بالمغرب الأقصى موسى بن أبي العافية، و الخير بن محمد بن خرز المغراوي زعيم زناته، و طردوا الشيعة من المنطقة، و لكن تكليف عبد الرحمان الناصر ليعلى بن محمد على المغرب و محمد بن يصل على شؤون تلمسان و أرشقول أغضب

¹ موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص328.

قبائل زناتة ، فأعادوا الدعوة للفاطميين ، ثم انقلبوا للامويين ، إلى أن دخل بلقين ابن زيري الصنهاجي الموالي للفاطميين إلى تلمسان و أحوازها و منها أرشقول في 971/360م.

5/المنطقة خلال الحكم الزيري - الحمادي : عندما دخل بلقين الصنهاجي إلى تلمسان و أخضعها هي و أحوازها، إنطلق راجعا إلى بلده، وبعد سنتين أي في سنة 973/362م عادت تلمسان وما جاورها كأرشقول و مديونة و تنس إلى سابق عهدها موالية لأموي الأندلس، واشتد الصراع في المغرب الأوسط و الأقصى بين قبيلة صنهاجة و على رأسها الزييين و الحماديين من جهة¹ ، و بين قبيلة زناتة و على رأسها المغراويين و بني يفرن من جهة أخرى، إلى أن بسط بلقين بن زيري بن مناد سيطرته على المنطقة خاصة إقراره و اليا للفاطميين على بلاد إفريقية و المغرب في سنة 972/361م ، و في سنة 979/373م، أرسل العزيز بالله الفاطمي يأمره بمساعدة الحسن الإدريسي حاكم جراوة وإدريس ابن إبراهيم حاكم أرشقول في حربهم ضد الأمويين بالأندلس، و بقيت المنطقة هكذا إلى أن خلع المعز بن باديس طاعة الفاطميين و دعا للعباسيين ببغداد، ثم الهجرات الهلالية التي كانت بتخطيط الفاطميين الذين دكوا المنطقة بقبائل بني هلال العربية، و هم رياح و زغبة و الأثج و بنو سليم و بنو عامر و عدي، و من أهم القبائل التي استوطنت منطقة و لهاصة بعد التغرية الهلالية، نجد بني عامر و فرع من بني رياح و فرع من عدي (أنظر الجدول 3).

5/الحكم المرابطي : إن الفتن القائمة بتلمسان و ما جاورها من تنازع بين عدة أطراف، لعل أبرزها القبائل الزناتية (مغراوة و اليفريون) و القبائل الصنهاجية (الزييون و الحماديون) و أموي الأندلس و السلالات الحاكمة الإدريسية و السليمانية الموالية لهم و الفاطميون زيادة على بني هلال، كل هذا لم يمنع تلمسان و سواحلها أن تكون همزة وصل بين إفريقية و المغرب الأقصى و الأندلس، فلعب ميناء هنين و أرشقول الدور الأساسي و الرابط بين ضفتي غرب البحر المتوسط، و انتعشت على هذا الأساس منطقة و لهاصة كسوق أولي و مركز تجمع للسلع قبل نقلها إلى مختلف الجهات، و استمر الوضع إلى دخول الجيش المرابطي إلى تلمسان و وصوله إلى رباط الأدراسة بأسلن نواحي أرشقول بقيادة مزدالي التكلاتي سنة 1079/472م² ، ثم أغار المغراويون على أغادير و قرية العلويين و أرشقول مرة أخرى، لكنها لم تدم طويلا باجتياح يوسف ابن تاشفين و الجيوش المرابطية لأغادير سنة 1081/474م و بسط نفوذه على كل ممتلكات قبيلة مغراوة بما فيها و لهاصة، و أضحت

¹ مختار حساني ، الصراع بين الأمويين و الفاطميين على السيادة في المغرب الإسلامي خلال القرن 4/10م ، مذكرة ليل دبلوم الدراسات المعمقة ، معهد علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ، 1978م ، ص 26 و ما يليها .

² راجع بونار ، المغرب العربي: تاريخه و ثقافته ، ط 2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981م ، ص 236 .

الدراسة

بذلك منطقة ولهامة موالية للمرابطين و تابعة لعاملهم بتكرارات (تلمسان الجديدة مقارنة مع أغادير) مُجَّد بن تينعمر المسوفي¹، و هو من هدم جوانب من سور أرشقول و أعاد الحياة لها حسب مارمول².
6/ السيطرة الموحدية للمنطقة : لم نجد في هذه الفترة بالذات من تكلم عن منطقة ولهامة ضمن مخططات الموحدين، فأوردت ما يلي مقابلة مع الأحداث التي عرفتها المنطقة، غير أن المصدر الوحيد التي تكلم عن التواجد الموحد في المنطقة هو قول مارمول : "... ثم أعادها الموحدون - يقصد أرشقول - إلى حالتها الأولى..."³، و لعل إستغلال عبد المومن بن علي الوحدي لمنطقة المطامرية كمركز جمع و تخزين المحاصيل الزراعية شكل آخر من أشكال بسط الموحدين لفوذهم على منطقة ولهامة⁴، و يمكننا القول أن ميناء هنين كان أهم ميناء للموحدين بالمنطقة و كذلك ميناء أرشقول، و لقد وجدت عدة قطع نقدية موجدية في مختلف مناطق ولهامة لعل منها تلك المعروضة بمقر الدائرة الأثرية لعين تموشنت⁵، واستمر الوضع هكذا حتى تولى بنو عبد الواد مشخة تلمسان وما جاورها باسم الموحدين سنة 627هـ/1230م بعد تعيين أبو مُجَّد جابر بن يوسف واليا عليها.

7/ ولهامة بين بني زيان و بني مرين : تواصل بنو عبد الواد في حكم تلمسان و أرشقول و ما بينهما باسم الخليفة الموحد، إلى أن استقل بها يغمراسن بن زيان عام 633هـ، لبدأ عهد جديد لتلمسان و أرشقول مع الزيانيين، و هذه السيطرة عبد الوادية لتلمسان و ما يتبعها رافقه التواجد المريني و التحكم في مناطق نفوذ الزيانيين مرات منها سنة 737هـ/1337م و كذا عام 753هـ/1352م، و في تلك الأوقات العصيبة التي كانت تمر بها تلمسان حين محاصرتها أو دخولها من طرف بني مرين، كانت ولهامة قبلة للفارين منها، خاصة قضاة و عمال الزيانيين بتلمسان، ويمكن هنا الإشارة إلى القاضي سيدي يعقوب ابن الحاج التلمساني، صاحب زاوية سيدي يعقوب ولهامة و المدفون بها، والذي وردت في ترجمته أنه فر من الفتن التي ظهرت في تلمسان سنة 737هـ/1337م، و لعل المقصود بهذه الفتن دخول المرينيين لتلمسان⁶، فمن هذا كذلك سيطرة أبو الحسن المريني عند توسعه ومحاصرته

¹ احمد حسن محمود ، قيام دولة المرابطين: صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، دت، ص206.

² مارمول كاربخال، إفريقيا، ج2، تر: مُجَّد حجي، الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة والنشر، 1989م، ص297.

³ نفسه، ص298.

⁴ Benjamin Gastineu, *la balle*, courrier de Tlemcen, 25 eme année, num 1287, 1885, p3.

⁵ فد أشار الأستاذ رشيد دوکالي لوجود هذه النقود بالمنطقة عند دراسته للمسكوكات الموحدية بتنس، أنظر:

Rachid Dokali, *Monnaies Almohades et Hafsidees découvertes à Ténès*, Bulletin d'Archéologie Algérienne, T3, 1968, Editions De Boccard, Paris, 1969, P 391

⁶ يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم تحقيق: عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص219. انظر أيضا: عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ج7، دار الفكر، بيروت، 2004م، ص299.

الدراسة

لأرشقول التي استعصت عليه في باديء الأمر، ولعله الأمر الذي جعله يخربها كما ذكر مارمول كرنخال في قوله عن أرشقول: "... ثم جاء المرينيون فخرّبوها."¹، و ربما هو آخر عهد بأرشقول كتجمع سكني حضري، إذ أضحت المنطقة عبارة عن تجمعات ريفية صغيرة، قبلية أو عائلية، فلاحية أو دينية.

8/الإحتلال الإسباني للسواحل: لم تستطع الدولة الزيانية الصمود طويلا أمام في وجه الفتن الداخلية و الخارجية التي فتتت بها، فاستغلت عدة قبائل الفرصة و استقلت عن الحكم المركزي في تلمسان في شكل إمارات صغيرة، و لعل هذا الأمر من أقوى الأسباب التي جعلت الإسبان يسيطرون سيطرتهم على سواحل المغرب الأوسط²، و أقرب نقطة لذلك من منطقة ولهاصة هي الحامية الإسبانية بهنين، و في نفس الفترة يذكر الراهب لوتيليو عن معركة وقعت في منطقة سيدي يعقوب في سنة 1532م³ بين سكان المنطقة من جهة و بين الجنود الإسبان من جهة أخرى⁴، و حسب روني باسي فإن منطقة ولهاصة كانت أحد الأطراف المشاركة في عقد ميثاق الوحدة سنة 1548م تحت لواء الولي الصالح سيدي عبد الرحمان اليعقوبي للجهاد ضد العدو الصليبي الإسباني⁵، و لم تذكر المصادر أي أحداث أخرى متعلقة بالمنطقة في هذه الفترة عدا ما ذكرناه، و الظاهر ربما أن هذا التجاهل من المؤرخين و الجغرافيين راجع إلى كون سكان منطقة ولهاصة كانوا بين كاشتين من جهتين، الحامية الإسبانية بهنين أو الحكام الزيانيون الموالون للإسبان أحيانا من جهة، و بين الإسبان بوهران و القبائل الموالية لهم كبنو عامر و بني شافع من جهة أخرى.

9/المنطقة تحت حكم العثمانيين: بداية من 1514م ظهرت قوة جديدة منافسة للإسبان، تتمثل في الإخوة بربروس، الذين أسسوا لهذا الغرض قاعدة في مدينة جيجل، وتوسع الإخوة في بلاد المغرب الأوسط، مستغلين ضعف الحكام الزيانيين من جهة، و التفاف الشعب حولهم بحكم رابط الدين المشترك من جهة أخرى، و جعلوا محاربة الكفرة الصليبيين – اللفظ الذي أطلق على المحتل الإسباني في المصادر المحلية- هدفا لهم، و لم تنعم منطقة ولهاصة في تلك الفترة بالهدوء، وتميزت بظهور المرابطين كما كانوا يسمون لحماية الثغور الإسلامية من الاعتداءات الصليبية، و هذا في أعالي القمم المطلة على السواحل، و لدينا عدة أمثلة من ذلك لعل أبرزها سيدي رحمون و سيدي مُحمَّد المدني و سيدي

¹ مارمول كرنخال، المصدر السابق، ص298.

² ابن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، كلية الآداب، الجزائر، 1977م، ص60.

³ ابتداء من هذه المرحلة سنقدم معظم السنوات بالميلادي بسبب ورودها في أغلب المصادر التاريخية بهذا التقويم.

⁴ الأب لوتيليو، المعالم العشرون لغرب وهران، ترجمة: سعاد ماضي، دار مالك بن نبي، وهران، 1974، ص16.

⁵ René Basset, Nadroma et les Traras, le roux, Paris,1901,p66.

الدراسة

أحمد الورداني و آخرين ممن سيتم ذكرهم في موضعهم، و في هذه الفترة بالذات تأرجحت المنطقة بين حكم عدة دول، فقد دخلت في حكم الحفصيين بعدما غزى أبو عمرو الحفصي تلمسان سنة 1466م في المرة الأولى، ثم ثانيا عام 1505م، ثم الإسبان عام 1509م كما وضعنا سابقا، ثم انطوت تحت حكم الأمير الزياني عبد الله الذي حارب القائد العثماني حسن آغا سنة 1543م، ثم تحت حكم السعديين بالمغرب الأقصى خاصة بعد سيطرة ابنه الشريف محمد الحران سنة 1550م على تلمسان و أحوازها و الذي وسع نفوذه حتى وادي الشلف¹، و بقت الأمور هكذا إلى أن زحف حسن بن خير الدين نحو تلمسان و أخرج السعديين من تلمسان و مناطق نفوذها كولهاسة و ملاتة و تسالة، و تم تنصيب الحسين بن عبد الله الثاني دفين ولهاسة على عرش تلمسان و كان مواليا للأتراك، إلى أن قاموا بخلعها سنة 1554م و بذلك إنتهى عصر الدولة الزيانية، و أضحى ولهاسة بعد ذلك جزء من بايلك الغرب، وقد ترك الأتراك بصمتهم في المنطقة، من خلال تشجيع الحكام المحليين الموالين لهم في تشييد مختلف العمائر، و من أهم أمثلة ذلك الزاوية الجازولية بقرية طربان، و وضع القائد العثماني لمنطقة تلمسان محمد بن حمزة لتوايت خشبية بعدة أضرحة مثل قبتي أولاد سيدي عمار بسيدي ورياش، و قبة سيدي محمد المدني بالزوايف و قبة سيدي يعقوب، و في هذه الأخيرة تم زخرفة القبة من الداخل بأمر من نفس القائد، وكان ذلك في 1725م، و في أواخر العهد العثماني تأرجحت عشائر المنطقة بين التبعية للعثمانيين أحيانا، و بين الحركات المناوئة للحكم العثماني كالدرقاويين و التيجانيين أحيانا أخرى.

10/التأرجح بين حكم الأمير عبد القادر و حكم العلويين : تبدأ هذه المرحلة من سقوط الجزائر العاصمة في يد الفرنسيين في 1830م، ثم تبعها سقوط وهران في 1831م، فأقلق هذا الوضع شيوخ و أعيان و أشراف و علماء الجهة الغربية من بلاد الجزائر، فتم الإجماع على تولية الشيخ محي الدين الذي اعتذر لكبر سنه، فكان الحل الوحيد يكمن في التوجه نحو احكام العلويين بالمغرب الأقصى، و بالفعل كان لهم ذلك، فقد رحب بهم السلطان مولاي عبد الرحمان و عقد لابن عمه علي بن سليمان على إمارة المغرب الاوسط، و امتد نفوذه حتى منطقة مليانة و كانت منطقة ضمن هذا النفوذ، و لكن فرنسا حذرت سلطان المغرب من مغبة ذلك فاسترجع ابن عمه، فعادت الامور إلى الإضطراب في الجهة الغربية، فألح أهل الغرب على محي الدين قيادتهم لكنه رفض و أشار عليهم إلى ابنه عبد القادر، فبويج الأخير سنة 1832م، و كانت منطقة ولهاسة هذه السنة تابعة لمحمد بن نونة المغربي بتلمسان إلى دخول الامير إلى تلمسان، فأصبحت كل ولهاسة موالية للأمير عبد القادر حسب المؤرخ أديب حرب²، و

¹ محمد رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 244.

² أديب حرب، التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر، دار هومة للنشر، الجزائر، دت، ص 242.

الدراسة

بعد تنظيمه للأموار فرض الامير ضريبة على الرعية أسأها المعونة، فرفضت بعض القبائل ذلك و أهمها بني عامر، فأرسل الامير إليهم مصطفى آغا بن إسماعيل لمحاربتهم فتأدى في ذلك، وفي 1834م أراد الامير أن يصالح بينهما، ولكن بن إسماعيل و بمساعدة حمية تركية بتلمسان، و أراد قطع الطريق عن الأمير في منطقة ولهاصة، إلا أن الأمير هزمه و سيطر مرة أخرى على المنطقة، وقد كان الأمير قد اختار واحدا من أبناء منطقة ولهاصة ليكون قائدا على تلمسان و مناطقها هو القائد البوحميدي الولهاصي، و يمكن الإشارة إلى حدثين هامين في هذه الفترة و قعا في المنطقة، الأول معركة سيدي يعقوب بين قوات الأمير عبد القادر و قوات القائد الفرنسي دارلينغ سنة 1836م و التي انتصر فيها الأمير انتصارا باهرا، و الثاني يتعلق بمعاهدة تافنة ببلدية الأمير عبد القادر حاليا المجاورة لولهاصة سنة 1838م ، بين الامير و الجزائر ويجو تخلت فيها فرنسا حسب نص المعاهدة عن أرشقول¹ و تلمسان مع المدافع التي كانت فيها قديما، و بقى الوضع هكذا إلى أن استطاع المحتل الفرنسي السيطرة على المنطقة سنة 1842م، و بدخول الفرنسيين للمنطقة نكون قد أنهينا مطلبنا هذا.

المطلب الثاني : منطقة ولهاصة من الفتح الإسلامي إلى دخول المحتل الفرنسي من خلال النصوص التاريخية و الجغرافية

¹ جاءت في نص المعاهدة باسم أرشقول ، و يقصد بها في تلك الفترة الدواوير و المداشر و القرى المنتشرة في ربوع منطقة ولهاصة ، لأن أرشقول لم تعد موجودة منذ بداية القرن 17 م ، و أجمعت مصادر الفترة الحديثة على اندثارها و تحول المنطقة إلى نظام (العشيرة- القرية) إلا أحمد المقرئ فقد خالف الإجماع و ذكرها باسم مرفأ ، و سنبين ذلك في المطلب الموالي.

الدراسة

تعتبر منطقة ولهامة واحدة من أقدم المناطق في الجزائر استعماراً للإنسان، ولقد جاءت في عديد النصوص و المؤلفات، فقد ذكرها عديد الجغرافيين و المؤرخين¹، و لعل ذكرها في كتب التاريخ الإسلامي غالباً كان باسم مدينة أرشقول، و التي تعتبر اهم التجمعات في منطقة ولهامة خلال الفترات الإسلامية، فرغم إندثارها مثل عدة مدن في المغرب الأوسط (الجزائر)، إلا أن كثرة ورودها و كذا انتشار مخلفات ملموسة و قرائن أثرية و شواهد مادية كفيلاً بالتساؤل عنها، و كأبسط طريقة لذلك هي تتبعها زمنياً و تاريخياً (وحتى مكانياً)، وفق التأريخ الكرونولوجي للمصادر المدونة، و كذا للبقايا الأثرية، فقد وردت هذه المدينة على صفحات مختلف المصادر التاريخية و الجغرافية.

فهذا ابن حوقل (ت : 380هـ) في القرن الرابع يذكرها فيقول: "... ارجكوك مدينة لطيفة، لها مرسى و بادية و خصب و سعة في الماشية و الاموال السائمة، و مرساها في جزيرة لها فيها مياه و مواجن كثيرة للمراكب و اهلها و المحتاجين إليها في سقي سوائهم، و هي جزيرة معمورة بالناس، و أرجكوك على واد يعرف بتافنا...."².

في حين إن ابن حيان (ت : 469 هـ) ذكرها كذلك في القرن الخامس حين وصف زحف موسى ابن ابي العافية³ عليها فقال : "... ثم أخرجنا شوائ من الاسطول الميموني فقدمناها الى جزيرة أرشقول التي كان الداعي ابن أبي العيش قد اتخذها مستقراً، و كان استبعد عنها لما كان يتوقعه منا، سيرنا في الشوائ رجالا من قبلنا، فدخلها رجالنا، و افتتحوها و استولوا على جميع ما كان المنافقون استعداداً به فيها..."⁴.

أما البكري (ت : 487هـ) فقد ذكرها كذلك في نفس القرن حيث قال : "...نهر تافنا هو النهر الذي يصل الى مدينة أرشقول ساحل تلمسان، و بين مدينة أرشقول و تلمسان فحس زيدور طوله 25 ميلاً، و مدينة أرشقول على نهر تافنة يقبل من قبليها و يستدير بشرقيها، يدخل فيه السفن اللطاف من البحر الى المدينة و بينهما ميلان، و كان يسكنها التجار و نزلها عيسى بن محمد بن سليمان، و وليها وتوفي فيها سنة خمس و تسعين و مائتين، و ولد له فيها ابراهيم ابن عيسى الأرشقولي، و وليها بعد ذلك ابنه يحيى بن ابراهيم و هو الذي حبسه ابو عبد الله الشيعي..."⁵.

¹ للإطلاع أكثر على هذه النصوص أنظر الموقع: <http://oulhassa.e-monsite.com/des-extraits>

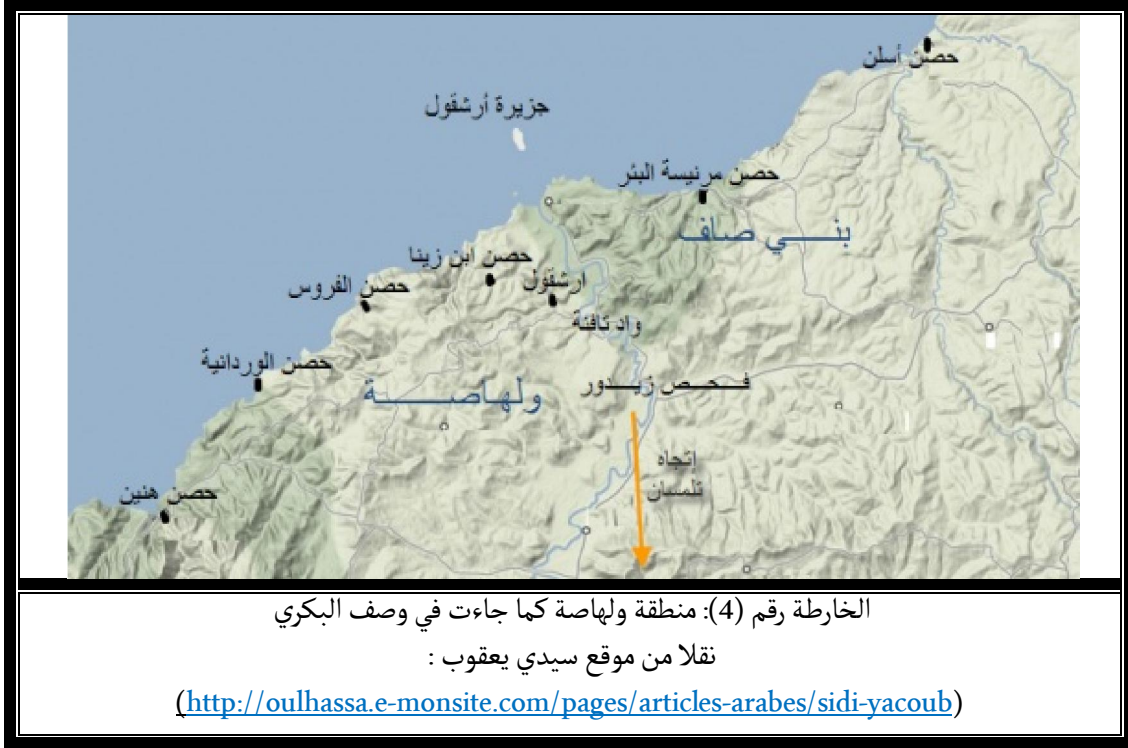
² أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1996، ص79.

³ من المقرين لعبيد الله المهدي الذي جعله من أكبر قادته، و أقره والياً على مدينة تاهرت و المغرب الأوسط.

⁴ ابن حيان القرطبي، المقتبس في اخبار بلد الاندلس، منشورات دار الآفاق، الجديدة، 1990، ص415.

⁵ أبي عبيد الله البكري، المغرب في ذكر افريقية و المغرب، و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك، دار الكتاب الإسلامي، عمان، 1999م،

الدراسة



أما الإدريسي (ت: 558هـ) فقد ذكرها هو الآخر في القرن السادس حيث قال: "...و أرشقول -و يروى أرجكون- و كانت فيما سلف حصنا عامرا، له مرسى و بادية وسعة الأموال السائمة...".¹

و ذكرها صاحب الاستبصار خلال القرن السادس أيضا حيث قال: "...مدينة أرشجول و هي مدينة قديمة ازلية فيها آثار كثيرة و هي على نهر تافنة و هو نهر كبير تدخل فيه السفن، و المدينة قريبة من البحر تصل إليها المراكب اللطاف، و هي بساحل تلمسان، بينها و بين تلمسان فحص زيدور لحرث القمح و هو مبارك مشهور البركة...".²

و ذكرها ياقوت الحموي (ت: 626هـ) خلال القرن السابع الهجري قائلا: "...مدينة بالمغرب من ناحية البر البربري على شاطئ البحر قرب تلمسان و فيها آثار الأول و بنيان عجيب، و هي عامرة لورود التجار إليها، و فيها نهر كبير تدخله السفن الكبار و تخرج...".³

و ذكرها المؤرخ عبد المنعم الحميري (ت: 728هـ) خلال القرن الثامن الهجري قائلا: "...أرشجول مدينة في ساحل تلمسان من أرض المغرب، بينهما فحص طولها خمسة وعشرون ميلا، ومدينة أرشقول هذه على نهر تافنا...".⁴

¹ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، الديوان الوطني للمنشورات الجامعية، الجزائر، 1983، ص190.

² مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص330.

³ الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، معجم البلدان، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، 1980، ص102.

⁴ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خير الأقطار، مؤسسة ناشر للثقافة، بيروت، 1980، ص26.

الدراسة

و أما القلقشندي فذكرها هو الآخر (ت : 821هـ) في القرن التاسع حيث قال : "... و يستدير بقبلتها و شرقيا نهر يصب في بركة عظيمة من آثار الاول، و يسمع لوقعه فيها خير على مسافة، و عليه ارجاء دائرة تدخل فيه السفن اللطاف و بقعتها شريفة كثيرة المرافق، و لها حصون كثيرة ..."¹.

و ذكرها كذلك التنسي (ت: 899هـ) خلال القرن التاسع حيث قال : "...فاقام ابنه -يقصد محمد ابن سليمان ابن عبد الله ابن عم ادريس- عيسى بأرشكول،... و أما عيسى صاحب أرشكول، فإنه لما هلك، خلفه ابنه ابراهيم، فلما هلك ابراهيم، خلفه ابنه يحيى، فلما هلك يحيى خلفه إدريس أخوه..."².

و وصفها حسن الوزان (شوهد و كان حيا في سنة 957هـ) في القرن العاشر بقوله: "...أرشقول مدينة كبيرة بناها الأفارقة على صحرة يحيط بها البحر من كل جانب، ما عدا الجنوب، كانت مدينة قديمة في غاية العمران، كانت دار امارة إدريس، احتفظ أبناءه بالحكم فيها مائة سنة، إلى أن جاء أحد ملوك القيروان وخلفاءها فدمرها، و بقيت خالية من السكان زهاء مائة وعشرين عاما، إلى أن أعاد بناءها قوم جاءوا من مملكة الأندلس مع جيش المنصور ابن ابي عامر، و قد أصلحها المنصور، لكن قبائل صنهاجة طردوا جميع جنود الأندلس أو قتلوهم، ثم خربت المدينة مرات أخرى كما حدث عام أربع مائة و عشر للهجرة ..."³.

و وصفها مارمول كاربخال (ت : 1009هـ) في أواخر القرن العاشر بقوله: "...ارشكول مدينة قديمة تشهد اليوم اثارها على الشاطيء، يجعلها بطليموس في الدرجة الثانية عشرة طولاً و الرابعة والثلاثين و اربعين دقيقة عرضاً، و يسميها سيكا كولونيا، و هنا نهر يحمل نفس الاسم و يصب قريبا منها يسمى الان نهر أرشكول، هذه المدينة عريقة في القدم، بحيث لا يعرف مؤسسها، لكننا نعلم انها كانت عاصمة الاقليم و مملكة تلمسان كلها..."⁴.

ثم جاءت الفترة الحديثة و التي أصبحت الجزائر بموجب إتفاق إيالة تابعة للإمبراطورية العثمانية و تحت حكم الباب العالي بالأستانة، خاصة بعد نهاية حكم الزيانيين عن آخر معقل دولتهم بسقوط تلمسان تحت الحكم العثماني سنة 1554م، و اهتمت كتب هذه المرحلة هي الاخرى بهذه المنطقة و على سبيل المثال لا الحصر نذكر:

¹ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص145.

² التنسي، نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان و ذكر ملوكهم، اصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1985، ص134.

³ الحسن الوزان، وصف افريقيا، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983، ص16.

⁴ مارمول كربخال، افريقيا، دار المعرفة للنشر، الرباط، 1989م، ص297.

الدراسة

البداية مع ابن مريم (المديوني) (ت: 1020هـ/1611م) في اوائل القرن الحادي عشر جاءت على لسانه إذ يقول في حديثه عن ترجمة الولي الصالح سيدي يعقوب: "...وانتقل اثناء الحصار الى موضع قرب ما بقي من ارياف الرشقون..."¹.

فاحمد المقرئ (ت: 1041هـ/1632م) في القرن الحادي عشر جاءت على لسانه إذ يقول في حديثه عن تلمسان: "...و لها مرفآن في البحر أحدهم بمدينة عبد المومن، و الفياض الذي بأرشقون و يقال بجزيرتها..."².

و عبد الكريم ابن مُحمَّد الفكون (ت: 1073هـ/1662م) في القرن الحادي عشر كذلك يذكرها فيقول: "...ومن كثر انتشار البدع والخرافات، وكساد أسواق العلم، فأصبح الجاهل ينعت بالعالم، والعالم يوصف بالحسيس، وظهور أعلام من الزندقة، والمنتحلين من المتصوفة الذين لا يخافون عقاب الله، كأهل معسكر و القلعة و مسك الغنائم و الدواوير التي بقرب رشقون..."³.

و كذا ابن زاكور الفاسي (ت: حوالي 1120هـ/1708م) في القرن الثاني عشر مر عليها في رحلته فيقول: "...و من قبه المشهورة -يقصد ضريح سيدي يعقوب- إلى نهر تافنة و هناك بركة أجدادنا - يقصد سلالة السليمانيين الأدارسة الذين استوطنوا المنطقة- بقايا مدينتهم بأرشقول..."⁴.

و مُحمَّد بن ميمون الزواوي الجزائري (ت: 1122هـ/1711م) في القرن نفسه اذ قال: "...وكان لها - يقصد تلمسان- عدة مستطاعات بحرية كالتي بجنين و بقرب اطلال ارشقول..."⁵.

كما ذكرها عبد القادر بن عبد الله المشرفي الغريسي المعسكري (ت: 1189هـ/1778م) في نفس الفترة اذ قال: "...و انتقل فرع منها -يقصد عائلة المشاركة- الى مصب واد تافنة قرب بقايا حاضرة أرسقون..."⁶.

¹ ابن مريم التلمساني المديوني، البستان في ذكر العلماء و الاولياء بتلمسان، طبعة دار الفقه المعرفي، قسنطينة، 1975م، ص83. ولم أقف على هذه العبارة كما هي في الطبقات الأخرى، فلعلها وقعت سهوا من أحد المحققين أو جاءت في نسخ و لم تأتي في الأخرى.

² المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، مؤسسة المجد، الرياض، 1996م، ص43.

³ ابن عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ص41. و هذا الكلام أشار إليه البعض أنه منسوب للشيخ الفكون.

⁴ ابن زاكور مُحمَّد الفاسي، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، دار نسيب للورقيات، مكناس، 2003م، ص122.

⁵ ابن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص11.

⁶ هكذا كتبها في مخطوطه، وهكذا وضعها محققه (الدكتور عمر حمدادو) في تحقيقه للكتاب، و انا اعتقد انه فقط خطأ ناتج عن النسخ و الوراقة.

⁷ عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كيني عامر، منشورات الكراسك، وهران، 2012م، ص201.

الدراسة

و كذا ابن حمادوش عبد الرزاق(ت : في غالب الظن بين 1197هـ-1200هـ/1783م-1786م) في
اواخر القرن الثاني عشر فيقول : "... و في هذه الساعة كنا على ظهر البحر قريبا من جزيرة رشقون
و خراب مدينتها، و كان رابع يوم خروجنا من الجزائر..."¹.

أما العالم مصطفى ابن زرفة الدحاوي (ت:1215هـ/1800م) في القرن الثالث عشر فذكر المكان
ققال: "...ثم إن سيدنا الأمير -يقصد الباي محمد بن عثمان الكبير- فرق عساكره ترهيبا للكفرة فذرع في
تارقة يمهده فرقة بتافنة حوالي ما كانت حاضرة أرجقون العامرة..."².

ثم ابن سحنون الراشدي (ت : 1223هـ/1807م) في القرن الثالث عشر ففصل فيها اذ
قال: "...وكانت هناك حاضرة أرشقول العامرة بقرب عاصمة صاحب الضريح -يقصد الملك سيفاكس- و
اليوم هي خراب و تلك قدرة الله و عزته..."³.

أما الحافظ الناصري (ت : 1238هـ/1823م) في نفس القرن فحاء ذكر المنطقة عنده كثيرا و مما قال
فيها: "... أن كفرة إسبانية أذلهم الله أخذوا مدينة وهران و وصلوا إلى ثغور جزيرة الرشقول وبقايا
مدينتها على تافن سنة خمس عشرة من القرن العاشر غدرا بمداخلة يهودي و نكبوا أهلها بين قتلى
وأسرى..."⁴.

مسلم بن عبد القادر (ت : 1248هـ/1832م) في القرن الثالث عشر هو الآخر فقال : "... ولما
استسلمت وهران لم أجد بدا في الخروج منها إلى أخوالي بسيدي مسعود⁵، أو إلى بلدة جدي قرب
قبته المشهورة-يقصد ضريح سيدي عبد الرحمان بن احمد المشهور بسيدي بلعويدات بجوار
مسجده- هناك بأحواز التي كانت عامرة امام نهر تافنة و جزيرتها المقابلة..."⁶.

و حمدان خوجة (ت : 1252هـ/1840م وقيل: 1256هـ/1845م) في نفس القرن اذ قال: "... و ابن
الوردي التلمساني هو الذي فصل لي في اعراسها، فقد ذهب مع اقرانه الى قبالة الجزيرة قريبا من
خراب الميناء قرب الخراب الروماني..."⁷.

¹ ابن حمادوش ، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال (الرحلة)، مؤسسة دكالة للنشر، الرباط، 2008، ص.46.

² ابن زرفة الدحاوي، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، دار الوفاء للنشر، وهران، 2005، ص.89..

³ ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ايتسام الثغر الوهراني، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر، 1981، ص.50.

⁴ أبو راس الناصري، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، دار صنين للطباعة والنشر، طرابلس، 2002، ص.06.

⁵ بين تارقة و حاسي الغلة و دفن فيه الكاتب نفسه، و ضريح سيدي مسعود هو نفسه الذي قيل ان الشيخ محمد بن عمر الهواري المشهور بسيدي
الهواري دفن فيه لمدة 78 سنة ثم تم نقله لمقامه الحالي.

⁶ مسلم بن عبد القادر، خاتمة أنيس الغريب والمسافر: تاريخ بايات وهران المتأخرة، دار الميراج للطباعة والنشر، باتنة، 1974، ص.94.

⁷ حمدان خوجة، لمحة تاريخية واحصائية عن ايالة الجزائر، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1999، ص.201.

الدراسة

والشريف الزهار الحاج احمد (ت: 1288هـ/1871م) في نفس القرن قال: "... و كان الأمير -يقصد الأمير عبد القادر- قريبا من مدينة احواز مدينة ارشقون الخاوية على عروشها..."¹.
و بوصولنا إلى مصادر أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، نكون قد أنهينا هذا المطلب.

¹ الحاج احمد الزهار، مذكرات احمد الشريف الزهار نقيب الاشراف، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص 09.

الفصل الأول:

السياق المعارفي لظاهرة الأضرحة

مبحث1:الضبط العام للمصطلحات و

المعاني ذات صلة بالموضوع.

مبحث2: النظرة الشرعية لظاهرتي البناء

فوق القبور و الدفن داخل المساجد

مبحث3: دور الأضرحة في تكوين

التجمعات السكنية الريفية و الحضرية .

المبحث الأول: الضبط العام للمصطلحات و المعاني ذات صلة بالموضوع.

إن الكلام عن نشأة و تطور الأضرحة فكرة و عمارة، يقودنا - و لو بقليل من التفصيل - إلى الحديث عن معاني معمارية و روحية، لا طالما إرتبطت بها أو كانت لها اليد الطولى في نشأتها.

المطلب الأول: المصطلحات المعمارية

لقد وقع إختيارنا في هذا المطلب على ثلاث عمائر ذات صلة وطييدة بموضوع دراستنا، و هي المسجد ثم الزاوية و الرباط، و أخيرا الضريح، و ذلك وفق التسلسل الزمني لظهورها كعمارة دينية محضة، و قد أعطينا لكل واحد منهم تعريفات لغوية مستمدة من أمهات المعاجم اللغوية، ثم تعريفا إصطلاحيا إستنادا لما جاء في المراجع و أحيانا نتوسع في هذا العنصر لنشرح أكثر، ثم تدرجنا عبر المعطيات التاريخية متتبعين مسار كل عمارة، و هذا إنطلاقا من العام (العالم الإسلامي) وصولا إلى الخاص (منطقة ولهامة)، مروراً ببلاد المغرب الإسلامي عامة ثم بلاد المغرب الأوسط أو الجزائر خاصة، و قد إكتفينا في كل مجال جغرافي بذكر أهم و أول النماذج.

1/ المسجد : بدأنا به لكونه أول عمارة دينية تم الإهتمام بها، و كذلك لإجتماع العديد من الأضرحة معها في مجال واحد، زد على ذلك تحولها في كثير من الأحيان لأضرحة نتيجة إحتواءها على قبور مؤسسها أو بعض الذين قاموا عليها.

أ- التعريف اللغوي:

لقد تم ذكر معنى المسجد¹ في القرآن في 48 مناسبة²، و يرى الزركشي أن كلمة مسجد من السجود أي الخضوع لله و التسليم لذاته العليا³، و عنده دائماً نجد تبثا في آخر كتابه مسندا فيه الكثير من الأحاديث التي إستخدما في كتابه، و التي يمكننا الإستفادة منها في بيان ورود معنى المسجد في حديث رسولنا بألفاظ كثيرة⁴، و يورد ابن منظور في معجمه الأصل اللغوي للكلمة فيقول: ".... المسجد بالكسر اسم لمكان حيث يصيب الرجل السجود والمسجد بكسر الميم الخمرة و هي الحصير سجد و المسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه السجود و المسجد بكسر الميم الخمرة و هي الحصير الصغير."⁵، و يضيف في نفس الصفحة ما قاله الزجاج: "....

¹ جاء هذا المعنى على عدة ألفاظ منها : المسجد ، المساجد ، المسجد الحرام ، مقام إبراهيم ، مصلى ، البيت ، البيوت .

² حسين مؤنس ، المساجد ، رقم 37، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب ، الكويت ، 1978م ، ص 13.

³ محمد بن عبد الله الزركشي ، إعلام الساجد بأحكام المساجد ، مكتبة مدبولي القاهرة ، 2007م ، ص 27 .

⁴ للإطلاع على هذه الأحاديث يمكن الرجوع للمصدر السابق ، ص 420-427.

⁵ أبي عبيد الله بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب ، الجزء السادس ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1986م ، ص 176 .

كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد لقوله صلى الله عليه و سلم جعلت لي الأرض مسجدا و طهورا".

ب- التعريف الإصطلاحي:

يعتبر المسجد مكانا للعبادة فهو بيت الله اصطفاه لنفسه وشرفه بالانتساب إليه، و يعد المسجد أحد المؤسسات التعليمية ببلاد المغرب الإسلامي، فلم يكن مقرا للعبادة فقط بل كان يقوم مقام المدارس و المعاهد العليا التي تدرس فيها مختلف العلوم كالقرآن و الحديث و النحو و الآداب و العلوم العقلية، و يورد الأستاذ عمار بوزير العناصر الأساسية للمسجد فيقول: "... و المسجد في العادة يتكون من: الصحن الذي يكون عادة واسعا، ليتسع لمجموع المصلين، ثم الميضأة، و يحيط بالصحن رواق مغطى يحمي من الشمس أو المطر و في العادة يكون الرواق المقام شطر القبلة أوسع من باقي الأروقة، و يتضمن محرابا و منبرا و مقعدة للمبلغ عن الإمام، إضافة إلى المآذن أو المنارات و في العادة تحتل الزوايا و الأركان".¹، هذا و قد تفرعت عمارة المساجد على طرز و مدارس عديدة، و هذا نظير تفرع الأسباب المؤثرة في بناء المساجد كالمناخ و الطبوغرافية و التأثير و الفقه و الوفرة في المواد و غيرها من العوامل، و قد أبدى الكثير من الباحثين إهتمامهم بتصنيف العمارة المساجدية في العالم الإسلامي المشيدة خلال مختلف الفترات الإسلامية، و من أبرز هذه التصنيفات للطرز و المدارس المعمارية، نجد تصنيف إرنست كونل الذي وضعه في كتابه المختصر "فنون الإسلام" و ترجمه أحمد موسى، إذ إعتمد فيه على المزج بين الفترات و الأقاليم، و أعطى 11 مجموعة هي:

المجموعة	أمثلتها
نشأة العمارة المساجدية	مساجد: النبوي و الكوفة و البصرة و عمرو بن العاص و القيروان
الطرز الأموي	قبة الصخرة، الجامع الأموي بدمشق
الطرز العباسي	مساجد: بغداد و واسط و سامراء و ابن طولون بمصر، و القيروان على عهد زيادة الله بن الأغلب.
الطرز الفاطمي بمصر	الجامع الأزهر، و جامع الحاكم بأمر الله، الجامع الأحمر.
الطرز السلجوقي	مسجدا: السلطان في بغداد و أصفهان الجامع.
الطرز الإيراني المغولي	مساجد: جوهر بمشهد، و تيمورلنك في سمرقند، و الأزرق في تبريز.
الطرز المملوكي بمصر و الشام	مسجدا: الظاهر ببيرس و الناصر، و جامعا قلاوون و قيتباي.
الطرز المغربي الأندلسي	مساجد: قرطبة و المرابطين و الموحدين و وورثة الموحدين.
الطرز الصفوي في إيران	مسجدا: السلطان حسين بأصفهان و الكاظمين ببغداد.
الطرز المغولي بالهند	مسجدا: شير في سهسرام و كتب الدين أبيك بدلهي

¹ عمار محمد بوزير، الآثار الإسلامية بالجزائر: مسجد سيدي غانم نموذجا، دار الألوكة، بيروت، 2010م، ص8.

الأضرحة

الطراز التركي العثماني	المساجد الأولى في تركيا ، ثم مساجد الإيالات العثمانية.
------------------------	--

جدول رقم (4) : تصنيف إرنست للمساجد.

و هناك تصنيف ثان جاء به جورج مارسية في بحثه المعنون بـ "الوجيز في الفن الإسلامي"، و قد اعتمد فيه على فكرة التطور السياسي و الحضاري للعالم الإسلامي، فقسم العمارة المسجدية ضمن 4 مراحل هي:

المرحلة	مميزاتها
الأولى: منتصف القرن 7 الى نهاية القرن 9 الميلاديين	التأثر بالتقاليد المعمارية الفارسية و البيزنطية و الإقتباس منها.
الثانية: أوائل ق 10 إلى منتصف القرن 12 الميلاديين	عامل المنافسة بين العباسيين و الأمويين و الفاطميين أدى إلى الإبداع و تنوع الأساليب المعمارية.
الثالثة: بداية القرن 13 إلى نهاية القرن 15 الميلاديين.	ظهور الطرازين المغولي بالمشرق و المغربي الأندلسي بالمغرب و المملوكي بينهما بمصر.
الرابعة: من القرن 16 إلى نهاية القرن 18 الميلاديين.	ظهور الطرازين العثماني في إستنبول و ماتبعها من إيالات و الصفوي في إيران

جدول رقم (5) : تصنيف جورج مارسي

هذا بالنسبة للأوروبيين، أما علماء الآثار العرب فهم كذلك قاموا بمحاولات لتصنيف المساجد، مثل فريد الشافعي الذي قسم المساجد معماريا إلى طرازين هما:

الطراز	ماهيته
طراز التخطيط النبوي	هي المساجد التي سارت على الأسس المعمارية للمسجد النبوي.
طراز التخطيط ذو الحيوانات	هي عمائر معقدة لتعدد أقسامها و أجزاءها.

جدول رقم (6) : تصنيف فريد الشافعي

أما حسين مؤنس فقد قسم المساجد في كتابه "المساجد" إلى سبعة طرز هي : المغربي، الأندلسي، المصري، التركي السلجوقي، الهندي، الإيراني الصفوي، التركي العثماني. من جهة أخرى فقد أعطى الكثير من المهتمين بشأن المساجد فروقا عديدة بين الجامع و المسجد، فراح كل واحد يعطي رأيه في ذلك، إلا أن أغلب الإختلافات التي يمكن حصرها من هذه

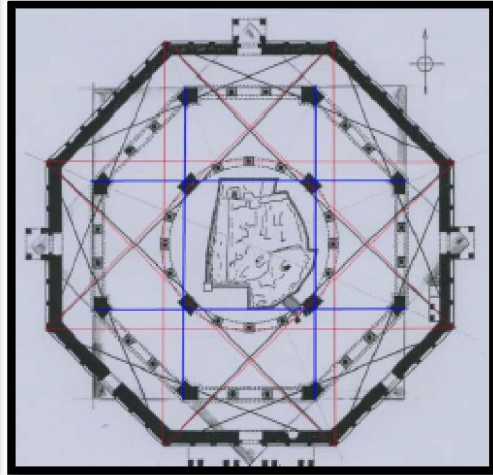
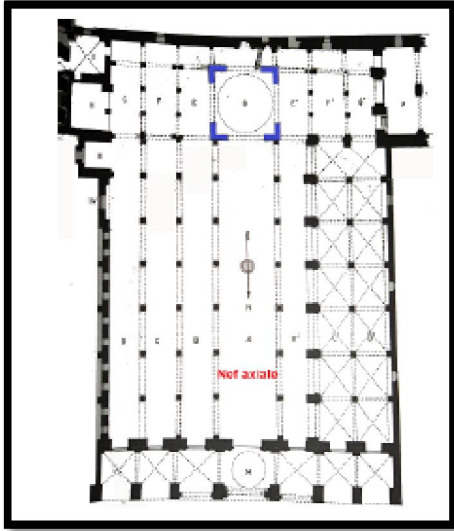
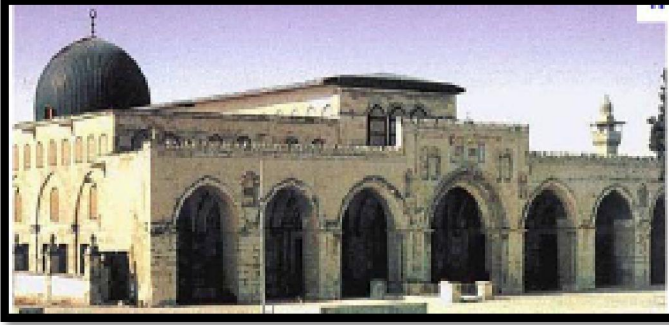
الدراسات¹، تتمثل في كون المسجد الجامع تؤدي فيه صلاة الجمعة و العيدين على العكس تماما من المسجد الذي تؤدي فيه الصلوات الخمس فقط، و قد يرتبط الفرق بالمساحة إذ تكون أكبر في المسجد الجامع، و أقل من ذلك في المسجد.

ج-نشأة وتطور عمارة المساجد في العالم الإسلامي:

يتفق أغلب المؤرخين أن أقدم مسجد في الإسلامي يكون أحد المسجدين، قباء الذي بناه سعد ابن خيثمة و كثوم ابن الهدم بأمر من رسول الله ﷺ بعدما وضع لبنته الأولى أو النبوي الذي بناه الرسول في المدينة المنورة، اللهم إلا بعض الآراء التي ترجح أن يكون مسجد الصحابة برأس مدر في ميناء مصوغ بإريتيريا اليوم هو الأقدم بحكم أن بناءه كان بعد الهجرة الأولى للحبشة في السنة الثامنة قبل الهجرة النبوية، المهم كما قلنا فإن أول مسجد بني في الإسلام هو قباء (و هو الأرجح) أو النبوي بالمدينة المنورة، ثم مسجد الجمعة و هو المكان الذي صلى فيه الرسول ﷺ الجمعة حين وصل إليه قادما من قباء التي أقام فيها أربعة عشر يوما (يدعم فرضية أسبقية مسجد قباء) و متجها إلى المدينة المنورة، و جاء مسجد ذو القبلتين هو الآخر فهو الذي تحول فيه رسول الله صلى عليه وسلم في قبلته إلى بيت الله الحرام بعدما كانت قبلته طيلة 17 شهرا من هجرته باتجاه بيت المقدس مما يعني أن هذا المسجد في كل الأحوال كان موجودا في السنة الثانية للهجرة، و خارج المدينة تواصل بناء المساجد في مختلف الأقطار التي وصلها الإسلام فتحا أو دون ذلك، حيث أمر الرسول صلى الله عليه و سلم وبر بن يحنس الأنصاري والي صنعاء ببناء الجامع الكبير في 6/هـ 625م، و بنى مالك ابن دينار مسجد شيرمان جامع بالهند سنة 9/هـ 629م، و اختط عتبة ابن غزوان مسجد البصرة في 14/هـ 635م، و مثله فعل سعد ابن أبي وقاص في الكوفة سنة 17/هـ 638م و كلاهما في العراق، و أمر عمر بن الخطاب ببناء كل من المسجد الأقصى بالقدس في 15/هـ 635م، إضافة للمسجد الحرام بمكة و هذا بعد فصل المصلى عن الخارج بجدران في 17/هـ 638م، و بنى عمرو ابن العاص مسجده بالفسطاط في مصر سنة 21/هـ 642م، ثم عبد الملك ابن مروان الذي بنى قبة الصخرة ما بين 69 و 72/هـ 688 و 692م.

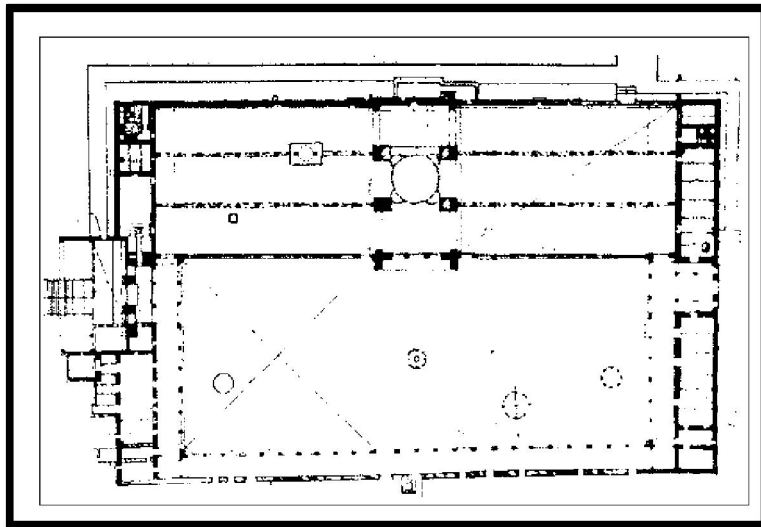
¹ للإطلاع على ما جاء في هذه الأبحاث والدراسات، أنظر: سعاد ماهر، مساجد من السيرة النبوية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1987م، ص 13-15. و أنظر كذلك: محمد عاصم رزق، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، مطبعة مدبولي، القاهرة، 2000 م، ص 282.

الأضرحة



لوحة رقم(2): صورتا قبة الصخرة و المسجد الأقصى بالحرم القدسي و مخططيهما بالترتيب من اليمين إلى اليسار و من الأعلى نحو الأسفل – نقلا عن : موقع قناة القدس التلفزيونية.

و أنشأ الأمويون مسجدهم في دمشق بداية من سنة 83هـ/706م، و بنى الوليد ابن عبد الملك المسجد الأقصى سنة 97هـ/715م.



مخطط رقم(1): الجامع الأموي بدمشق- مخطط منشور على الأنترنت-

الأضرحة

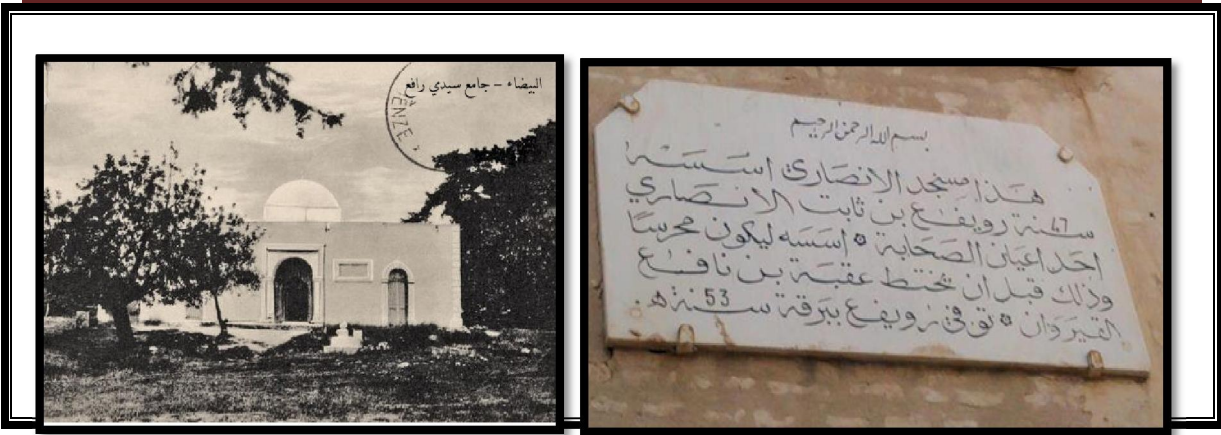
هذا في شرق العالم الإسلامي أما في غربه، فلو سلمنا و أخذنا بما جاء في اللوحة الرخامية المتبثة بمسجد أوجلة بليبيا و التي تشير إلى أن بناءه كان في 44هـ/665م على يد الصحابي عبد الله ابن سعد ابن أبي السرح فإنه أقدم مسجد في بلاد المغرب.



لوحة رقم (3): صورة اللوحتان الرخاميتان المتبثتان بمسجد أوجلة في الأعلى الخارجية (على اليمين) و الداخلية (على اليسار) و صورة منظر عام للمسجد (على اليمين) و مخططه (على اليسار) في الأسفل. -من تصوير و بعث الصديق أحمد الوازعي صاحب الموقع الإلكتروني "مساجدنا" و المخطط نقلا عن : غاسبري ميسان، المعمار الإسلامي في ليبيا، تعريب: علي الصادق حسنين، دد، دم، 1973م، ص 290-.

أو ما نصت عليه اللوحة المتبثة هي الأخرى فوق مدخل مسجد الأنصاري- و يدعى كذلك مسجد سيدي رافع- الذي بناه الصحابي الجليل رويغ بن ثابت الأنصاري سنة 47هـ/668م بالبيضاء في ليبيا ، فهو الذي يلي المسجد الأول.

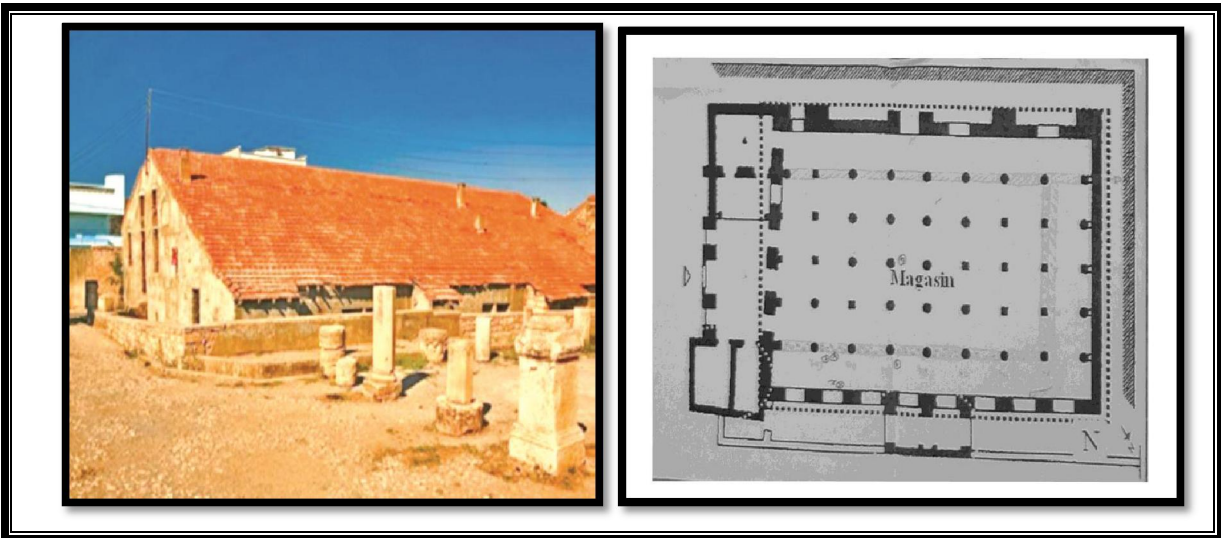
الأضرحة



لوحة رقم (4): صورتنا اللوحة الرخامية المتبثة بمسجد الأنصار بالبيضاء (على اليمين) و المسجد(على اليسار)

– الصورة الأولى من تصوير و بعث الصديق أحمد الوازعي صاحب الموقع الإلكتروني "مساجدنا" أما الثانية فهي منقولة من موقع وزارة الثقافة التونسية ، مصلحة الأرشيف.-

و إلا فإن الباحثين مجمعون تقريبا على أن مسجد عقبة ابن نافع في القيروان الذي بناه ما بين سنتي 50 و55هـ/670 و675م هو أول مسجد في الغرب الإسلامي.
ثم يليه مسجد سيدي غانم بميلة الذي بناه أبو المهاجر دينار في 59هـ/678م.

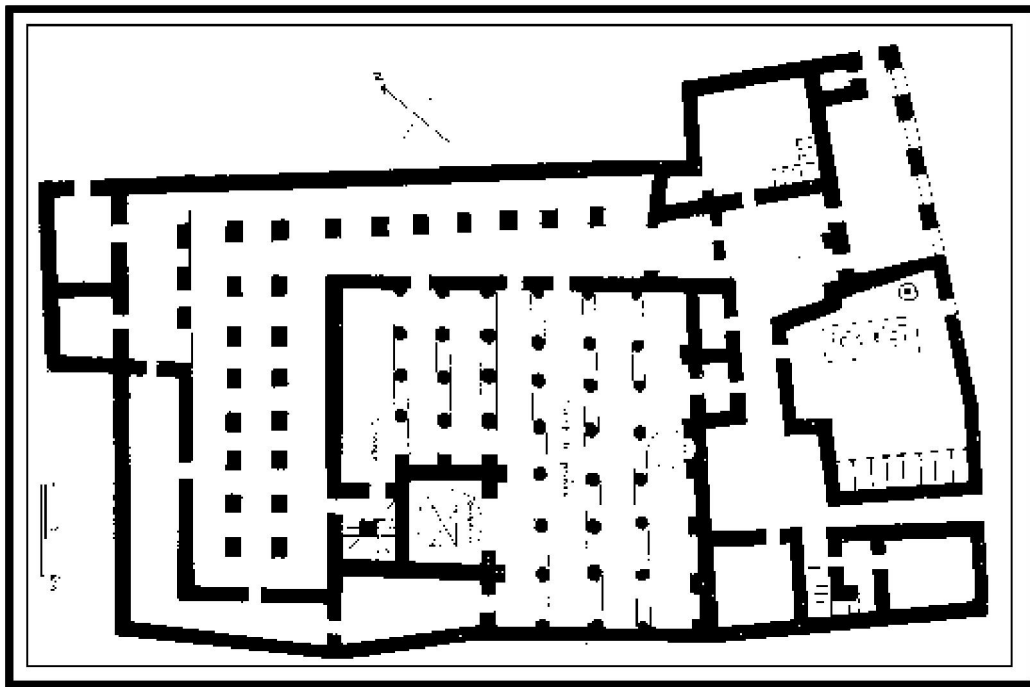


لوحة رقم (5): مخطط مسجد سيدي غانم (على اليمين) و صورته (على اليسار)
–نقلا عن : عمار بوزير، المرجع السابق ، ص25.

ثم يأتي المسجدان الذي أشار إليهما ابن عذارى عن شيخه أبي علي صالح بن أبي صالح حينما قال: " إنه لم يصح عنده أن عقبة حضر ببيان شيء من المساجد بالمغرب، إلا مسجد القيروان،

الأضرحة

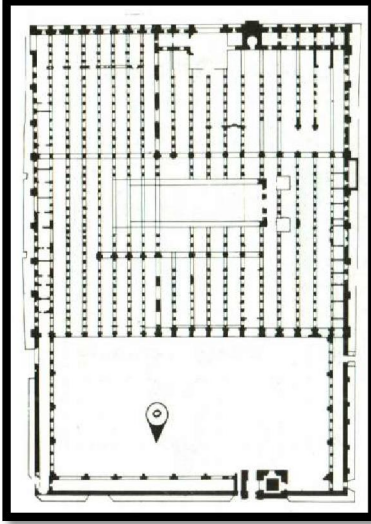
و مسجده بدرعة - السوس الأدنى- و يعني به رباط شاكرا، و مسجد بالسوس الأقصى " و الذي بناهما عقبة في 62هـ/681م على الأرجح، و يضاف لهما مسجد سيدي عقبة بسكرة.



لوحة رقم(6) : صورة مسجد رباط شاكرا بالسوس الأدنى - عن موقع وزارة الأوقاف المغربية- (في الأعلى) و مخطط مسجد سيدي عقبة (في الأسفل) - عن بورويبة- و اللذان يرجح أن عقبة بن نافع هو من بناهما.

الأضرحة

و لعل الروايات الشفهية المتواترة و التي أكدتها عدة دراسات أهمها كتاب فتوح إفريقية للواقدي¹ ودراسة « Marcai Dubocq » و التي تقول أن عقبة ابن نافع و أصحابه هم من أسسوا المسجد العتيق بطولقة حين عودتهم من المغرب الأقصى و صلوا فيه الجمعة حتى أنه سمي بمسجد الجمعة فيأتي هو خامسا .



لوحة رقم (7): صورة مسجد طولقة (على اليمين) و مخططه (على اليسار)
-نقلا عن : عمار بوزير ، المرجع السابق ، ص25.

ثم مسجدا البيضاء و أغمات في المغرب الأقصى و اللذان ذكر ابن عذارى أنهما من عمل موسى ابن نصير أي نواحي 83هـ-85هـ/702-705م، و موسى هذا هو الذي بنى مسجد الرايات بالجزيرة الخضراء سنة 85هـ/705م، ثم المسجد الذي أسسه طارق ابن زياد في الشرافات بالمغرب و الذي قال عنه ابن عسكر : " أنه أسس أواخر القرن الأول للهجرة" ، و تواصل بناء المساجد و من أهمها مسجد قرطبة الذي بناه عبد الرحمان الداخل عام 170هـ/784م، ثم مسجد أغادير بتلمسان الذي أسسه إدريس الأول في 174هـ/788م.

¹ محمد ابن عمر الواقدي ، فتوح إفريقية ، تحقيق: أحمد المهنا ، ج2 ، مطبعة و مكتبة المنار ، تونس ، 1966م ، ص3.



صورة رقم (1): مسجد موسى بن نصير بأغمات- نقلا من موقع وزارة الأوقاف المغربية-

ثم يليها مسجدا عدوتي فاس الأشياخ و الشرفاء الذين يرجعان لسنة 192هـ/808م حسب الدكتور حسين مؤنس¹.

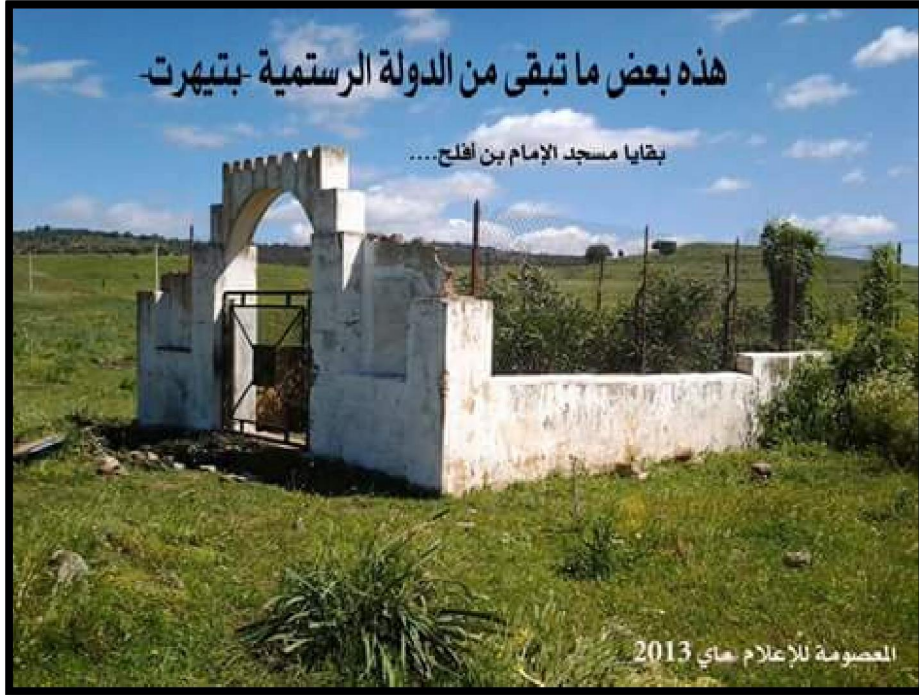
و هكذا تواصلت المساجد في بلاد المغرب الإسلامي عامة و المغرب الأوسط خاصة على امتداد الفترات الزمنية ، و باختلاف السلالات و الدول الحاكمة فيه، و الجزائر عامرة بالمساجد الأثرية الدالة على مختلف الفترات الزمنية الإسلامية سواء الباقية للآن أو التي اندثرت و وردت في المصادر، فمنها ما يرجع لفترات متقدمة من أسلمة المنطقة كمسجد أبي المهاجر بميلة السالف ذكره، و منها ما يعود للإمارات و الدويلات التي أعقبت الفتح الإسلامي، فالرستميون أسسوا كما جاء في المصادر عدة مساجد كمسجد عبد الرحمان ابن رستم الذي أسسه سنة 161هـ/776م بتيهرت²، و لم يبقى من هذه المساجد إلا أطلال لمسجد الإمام أفلح بتيهرت أو مسجد سدراتة الذي برز تخطيطه خلال الأعمال التنقيبية أو الحفريات المختلفة³.

¹ حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 164.

² ذكره ابن عذارى و البكري في كتابيهما ، ص 196 ثم ص 77 على التوالي.

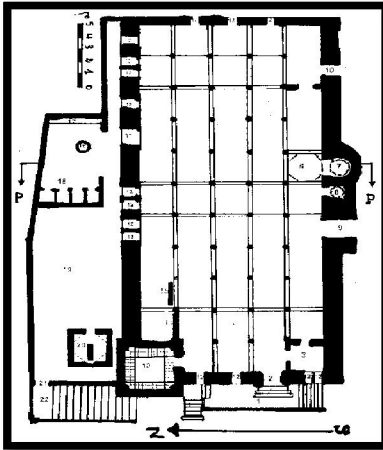
³ عبد العزيز شهبي ، مساجد أثرية في منطقتي الزاب و وادي ريغ ، بحث مقدم لاتمام متطلبات دكتوراة الحلقة الثالثة في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 1985م ، ص 171.

الأضرحة



صورة رقم (2) : صورة نشرها موقع مؤسسة المعصومة للفكر الإباضي بغرداية تم الإشارة فيها إلى أنها لبقايا المسجد الذي بناه الإمام أفلح ابن عبد الوهاب ابن عبد الرحمان بن رستم الفارسي.

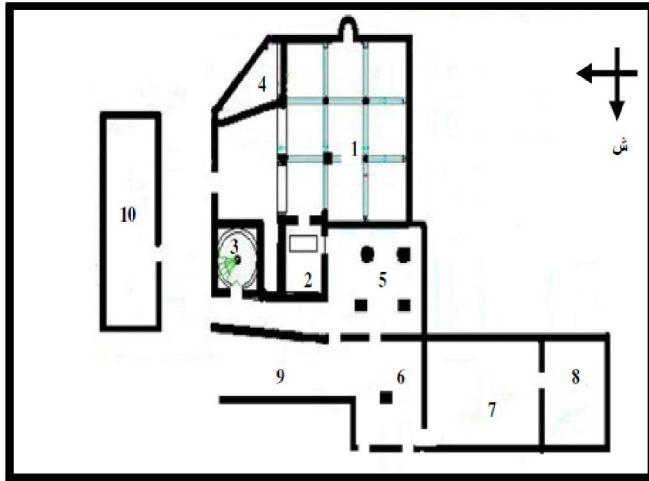
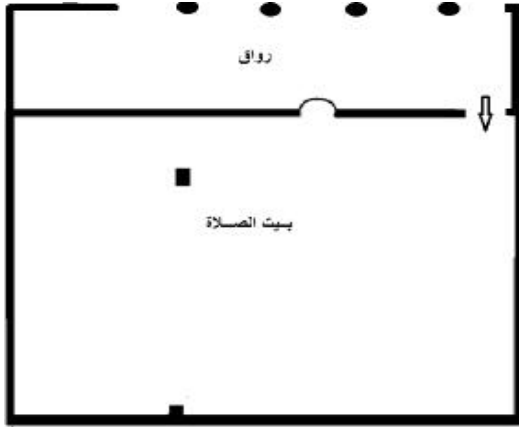
و بنى الأدارسة مسجد أغادير بتلمسان كما تقدم ، و لعل جامع سيدي معيزة بتنس بني خلال حكم الفاطميين للمنطقة أو ربما يعود لما قبل ذلك أي لسيطرة السليمانيين الأدارسة على المنطقة.



لوحة رقم (8) : صورة مسجد سيدي معيزة بتنس (على اليمين) و مخططه (على اليسار)-نقلا عن : محمد موشموش ، مساجد مدينة تنس : دراسة تاريخية أثرية معمارية ، مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2009م ، ص 265 و 305 على التوالي.

الأضرحة

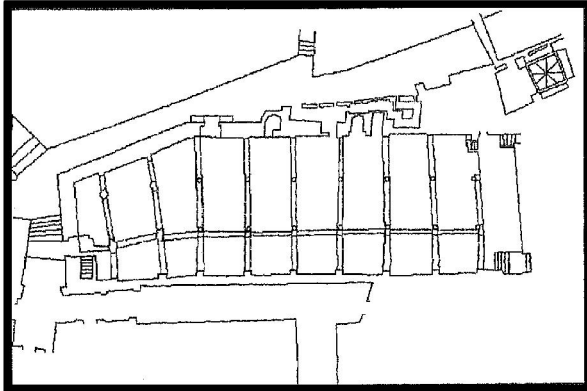
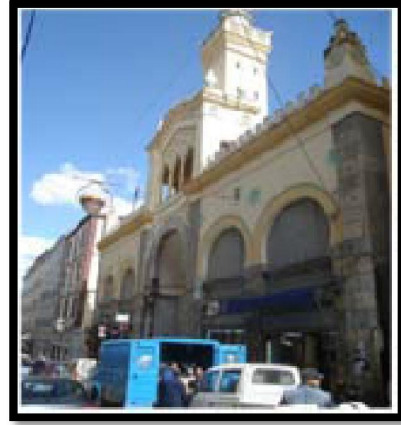
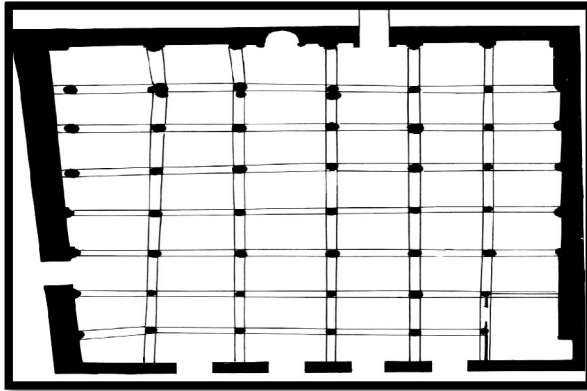
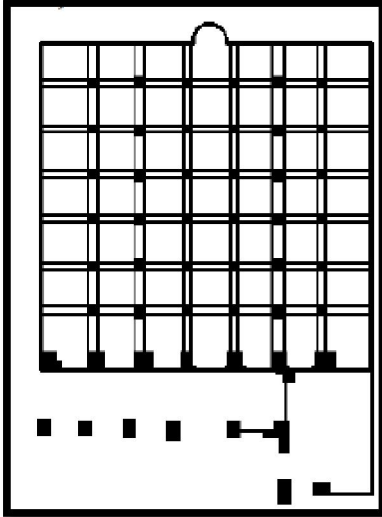
بينما يرجع مسجد أورير ببلدية زمرة في ولاية برج بوعريش المؤرخ ب236هـ الى الحكم الأغلي للمنطقة، و إلى نفس الفترة ربما يرجع مسجد سيدي موسى الخدري بسكرة¹.



لوحة رقم (9) : صورة مسجد أورير (على اليمين) ومخططه (على اليسار) في الأعلى - نقلا عن : شافية عبلول، الأطلس الأثري لولاية برج بوعريش: العصر القديم و الإسلامي ، مذكرة مكمله لمتطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر، 2011م، ص 153 و 131 على التوالي.
و صورة مسجد سيدي موسى الخدري (على اليمين) ومخططه (على اليسار) في الأسفل - نقلا عن: شلوق فتيحة، دراسة أثرية و معمارية لمسجد الخدري ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، العدد الرابع ، جامعة بسكرة، 2009م ، ص 19.

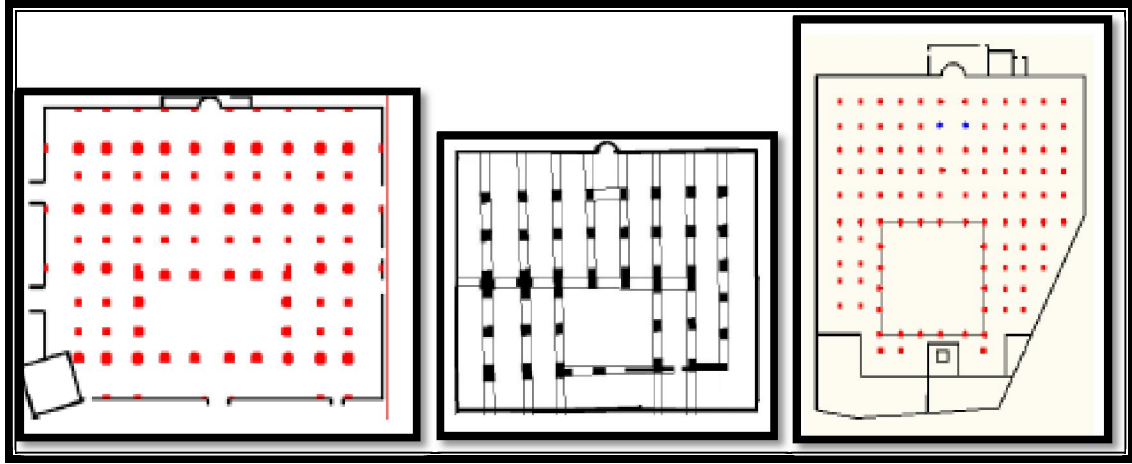
و بنيت أو جددت مساجد عديدة في الفترة الزيرية- الحمادية لعل أهمها جامع عقبة بسكرة و جامع قلعة بني حماد و جامع أبي مروان بعنابة و الجامع الكبير بقسنطينة و سيدي رمضان بالعاصمة و المسجد الأعظم ببجاية (481هـ/1088م).

¹ نفسه ، ص 27.



لوحة رقم (10) : صور و مخططات المساجد الحمادية و الزيرية أبي مروان بعنابة و الكبير بقسنطينة –
 جلبت الصور من مواقع إلكترونية مختلفة بحكم توفر مثل هذه الصور بينما المخططات فنقلت عن:
 Redjam Meriem, L'évolution des éléments architecturaux et architectoniques de la
 mosquée en vue d'un cadre référentiel de conception, mémoire de Magister en
 patrimoine architectural, Université Baji Mokhtar, Annaba, 2014, p57.-

و أما المرابطين فقد تركوا بصمتهم هم كذلك في المغرب الأوسط من خلال مساجدهم المشيدة بتلمسان و ندرومة و العاصمة.



لوحة رقم (11) : مخططات المساجد المرابطية بتلمسان و ندرومة و العاصمة بالترتيب
- نقلا عن : Redjam Meriam ,ibid, p62.

و ربما حتى المسجد الأحمر بالمدينة إذا أخذنا بما جاء في تقرير مديرية الثقافة لولاية المدية فيما يخص هذا المسجد و إضافة إلى مسجد ملالة ببجاية الذي تذكر المصادر أن عبد المؤمن ابن علي التقى فيه بالمهدي ابن تومرت أيام حكم المرابطين للمنطقة.



صورة رقم (3) : المئذنة العثمانية التي بقت من المسجد الأحمر المرابطي
بالمدينة
- عن مديرية الثقافة لولاية المدية -

و بذكر هاذين الرجلين نذكر الدولة الموحدية التي هي الأخرى تركت مساجدها شاهدة عليها و لعل أهمها مساجد بجاية الثلاث و هي جامع القصبه¹ و مسجد قلعة بني عباس و مسجد سيدي عبد الحق الإشبيلي و التي تعود للقرن 6هـ/12م، ثم ورثت الدويلات الثلاث الحكم عن الموحدين في بلاد المغرب الإسلامي فتنافس حكامه إلى تشييد المساجد في كل مكان، ففي المغرب الأوسط دائماً شيّد الزيانيون عدة مساجد لعل أهمها في حاضرتهم تلمسان مثل مسجد سيدي أبي الحسن التنسي و مسجد سيدي إبراهيم المصمودي و مسجد ولدي الإمام و مسجد المشور، و كذلك فعل المرينيين بمساجدهم الثلاث في تلمسان و هي مسجد منصوره و مسجد سيدي أبي مدين شعيب بالعباد و مسجد سيدي الحلوي و مسجدهم الأعظم بمستغانم، أما في القطاع الشرقي فالحفصيون هم كذلك فنجد مسجد العزابة الكبير بورقلة من أعمال أبي زكرياء بن أبي حفص حسبما ذكر ابن خلدون²، أما الفترة العثمانية في الجزائر فشهدت نهضة عمرانية و معمارية كبيرة صاحبها إنشاء عدد كبير من المساجد على مستوى القطر الجزائري لا يسعنا المقام لذكرها، و قد قدمت الدراسات و البحوث في هذا الشأن الكم الكافي و الشافي لها، أما في منطقة ولهاصة فلعل أقدم مسجد ذكرته المصادر هو جامع مدينة أرشقول المنشرة و الذي وصفه لنا البكري قائلاً: "... و بمدينة أرشقول جامع حسن فيه سبعة بلاطات و في صحنه جب كبير و صومعة متقنة البناء..."³ و يؤرخه الأستاذ موشموش محمد بما بين سنتي 262-295هـ/876-908م و كان ذلك متزامنا مع بناء مسجد تنس⁴ مستشهدا بقول البكري الذي يرى أن دخول إبراهيم بن محمد بن سليمان إلى تنس كان متزامنا مع تأمر أخيه عيسى لأرشقول و الذي توفي بها سنة 295هـ و هو من أمر ببناء جامعها⁵، ثم يأتي معه مسجد ابن زهنة بقرية سيدي لعرج و الذي ذكره البكري كذلك في كلامه عن حصن ابن زيني الذي يرجع لحكم السليمانيين، و يمكننا أن نضيف بعدهما مسجدا ثم ذكره في ترجمة سيدي محمد بن يخلف المدفون في بلدية بني خلاد و الذي إن صحت الرواية عنه فهو يعود لفترة الموحدين بحكم أن الولي الصالح سيدي محمد بن يخلف عاصر تلك الفترة، و لعله كان في مركز تخزين الحبوب آنذاك في قرية المطامرية الآن، ثم يأتي بعده مسجد سيدي يعقوب المؤرخ بتاريخ 1338م أي

¹ حيث تم ذكره خلال زحف علي ابن غانية الميورقي على بجاية حيث جاء في كتاب رسائل موحدية: "... و تقدم الى القصبه فاحتلها ... ثم تيمم الجامع و الناس في صلاة الجمعة فأحاطهم بجنوده..." ، مؤلف مجهول ، رسائل موحدية: مجموعة جديدة ، تحقيق: أحمد العزاوي ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، القنيطرة 2005 ، ص 252.

² ابن خلدون عبد الرحمان ، المصدر السابق ، ص 51.

³ أبو عبيد البكر ، المصدر السابق ، ص 77.

⁴ محمد موشموش ، المرجع السابق ، ص 31.

⁵ ابو عبيد الله البكري ، نفسه ، ص 60.

الفترة الزيانية (و إن كان المرينيون أقرب من السيطرة على المنطقة في تلك الفترة) و هذا حسب كامل الدراسات أو حسب اللافتة الموضوعة فوق بابه، و لعل مسجد سيدي محمد المدني بقرية الزوايف أقل أو أكثر بقليل منه، و لا يبعد عنها زمنيا مسجد بوجرة (قرية الهداهدة) و المسمى كذلك مسجد البوحيمي نسبة للبوحيمي الولهاسي خليفة الأمير عبد القادر على المنطقة و الذي يعود على أقل تقدير إلى الفترة العثمانية أو ما قبلها و هذا بحكم أن البوحيمي الولهاسي درس فيه صغيرا أي في أوائل القرن التاسع عشر، و لنفس الفترة العثمانية يعود مسجد الزاوية الجازولية بقرية طربان المؤرخ بسبعينيات القرن الثامن عشر الميلادي، ثم تأتي بعدها المساجد المصنفة ضمن إطار المساجد الريفية و هذا لصعوبة التأريخ لها و هي كثيرة أهمها مسجد سيدي ورياش و مسجد سيدي دحمان و مصلى مقبرة أولاد بودلال بتادماية.

2/ الزاوية و الرباط:

إن إنتشار الطريقة يقتضي تأسيس مواقع مميزة كإستراتيجية لتمكين أولو العزم من دعائها إلى التعريف بها، و لهذا الغرض و من أجل التعاون الإجتماعي على البرّ و التقوى كما نص عليه الكتاب و السنة ، صار من الضروري إنشاء مراكز متخصصة لبلوغ هذا المرام تسمى زوايا جمع زاوية¹، و لذلك فقد إرتبطت الزاوية إرتباطا وثيقا بالضريح لكون أحدهما نواة للآخر فهناك زوايا أصلها ضريح، و هناك أضرحة محلها الزاوية، كما أن العديد من الأضرحة أنشأت في نفس الثغور التي رابط بها أصحابها.

أ- التعريف اللغوي:

هي في اللغة من مادة إنزوى بمعنى العزلة و الإنزواء، قال عنها ابن منظور: "زاوية جمعها زوايا مأخوذة من فعل زوى و إنزوى بمعنى إبتعد و إنزل، و سميت بذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة و المرابطين، إختاروا الإنزواء بمكانها و الإبتعاد عن صخب العمران و ضجيجها و بحثا عن الهدوء و السكون"²، و هو المعنى الذي نص عليه كذلك الرازي و الزمخشري³، و في تاج العروس جاءت على أنها جمع زوايا و نقول تزوى الرجل إذا صار فيها⁴، و يضيف الأستاذ بن لباد الغالي في هذا الشأن فيقول: " هذه الحال أو الصفة أطلقت على

¹ بحيدي حسان و محمد عبد القادر ، الزوايا ودورها في حفظ المخطوطات ، منشورات كلية العلوم الإنسانية ، جامعة وهران ، 2000م ، ص4.

² ابن منظور ، المصدر السابق ، ص184.

³ أنظر: فخر الدين الرازي ، مختار الصحاح ، ضبط و تخريج و تعليق: مصطفى البغا ، دار الهدى للطباعة ، الجزائر ، 1992 ، ص 18 . و أنظر أيضا: الزمخشري جار الله محمود ، أساس البلاغة ، تحقيق: عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ، د ت ، ص 198 .

⁴ محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د ت ، ص125.

الإنسان الذي اعتزل الناس و ركن في مكان قصد التعبد، و أداء وظائف أخرى، فنسب إليه الإنزواء، و إذا نظرنا في التصوف فإننا نجد فيه الإنعزال و الإنزواء¹.
و لو تمحصنا في التعريفات اللغوية الواردة من قبل فإنها متفقة على أن فعل المصدر لمصطلح الزاوية هو إنزوى من الإنزواء، بمعنى الإنطواء و الإنعزال و البعد عن حياة العامة، و حسب ظني فإن هذا ما يفسر تواجد الكثير من الزوايا في الأرياف و الجهات المهجورة معماريا.
أما الرباط فيجمع على ربط و أربطة و رباطات، إستشهد الكثير على مشروعيته من قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"²، و المرابط هو الزاهد و العابد، و نقول رباط بمعنى أقام في الثغور الإسلامية لحمايتها، و فسرت الآية " وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ...."³ عند صاحب روح المعاني بقوله: " و الرباط من ربط ربطا و رباطا و رباط مرابطة بمعنى حماية الثغور و المجاهدة في سبيل الله"⁴.

ب- التعريف الإصطلاحي:

وردت عدة تعريفات إصطلاحية للزوايا، فيراد بها مأوى المتصوفين و الفقراء، و الزاوية مؤسسة دينية إسلامية ذات طبيعة إجتماعية روحية⁵، و غالبا ترتبط بإحدى الطرق الصوفية، بينما أشمل تعريف للزاوية بشمال إفريقيا فهو الذي ذكره الأستاذ عبد العزيز مصباحي في أطروحته إذ يقول فيه: ".... إن مصطلح الزاوية يطلق في شمال إفريقيا على بناء أو مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني، و هي تشبه المدرسة، تحتوي على غرفة للصلاة بها محراب و ضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلوه قبة، و غرفة اقتصرت على تلاوة القرآن الكريم و مكتب أو مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، ثم غرفة مخصصة لضيوف الزاوية و الحجاج و المسافرين و الطلبة، ثم عرفت الزاوية بعد ذلك بأنها مؤسسة لشيخ الطريقة الصوفية، يجتمع فيها مريدوهم لذكر الأوراد و استقبال الزوار الذين يريدون الإستفتاء أو الإصلاح بين المتخاصمين"⁶، و قد عرفت في المشرق باسم الخنقوات التي كانت مخصصة لإقامة المنقطعين للعبادة و المتصوفين، بينما في العهد

¹ بن لباد الغالي، الزوايا في الغرب الجزائري: دراسة أنثروبولوجية. أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في الأنثروبولوجيا، كلية الاداب و العلوم الاجتماعية و الانسانية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2009م، ص29.

² سورة آل عمران، الآية 200.

³ سورة الأنفال، الآية 60.

⁴ شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، ج10، دار إحياء التراث، بيروت، 1985م، ص26.

⁵ محمد نسيب، زوايا العلم و القرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، 2010م، ص27.

⁶ عبد العزيز مصباحي، خطاب الزوايا في الجزائر، الزاوية التجانية أنموذجا دراسة تداولية، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراة في الأنثروبولوجيا، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، 2012م، ص21.

الأضرحة

العثماني أطلق على الزوايا إسم التكايا جمع تكية، و قد قسم مُحَمَّد حجي الزوايا إلى قسمين، بقوله: " لم تظهر الزاوية في تاريخ المسلمين كمركز ديني و علمي إلا بعد الرباط، و الرابطة لغة مصدر رباط يربط بمعنى أقام و لازم المكان، و يطلق في اصطلاح الفقهاء و الصوفية على شيئين : أولهما البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد و رد هجوم العدو، و الثاني عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه صالحوا المؤمنين لعبادة الله و ذكره و التفقه في أمور الدين"¹، و إلى المعاني هذه كلها يشير العلامة مُحَمَّد باي بلعالم إلى ذلك فيقول:

كدير أو صومعة في المبنى	أما الزوايا فهي ركن يبنى
و في شمال القارة السمراء	و قيل إسم لبناء قد جمع
و هي للضيوف أيضا مأوى. ²	فيجد الطالب فيها مأوى

في حين فإن مصطلح الرباط تم تعريفه هو الآخر وفق عدة معطيات، فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية: " الرباط هو زاوية إسلامية محصنة"³، و ربما وافق هذا التعريف الأستاذ بن حمو مُحَمَّد حينما قال: " فلما زالت من هذه الأربطة صفتها الحربية صارت بيوتا للعبادة"⁴، و الرباط في الأصل هو مكان إجتماع الفرسان، و عرفه عاصم مُحَمَّد رزق في معجمه: " الرباط هو نوع من الشكنات أو الأبنية العسكرية التي كان يربط فيها المجاهدون على حدود الدولة و تغورها لحمايتها من الأعداء، و قد اعتادت الدولة الإسلامية إنشاء هذه الأربطة على حدودها و تغورها ليكون كل منها بمثابة حصن و برج مراقبة و اتصال و منارة و محطة بريد ترسل منها الأخبار العاجلة و الإنذارات الآتية إلى حاضرة الخلافة في حالة تعرض الدولة للخطر، فإن كان ذلك ليلا أوقدت منارة الرباط لتصل الأخبار عبر الحراقات على طول الطريق إلى العاصمة، و إن كان بالنهار استبدلت النار بالدخان"⁵، و عرف كذلك بأنه: "مركز حربي و ثقافي معا، حربي حسب بنائه بنائه الذي يشبه القلعة المحصنة، و ثقافي حسب تعليم المقيمين المرابطين للثقافة الإسلامية و

¹ مُحَمَّد حجي، الزاوية الدلائلية و دورها الديني و العلمي و السياسي، مطبعة النجاح الجديدة، 1988م، ص 81.

² مولاي أحمد الطاهري، نسيم النفحات من أخبار توات و من بها من الصالحين و العلماء و الثقات، تحقيق: عبد الله الطاهري، 2010م، دار المسكات، بشار، ص 103.

³ دائرة المعارف الإسلامية، تر: أحمد الشنتاوي، طبعة بيروت، وزارة المعارف، 1988م، ص 19.

⁴ مُحَمَّد بن حمو، الحصون و المحارس بضواحي تلمسان: دراسة إحصائية لبعض النماذج، مجلة منبر التراث الأثري، العدد 2018، 6م، ص 98.

⁵ مُحَمَّد عاصم رزق، المرجع السابق، ص 115.

المعارف الدينية.¹، في حين يرى جورج مارسيه أن "الزوايا عبارة عن أربطة فقدت وظيفتها العسكرية"².

و قد أعطى الكثير من الباحثين أنواعا للزوايا في الجزائر مجمعين على أنها على ثلاث اقسام³ هي:

● **زوايا المشايخ**: و هي تتميز بنظامها الوراثي، إذ تكون تابعة لصاحب طريقة صوفية ما، و يشرف عليها الشيخ و هو المسؤول المباشر عليها، و هي كثيرة في الجزائر، مثل الزاوية القاسمية في الهامل ببوسعادة، و زاوية ابن سحنون ببجاية.

● **زوايا المرابطين**: تتميز بطريقة تسيير جماعية لأحفاد المرابط المؤسس، و هي لا تتبع طريقة من الطرق الصوفية، و من أمثلتها في الجزائر نذكر زاوية سيدي بهلول بالشرفاء بتيزي وزو التي أسسها سيدي أحمد بن عاصم في القرن السابع الهجري.

● **زوايا الطلبة**: و يتمتع فيها الطلبة بالاستقلال التام في التسيير، و من نماذجها زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي.

ج- نشأة وتطور عمارة الزوايا والأربطة في العالم الإسلامي:

الرباط و الرابطة و الزاوية⁴ منشآت ارتبطت بذكر الأولياء و المتصوفة في عدة مصادر تاريخية، و لما تمت الفتوح الإسلامية للأقطار المختلفة فكان لا بد من إنشاء وسائل للدفاع عن السواحل و الثغور فأنشأ لأجل هذا المناظر و المحارس و الربط، و يمكن القول أن منشأ الثغور و الربط في التنظيم العسكري الإسلامي هو الإحتكاك بين المسلمين من جهة و الفرس و البيزنطيين من جهة أخرى، و ازدادت المرابطة والأعمال الثغرية مع الفتوحات الإسلامية، و نشير هنا إلى ما ذكره البلاذري لما تكلم عن زمن خلافة عمر بأن معاوية - رضي الله عنهما - كتب إليه يصف له السواحل، فرد عليه الخليفة في إصلاح حصونها، و إقامة الحرس على مناظرها، و إتخاذ المواقد لها⁵، و يذكر التدمري أن بيروت كانت من أوائل الرباطات في زمن الخليفة عمر - رضي الله

¹ عبد الكريم عزوق و آخرون، زوايا و مدارس الجزائر: دراسة أثرية معمارية فنية، مركز البحث في الأنتروبولوجيا الإجتماعية و الثقافية، وهران، 2014، ص16.

² G.Marcais ,L'Architecture Musulman d'occident ,Paris,1954,p284.

³ أنظر مُجد نسيب، المرجع السابق، ص 103. و أنظر كذلك: مُجد حجي، المرجع السابق، ص124.

⁴ مع أن الزاوية لم تظهر في تاريخ التصوف إلا بعد الرباط و الرابطة، انظر: أبو القاسم ابن حوقل، المصدر السابق، ص 74-85. و انظر أيضا: مُجد حجي، نفسه، ص100.

⁵ البلاذري، فتوح البلدان، ج 5، دار المجد للنشر والتوزيع، بيروت، 2000م، ص152.

عنه- فقد كانت رباطا لكل من أبي الدرداء عويمر الأنصاري، و سلمان الفارسي، و عبد الملك بن أبي ذر الغفاري- رضوان الله عليهم جميعا-¹، و في خلافة عمر دائما و مع عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- في مصر فقد قسم الجنود على رباطين أحدهما في الفسطاط و الآخر في الإسكندرية، و تواصلت الأعمال الثغرية في بلاد المشرق و ربما بشكل مختلف عن ما سنورده فيما يخص المرابطة في بلاد المغرب، فبعد بناء عقبة للقيروان أصبحت هذه الأخيرة مكانا لإنطلاق الجيوش الإسلامية، و يمكن إعتبار قصور طرابلس الغرب هي فجر حركة الرباط و المرابطة في بلاد المغرب²، و لعل أقدم رباط كمؤسسة حربية و دينية هو رباط المنستير الذي أسسه الوالي العباسي هريثة بن أعين سنة 179هـ/796م³، ثم بنى الأغلبة رباط سوسة بعد أقل من 10 سنوات من ذلك⁴، و بنى يعلى بن مصلين الجرجاني رباط شاكر و الذي في أصله ضريح سيدي شاكر أو شيكر كما يسميه المغاربة اليوم في حربه مع البرغواطيين، و استخلص جورج مارسيه من مطالعته لأهم المصادر عدة أربطة كانت موجودة كرباط نكور و سلا و فاس و الرباط الداخلي في المغرب الأقصى، و أضاف لها أربطة شرشال و أرزيو و وهران و رباط أبي مروان في بونة بالمغرب الأوسط⁵، و لكن مع مرور الزمن فقدت هذه المنشآت لوظيفتها العسكرية لتتحول إلى نوع آخر من المنشآت أخذ وصف المرابطة و الجهاد من الأربطة دون الوصف العسكري لها، لكن هذا الجهاد ارتبط بوصف آخر يتمثل في التقشف و الزهد آخذا باعتباره من الوصف الروحي، و هذه المنشآت هي الزوايا و التي لم تظهر بوصفها المؤسسة لنشاط الطريقة الصوفية و كمركز ديني و علمي إلا بعد فقدان الأربطة و الرباطات دورها، و كان السبق كالعادة في هذه المنشآت للمشرق الإسلامي، فقد بنى الخلفاء الراشدين ثم من بعدهم بني أمية و بني العباس بيوتا ملحقة بالمسجد للمعتكفين و العباد و المنقطعين، ثم ما فتأت أن ظهرت أبنية على أطراف المدن كمصليات بدون محراب و أخذت نفس الوظيفة تقريبا، ثم أنتشرت هذه الأبنية في بلاد المغرب الإسلامي، و في المغرب الأوسط بالذات نشأ نظام الزوايا بعد القرن الخامس الهجري، فسميت بدار الكرامة في بادئ الأمر كالتي بناها الخليفة أبو يعقوب المنصور

¹ عبد السلام التدمري، الرباط و المرابطون، مطابع دار البلاد، طرابلس الشرق، 1978م، ص70.

² موسى لقبال، عقبة بن نافع الفهري، الموسوعة التاريخية للشباب، الجزائر، 1985م، ص75.

³ يعتبر أقدم رباط في صورته المتعارف عليها بإجماع المدارس التاريخية و الأثرية حسب ما ذكر: نجاح القابسي، المشاهد و المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، مجلة الثقافة العربية، طرابلس، 1982م، ص24، و ذكره كذلك: الطيف أحمد الفقيه، المنستير و بطل التحرير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1962م، ص4.

⁴ عبد العزيز سالم، المغرب الكبير: العصر الإسلامي دراسة تاريخية و عهرانية و أثرية، موسوعة تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص449.

⁵ يذكر الراشدي أن رباطا وهران و ابي مروان ببونة من أهم الرباطات في المغرب الأوسط، انظر: الراشدي، المصدر السابق، ص186.

الموحدي في 591هـ، و يمكن إعتبار زاوية الشيخ سعادة الرياحي بطولقة في القرن السادس الهجري كأقدم زاوية علمية، و مثلها زاوية أبي زكرياء يحي الزواوي (ت611هـ) ببجاية حسب ما ذكره صاحب مؤلف عنوان الدراية¹، ثم تأتي زاوية خارج بلاد المغرب الأوسط، بل في أقصاه و نقصد بها زاوية الشيخ أبي صالح بن ينصان الماجري (ت631هـ) و التي بناها قبل وفاته بسنوات، ثم زاوية أبي الفضل قاسم القرشي (ت662هـ) ببجاية، و قد قارن الأستاذ نللي سلامة العامري² بين هاتين الزاوية مع سابقتها الخاصة بأبي زكرياء الزواوي، مبرزاً إختلاف نمطيهما من حيث عناصرهما و مقوماتهما لا من حيث الفارق الزمني فأعطى الجدول التالي:

النمط أ: زاوية الزواوي -الزيات-	النمط ب: زاوية أبي الفضل -المراسي-
الزاوية كمقر خاص لسكن الولي	الزاوية كمقر لسكن الولي و فقرائه.
الزاوية لم تنفصل كلياً عن رحم الجامع، و هي كجزء من الدار و غير مستقلة تماماً عنها.	الزاوية كفضاء مستقل معمارياً لها باب مستقل بها.
أهل " الولي " (أي أزواجه في تلك الفترة يتولين خدمته)	الفقراء يخدمون الشيخ و نزعة إلى إيكال وظيفتي الخدمة و التصوف إلى غيرهم
الزاوية كمكان لاختلاء الولي	بدء اضطلاع الزاوية بوظيفتي تربية التلاميذ و إطعام الطعام و غيرها.

جدول رقم (7): المقارنة بين الزاويتين (نقلاً عن نللي سلامة العامري)

3/ **الضريح:** هذا المصطلح هو جوهر دراستنا، و هو المعيار الأساسي لترباط المصطلحات الأخرى (المسجد، الزاوية و الرباط، التصوف، الكرامة، الولاية) بدراستنا هذه، لذا سنتوسع فيه قليلاً مبرزين تعاريفه من الجوانب اللغوية و الإصطلاحية، و كذا تطوره كمنشأة دينية.

أ- التعريف اللغوي:

هذه الكلمة مشتقة من الفعل (ضرح)، و هو بمعنى القبر حفره أو شقّه، أي حفروا له ضريحاً، كما يقال: ضرح القبر، جعله ضريحاً و لم يلحده، و يقال: ضرحوا لميتهم و لحدوا له، و ضرح الشيء رمى به و نحاه³، هكذا تم ذكره في لسان العرب من مادة ضَرَحَ و جاء فيه كذلك:

¹ أبو العباس أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة ببجاية. تحقيق: راجح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م، ص118.

² نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع، ط 2، دار الفرابي، بيروت، 2006م، ص118.

³ ابن منظور أبو الفضل، المصدر السابق، ص526.

الأضرحة

" الضريح هو الشق في وسط القبر و اللحد في الجانب..."¹، أما في مختار الصحاح للرازي ف جاء فيه أن أصل كلمة الضريح من الفعل ضرح، و قال : "...و ضرح التنحية و الدفع و شيء مضطرح أي مرمي في ناحية، و قد ضرح القبر من باب قطع أيضا إذا حفره."².

ب-التعريف الإصطلاحي:

أعطى كل واحد من الباحثين تعريفا للضريح، كل حسب نظرتة له و حسب أسلوب دراسته أو من وجهة تخصصه، و أول تعريف نبدأ به هو ما ذكره توفيق عبد الجواد بقوله : "الضريح هو الحجرة المشتملة على قبر، أو تربة تعلوها قبة، و قد ميز البعض بين القبر الذي هو حفرة الميت، و بين التربة التي هي بناء مقام فوق القبر، الذي أخذ في العصر الإسلامي أشكالاً عديدة، أما عن القبة فقد تنوعت أشكالها من المشرق إلى المغرب، و قد تنوعت الأضرحة، فمنها البسيط المنفرد، و البناء المتكون من غرفة واحدة مقببة، و منها الملحقة بمدرسة، أو بجامع، و قد يكون بالضريح محراباً، أو مصلى."³، هذا و قد ظهرت عدة تصنيفات أو تقسيمات للأضرحة لعدة إعتبرات لعل أهمها التقسيم الذي بادر به الجنرال كوفي «CAUVET»، الذي قسم عمارة الأضرحة حسب تسقيفها و نوعية القبة فيها، و جاء تقسيمه كالآتي:

- أضرحة ذات قباب نصف كروية.
 - أضرحة عبارة عن أكواخ صغيرة، إما مغطاة بسقف مسطح، أو بسقف يعلوه قرميد.
 - أضرحة ذات قباب مغطاة بقرميد.
 - أضرحة ذات قباب مخروطية.
 - أضرحة هرمية الشكل بدون شرافات، و هو تأثير مغربي أندلسي.⁴
- و رغم تنوع الأضرحة بالتقسيم هذا، إلا أن النوع الشائع في الجزائر و الأقدم، هو الأضرحة المربعة ذات قباب نصف كروية محمولة على منطقة انتقال مئمة الشكل، و في بعض الأحيان لا نجد منطقة انتقال، و يظهر لنا الضريح على شكل مربع توضع فوقه القبة مباشرة.⁵

¹ ابن منظور، المصدر السابق، نفس الصفحة.

² فخر الدين الرازي، المصدر السابق، ص 85

³ توفيق عبد الجواد، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، ج 3، المطبعة الحديثة، القاهرة، 1972م، ص 74.

⁴ Cauvet (C), Les Marabouts, Petits monuments funéraires et votifs du Nord de l'Afrique, In Revue Africaine, Paris, 1923, p22.

⁵ Cauvet (C), Ibid, p23.

الأضرحة

و قد قدمت الأستاذة مهتاري فايذة في دراستها لأضرحة الغرب الجزائري تقسيما لها يعتمد على مؤسس الأضرحة في حد ذاتها¹، و أعطى هذا التقسيم الخاص بالجزائر صنفين هما:

■ الأضرحة السلطانية : هي الأضرحة التي شيدها السلاطين.

■ الأضرحة الشعبية : هي المدافن التي قام بها عامة الشعب.

و لو تتبعنا هذا التقسيم للأضرحة فإن التطور التخطيطي لها في الجزائر سينقسم إلى ثلاث مراحل متعاقبة هي :

- مرحلة تصدر الأضرحة السلطانية : يمكن تحديدها من قيام دولة الفاطميين إلى مرحلة الآغاوات من الحكم العثماني في الجزائر، و إمتازت بالمساحة الواسعة و كثرة الفضاءات، و الزخارف، و وجودها في المدن غالبا.

- مرحلة التناوب و الإختلاط : يمكن تحديدها من مرحلة البايات من الحكم العثماني في الجزائر إلى نهاية الحكم العسكري الفرنسي للجزائر، و تميزت باختلاط النوعين السلطاني و الشعبي.

- مرحلة إنتشار سيطرة الأضرحة الشعبية : يمكن تحديدها من بداية الحكم المدني الفرنسي للجزائر إلى إندلاع الثورة التحريرية المجيدة ، و إمتازت بصغر الحجم، و تكونها من غرفة واحدة، و خلوها من الزخارف (أو قلتها)، و البساطة، و إرتباطها بالخرافات ، أو لتضييق مصالح جهات معينة عكس أطراف أخرى.

هذا و قد أطلقت على البناء المدفني الإسلامي عدة مسميات و مصطلحات تبعا لتطوره خلال العصور الإسلامية، و تعدد أشكاله في البلاد الإسلامية، و إختلاف الأقطار العربية من المشرق إلى المغرب، و أهم هذه المسميات نجد المدفن، القبر، التربة، القبّة، المشهد، المقام، المزار، الرّجم، الرّمس، الجذث، الحويطة²، و من هذه المعاني:

- الضريح : ورد مصطلح الضريح في وثائق العصر المملوكي للدلالة على القبر كله بعمارته التي تعلو سطح الأرض، و فوقها قبّة، و الضريح في شكله المعروف هو ما دخل مع الأتراك السلاجقة، عندما كانوا في آسيا على أنه بناء مقدس، و كان ذلك على صورتين : قبر على شكل برج، و قبر على شكل قبّة.³

¹ مهتاري فايذة، أضرحة الاولياء في الغرب الجزائري، اطروحة مقدمة لنيل الدكتوراة في الفنون الشعبية، قسم الثقافة الشعبية، كلية الاداب و العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابو بكر بلقايد، تلمسان، 2006، ص أ.

² لمعرفة أكثر عن هذه الأسماء أنظر: زهرة بن شعابيب، جرد لبعض الأضرحة بالساحل التلمساني، مذكرة لنيل شهادة الماستر في علم الآثار الوقائي، جامعة تلمسان، 2016، ص23-25. و أنظر أيضا: فايذة مهتاري، المرجع نفسه، ص50-51.

³ كمال الدين سامح، العمارة في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991 م، ص 17.

الأضرحة

- **المشهد** : يحمل مدلولاً دينياً بمعنى المسجد المدفني الذي بني ليكون مدفناً لشخص يتمتع بمكانة روحية من آل البيت الشريف الطاهر ذكورا كانوا أم إناثا، و لقد اقترن لفظ المشهد بالأضرحة العلوية، و الفاطمية بشكل خاص، و غالبا ما اشتمل المشهد على صحن، و به أيضا محراب.¹
- **المزار**: و هو المكان الذي فيه قبر أحد العارفين، أو الصالحين، و يقصد في مواسم معينة، و يصلون فيه، اعتقادا منهم بأن صلاتهم بالقرب من ضريح هذه الشخصية المقدسة أكثر قبولا عند الله، و أجزل للأجر و الثواب، و قد لا يكون المزار قبرا، بل بناء تذكاريًا يشير إلى عمل، أو حادثة تصل إلى بعض الشخصيات، و هو أشبه ما يكون في زماننا بالنصب التذكارية التي تقام على أسماء بعض العلماء، أو العظماء لتخليد آثارهم بعد الوفاة.²
- **القبة** : تعتبر من العناصر المعمارية التي إرتبطت بالعمارة الدينية، و اتخذت لتغطية سقوف المباني، و الأضرحة، و المزارات و المقام و المشهد، و القبة تأتي في المقام الأول قبل الضريح من حيث الإستعمال، و لكونها اقترنت بالمكان الذي يدفن فيه، أطلق اسم الجزء (القبة) على شكل الخاص (الغرفة) المتضمن لقبر الميت³، فقبل عنها القبة، حيث شاع استخدام هذا العنصر في تغطية هذا النوع من المباني، و بذلك شاع اسم الضريح في المشرق، و القبة في المغرب.⁴
- **المرابط** : استعملت كلمة مرابط للدلالة على الضريح في المغرب العربي، و ربما لدفن شخصية دينية بها، كان يعرف بورعه و تقواه في الحياة الدنيا.

ج- نشأة وتطور عمارة الأضرحة في العالم الإسلامي:

لا يمكننا الجزم بأقدم قبة ضريحية بنيت الإسلام، و لعل ذلك راجع إلى عدة عوامل، أهمها تعارض هذه الفكرة مع الشريعة الإسلامية في نظر البعض، أو ربما كما ذكر الدكتور فريد الشافعي و سار على نهجه كثيرون بأن ذلك راجع إلى تخريب العباسيين لمدافن الأمويين، ثم تم فعل نفس الشيء مع أضرحتهم حتى لا يقع لها نفس المصير، أو ربما أضرحتهم اندثرت أو لم يبنوا⁵

¹ Diez Ernest, L'Art de L'islam , Petite bibliothèque, Payot, Paris, S D, P57.

² صالح لمعي مصطفي ، القباب في العمارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 2013م ، ص 23.

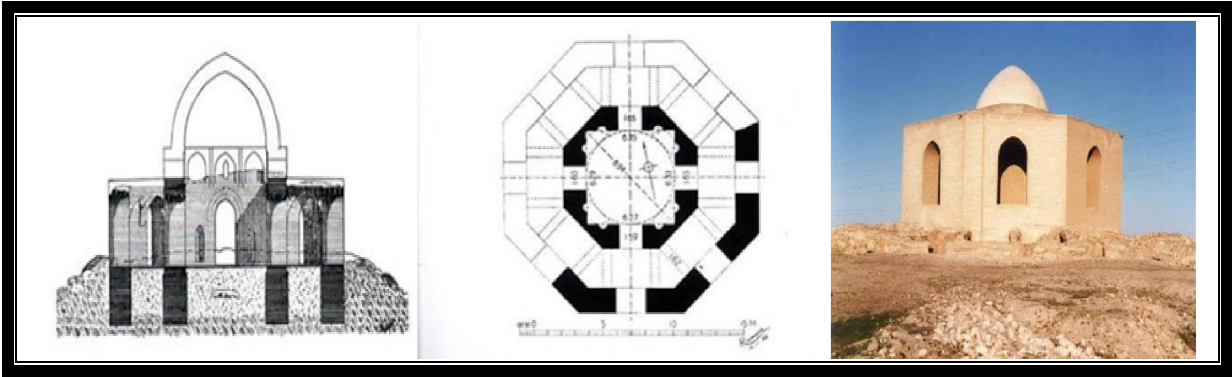
³ سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ص 353.

⁴ لعرج عبد العزيز ، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزبانية: دراسة أثرية ومعمارية وفنية، رسالة مقدمة لاهتمام متطلبات دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 1999 ، ص 553.

⁵ لعرج محمود سالم ، المرجع السابق ، نفس الصفحة.

الأضرحة

أصلاً أضرحة كما يرى الدكتور لعرج عبد العزيز، و أشار الأستاذ دحدوح إلى حادثة إلحاق عمرو بن العاص مدفناً دفنت فيه أم سالم بن مرغم بمسجده الذي بناه في بلدة جنزور بليبيا¹ ، و قد ذكرت المصادر عدة أضرحة و لعل أقدمها ضريح الليث بن سعد الذي يعود لسنة 175هـ/791م الموجود بمقابر الصديين في مصر و ذكر ذلك المقرئزي و السخاوي²، ثم تليها قبة البرمكية التي أقامها هارون الرشيد سنة 187هـ/812م على قبر أم الفضل بن يحيى البرمكي (و قد كانت أمه من الرضاعة) في مدينة عانة بالعراق، ثم قبة قبري هارون الرشيد و علي ابن موسى الرضا التي بناها المأمون.



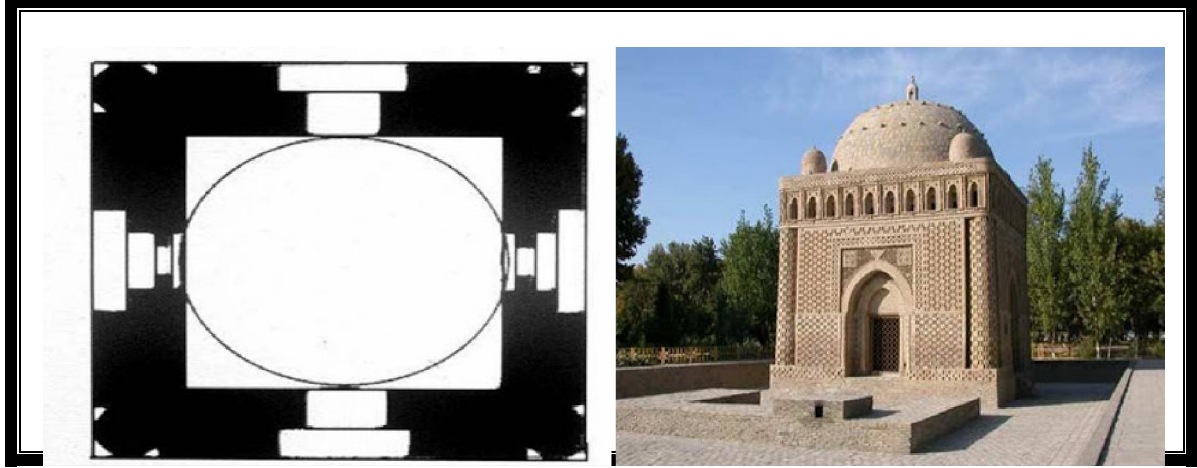
لوحة رقم (12): صورة القبة الصليبية و مخططا مسقطها الأفقي و مقطعها العرضي - نقلا عن عبد الغني السلاني، القباب في العالم الإسلامي، مجلة التراث، مجلد7، عدد 12، الخرطوم، 2000م، ص 17.

ثم القبة الصليبية في سامراء بالعراق على الضفة الغربية لنهر دجلة في القرن 3هـ/9م، و يرجح أنه يضم وفاة الخليفة العباسي المنتصر المتوفى سنة 245هـ/ 862م أقامته له أمه اليونانية الأصل، ثم يأتي ضريح إسماعيل الساماني المبني عام 296هـ/ 907م في مدينة بخارى، ثم ضريح الإمام علي بالنجف، الذي بناه الحمدانيون 317هـ/928م.

¹ عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، رسالة مقدمة ضمن متطلبات الدكتوراة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2010م، ص 510.

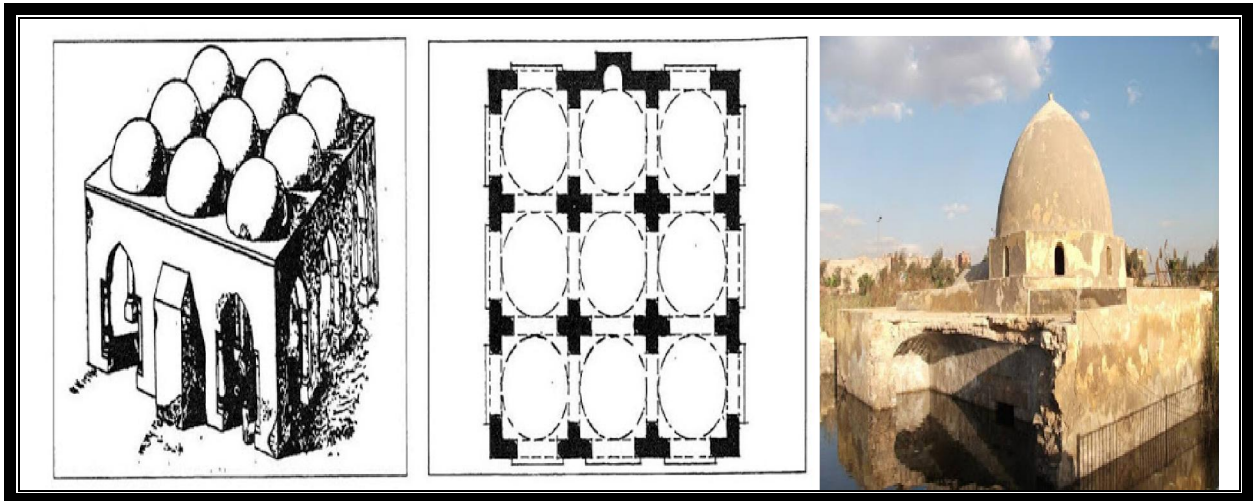
² أنظر: تقي الدين المقرئزي، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، مؤسسة الحلبي، القاهرة، دت، ص 364. وأنظر أيضا: أبو الحسن السخاوي، تحفة الأحباب و بغية الطلاب في الخطط و الهزارات و التراجم و البقاع و المباركات، المكتبة البولاقية، بولاق، 2000م، ص 232.

الأضرحة



لوحة رقم (13): صورة ضريح إسماعيل السماني و مخطط مسقطه الأفقي - نقلا عن: المرجع نفسه ، ص 19.

ثم مشهد آل طباطبا الذي بناه الإخشيدون في مصر سنة 334هـ/943م و الذي لا يذكره كثير من الباحثين¹.



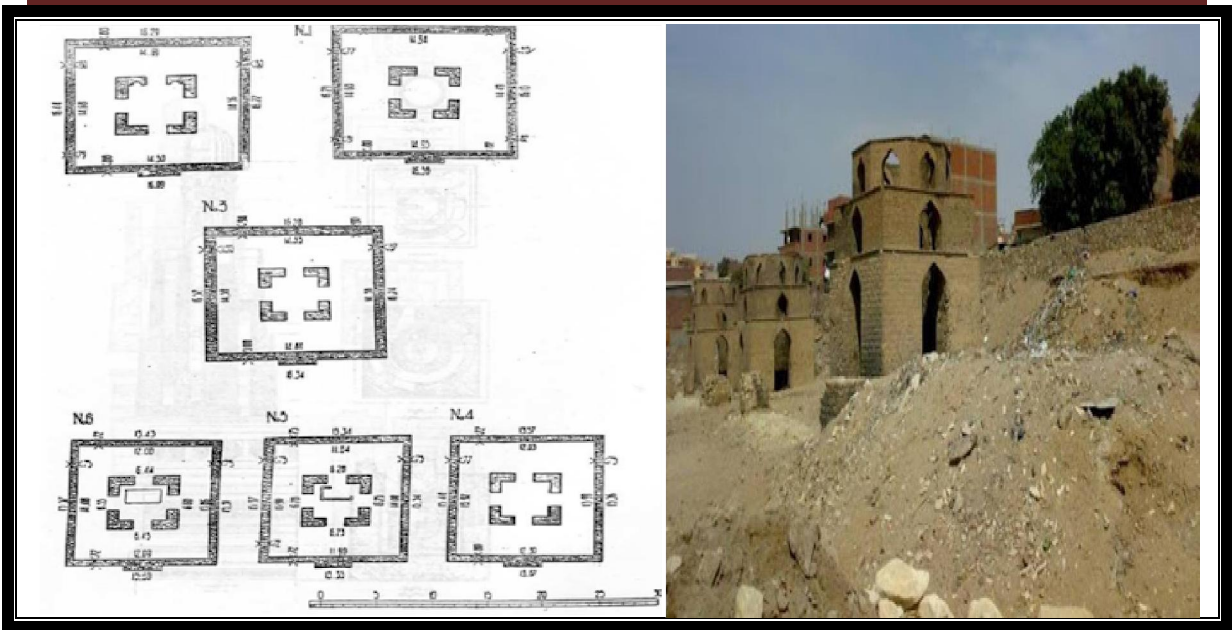
لوحة رقم (14): صورة مشهد آل طباطبا و مخطط مسقطها الأفقي و شكل لإعادة تصورها - نقلا عن : المرجع نفسه ، ص 19.

ثم ضريح حمد بن موسى في مدينة قم بإيران عام 366 هـ/975م، ثم أضرحة السبع بنات في الفسطاط بمصر سنة 400 هـ/1008م².

¹ ذكرته المصادر التاريخية و الجغرافية و لم تشر إليه الدراسات الحديثة.

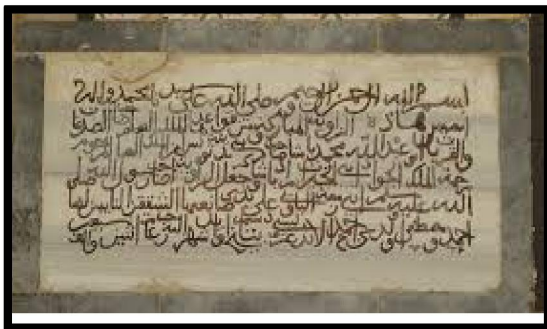
² ماهر سعاد مجد ، مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ، ج 1 ، المجلس الأعلى. للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1971 ، ص 70.

الأضرحة



لوحة رقم (15): صورة القباب الست للبنات السبع و مخطط مساقطها الأفقية- نقلا عن ، المرجع نفسه ، ص21.

أما في الغرب الإسلامي ، فقد وجدت مجموعة كبيرة من الأضرحة على قبور الأولياء ، و العلماء ، و المتصوفة و الحكام ، و لكن أغلب هذه الأضرحة مجهولة التأسيس¹ ، و في بعض الأحيان مجهولة حتى للأشخاص الذين دفنوا بها ، أما من ناحية الأسبقية التاريخية فلو رجعنا إلى دراسة جورج مارسي و التي قارن فيها كتابة لوحة سيدي عقبة مع الكتابات العمائرية في القيروان و التي من خلالها أرخ لضريح عقبة ابن نافع بسنة 416هـ/1025م فنجده ربما أقدم قبة ضريحية في الغرب الإسلامي.



لوحة رقم(16): صورة نقيشة سيدي عقبة (على اليمين) ونقيشة مقام صاحب الطابع بالقيروان (على اليسار) التي تم المقارنة بينهما من أجل التأريخ- نقلا من : موقع مدونة الفنون الإسلامية في تونس-

¹ Marçais (G), Opcit , p300.

الأضرحة

بل الأمر تعدى ذلك إلى إعتباره الأقدم في العالم الإسلامي إذا أخذنا بقول من رأى أنه بني بعد وفاة عقبة مباشرة في 63هـ كما راح إليه ابن الأثير¹ و حسين مؤنس و عبد الرحمان الجيلالي و المهدي البوعبدلي و غيرهم²، ثم يليه ضريح عبد الله ابن ياسين الذي يعود إلى 451/1059م.



لوحة رقم (17) صورتان لضريح عبد الله بن ياسين قديمة (على اليمين) و الحالية (على اليسار)- نقلا عن: الخير ولد الطاهر، العمارة المرابطية، جريدة الإنتصار الأسبوعية، عدد 52، نواكشوط، 1989م، ص 12.

ثم قبة السيدة عزيزة بالرمو في صقلية العائد لسنة 484/1089م، ثم يلي ذلك الأضرحة التي ذكرها الدكتور عبد القادر دحدوح³، و هي قبة سيدي بوخريسن التي بناها بنو خراسان في تونس عام 486/1093م.



لوحة رقم (18): صورتان لضريحي لالة عزيزة بالرمو (على اليمين) و سيدي بوخريسن بتونس (على اليسار).

¹ الجزري ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مطبعة القاهرة الوطنية، القاهرة، 2002م، ص 106.
² رفض هذه الفكرة الأستاذ رشيد بورويبة و وافقه تلميذه كريم الطيب وأعطى تبريرات و تفسيرات مقنعة تقريبا. للمزيد أنظر: كريم الطيب، المعالم المعمارية الإسلامية في إقليم الزاب الشرقي: دراسة تاريخية و أثرية، مذكرة مكملة لمتطلبات الماجستير في الآثار الصحراوية، قسم الآثار الصحراوية، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2009م، ص 44.
³ عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، 365.

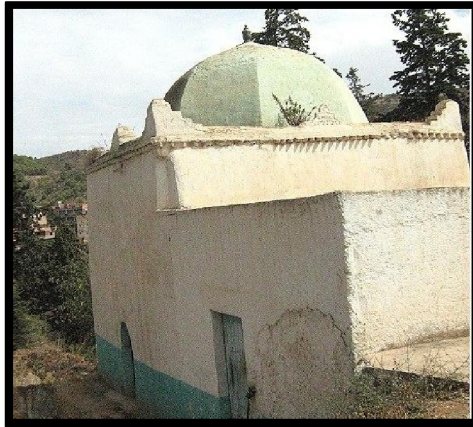
الأضرحة

وتليها قبة البروديين المرابطية في مراكش التي بنيت ما بين 514 و 525 هـ/1120 و 1130 م، ثم ضريح المهدي بن تومرت الذي بناه عبد المؤمن بن علي ما بين 524 و 558 هـ/1130 و 1163 م بشالة، ثم ضريح أبي مدين شعيب بتلمسان الذي بناه الخليفة الموحي الناصر ما بين 595 و 610 هـ/1198 و 1213 م.



لوحة رقم (19) : صورة غرفة الدفن في ضريح سيدي بومدين (على اليمين) و مخططه (على اليسار) نقلا عن : دحماني صابرينة ، المرجع السابق ، ص 176.

و الذي ربما يسبقه زمنيا ضريح سيدي أحمد البجائي الذي بناه عبد المؤمن ابن علي حيث لم يذكره الأستاذ دحدوح عبد القادر و لا غيره¹.



¹ تشير عديد الرواية المتحدثة عن تاريخ تأسيس القسم الموحي بمدينة ندرومة عن قصة تأمر بعض الأطراف ضد عبد المؤمن بن علي ، و إشارة الدرويش سيدي أحمد البجائي عليه بذلك ، و تطوع هذا الأخير لأخذ مكانه ليلا ، وبعد تبين صدق إشارته و تطوعه مكانه امر عبد المؤمن بتشيد مقام فوقه قبة على قبره ، وتم تشيد قبة ندرومة من حوله ، و من الذين ذكروا الرواية هذه مبارك الميلي ، يمكن الرجوع إلى : مبارك مُجد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1979م ، ص 334.

الأضرحة

لوحة رقم (20): صورتنا ضريح سيدي أحمد البجائي من الأرشيف (على اليمين) و الحالية (على اليسار)

ثم إنتشر هذا النوع من العمائر في مختلف أقطار العالم الإسلامي بقطبيه الشرقي و الغربي، و المغرب الأوسط هو الآخر ظهرت فيه أعداد كبيرة من الأضرحة لن نذكرها هنا من منطلقين ، الأول أنها كثيرة فقد بدأت محتشمة المرابطين و الموحدين، ثم ازدادت وتيرتها خلال حكم الزيانيين و المرينيين و بصفة أقل الحفصيين، لتصل ذروتها مع التواجد العثماني في الجزائر، ثم تناقصت إلى دون المتوسط خلال الإحتلال الفرنسي للجزائر خاصة مع بداياته، و المنطلق الثاني هو صعوبة تأريخ عدد كبير منها بسبب الغموض الذي يلف حقيقتها غالبا و إختلاف الروايات.

المطلب الثاني: المصطلحات الروحية

تستند الأضرحة و الزوايا على كرامات الولي الذي يُدفن بقبر في أرض خاصة به و ليس في مقبرة مع بقية المسلمين، أو يُدفن بداخل الزاوية، و يشيد على القبر بناء يغطي بأثواب خضراء عليها بعض الآيات القرآنية لربطه بالدين الإسلامي، و لشرعنته أمام زواره الذين يرفضون نعت ما يقومون به من ممارسات على أنها خارجة عن الإسلام أو شرك بالله، ما دام الولي يتصف بالورع و التقوى و الصلاح، و يبقى لكل ولي صالح قصصه الخاصة و كراماته الخارقة التي تتجاوز حدود المعقول أحياناً، و تدرج في إطار الأساطير والخرافات.

1/ التصوف : و هذا بإعتباره الضامن الديني الأول للشخصية المبني فوقها قبة، فالولاية مصدرها أحياناً التصوف، و هذا الأخير يعتبر شرطاً كافياً لإنشاء قبة على صاحبه، و في هذا العنصر سنحاول إعطاء بعض الشروحات لعنا تقرب معناها و نربطها بموضوع دراستنا.

أ- التعريف اللغوي:

يعرف لغة بأنه كلمة يونانية الأصل حسب البيروني الذي قال: " هذا اللفظ إنما هو تعريف لكلمة (سوف) اليونانية التي تعني الحكمة...، و لما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سمو باسمهم."¹، إلا أن ابن خلدون ذكر عن القشيري قوله: " لا يوجد اشتقاق في العربية لهذا الإسم...، و لا يشهد لهذا الإسم اشتقاق من جهة العربية و لا قياس، و الظاهر أنه لقب، و من قال اشتقاقه من الصفا أو من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي."²

ب- التعريف الإصطلاحي:

عرفه الإمام الجنيد بقوله : " هو أن يختصك الله بالصفاء، و أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة، و تصفية القلوب عنوة لا صلح فيها، و ذكر مع اجتماع، و وجد مع استماع، و عمل مع إتباع."³، و جاء في تعريف آخر: " التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري، و ذلك كتزعات فردية تدعو إلى الزهد و إلى شدة العبادة ، تعبيرا عن ردة

¹ عبد الرحمن عميرة ، التصوف الإسلامي منهجا وسلوكا ، مكتبة الأزهرية ، القاهرة ، د.ت ، ص8.

² عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص295.

³ الجنيد أبو القاسم بن محمد ، حلية الأولياء ، ج1، مركز الإمام الجنيد للدراسات و البحوث الصوفية المتخصصة ، وجدة ، 2006م ، ص55.

الفعل المعاكسة للانغماس في الدنيا و الترف الحضاري ، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقاً مميزة معروفة بطرق الصوفية.¹، و قد أعطى بعضهم الفرق بين التصوف و الصوفية بأن الأول هو منهج علمي يجمع بين العلم و العمل على معرفة الكتاب و السنة و هو ظاهرة روحانية مبني على الجد و الإجتهد لتحقيق مقام الإحسان و العبودية الكاملة الخالصة لله تعالى، أما الصوفية فهي التطبيق العملي لذلك العلم و لأركان الإسلام.²

ج- نشأة و تطور التصوف في الإسلام :

رغم أن الكثير يرى أن حركة التصوف ظهرت إلى الوجود و لو بالتدريج مع الحسن البصري (ت110هـ) و حاتم الأصم (ت137هـ)، إلا أن أقدم نعت لأحد الأشخاص بصوفي ورد عند الجاحظ و نعت به أبو هاشم الكوفي المتوفى سنة 150هـ³، و حسب ابن تيمية فإن أول من بنى دويرة الصوفية هم بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد (ت177هـ) و إبراهيم بن أدهم (ت162هـ)، خاصة الأول الذي كان من أصحاب الحسن البصري⁴، و من الذين تلوهم من الكوفيين الكيمياء المشهور جابر بن حيان (ت208هـ) و عبدك الصوفي (ت210هـ)⁵، و إشتهر التصوف في هذه الفترة أكثر على يد المتصوف بشر الحافي (ت237هـ) الذي حاول تمييز التصوف عن النزعات و المذاهب الأخرى، و بظهور ذي النون الأنخمي المصري (ت254هـ) و سيد الطائفة الإمام أبي القاسم الجنيد (ت297هـ) أصبح التصوف علامة بارزة بوضع أسس التصوف على يديه⁶، ليواصل التصوف الانتشار على يد الحارث المحاسبي في القرن الرابع، و أبو حامد الغزالي (ت505هـ/1111م)، و سيدي عبد القادر الجيلاني (ت561هـ).

حدث هذا في الجناح الشرقي للعالم الإسلامي، لكن الجناح الغربي لم يكن أبداً بمعزل عما يجري على ساحة الأحداث في المشرق، بل كان لها صداها في المغرب الإسلامي، و تعتبر حركة الصوفي عبد الله بن مسرة⁷ من أول بوادر التصوف في بلاد المغرب و تلتها إستقرار الزاهد

¹ الحربي ممدوح ، الصوفية و طرقها ، دار الوفاء للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2001م ، ص52.

² خديجة بن فضيل ، وعدة سيدي المجد الواسيني بمغنية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية ، قسم التاريخ ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2016م ، ص20.

³ أبو عثمان عمر الجاحظ ، البيان و التبيين ، تحقيق: أحمد سلامة ، ج1 ، دار الفردوس للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1995م ، ص365.

⁴ ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، المجلد11 ، دار النفائس للنشر و التوزيع ، الرياض ، 2000م ، ص15.

⁵ ماسينيون ، دائرة المعارف الإسلامية ، مادة تصوف ، تعريب: طارق الحدسي ، طبعة 2004م ، ص72.

⁶ نيكلسون ، نظرة تاريخية في أصل التصوف و تطوره ، ترجمة أبي العلا عفيفي ، دار الشمال ، القاهرة ، 1947م ، ص41.

⁷ محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيج ، ولد بقرطبة سنة 296هـ هجري و توفي سنة 319هـ هجري ، من مؤلفاته كتب الإعتبار و التبصرة و خواص خواص الحروف و توحيد الموقنين و مسائل في مدونة مالك. أنظر محمد العدلوني ، نصوص من التراث الصوفي في الغرب الإسلامي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 2008م ، ص9.

وهب بن منبه بتلمسان التي دفن بها و حركة سحنون بن حبيب التنوخي (ت240هـ)، إلى أن وصلت هذه الحركة إلى أبو الفضل النحوي (ت513هـ) و مُحَمَّد بن عبد السلام التونسي (ت512هـ)، ثم إبتداء من منتصف القرن السادس الهجري عرف التصوف إنتشارا سريعا على يد محي الدين بن العربي، حيث سار نشر التصوف في المدن أولا ثم في الأرياف¹، رغم التصادم ما بين الفقهاء المرابطين و المتصوفة، و برز بعد ذلك متصوفة كبار أمثال أبو يعزى بن ميمون يلنور دفين واد تاغية (ت572هـ) و دفين تلمسان وحيد زمانه أبو مدين شعيب (ت594هـ) و أبو الحسن علي صالح بن حرزم الفاسي و أبي العباس السبتي (المتوفيان في 559هـ و561هـ على التوالي) و عبد السلام بن مشيش (ت626هـ) و أبي الحسن الشاذلي(ت656هـ)، فأسسوا المدارس و الطرق الصوفية، و نشر طرقهم مجموعة من المريدين و الطلبة مثلما فعل سيدي يعقوب بن الحاج (ت340هـ/1342م) -بولهاصة- و أحمد بن عروس (ت868هـ/1463م) و مُحَمَّد بن سليمان الجزولي (ت870هـ/1465م) و عبد الرحمان الثعالبي (ت875هـ/1471م) و أحمد زروق (ت899هـ/1493م) مع الطريقة الشاذلية.

2/ الكرامة: تشكل مجموع المعتقدات الشعبية المرتبطة بتقديس الأولياء في حياتهم من خلال كراماتهم، و من ثم من بعد مماتهم من خلال الإعتقاد في القبور و الأضرحة و الأمكنة المحيطة بالأضرحة، ثنائية لا يمكن فصلها بأي حال من الأحوال، فكرامة الولي في حياته ، لا بد و أن تترجم في القيام بضريحه و عليه، من هذا توجب علينا إضفاء لمسة تعريفية لظاهرة كرامة الأولياء الصالحين.

أ- التعريف اللغوي:

جاء في الصفحة 396 بالجزء الخامس من لسان العرب لابن منظور: " الكرم ضد اللؤم، أكرمه و كرمه أي عظمه و نزهه، و الكرم الصفح ، و رجل مكرام يعني مكرم للناس"، و قيل الكرامة اسم مشتق من الكرم الدال على القدر و المنزلة و الميل و العطاء و الإكرام ، و الكرامة صفة و علامة دالة على الزيادة و الفضل و الوفرة و حب الخير، فالكرامة هي اسم جامع لمعنى الفضائل الخلقية و جمعها مكارم و كرامات².

ب-التعريف الإصطلاحي:

¹ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2002م ، ص364.

² خديجة بن فضيل ، المرجع السابق ، ص26

الكرامة هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد الصالحين من أتباع الرسل عليهم السلام الملتزمين لأحكام الشريعة الربانية من غير شذوذ ولا مخالفة، فضلا من الله وإكراماً لهم، وهي غير مقرونة بدعوى نبوة، وهي في حقيقتها تأكيد وتأكيد لرسالة الرسول باعتبار أن الله أظهرها على يد صلحاء أمته¹، والكرامة في سجل التصوف هي الفعل الخارق للعادة وغير مألوف في الحياة الطبيعية.

ج- نماذج عن الكرامات:

سبق وأشرنا إلى أن الكرامة فضاء واسع ومركب، يحقق فيها الخيال ما يعجز عنه الواقع، وهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، تظهر على عبد صالح أو نحوه، وتقسّم الأستاذة فاطمة الزهراء بركة كرامات الأولياء إلى ما قبل وما بعد الوفاة، وتعتبر الأولى أصلاً في قصة الولي، أما بعد الوفاة فهي قصص ترويها الجماعة الشعبية -العائلة- المعتقددة في الولي الجد، والفئة المزكية له وهي كثيرة وعديدة يرويها أفراد الجماعة ويحفظونها²، وهناك من يخطئ فينكر حدوث الكرامات وعدم ورودها لا عن الصحابة ولا عن كبار التابعين، فإرتأيت الإشارة إلى بعض الكرامات عبر ثرائنا الإسلامي الواسع:

- نماذج من الكرامة في القرآن الكريم: أعطى القرآن الكريم نماذج عجيبة لكرامات على يد أناس ليسوا بأنبياء، نذكر منها:

● كرامة أصحاب الكهف: الذين يسر الله لهم كهفاً للعيش فيه، وفر لهم كل الظروف المواتية لذلك، ثم أماتهم ثلاث قرون وتسعة أعوام، وقد قال الله تعالى عن حالهم: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ أَصْحَابَ الْكُهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكُهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكُهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11)"³، وتمثلت الكرامة هنا في إبقاء أجساد أقوام صالحين لمدة تفوق 3 قرون.

● كرامة عزير: الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، وقد قال الله تعالى مبيناً هذه الكرامة: "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ

¹ الحريري راشد محمد فتحي، كرامات الأولياء بين الوهم والحقيقة، مجلة الفيصل، العدد 211، الرياض، 1994 م، ص 46.

² فاطمة الزهراء بركة، دراسة قصص لأولياء الصالحين المحليين بين الواقع والأسطورة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الشعبي، قسم الأدب واللغة العربية، جامعة حمة لخضر، الوادي، 2015 م، ص 100.

³ سورة الكهف، الآيات 9-11.

إِلَى طَعَامِكَ وَ شَرَابِكَ لَمْ يَنْسَنَّهُ¹ وَ انْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ² وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ تَكْسُوهَا لِحْمًا³ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ¹.

● كرامة السيدة مريم: حيث أعقد الله عليها بنعمه في مكانها خرقا للعوائد، و قد بين المولى عز و جل ذلك قائلا: " فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا¹ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا² قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ³ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37)"².

- نماذج من الكرامة في السنة النبوية: لم تخلو الأحاديث النبوية الصحيحة هي الأخرى بحكايات الكرامات، و التي حدث قبل البعثة النبوية أو بعدها، نذكر منها على سبيل الإستهناد:

● كرامة الرضيع: روى الإمام البخاري بسنده ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع الرسول صلى الله عليه و سلم يقول: " كانت امرأة ترضع ابنا لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها و أقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه ثم مرت بأمة، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها، فقال : اللهم اجعني مثلها، فقالت: لم ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة و هذه الأمة يقولون: سرقت، زנית، و لم تفعل"³، ففي هذا الحديث النبوي قصة عن خرق العادة لرضيع يدرك و يتكلم و يشرح لأمه أمور غيبية ، لم تستطع هي إدراكها أو التنبؤ بها.

● كرامة جريح الراهب : هذا الرجل الصالح الذي تكلم الصبي بشهادته كرامة له، و فد أورد الرسول صلى الله عليه و سلم قصته، فقد جاء في صحيح البخاري: حدثنا مسلم عن إبراهيم قال : حدثنا جرير بن حازم، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى، و كان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج، كان يصلي، فجاءته أمه فدعته، فقال: أجبها أو أصلي، فقالت: اللهم لا تمته حتى تريحه وجوه المومسات ، و كان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة و كلمته فأبى، فأنت راعيا فأمكنته من نفسها، فولدت غلاما، فقالت : من جريج، فأتوه فكسروا صومعته و أنزلوه و سبوه، فتوضأ و صلى ثم أتى الغلام، فقال : من أبوك يا غلام؟ قال :الراعي، قالوا :

¹ سورة البقرة ، الآية 259.

² سورة مريم ، الآية 37.

³ البخاري ، موسوعة الحديث النبوي الشريف: الصحاح، السنة، المسانيد، موقع روح الاسلام، الإصدار الثاني، كتاب: الأنبياء، باب : "و اذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها"، حديث 3254.

أبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين"¹، ففي هذا الحديث خرق للعادة، إذ تكلم الصبي بالحقيقية، ونجا السيد جريح من المحنة كرامة له.

- نماذج من كرامات الأولياء في المصادر: لقد قام العديد من مردي الزوايا و مؤرخي المناقب بتأليف مؤلفات جامعة للكرامات، و من أمثلتها نذكر:

● كتاب التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي: لأبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي، المعروف بابن الزيات، الذي ألفه في 617هـ، و ترجم فيه 279 شخصية، و من الكرامات التي ذكرها تلك التي حدثت مع أبو موسى عيسى بن سليمان الرفروفي حيث قال: "حدثني عبد الله بن موسى قال: حدثني إبراهيم بن يحيى بن البطان قال: أدركت شيخا من تلاميذ أبي موسى و قد أناف على مائة سنة و ما سقطت له من سن و لا شابت له شعرة، و كان قد دعا له موسى بذلك"²، كما أورد ابن الزيات كرامة من كرامات الولي أبو سهل القرشي قائلا: "و نقل الخلف عن السلف أنه جاء من المشرق على قدميه و على عاتقه مخلاته التي جعل فيها كتبه، فمشى يوما إلى أن كلمه جمل بإزائه فقال له: يا أبا سهل، اجعل مخلاتك علي لتستريح من حملها"³.

● كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية: من تأليف أبو العباس الغبريني، و قد ذكر هو الآخر عدة كرامات لعديد الأولياء، و أهم الذي ذكر ما يتعلق بالشيخ أبي مدين شعيب إذ ذكر من كراماته، أنه أخبره بعض الأصحاب أن بعض الطلبة وقع بينهم نزاع في بعض الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه و سلم، و هو قوله عليه الصلاة و السلام " إذا مات المؤمن أعطي نصف الجنة"، فتردد الكلام بينهم في أن مؤمنين، إذا ماتا استحقا الجنة و بقي الناس أجمع دون شيء، فساروا إلى مجلس الشيخ أبي مدين رضي الله عنه ليطلعوا إلى ما عنده في المسألة فلما استقر بهم الجلوس في مجلسه، و كان حديثه في ذلك المجلس عن رسالة القشيري -رحمه الله-، ترك كلامه الذي كان يتحدث فيه، و قال: نزيل عن أصحابنا الإشكال، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " إذا مات المؤمن أعطي نصف الجنة"، أراد صلى الله عليه و سلم نصف جنته، و إن كان بعد الحشر يعطى النصف الثاني من جنته، فبعد البعث تكمل له جنته،

¹ البخاري، المصدر السابق، حديث 3253.

² ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م، ص 109.

³ نفسه، ص 208.

و في هذا من العلم ما لا ينتهي إلى حقيقته إلا أهل الصفاء و خاصة الأولياء ، جعلنا الله منهم و هذه إحدى كراماته رضي الله تعالى عنه حيث أخبرهم بما أتوا إليه قبل أن يخبروه¹.

● كتاب البستان في ذكر العلماء و الأولياء بتلمسان: لصاحبه ابن مريم المديوني التلمساني، و الذي يعتبر من أفضل المؤلفات في شأن الأولياء و كراماتهم، فقد ذكر العديد من الخوارق العجيبة التي حصلت لهم أو على أيديهم، و من جملة ما ذكر عن الشيخ عبد الله بن منصور الحوتي، أن رجلا محبوسا بسجن فاس وقف عليه الشيخ في المنام و قال له أخرج، فقلت له الرجل : و من أنت، قال أنا عبد الله بن منصور، ثم من الغد فإذا بالنداء علي: يا فلان أخرج فإنه لا خوف عليك².

هذا و قد تنوعت و تعددت حوادث الكرامات في كل زمان و مكان، و صاحبها توثيق محكم للمؤلفين الذي إهتموا بهذا النوع من المناقب.

3- الولاية : يتساءل الكثير من متتبعي شأن الأولياء و الأضرحة و الزوايا في العام الإسلامي مشرقه و مغربه، عن شهرة أضرحة بعينها عن أخرى، و عن كثرة زوار أضرحة معينة و ضخامة بناءها عن أخرى، و كذلك التساؤل عن وجود ضريحين أو أكثر في مكان واحد وفق ترتيب معين أو تواجد أكثر من قبر في الضريح الواحد، و هذه الحوادث إنما هي في الحقيقة راجعة إلى الشخص المدفون داخل ذلك الضريح من وجهة نظر معيارين إثنين : رتبة الولاية في حد ذاتها، القرابة الشريفة أو الشرفوية أو النسب الشريف، هذا ما سنحاول نقض الغبار عنه في ما يأتي.

أ- التعريف اللغوي:

هذه الكلمة من مصطلح ولي ، و هو من فعل ولي بمعنى قرب، و لها كذلك معنى حكم و الولي هو الناصر و قيل المتولي لأمر العالم و الخلائق القائم بها، و ولي الشيء و ولي عليه ولاية بكسر الواو³، و الولاية بفتح الواو تدل على القرب ثم على ما يتصل به من معان كالمحبة و المؤازرة، و لعل القشيري في رسالته أعطى أوضح تفسيراً لها بقوله : "إن الولي له معنيان، أحدهما فعلي بمعنى مفعول و هو من يتولى الله سبحانه أمره، و الثاني معنى مبالغة من الفاعل

¹ أبو العباس الفبريني ، المصدر السابق ، ص58.

² ابن مريم المديوني ، المصدر السابق ، ص 268.

³ ابن منظور ، المصدر السابق ، ص4920.

و هو الذي يتولى عبادة الله و طاعته فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان، و كلا الوصفين واجب حتى يكون الولي ولياً.¹

ب-التعريف الإصطلاحي :

الولاية في الإصطلاح الديني الحادث بعد القرون الإسلامية الأولى، هي صفة كل من تجرد من علائق الدنيا، و انقطع لعبادة الله وحده و فني فيه، و حدثت على يديه الخوارق للعادة.

ج- مراتب الولاية:

لقد قام ابن عربي بإعطاء علامة فارقة لمنازل السائرين إلى الله و للولاية، فقال عنها أن لهما منازل حسية و منازل معنوية ، و أنّ عدد المنازل الحسية درجات كثيرة ، تزيد على بضعة عشر و مائة منزلة، أما عدد المنازل المعنوية، فهو ثمانية و أربعون و مائتا ألف منزلة، و هذه المنازل لم ينلها أحد من الأمم قبل هذه الأمة، و هي من خصائصها، و هذا العدد من المنازل المعنوية منحصر في أربعة مقامات من العلم : مقام العلم اللدني، علم النور، و علم الجمع و التفرقة، و علم الكتابة الإلهية²، و طبقات الأولياء و مراتبهم و مقاماتهم عديدة أهمها:

- الأقطاب: القطب هو الجامع للأحوال و المقامات و لا يكون منهم في الزمان و المكان الواحد إلا واحد، و سمي أيضا بالغوث³.

- الأئمة: و هم لا يزيدون على اثنين، و لا ثالث لهما، مساعدا القطب و خلفه إذا مات أو إنقطع⁴.

- الأوتاد: هم أربعة رجال في الحال الواحد، و هو أقل شأنًا من الإمام، و قد يكون فيهم النساء⁵.

- الأبدال : و هم سبعة لا يزيدون و لا ينقصون في الزمن الواحد، و هم متفرون في الجهات⁶.

- النقباء : و هم اثنا عشر نقيباً في كل زمان، موزعين في النواحي القريبة للقطب⁷.

- النجباء: و هم ثمانية في كل زمان و هم المعروفين لدى العامة بتواصلهم معهم.

¹ أبو القاسم القشيري، الرسالة، تحقيق: عبد الحليم محمود و محمود بن الشريف، مطابع مؤسسة الشعب للصحافة و الطباعة و النشر، القاهرة، 1989م، ص128.

² علي شود كيفيتشن، الولاية و النبوة عند الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، تر: أحمد الطيب، دار الشروق، القاهرة، 2004م، ص78.

³ محمد بن بركة البوزيدي الحسني، التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان، موسوعة الحبيب للدراسات الصوفية، الكتاب الأول، دار المتون للنشر و الترجمة و الطباعة و التوزيع، 2006م، ص370.

⁴ علي زيعور، العقلية الصوفية و نفسانية التصوف، سلسلة: التحليل النفسي للذات العربية، الكتاب الخامس، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 1979م، ص175.

⁵ النهاني، جامع كرامات الأولياء، دار الشرق للنشر، دمشق، 2000م، ص67.

⁶ عبد المنعم الحفني، المعجم الصوفي: الكتاب الشامل لألفاظ الصوفية و لغتهم الاصطلاحية و مفاهيمهم و معاني ذلك و دلالاته، دار الرشد، القاهرة، 1997م، ص247.

⁷ نفسه، ص248.

الأضرحة

و ذكر النهاني في كتابه جامع الكرامات¹ مراتب أخرى هي : الحواريون و يكون واحد في كل زمان، و الرجبيون الأربعة، و منهم الختم، و منهم الظاهرون بأمر الله و هم أغلب الأولياء الذين ذاع صيتهم، و منهم رجال الفتح، عددهم أربع و عشرون في كل زمان ، و منهم رجال الماء، و يبدو أن أغلب أضرحة اليوم في الجزائر عامة و منطقة ولهاصة خاصة ترجع إلى أشخاص ذو مراتب متعددة، لعل أعلاها البدل التي نالها سيدي أبي مدين شعيب دفين العباد بتلمسان.

المبحث الثاني: النظرة الشرعية لظاهرتي البناء فوق القبور و الدفن داخل المساجد

تطغى قضيتنا جواز بناء الأضرحة و الدفن داخل المساجد، و الصلاة داخل الساجد التي بها قبور على الواقع الإجتماعي العام للجزائريين، و لعل هذا الإشكال برز بشكل بارز للعيان، مع إنتشار الحركة الوهابية في بلاد نجد و محاربتها للعثمانيين، بل تعدى الأمر حسب عدة مؤلفات إلى تعاون الوهابيين مع الإنجليز لإسقاط الخلافة العثمانية فيما يعرف تاريخيا بقضية " إقتسام تركة الرجل المريض"، هذه المعطيات التاريخية تقاطعت مع معطيات أثرية و معمارية، حيث إتفق العديد من المختصين في هذا الميدان على تشجيع الدولة العثمانية لعمارة الأضرحة سواء في الأستانة - إستنبول- ، أو ما لحق بها من ولايات في الشرق و الغرب، تكريما للشخصيات الملكية و الدينية و الشرفاء و المرابطين، و لو ربطنا ما بين المعطيات التاريخية و الأثرية المذكورة و المتقاطعة في نفس الفترة، لوجدنا أنفسنا مباشرة أمام التعدي الصارخ على القباب و الأضرحة المشيدة من طرف كل من الحكام أو الشعب على حد سواء، إذ قامت الحركة الوهابية بمحاربة بناء القباب و الأضرحة و هدمت الكثير منها بحجة أنها بدعة و منافية للتوحيد، و إنتقلت أفكار هذه الحركة و إنتشرت بعد سقوط الخلافة العثمانية ، و برزت الكثير من المشاكل في عدة أقاليم إسلامية - خاصة الغربية منها إنطلاقا من مصر إلى غاية المحيط الأطلسي لكثرة القباب و الأضرحة بها- بين طرفين إحداهما مدافع عن فكرة بناء الأضرحة و جوازها، و طرف ثان معارض لها و محارب لوجودها، و تبادل الطرفان البراهين و الدلائل و كثرت الكتابات و المؤلفات في ذلك، و نحن كباحثين حاولنا الإطلاع على عدد من هذه المؤلفات، منطلقين من خلالها إلى بيان جواز البناء على القبور من عدمه أصلا و فرعا و إجتهادا، مع إعتبار أن لنا يد في ترجيح كفة على الأخرى بحسب توجهنا في هذه القضية و إنطلاقا من إعتقادنا الشخصي فيها.

¹ النهاني ، المصدر السابق ، صفحات عدة متفرقة.

1/ تأصيل : من المعروف أن القاعدة الفقيهية هي حكم شرعي أغلبي، يؤخذ منه جزئيات كثيرة، و لا يمكننا تقريب المراد أبدا إذا تعلق الأمر بالأمر بالفقهية أو الأصولية، إلا إذا إطلعنا على أهم ضوابطها الفقهية.

1.1- ضوابط فقهية : إن من أهم القواعد الفقهية المتفق عليها و بإجماع فقهاء كل المذاهب، و التي نحن بصدد جمع مختلف الأحكام الواردة فيما يخص هذا العنصر أن ننظر لها باعتبار مرجعي، نجد:

- إثبات الشيء إبتداء يستدعي دليلا متبثا: فإثبات الفقهاء لأي من الحكمين - تتمثل في أحكام القضيتين المطروحتين في هذا العنصر من دراستنا- يستوجب إحضار الدلائل الواجبة في الأمر¹، مما جعلنا نكتفي هنا بالإشارة إلى أهم النصوص المعتمدة كأدلة، دون التوسع في نقدها و تحليلها لقلة خبرتنا في ذلك.

- الحكم على الشيء فرع من تصوره: و يظهر جليا حقيقة هذه القاعدة، فلا يمكن الإحتكام إلى أمر دون تصوره²، مما جعلنا نقدم على توضيح صورة القضيتين المراد الفصل فيهما، و هذا من خلال التمهيد السابق، أو هذه الضوابط الواجب مراعاتها في حد ذاتها، أو الضبط اللغوي و الإصطلاحي و الشرعي للمصطلحات المتعلقة بها.

- الكراهة لا تنافي الجواز: فما حكم عليه العلماء بالكراهة فليس بمعنى غير جائز مطلقا، فالحرمة تأخذ صفة عدم الجواز مطلقا، و يقابلها الجواز مطلقا، و منه نقول أن المكروه ليس بمحرم مطلقا، فالمكروه جائز فعله مع أولوية تركه.

- لا يشوش على عابد: فالعبادة مفروضة علينا، و مهما إختلفت المعتقدات و الفروع فإن الأصول بين المسلمين واحدة، فيحرم تكفير العبد المسلم لأخيه المسلم بسبب طريقة عبادته، و لا يمكن لأي كان أن يسعى لإزعاج أخيه المتعبد.

- ما رآه المسلمون حسن فهو عند الله حسن: روي كحديث عن ابن مسعود من عدة طرق، و أخرجه جمع من الفقهاء كالبزار و الطيالسي و الطبراني و أبو نعيم، و رواه أيضا أحمد في مسنده و البيهقي في سننه.

¹ محمد صدقي البورنو، الموسوعة الفقهية، ج 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2003م، ص 181.

² ابن تيمية، المصدر السابق، ص 61.

2.1- مفهوم البدعة و النازلة: لقد إختارنا توضيح هاذين المصطلحين في هذا الوقت بالذات، إنطلاقاً من أن الإختلاف الحاصل بين كلا الطرفين الوارد ذكرهما سابقاً، ينطلق أساساً من كون هذا العمل المختلف فيه، يدور بين الأمرين إما بدعة مستحدثة، أو سنة و إن لم يكن كذلك فعلى الأقل له أصل في الدين الإسلامي، و من جهة أخرى فإعتاداً على الدراسات المتفقة في أغلبها أن أقدم الأضرحة المعروفة على الأرجح يرجع إلى القرن الثاني الهجري، جعلنا ندرج هذا الأمر ضمن إطار ما يعرف فقهيًا بـ: "النوازل"، التي لم تكن موجودة قبل هذا الزمان.

- مفهوم البدعة: عرف ابن منظور البدعة لغة بقوله: "و البدعة الحدث و ما ابتدع في الدين بعد الإكمال"¹.

يقول الشاطبي: أصل مادة بَدَعٌ للإختراع على غير مثال سابق، و منه قول الله تعالى: "بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ"²، أي مخترعها من غير مثال سابق متقدم، و قوله تعالى: "قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ"³، و قوله تعالى: "وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ"^{4,5}.

و في الصحاح: "البدعة هي الحدث في الدين بعد الإكمال، و بدّعه نسبه إلى البدعة".

و قال الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن: الإبداع إنشاء صنعة بلا إحتذاء ولا إقتداء.

و قال الفيومي في المصباح: أبدع الله تعالى الخلق إبداعاً خلقهم لا على مثال و أبدعت الشيء و إبتدعته: إستخرجته و أحدثته⁶.

أما التعريف الإصطلاحي فقد وردت عدة تعريفات للبدعة منها ما قاله الإمام النووي - رحمه الله تعالى- في تهذيب الأسماء و اللغات: "هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم".

و أضاف الفيومي: "هي الزيادة أو النقص في الدين لكن قد يكون بعضها غير مكروه فيسمى بدعة مباحة و هي ما شهد لجنسها أصل في الشرع أو اقتضتها مصلحة تندفع بها مفسدة"⁷.

هذا و قد قسم العلماء البدعة إلى قسمين اثنين، فالإمام الشافعي رحمه الله يقول: "البدعة

¹ ابن منظور، المصدر السابق، ص .

² سورة البقرة، الآية 117.

³ سورة الأحقاف، الآية 9.

⁴ سورة الحديد، الآية 27.

⁵ الشاطبي، الإعتصام، تحقيق: عمر العمراني، دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع، الرياض، 2008، ص 23.

⁶ أحمد بن محمد الفيومي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، ط 2، دار المعارف، القاهرة،

2000م، ص 63.

⁷ الفيومي، نفسه، ص 64.

بدعتان: بدعة محمودة و بدعة مذمومة فما وافق السنة فهو محمود و ما خالف السنة فهو مذموم.¹، و أخرج البيهقي في مناقبه عن الإمام الشافعي نفسه: " المحدثات ضربان: ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو إجماعا فهو بدعة الضلالة و ما أحدث في الخير لا يخالف شيئا من ذلك فهو محدثة غير مذمومة"²، حتى إنه - الشافعي - نفى إسم البدعة عما له أصل في الشرع فقال: " كل ما له مستند من الشرع فليس ببدعة و لو لم يعمل به السلف لأن تركهم للعمل به قد يكون لعذر قام لهم في الوقت أو لما هو أفضل منه أو لعله لم يبلغ جميعهم علم به."³ و قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء و الصفات دائما عند كلامه عن البدعة: " هي منقسمة إلى حسنة و قبيحة."⁴، و قال الحافظ ابن الأثير في النهاية: " البدعة بدعتان بدعة هدى و بدعة ضلال"⁴.

و يمكن تلخيص كل هذه المعطيات في ربط الإمام الشاطبي بين التعريف اللغوي و الإصطلاحي قائلاً: " و من هذا المعنى سميت البدعة بدعة، فاستخراجها للسلوك عليها هو الإبتداع، و هيئتها هي البدعة، و قد يسمى العمل المعمول به على ذلك الوجه بدعة، فمن هذا المعنى سمي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة، و هو إطلاق أخص منه في اللغة."

و ربما هذا الأمر الذي جعل البعض يحكم على ظاهرتي بناء الأضرحة و الدفن بالمساجد بالتبديع.

- مفهوم النازلة: يتفق جل العلماء على أن مفهوم النازلة لا يخرج عن معنى الواقعة التي تقع دون سابق ترصد، أي التي لم تخضع للتنبؤ أو التوقع أصلاً، قال ابن منظور: " و النازلة: الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس"⁵، و هو التعريف ذاته الذي كتبه الرازي في مختاره " النازلة الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس"⁶.

و تطلق النوازل في اصطلاح الحنفية خاصة على الفتاوى و الوقاعات، و هي مسائل استنبطها المجتهدون المتأخرون لَمَّا سُئِلُوا عن ذلك، و لم يجدوا فيها رواية عن أهل المذهب المتقدمين.⁷ كما تُطلق النوازل في اصطلاح المالكية و خصوصاً في بلاد الأندلس و المغرب العربي على القضايا و الوقائع التي يفصل فيها القضاة طبقاً للفقهاء الإسلامي.⁸

¹ الشافعي، الرسالة، ج3، مكتبة الحلبي، القاهرة، 1940م، ص 48.

² البيهقي، المناقب: باب الإعتقاد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981م، ص 104.

³ الشافعي، نفسه، ص 50.

⁴ ابن الأثير، النهاية، المكتبة العلمية، بيروت، 1972م، ص 706.

⁵ ابن منظور، المصدر السابق، مادة نزل، ج 11، ص 659.

⁶ الرازي، المصدر السابق، مادة نزل، ج 1، ص 273.

⁷ مُجَدِّ رواس قلعي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة و النشر، و التوزيع، دمشق، 2000م، ص 658.

⁸ نفسه، ص 671.

و النازلة هي المسألة التي لم نجد ذكراً لها أو لحكمها في النصوص، فكأنها نزلت بعد أن لم تكن.¹ ويمكن الإستنباط من العلاقة بين المعاني الإصطلاحية و المعنى اللغوي بأن النازلة في اللغة هي المصيبة الشديدة من مصائب الدهر تنزل بالناس، و من تأمل المعنى الإصطلاحي أدرك وجه العلاقة بينه و بين المعنى اللغوي، فإن وقع الحوادث و الوقائع الجديدة على المجتهد كوقع الشدائد على عامة الناس من حيث كونها مفاجئة له، و تتطلب منه أن يبذل وسعه و يستفرغ طاقته لاستنباط حكمها، لكونها لم يسبق فيها نص أو اجتهاد، و يكن القول أن ظاهرنا البناء على القبور و الدفن داخل المسجد نازلتان لم تكونا موجودتان في زمن نبينا الكريم، أو لم يفعلها على الأقل.

2/ الحكم الشرعي لمسألة البناء على القبور: لقد فصل الإمام المغربي أحمد الغماري في كتابه إحياء المقبور معطياً كل الإحتالات الممكن مصادفتها في هذا الشأن حيث يقول: " أعلم أن البناء على القبر إما يكون قبل الدفن بأن يدفن الميت في بيت أو مسجد أو حوش أو قبة أعدها لدفنه، و إما أن يكون البناء حادثاً بعد الدفن، و هذا الأخير إما أن يكون على نفس القبر و إما أن يكون حول القبر قريباً منه على قدره أو بعيداً عنه متسعاً، و هذا الثاني إما أن يكون مسجداً يصلي فيه و إما أن يكون قبة أو حوشاً، و الميت إما من عامة الناس و إما من العلماء و الأولياء الصالحين"².

و يواصل الإمام الغماري في نفس الصفحة تحليله الرائع حول هذه الظاهرة من جانبها الفقهي، فصنف أولاً الدفن في البناء ضمن دائرة الجواز و أنه لا شبهة فيه، و هذا ما نص عليه الفقهاء كلهم عدا الإمام أحمد ابن حنبل، الذي و رغم أنه يجيز ذلك إلا أنه يرى معها أن الدفن بمقابر المسلمين أولى، و أهم الدلائل التي بني عليها الجواز في هذه الحالة تمثلت في دفن النبي و صاحبيه أبي بكر و عمر داخل حجرة عائشة، و كذا الحديث الذي رواه ابن سعد في الطبقات قال: " أخبرنا محمد بن ربيعة الكلبي عن إبراهيم بن زيد عن يحيى بن مهامة عن عثمان بن عفان قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم قال " : إنما تدفن الأجساد حيث تقبض الأرواح " ، و معلوم أن الأرواح تقبض غالباً في البيوت.

¹ عبد الله محفوظ بن بية، سبل الإستفادة من النوازل و العمل الفقهي في التطبيقات المعاصرة، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، ج 2،

عدد 11، منظمة المؤتمر الإسلامي، جدة، 2006م، ص 533.

² أحمد عبد الله الصديق الغماري، إحياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور، و يليه: إعلام الراعي الساجد باتخاذ القبور مساجد، مكتبة القاهرة، القاهرة، 2008م، ص 5.

و أما الحالة الثانية التي تكلم عنها أحمد الغماري هي البناء بعد الدفن، فيقول فيه أنه إذا كان في الملك - يعني الأرض ملك للميت- فهو مكروه كراهة تنزيه، إذا أمن النباش و السرقة و الإنجراف، أو قصد به إحكام البناء للزينة، و إلا فهو جائز كذلك، و أضاف بعض المالكية للحكمان السابقان حكم ثالثا يتعلق بالحرمة إذا كان الغرض من ذلك التباهي، بينما أجازه البعض الآخر مطلقا، و في نفس الفصل أعطى الغماري بعض ما قاله مختلف الفقهاء فيها: " قال ابن حزم في المحلى: فإذا بني عليه بيت أو قائم لم يكره ذلك، و قال ابن مفلح في كتاب الفروع من فقه الحنابلة: و ذكر صاحب المستوعب و المحرر: لا بأس بقية و بيت و حظيرة في ملكه لأن الدفن فيه مع كونه كذلك مأذون فيه، و هو قول ابن القصار و جماعة من المالكية كما حكاه الخطاب في شرح المختصر.¹"

بينما إتفق الجميع على حرمة البناء فوق القبور إذا كان القبر في الأرض الموقوفة للمسلمين، و إختلف الفقهاء في هذا الحكم بالذات في نقطة واحدة هي إستثناء قبور الصالحين من عدمه، و من ذلك ما ذهب إليه العالم العز بن عبد السلام في فتواه بهدم القباب و الأضرحة الواقعة في قرافة القاهرة، لأنها واقعة في أرض موقوفة على دفن المسلمين، و إستثنى من ذلك قبة الإمام الشافعي، مبررا ذلك بكونها مبنية في دار ابن عبد الحكم²، و نفهم من ذلك جواز بناء القباب إذا كان ذلك في أراضي الملك لا أرض الحبوس أو الوقف، يزيد السيوطي أنه وافق في هذا كل من الماوردي من الشافعية على ما ذكره في كتابه الحاوي، و أيضا الإمام القدوري الحنفي³. بل أفتى الحافظ السيوطي صراحة باستثناء هدم قبور الأولياء و الصالحين و لو كانت في الأرض المحبسة و وافقه جماعة ممن جاءوا بعده من فقهاء الشافعية و قد ذكر هو ذلك في جزئه الذي سماه " بذل المجهود في خزنة محمود " فقال: الوجه الرابع أن من قواعد الشرع أنه يجوز أن يستنبط من النص معنى يخصه و ذلك معلوم، و قاس على ذلك حكم تهديم قبور الصالحين من عدمه⁴.

و إن من أكبر ما إستدل به الفقهاء في هذه القضية من النصوص القرآنية قوله تعالى في سورة الكهف: " وَ كَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ أَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ

¹ نفسه، ص 6.

² شقر مولاي أحمد ابن مولاي المأمون السباعي، الإبداع و الإتياع في تزكية شرف أبناء أبي السباع، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء،

1994م، ص 59.

³ نفسه، ص 61.

⁴ عبد الرحمان السيوطي، بذل المجهود في خزنة محمود، مخطوط، المكتبة الأزهرية، القاهرة، 1989م، ص 2.

عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا"¹ ، إذ تناسب قول الجواز بما جاء به المفسرون الكبار في كتبهم² - و خالفهم في ذلك العلامة عبد الرحمان السعدي في تفسيره- على أن أصحاب الكهف ماتوا و لما عثروا عليهم تنازعوا أمرهم، فإستقر العامة من المؤمنين على بناء مسجد عليهم.

و راح خلق من الشيعة إلى تحريم البناء فوق القبور، مع أنهم من أكثر الفرق المجيزة لبناء الأضرحة، بل إشتهروا بغلوهم في هذا الشأن، و من ذلك ما ذكره الشيخ المهدي القزويني المحسوب على التيار الشيعي في كتابه " القاضي الحق في رد الأخباريين" من أحاديث مرفوعة و غير مرفوعة عن النبي صلى الله عليه و سلم، حتى ذكر عن جعفر الصادق- رحمه الله- قوله :
" كل ما وضع على القبر من غير تراب القبر، فهو ثقل على الميت"³ ، و منها ما أورده الأستاذ رشيد رضا في مقال طرحه في مجلته المنار، أن إثنين من أكبر علماء الشيعة قد رفضوا هذا الأمر و قدموا نصوصا صريحة في تحريم ذلك ، هما الشيخ محمد حسين النجفي صاحب مؤلف "الجواهر" المتوفى أواخر القرن الثالث عشر ميلادي، و محمد بن يعقوب الكليني صاحب مؤلف الكافي⁴.

و قد أقر الكثير من العلماء و الفقهاء الرحالة جواز البناء على القبور من خلال زيارتها، بل و رغبوا في ذلك و الإعتناء بها، و من ذلك ما ذكره ابن مليح:

منازل سادات و مأوى أئمة عزيز علينا أن نلاقي لهم مثلاً.⁵

و في زيارة أبي الطيب الشرقي لضريح سيدي عقبة أثناء رحلته، مدحه قائلاً:

فها نحن وفد الله حجاج بيته و طيبة أو من طيبها الكون طاباً.⁶

و في الأخير يمكن أن نقول بأن القضية مختلف عليها بين الفقهاء، فهي محرمة إذا كانت في أرض المسلمين المحبوسة للدفن بإجماع، أو تتأرجح بين الجواز و الكراهة إذا ما كانت في الأرض الملك.

¹ سورة الكهف ، الآية 21.

² منهم السيوطي في الدر المنثور ، ج 4 ، ص 392. والقرطبي في تفسيره ، ج 10 ، ص 82. و نجده عند ابن كثير في تفسيره ، ج 10 ، ص 279.

³ أغا بزك الطهراني ، الذريعة ، ج 16 ، دار الإرشاد للكتب ، طهران ، 1981م ، ص 38.

⁴ حمد بن ياسر البحريني ، البدع و الخرافات و التقاليد و العادات عند الشيعة ، نشر: محمد رشيد رضا ، مجلة المنار الجزء الرابع ، المجلد الثالث عشر ، بغداد ، د ت ، ص 303-313.

⁵ هو أبو عبد الله بن أحمد القيسي الشهير بالسراج والملقب بابن مليح و ذكر هذا البيت في رحلته. أنظر: أنس الساري و السارب من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب ، تحقيق: محمد الفاسي ، مطبعة محمد الخامس ، فاس ، 1970م ، ص 64.

⁶ الرحلة كانت سنة 1726 م ، و هي مخطوطة محفوظة في جامعة لايبزك ، تحت رقم 746 . و للإطلاع على محتواها أنظر: رحلة الشرقي ، تحقيق: نور الدين شوبد ، دار السويدي للنشر ، دبي ، 2013 ، ص 40.

3/الحكم الشرعي لمسألة الدفن داخل المساجد: لقد إختار الله تعالى المساجد لتكون بيوته في الأرض، و هذا التشريف للمساجد جعل الله تعالى يضيفها إلى إسمه في قوله عز و جل: " وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا " ¹، و تعتبر المساجد أحب البقع إلى بدليل حديث المصطفى صلى الله عليه و سلم: " أحب البلاد إلى الله مساجدها، و أبغض البلاد إلى الله أسواقها." ²، و لقد سن بناء المساجد في الأرض إقتداء بما فعل رسولنا الكريم صلى عليه و سلم، ثم صحابته من بعده و تابعيهم، و تواصل الأمر إلى يوم الدين هذا، و إرتبط هذا البناء بمجموعة شروط هي في أصلها تنحصر بين شروط صحة و شروط قبول، و لعل أولها الإخلاص لوجه الله تعالى و المال الحلال ، و أهمها الإبتعاد عن البدع و الخرافات في عمارتها، هذا ما إتفق عليه جميع العلماء و الفقهاء من شتى المذاهب الإسلامية دون خلاف، في حين بقي الإختلاف بينهم في تحديد الأمور الجائز تواجدتها في المسجد أو المرتبطة به من الأخرى غير جائزة، و من هذه القضايا المختلف في حكمها نجد قضية: " الصلاة بمسجد به قبر " بشطريها، الدفن داخل المساجد أو بناء المسجد فوق القبور.

و لعل الكثير يرجع أصل هذه القضية إلى زمن إدخال قبر الرسول صلى الله عليه و سلم لمسجده، فالمتتبع لقصة تطور المسجد النبوي من خلال المصادر أو المراجع يرى إتفاقها هي الأخرى أن المسجد النبوي لم يتعرض للتوسعة في عهد أبي بكر الصديق، بل تركه كما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم قام عمر بن الخطاب بتوسعته من جوانبه الثلاث عدا جهة القبر الشريف، إذ تفادى عمر إدخاله في المسجد، و نفس الشيء عمل به عثمان رغم أن عهده شهد بناء المسجد بالحجارة المنحوتة و توسعته، و بقي القبر على حاله إلى أن أمر الوليد بن عبد الملك بن مروان عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز بتوسيع المسجد أكثر و أن يدخل الحجرة النبوية المشتملة على القبر فيه و أن يزخرف المسجد ³، فاستشار عمر الفقهاء في المدينة على ذلك فكرهوا ذلك، فراسل عمر الوليد في ذلك غير أن هذا الأخير أصر على تنفيذ الأمر، و في هذا الأمر يقول المناوي -رحمه الله-: " و أول من زخرف المساجد هو الوليد بن عبد الملك، و سكت كثير من السلف عن ذلك، خوفا من الفتنة، و هو أول من أدخل القبر

¹ سورة الجن ، الآية 18.

² رواه الإمام مسلم في صحيحه تحت رقم 671 ، من حديث أبي هريرة -رضي اله عنه- ، ص 288.

³ ذكره هذا الأمر العديد كإبن كثير في البداية و النهاية ، ج 9 ، ص 75. و كذلك ذكرت في فيض القدير لمؤلفه الإمام المناوي ، ج 5 ، ص 426. و نقلها عنه الحافظ بن حجر في الفتح ، ج 1 ، ص 540.

الشريف إلى المسجد".¹، و تعتبر هذه القضية هي الأصل في جواز الدفن داخل المساجد عند من أجاز ذلك، بينما المعارضون إحتجوا بحديث البخاري - رقم 435 - أن عائشة و عبد الله بن عباس قالا: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " لعنة الله على اليهود و النصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "، و وردت نصوص كثير للفقهاء إستدلوا بها جواز الصلاة إلى القبر، كما روى البخاري عن سيدنا عمر ابن الخطاب أنه رأى أنس بن مالك يصلي عند قبر، فقال له: " القبر القبر و لم يأمره بالإعادة".²، و واصل البخاري في صحيحه روايته للحديث الذي ذكره كذلك الإمام أحمد قال: " عن نافع أن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم صلى من وراء العرج، و أنت ذاهب على رأس خمسة أميال من العرج، في مسجد إلى هضبة، عند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة، على القبور رضم من حجارة على يمين الطريق عند سلامات الطريق، و هي بين أولئك السلامات فكان عبد الله يروح من العرج بعد أن تميل الشمس بالهجرة، فيصلي الظهر في ذلك المسجد إقتداء بسنة النبي"³. و ورد عن الطبراني ذكره: حدثنا عبدان بن أحمد، ثنا⁴ عيسى بن شاذان، ثنا أبو همام الدلال، ثنا إبراهيم بن طهمان، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " في مسجد الخيف قبر سبعين نبيا "، و أضاف في نفس مصنفه: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا عبد الله بن عمر بن أبان، ثنا محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: " أول من طاف بالبيت الملائكة، و إن ما بين الحجر إلى الركن اليماني لقبورا من قبور الأنبياء، و كان النبي إذا آذاه قومه خرج هو من بين أظهرهم فعبد الله فيها حتى يموت "⁵، و هذه بعض النصوص عن الصلاة داخل مسجد به قبر. و من هنا نلاحظ تواصل الإختلاف فيما يخص قضية الدفن داخل المساجد أو بناء المساجد على هذه الأخيرة أصلا.

و من الجمع بين كافة المنطلقات و المعطيات الواردة فيما يخص إشكاليتنا البناء على القبور و الدفن داخل المسجد، نجد أن هاتين الظاهرتين ترسختا لدى معظم مجتمعات المغرب العربي و مصر، على الرغم من وجود خطاب فقهي مناوئ لها يراها بدعة تمس في أساسه جوهر العقيدة

¹ الإمام المناوي، نفسه، ج 5، ص 430.

² ذكره البخاري تحت رقم 427، ج 1، ص 93.

³ حملت هذه الواقعة رقم 488 عند البخاري، و ذكرها الإمام أحمد في مسنده تحت رقم 5598.

⁴ هي إختصار لكلمة: حدثنا، و هي مشهورة في كتب الحديث.

⁵ النسان ذكرهما الطبراني في الكبير، و حملا الرقم 13525 و 12288 على التوالي.

الإسلامية – التوحيد- ، غير أن هذا الخطاب لا يلقي إستجابة و لا نجد له صدى وسط القطاعات الإجتماعية الواسعة.
و الله أعلم.

المبحث الثالث: دور الأضرحة في تكوين التجمعات السكنية الريفية و الحضرية.

إن التجمعات السكنية العربية الإسلامية على حد قول الأستاذ رفعت الجادرجي ليست مجرد ظاهرة جغرافية أو تاريخية فحسب ، بل هي أولا و قبل كل شيء ظاهرة دينية اتسمت بتعبير و تنظيم مكاني حسب ما جاء في التشريع الإسلامي، إذ امتزجت فيها القوانين المادية بالقيم الروحية¹.

المطلب الأول: لمحة سوسولوجية عن الأضرحة

لو تأملنا في تصنيف التجمعات السكنية من حيث أصل نشأتها لوجدناها متعددة من عسكرية أو أربطة أو أميرية أو إدارية وصولا إلى تجمعات المراقد المقدسة ، هذه الأخيرة يقول عنها الأستاذ مصطفى عباس الموسوي أنها تعبير صادق عن جوهر الإسلام و تعاليمه و مفاهيمه، و قد تمثلت فيها جميع خصائص المدينة الإسلامية في تخطيطها الذي إنسجم مع مبادئ الدين الإسلامي و قيمته، وترجمت في هيكل عمراني مميز، و قد أوجدت المراقد المقدسة و الأضرحة لدفن الأئمة و العلماء و الصالحين و أصبحت كنوة لتجمعات سكنية مدنية أو قروية².

¹ رفعت الجادرجي، الثرات ضرورة، مجلة إتحاد المهندسين العرب، العدد 37، الأمانة العامة لإتحاد المهندسين العرب، بغداد، 1985، م، ص23.

² مصطفى عباس الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة و تطور المدن العربية الإسلامية، مطبعة دار الجبل، بيروت، 1923، م، ص159.

لقد شبه الأستاذ بجامعة الشلف سيدي عابد عبد القادر التجمعات السكنية المؤسسة من طرف الأولياء كتأسيس المدينة المنورة فيقول مبينا ذلك: "إن دور الأولياء في العمران من خلال تأسيس القرى و المدن يشبه إلى حد بعيد قصة تأسيس مدينة مكة المكرمة ، فقد فجر الله ماء زمزم بين رجلي إسماعيل عليه السلام ، ثم بعد ذلك قام إبراهيم مع ابنه إسماعيل ببناء الكعبة بأمر إلهي أيضا ، حيث نلاحظ أن الماء و مكان العبادة هما أساس العمران ، و هذه الظاهرة نجدها تتكرر لدى الأولياء الذين ينحدرون من سلالة النبي "الأشراف" و يمتازون بالعلم الديني ، و أول ما يقومون به هو توفير الماء بجفر بئر و بناء مكان للعلم و العبادة، أما الأولياء الذين لم يقوموا بأي دور في العمران مثل أولئك المتواجدين في المراكز الحضرية القديمة كالقرى و المدن فقد أسند لهم دور ضمان الحماية و الإستمرارية"¹ .

و في نفس السياق يواصل دونوفو قائلا: " الزاوية هي عبارة عن مكان تجمع من حولها بين عشرين و ثلاثين مسكنا.... و أحيانا تشمل مدينة بكاملها، كما هي منتشرة في الصحراء الجزائرية، و هي بناية مربعة الشكل تعلوها قبة تبنى تكريما للمرابط، و قد تكون مأوى للمتصوفين و الفقراء"² .

هذا و قد ظهرت الأضرحة في المناطق التي عرفت تواجد الطرق الصوفية، و عندما تتعدى سمعة المرابط حدود المكان الموجود به، تحط بالقرب منه عائلات تسكن خياما بالية أو أكواخا من طين و أغصان، و يكبر التجمع حول المرابط، بحيث يكون دوارا أو دشرة، يقترح شيوخ التجمع على ذلك المرابط بناء زاوية له، للعبادة و المهام الأخرى، ثم الزواج من بناتهم، فيتكون من أبنائه و أحفاده أسرة تكون محل التقدير و الإحترام، و عند وفاة المرابط، يرفع له أبنائه و أحفاده و المعجبون به فوق قبره، قبة تحت ظلها تصلي الجماعة و تنمو، و تنقل بوفاء ما حفظته من ذكر جدها المقدس، يمكن أن يكون المرابط أحمد بن يوسف الملياني مثلا لما ذكر أعلاه، فقد تزوج من القبيلة التي إستقبلته بالزاوية و أسس ثم درس بالزاوية و خلف ذرية، رغم أنه لم يدفن هناك، لكن ذريته أصبحت فيما بعد قرية و تسمت بإسمه (قرية آيت أحمد بن يوسف)³، كذلك المرابط سيدي بوزيد (القرن 10هـ /16م) الذي اختلى في جبل عمور لكن

¹ سيدي عابد عبد القادر ، التصورات الثقافية للعلاج التقليدي لدى زوار الضريح: مقارنة سيكو أنثربولوجية ، مجلة دراسات في التنمية و المجتمع ، العدد 5، جامعة حسبية بن بوعلي ، الشلف ، 2017م ، د ص .

² ايوارد دونوفو ، الإخوان دراسة اتنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر ، ترجمة: كمال فيلاي ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2003م ، ص 26 ، و انظر أيضا : خنقوق إسماعيل ، دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس (1844م-1931م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2011م ، ص 78 .

³ أحمد ساهي ، أحمد بن إدريس الأيلولي و دور زاوية في التراث العربي الإسلامي ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 7 ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1993م ، ص 65 .

سمعتة سبقتة و التف حوله الناس و بعد وفاته رفعوا له قبة و سكنوا بالقرب منها و المرابط سيدي منصور الجنادي المتوفى في 1055هـ/1645م فقد استقبلته قبيلة ببلاد القبائل و ولد له هناك عقب¹، و سرعان ما توسعت مساحة المجال المقدس لتشمل قرية كاملة بإسم مؤسس نواتها.

المطلب الثاني: نماذج عن اعتماد الأضرحة كمنطلقات للتنظيم الإداري بالجزائر يرتبط المكان بعدة أشياء تؤدي وظيفة معينة، فهناك الأماكن الأسطورية و أخرى خرافية، كما ارتبطت الأضرحة عادة بإسم مؤسسها، فعندما يتعدى صيتهم المكان الذي يتواجدون فيه، فحتمًا سيقصدهم الناس من كل مكان، و يقيمون حولهم حتى يكبر المكان ويعمر² و يصبح قرية، ثم سرعان ما يقيم هؤلاء الأشخاص زوايا للعبادة بهذه القرى، و عند وفاة الولي يقوم الأبناء و الأحفاد و الطلبة ببناء ضريح تعلوه قبة يصبح مزارا مع مرور الوقت، و يعتبر هذا الولي الجد المقدس الذي تنتمي إليه كل القرية و ما جاورها من قرى، فتبنى حوله الغرف ثم المساكن³. و ربما يمكننا الكلام عن دور المجالات المقدسة كالأضرحة في تكوين التجمعات الجزائرية بداية من الفترة العثمانية، بحكم كثرة رجال الدين المتصوفة و سيطرتهم على المشهد الاجتماعي و الديني و حتى السياسي، و من هذا المنطلق يقول الأستاذ فيلالي مختار الطاهر: " إن اختيار المرابطين لبعض مناطق الجزائر مقرا لهم و مجالا لممارسة نشاطهم ساعدهم على بسط نفوذهم و

¹ Ahmed Boulifa, Le Djurdjura a travers l'histoire, organisation et indépendance des Zouaoua, J. Bringuat imprimeur-editeur, Alger, 1925, p 8.

² لذلك سميت الزاوية والضريح في بلاد القبائل باسم "تَمَعْمُرْت"

³ صباح بعارسية، حركة التصوف في الجزائر خلال القرن 10هـ/16م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006م، ص58.

الأضرحة

انتشارهم نظرا لحاجة السكان لمن يعلمهم و يوجههم، و لقد كان سكان الريف يمثلون النسبة الكبيرة في مقابل قلة الحواضر أو المدن آنذاك.¹

إن فكرة القداسة مهما تلونت و مهما اختلفت زمانا و مكانا جعلت الولي شخصية كارزمية، و ساهمت حسب الأستاذ مُجَّد مكحلي في تبوء المراتب العليا منها أصل المدن و الإرتباط بها². و قد أعطى دوماس مثالا عن هذه الفكرة، فقد ذكر أن أولاد دحو هم قبيلة تعيش حول ضريح سيدي دحو بين شعبة الريح شمالا و هضبة غريس شرقا و مدينة معسكر جنوبا و أغاليك الغرابة غربا، حيث كان الضريح وحده ثم بنى أحفاده و تلامذته مستقرا حوله، و توسع في آخر المطاف، و سمي الكل بأولاد دحو³، و نجد هذه الظاهرة منتشرة كثيرة في القصور⁴ الصحراوية إذ لا يخلو قصر من الضريح، هذا الأخير الذي يتوسط القصر، بل يتعدى ليأخذ القصر إسم الضريح، مثل قصر سيدي بوتخيل بالعين الصفراء، و يمكن الإضافة أن الطرق الصوفية تنتشر حيث يوجد المسلمون متجاوزة حدود البلدان، و تنشأ حول ولي صالح مؤسس تعرف بإسمه⁵. و كمثال آخر ففي جانفي 1843 أقامت إدارة الإحتلال الفرنسي حصن و ثكنة قرب ضريح الولي الصالح سيدي بلعباس البوزيدي لحماية و تأمين المواصلات ما بين وهران و تلمسان من جهة و مراقبة النشاط الثوري القبائل المنطقة من جهة أخرى، ثم أنشأت المدينة برمتها حول هذا الضريح.

و عادة ما تنشأ المدن الدينية حول نواة صغيرة هي في الأصل حجر مقدس أو ضريح أو قبر، و تشكل هذه النواة أول مظهر لنشأة المدينة ثم تنمو أوجه النشاط الأخرى مع الزمن و تجذب السكان تدريجيا، و ينحصر كل النشاط المدني داخل هذا الإطار الديني الرئيسي⁶.

¹ فيلالي مختار القاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية و أثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن الجرافيكي للطباعة و النشر، بالنة، الجزائر، 1984م، ص 27.

² مُجَّد مكحلي، سيدي بلعباس البوزيدي ولي و ولاية: دراسة تاريخية أنثروبولوجية، مذكرة مقدمة لإتمام متطلبات نيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 1999م، ص أ.

³ E Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara (1837-1839)*, Collection de documents inédits par le Gouvernement Général d'Algérie, édition Jourdan, Paris, 1921, P 130.

⁴ القصر: هو الإسم الذي يغلب على تسمية مدن الصحراء و الواحات، و يعرف مورفولوجيا أنه كتلة كثيفة متماسكة و متجانسة تمتد أفقيا ذات علاقة بمساحة مرتبطة بها هي الواحة، و هو كذلك المكان المأهول بالسكان به مجموعة مساكن موحدة الشكل و اللون محاطة بسور مرتفع تتخلله أبواب و فوفه أبراج مربعة أو مستديرة على جانبي القصر، أنظر: بيدي مُجَّد، الخصائص العامة لقصور الجنوب الغربي الجزائري: فصور عين الصفراء أنهودجا، مجلة دراسات، المجلد الخامس، العدد الأول، جامعة بشار، 2016م، ص 267.

⁵ سليم بركات، المجتمع العربي المعاصر: بحث إستطلاعي إجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 3، القاهرة، 1986م، ص 265.

⁶ مصطفى عباس الموسوي، المرجع السابق، ص 159.

1/ مشروع القرى الفلاحية الإشتراكية: إن سياسة السكن الريفي التي تندرج في إطار الإستراتيجية الشاملة منذ الثورة الزراعية ترمي إلى ربط تطور هذا القطاع بأعمال إعادة التنظيم و عصرنة نظام الإنتاج الفلاحي، و قد نتج عن هذه السياسة أكبر مشروع آنذاك بالنسبة للسكن الريفي ألا و هو مشروع القرى الفلاحية الإشتراكية، الذي كان الهدف الرئيسي منه إنشاء مراكز سكنية تكون في البداية كقاعدة فنية للإنتاج، و محلا تجري فيه الحياة الجماعية للسكان، و كانت نتيجة هذا المشروع ظهور تجمعات سكنية شبيهة بالتجمعات الحضرية تتوفر بها هياكل قاعدية، و تجهيزات عمومية مختلفة، إلا أن هذه القرى لاقت في بداية الأمر عزوفا من السكان عن الإقامة بها نتيجة عدم إشراكهم في المشروع و عدم مراعاة الطابع الإجتماعي و الإقتصادي و الثقافي لسكان الريف.

وأما ماهيتها، فهي قرى تم تأسيسها في السبعينات (في عهد الرئيس هواري بومدين رحمه الله) لتشجيع الفلاحين حيث شيدت هذه القرى في مناطق داخلية نائية و توزع آلاف الهكتارات من المناطق الزراعية للفلاحين لإستغلالها، و أمدت الدولة الفلاحين كل المستلزمات ، فإزدهرت الزراعة في ذلك الوقت لكن الفكرة لم تكتمل بعد وفاة الرئيس بومدين، حيث شيدت حوالي 300 قرية فقط و المشروع كان يطمح ل 1000 قرية إشتراكية.

و تعتبر العلاقة بين الماء و الوالي الصالح ضمن مجال واحد من أهم الأساسات في إختيار مواضع التجمعات السكانية، و هذا ما جعل هذا المجال هو المجال الأمثل لإستقطاب القرية الإشتراكية، لكون هذه الأخيرة مبنية في أصلها على النشاط الفلاحي، و هذا النشاط هو نفسه الذي نشطت فيه المجالات المقدسة خاصة مؤسسة الزاوية، بإعتبار هذه الأخيرة تقوم بالتصرف في الملكيات الموقوفة عليها و لها، و لا يخفى على أحد منا العلاقة بين مؤسسة الزاوية من جهة و بين نشأة أو قيام عمارة الأضرحة، و من ذلك ما أشار إليه الأستاذ مُحَمَّد مكحلي عن إستطلاع لجريدة الخبر متعلق بهذا الأمر، و بالفعل فبعد ولوجنا إلى أرشيف الجريدة المتاح على الأترنت، وجدنا أن الجريدة المذكورة قد قامت بإستطلاع بينت فيه كيف تعرف الشواطئ التي بها أضرحة الأولياء إقبالا عن غيرها من الشواطئ من قبل المواطنين على إختلاف أعمارهم و جنسهم¹.

¹ حبيب ماني، مفهوم البحر في الثقافة الشعبية بوهران، جريدة الخبر، العدد 2625، السنة التاسعة، 1999م، ص 12.

2/التقسيم الإداري لسنة 1984م: لقد مر التقسيم الإداري في الجزائر إلى يومنا هذا و كما هو معلوم بعدة مراحل كبرى، لعل أهمها التقسيمات الإدارية لسنة 1967م و التي إنبثقت عنه و بموجبه قائمة تضم 15 ولاية، ثم أعقبه بعد سبع سنوات (1974م) تقسيم جديد قسمت بموجبه البلاد إلى 31 ولاية، بينما آخر تقسيم شامل كان سنة 1984م و الذي أحدث بموجبه 17 ولاية جديدة، ليصبح العدد الإجمالي للولايات هو 48.

و لقد تم الإعتماد على مجال قداسة الأولياء الصالحين في هاته التقاسيم الإدارية، فعدة تجمعات إدارية أخذت مصدر وجودها إنطلاقا من ولي صالح، هذا الأخير الذي مر بمنطقة ما فلبى نداء ربه بالدعوة إليه و تعليم شرائع دينه، فكان وجوده هو العامل الأسمى لتوحيد القبائل من حوله. و أشار م. مكحلي في دراسته، إلى أن إرتباط المدن بالأولياء ليس وليد العصر الحديث - يقصد به هنا الفترة المعاصرة و ليست الفترة الحديثة بمفهومها التاريخي - ، بل قد تجمعت عبر التراب الوطني أسماء واضحة، يعود تاريخها إلى قرون مضت¹.

فبعد الإستقلال و خلال أول التنظيمات الإدارية في الجزائر، ساهمت الدولة الجزائرية في تكريس الممارسات الطقوسية التي تم توارثها منذ التواجد العثماني مرورا بالفترة الإستعمارية، و عملت في نفس السياق إحياء الهوية الثقافية للشعب من أجل إحداث القطيعة و القضاء على مخلفات المستدمر الفرنسي، و لعل ظاهرة الأولياء الصالحين من أولى هذه المقومات، بحيث تم تغيير الأسماء الفرنسية للتجمعات السكنية و إطلاق أسماء الأولياء الصالحين عليها، عاشوا بإقليم هذه البلديات و يحضون بالتقديس و الإحترام².

و لعل عدة ولايات إنبثقت عن التقسيم الإداري الأخير، كانت في الأصل عبارة عن تجمعات في إطار القرى الإشتراكية و إقترنت أسمائها بالمجالات المقدسة عامة و الأولياء الصالحين بصفة خاصة، و يمكن القول أنه لم تخلو أي مدينة أو قرية من وليها الصالح، و الذي ربما كان سببا في نشأتها.

¹ مُجّد مكحلي، المرجع السابق، ص86. و ضرب لنا في هامش نفس الصفحة أمثلة منها: لالة مغنية مع مغنية، بني صاف مع سيدي الصافي الصافي و تلمسان مع سيدي بومدين، و سيدي يحي مع سبدو.. الخ.

² نفسه، ص109. مع الإشارة إلى ان الأستاذ مُجّد مكحلي ربط فكرته هذه ببلديات سيدي بلعباس، بينما أسقطناها نحن على كل التجمعات السكنية بالجزائر.

الفصل الثاني:

دراسة وصفية للنماذج المختارة

مبحث 1: الأضرحة المتصلة بالمساجد

مبحث 2: الأضرحة المنفردة

إستهلال : التوزيع الجغرافي للأضرحة بمنطقة ولهاصة

لقد أعطت الأستاذتان دحماني صبرينة و مطروح أم الخير تفصيلا لأهم المواضع التي يمكن لأضرحة الأولياء الصالحين أن تتمركز فيها¹، فذكرتا أن الأضرحة تكثر في الريف و تزداد كلما اتجهنا نحو الغرب و هاتان الخاصيتان منطبقتان تماما على أضرحة منطقة ولهاصة، و نجدها في الجوار المباشر لأبواب التجمع السكني كأضرحة الشهبانة و ضريحا أولاد عمار، و في المقابر خاصة كضريح سيدي أحمد بطربان و أولاد بودلال بتادماية و سيدي الجازولي، و المرتفعات أيضا تعد من الأماكن الملائمة لدفن الصالحين مثل ضريح سيدي رحمون و ضريح سيدي المدني، كما نجدها في كثير من الأحيان في الجوار المباشر للمسجد كضريح سيدي يعقوب و سيدي ورياش، و لم تذكر الأستاذتان حالتين لمواقع تتركز الأضرحة نجدها كثيرا في منطقة ولهاصة، و هي الأضرحة الموجودة في أسفل الوديان كضريحا سي الطاهر و سيدي اعمر بطربان و ضريح سيدي البشير بنبي زهنة، و الحالة الثانية تتمثل في الدفن داخل المساجد و هي كثيرة بالمنطقة منها سيدي لعرج و مسجد البوحميدي و سيدي محبوب.

إن توزع الأضرحة في منطقة ولهاصة لم يأتي عشوائيا، و إنما إرتبط بظروف و أحوال و قواعد، لعل أبرزها إختيار المكان الأمثل للضريح، أولا من حيث تموقعه و الوصول إليه فأغلبها في المرتفعات المطلة على البحر أو المطلة على التجمع السكني في حد ذاته، أو في مداخل هذه التجمعات أو مراكزها، ثم مراعاة ترتيبها ثانيا، فالأب و أبناءه على يمينه أو يساره، و في الأحيان الأخرى في قبلته و بانحدار قليل، و في خط واحد من الأب إلى الأبناء الذين خلفوا الأب، و المرأة تدفن عادة مع زوجها في نفس الضريح أو من حوله.

يرجع التواجد الكبير للأضرحة بمنطقة ولهاصة إلى عدة عوامل لعل أبرزها هو كونها مركز إستقطاب للأشراف (عائلات الشرفة)، و هذا الإستقطاب كان لتوفر عدة عوامل رئيسية يمكن حصرها في:

العامل الطبيعي: و يظهر ذلك من خلال البيئة الطبيعية الجميلة بالمنطقة، بداية من كثرة الأشجار المثمرة، مروراً بالأراضي الخصبة و توفر المياه، وصولاً إلى إعتدال المناخ.

¹ مطروح أم الخير و دحماني صبرينة نعيمة، الأضرحة بهمدنة تلمسان: دراسة نموذجية، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، العدد 10، جامعة لخضر حمدة، واد سوف، 2016، م، ص 252.

-العامل الإقتصادي: يتمثل في تعدد موارد الرزق، كما قال عن المنطقة كاتب الأمير عبد القادر السيد بن رويلة قدور: " يعقد بها سوق كل إثنين، فيه ما فيه من الماشية و الحبوب و العسل و الزيت، و تصله المنسوجات و حاجات الخيل و البغال"¹.

-العامل الإجتماعي: مثل الأشراف فئة مثقفة في شتى العلوم، و قد حرص الشرفاء على توصية أبناءهم بالعلم، و هذا ما جعل الأشراف يحضون بتبجيل و إحترام و تقديس الأشراف و بناء أضرحة على قبورهم.

¹ قدور بن رويلة بن مُجَّد، ديوان العسكر المحمدي ، تحقيق: مُجَّد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، د ت، ص7.

المبحث الأول: الأضرحة المتصلة بالمساجد¹

يمكن الإستدلال على كثرة أضرحة المرابطين في منطقة ولهاصة من خلال الإحصاءات التي قدمها بعض الكتاب خاصة في العصر العثماني أو في فترة الإحتلال الفرنسي، و نجدها أكثر في كتب الرحلات، و تقسم الأضرحة بولهاصة إلى قسمين : القسم الأول أضرحة مستقلة تقوم في الأعالي أو الوديان أو بالمقابر أو حتى بالقرى، وقسم ثاني ملحق بالمساجد و الزوايا، أما عمارتها فهي الأخرى جاءت مقسمة إلى ثلاث أنواع : أضرحة داخل المسجد ، أضرحة عادية و تقسم إلى تلك المتصلة بالجوامع و المساجد أو الزوايا، أو تلك المنفردة، و أضرحة بنصف سور أو حويطات، و في مبحثنا هذا سنتطرق إلى القسم الثاني من الأضرحة، أي الأضرحة المرتبطة بعمارة دينية أخرى كالمساجد و الزوايا، على أن نتطرق في المبحث الذي يليه إلى الأضرحة المنفردة المستقلة مكانيا.

المطلب الأول: أضرحة المساجد

عندما يقوم أحد الأئمة مما أشتهر بالصلاح و العلم بتدريس مختلف العلوم في مسجد ما، فإن وفاته تتطلب أن يدفن بالقرب من مسجده ذاك و يقيم له تلامذته قبة على قبره ، هذه هي الفكرة الأساسية لانتشار هذا النوع من الأضرحة، و هي كثيرة جدا في مختلف العالم الإسلامي، هذا ما إصطلحنا عليه هنا ضريح المساجد، و يدخل ضمنه كذلك تلك القبور لأصحابها الموجودة داخل المساجد، و بتبسيط العبارة فإن المسجد في هذه الحالة تم بناءه قبل دفن الشخص الصالح الولي التقي العابد.

1/ مسجد سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني و ضريحه:

الموقع: يقع المسجد و الضريح بالقرية المسماة باسم صاحبها سيدي يعقوب، تحت قمة جبلية تفصل بينه و بين البحر، و نصل إليهما عبر طريق معبد إطلاقا من قرية سيدي رحمون المجاورة. **الترجمة:** هو سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني، ولد في متوسط ثمانينات القرن الثالث عشر الميلادي²، و تقريبا حوالي 1286م³، أصله الأول يعود للجد سيدي يعقوب بن الشريف⁴

¹ في دراستنا الوصفية للنماذج المختارة تم التوقف في التفريق بين الأسكوب و البلاطة بالقاعدة التالية : تتكون بيت الصلاة للجوامع و المساجد من مجموعة من البلاطات العمودية على جدار القبلة و الأساكيب الموازية له ، و تختلف أعدادها ، و مقاساتها من حين إلى آخر ، و ما يميز هذه البلاطات أحيانا هو ذلك الاتساع الذي يميز البلاطة الوسطى.

² محمد بدّاد ، إسهامات الفكر الصوفي الجزائري في إثراء الثقافة العربية الإسلامية ، الملتقى الوطني حول "أمجاد الفكر الصوفي الجزائري" ، دار الثقافة ، عين تموشنت ، 2011، ص4.

³ وجاء على أنه ولد في 1283م ، انظر : Said Mouas, Aïn Temouchent à la rencontre du feu sacré , la maison de la

culture d'Aïn temouchent , 2009, p91.

⁴ أحمد العشماوي ، السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في اسهاب اهل البيت المطهر ، الكتاب الثاني ، المطبعة الخلدونية ، تلمسان ، 1961 ، ص115.

المغراوي المدفون في قرية عين تامدة شمال مازونة، فسيدي يعقوب شريف النسب من سلالة النبي ﷺ، فهو ابن الحاج التلمساني بن سيدي يعقوب بن محمد بن احمد بن عبد الله بن عبد الخالق بن علي بن عبد القادر بن عامر بن رحو بن مصباح بن صالح بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن سليمان بن محمد بن أحمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي ابن فاطمة بنت الرسول ﷺ¹، أما عن نزول سيدي يعقوب إلى بلدة ولهافة فهناك روايتان متواترتان عن سبب قدوم الولي الصالح إلى المنطقة، الرواية الأولى هي أن مجيء الشيخ إلى المنطقة سببه أن أحد أمراء تلمسان أرسله إلى هناك لوضع حد للصراع بين قبيلتي "أولاد عمار" و "أولاد هداج" بصفته قاضي، فأهدى له أهل اولاد عمار تلك الرقعة ليسكن ويتعبد فيها²، أما الرواية الثانية (و هي الأكثر تداولاً) حسبها فإن سبب مغادرة الولي من تلمسان الى ولهافة، راجع إلى الفتن التي حلت بتلمسان، و أهمها حصار ملوك المغرب الأقصى (المرينيين) لتلمسان في 737هـ/1336م³.



صورة رقم (4): مسجد و ضريح سيدي يعقوب - من تصوير الطالب-

¹ ابن الملقن، طبقات الاولياء، تحقيق: نور الدين شريعة، ط4، مكتبة الخانجي، بيروت، 1994، ص450.

² مقابلة مع سيدي يعقوب عبد الوهاب، مقدم وإمام زاوية سيدي يعقوب، 25 ديسمبر 2016.

³ يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم و تحقيق: عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م، ص219.

الوصف العام : يتكون المسجد من وحدتين الصحن و بيت الصلاة، الأول يتواجد في الناحية الشمالية من المسجد ، و هو غير منتظم الشكل يبلغ أقصى طول فيه 22.31م تقريبا، بينما أقصى عرض فيه حوالي 12.53م تقريبا، في حين طول كل محيطه يبلغ تقريبا 74.41م، و يتواجد به مساحات خضراء و قبور لأفراد العائلة، و جب مائي مستطيل الشكل طوله حوالي 15م وعرضه حوالي 6 م بينما ارتفاعه 5 أمتار، يسع حجما من الماء قدره 250 مترا مكعبا، بينما يقع في الجهة الشرقية فناء يحوي الميضاة داخل مساحته و هي ذات طول 4.72 م وعرضه أقل منه قليلا 4.40 م، و بابها خشبي عرضه دون عضداته ¹ 80 سم، و ارتفاعه دونها كذلك 1.81 سم، بينما بيت الصلاة فقد جاءت مساحتها (10×9.60م)، وهي مكونة من ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، و أربعة أسايب موازية له، و هي ذو شكل مستطيل²، طول جدارها الجنوبي و الشمالي 10م، أما الجدار الشرقي (جدار القبلة) و الجدار الغربي فطولها 9.60م و 9.20م على التوالي، و لها أربع مداخل أحدهما رئيسي نصل إليه من الخارج بمساحة صغيرة لوضع الأحذية، مسبوقه بأربع درجات طولها 82 سم وعرضها 39 سم وارتفاعها 32 سم إنطلاقا من الفناء الخارجي، و يتوسط جدار القبلة محراب ذو تجويف خماسي الأضلاع ارتفاعه الكلي 2.57م بقوسه الذي ارتفاعه في تمام المتر الواحد تقريبا و قطره 1.12م، و سابقا كانت جوانبه مغطاة برخام³، كما كانت جدرانها تحمل زخارف عبارة عن نقوش لآية الكرسي ، و الحكمة السابعة والعشرين من الحكم العطائية لإبن عطاء الله السكندري⁴، أما تسقيفها فهو جملوني من ثلاث صفوف (أحدها لم يعد له وجود نتيجة القصف الذي تعرّض له المسجد) تتركز على ألواح خشبية من الداخل، و ما بين الضريح و بيت الصلاة بجهتها الشمالية مئذنة منفصلة رغم تزامن بناءها معه⁵، و هذا بسبب آلية جمع مياه الأمطار التي توسطت المسجد و المئذنة، و يبلغ ارتفاعها 16.55 م، حيث طول بدنها 15.02م و طول جوسقها 1.53 م تقريبا، هذا الأخير به حفرة صغيرة في أعلاه و هي مكان لسفود يعلوه هلال لم يعد له وجود، و به فتحة في شرقه نصل بها إلى شرفة المئذنة ارتفاعه 91 سم وعرضه 72 سم، و مدخلها في جهتها الشرقية يفتح على

¹العضد: هيكل الأبواب و النوافذ ، و هي العنصر المرتبط بالباب و الجدار و الرابطة بينهما ، و في ميضاة مسجد سيدي يعقوب قدرت بـ 2.80 سم عرضا و 1.96 سم ارتفاعا.

²كانت في الأصل ذو شكل مربع ، لكن بعد القصف تم إعادة بناء الجدار الجنوبي فتناقص طول الجدارين الشرقي و الغربي ببضع ديسمترات.

³أجزاء منه وضعت في أرضية المدخل الرئيسي والباب الفرعي الأول، وبعضها تم اختفائه ، وجزء واحد منه محتفظ به في الدائرة الأثرية لعين تموشنت ، كم يوجد قاعدتين في المقصورة ، وقاعدة في مكتبة المدرسة الجديدة.

⁴مقابلة مع سيدي يعقوب عبد الوهاب ، مقدم وإمام زاوية سيدي يعقوب ، 25 ديسمبر 2016. والحكم العطائية لصاحبها ابن عطاء الله السكندري المتوفى سنة 709هـ ، بينها الحكمة المقصودة هي قوله رحمه الله "من أشرقت بدايته أشرقت نهايته".

⁵شهادة سيدي يعقوب عبد الوهاب ، مقدم و إمام زاوية سيدي يعقوب ، مقابلة معه في 25 ديسمبر 2016.

جهة اليمين ارتفاعه 3.10م يعلوه عقد نصف دائري وعرضه 1.60 م ، بجوفها (داخلها) سلم حلزوني به درجة أولى من الأرض طولها 59سم وعرضها 32 سم وارتفاعها 31سم، تعقبها 30 درجة طولها 56 سم و عرضها 32سم و ترتفع 36.5 سم، و على أطرافها الأربعة شُرَفَات (شُرَفَات) ذي ثلاثة مكعبات مربعة ضلع الواحد منها 23سم.

أما الضريح فعبارة عن مبنى مربع الشكل ضلعه 3.55م ، يتوسطه قبر الولي الصالح سيدي يعقوب ابن الحاج التلمساني، عرض القبر 1.02م و طوله 2 م تقريبا، من أهم العناصر الموجودة فيه كوتان مصمطتان (مشكاوتان) و ثلاث نوافذ، إضافة إلى عقدان مصمطان¹ في جداره الشرقي محمولان على ثلاث أعمدة مصمطة، و تكسو جدرانه وحدات خزفية زرقاء حديثة، و تعلوه قبة دائرية المسقط نصف كروية الشكل - أو تقريبا- ، نصف قطرها 172م، انتقلت من الشكل المربع إلى المثلث وصولا للشكل الدائري برفعها على مثلثات كروية (ركنية)، وهي مزخرفة من الداخل²، و يسبق مدخل الضريح المتواجد في الجدار الغربي غرفة ، و هي بيت الضيوف أو الميعاد كما تسمى محليا³، و هي مكسية ببلاطات خزفية زرقاء حديثة، شكلها غير منتظم من جهة الشمال طولها حوالي 7.50م و عرضها 3.60م في أقصى الحالات، تتصل بالضريح عن طريق باب مسبوق بثلاث درجات، إرتفاعه 2.13م وعرضه 1م تقريبا، و باب يؤدي إلى الصحن ارتفاعه 2م و عرضه 1.05م ، و باب إلى الخلوة و بجدارها الجنوبي نافذة.

2/مسجد سيدي ورياش و ضريحه:

الموقع: يتوسط مسجد سيدي ورياش و ضريحه مركز البلدية التي سميت باسم هذا الولي الصالح، و هما محاطان بسور المقبرة، و الذي تتخلله بعض الفتحات، أهمها المدخل الرئيسي المطل على الشارع الكبير في البلدية.

¹ في دراستنا الوصفية أطلقنا مسمى الأعمدة ، الدعامات و العقود المصمطة على هذه العناصر المعمارية حينما يكون نصفها مدمج في الجدار و النصف الآخر ظاهر للعيان و توصف أيضا بالنصف مدمجة أو البارزة عن الجدار ، في حين أطلقنا على نفس العناصر صفة المدمج في الجدار إذا كان لا يظهر بل يحتويه الجدار كليا.

² حسب مقدم الزاوية ، و حسب مؤرخي المنطقة فإن القائد العثماني على ناحية تلمسان المدعو القائد محمد بن حمزة هو من زخرف القبة من الداخل و زينها ، بينما وثيقة أرشيفية عثمانية موجودة بمتحف الشلف تذكر أن القائد محمد بن حمزة عندما زار الزاوية في 1145هـ قام ببناء الهيكل الخشبي على الضريح و الذي نقش به كتابته التذكارية و منح منبرا هو موجود ليومنا هذا في المسجد.

³ حسب مقدم الزاوية فقد كانت هذه الغرفة غير مسقفة ، و جزءا من الصحن ، ثم بعد ذلك سقفت ، رغم أن سقفها يبدو من الأعلى متناسقا مع الأسقف الأخرى و متزامنا معها.

الترجمة : ذكر ترجمة هذا الولي الصالح الإمام العشماوي في ثلاث نسخ مختلفة¹، كما ذكره محفوظ قداش في حديثه عن مقاومة الأمير عبد القادر²، و جاء في الشجرة العائلية لعرش أولاد ورياش، و إنفقت هذه المصادر و المراجع جميعها على نفس الترجمة، فذكرت أنه سيدي ورياش بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن العباس بن أبي القاسم بن مُحَمَّد بن علي بن موسى بن عيسى بن مُحَمَّد بن عبد الله بن يعلى بن عبد العلي بن أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن سليمان بن أحمد بن مُحَمَّد بن إدريس الثاني بن إدريس الأول إلى آخر السلسلة الشريفة، ولم أصل إلى حياته و خروجه إلى ولهافة و سبب ذلك، رغم أن بعض الشهادات الشفهية ترجع ذلك إلى نزاعه مع عشيرته في سبدو، و نفورهم نحو الولي الصالح سيدي الطاهر، و لم أجد فكرة عن فترة هذا الإنتقال، رغم أن ذكره لدى العشماوي يعني أن الولي الصالح عاش قبل أواسط القرن 18 م، بحكم أن العشماوي توفي في أواخر هذا القرن.



صورة رقم (5) : مسجد سيدي ورياش - من تصوير الطالب-

¹ أحمد العشماوي ، المصدر السابق ، ص 62. و النسخ الثلاث المعنية هي : نسخة بخط العلامة الولي الصالح أحمد الحراثي دفين سيق في أواسط القرن 19م ، و نسخة في خزنة الشيخ مولاي علي دفين معسكر ، و نسخة ثالثة بخزانة القاضي عبد الجليل شعيب قاضي تلمسان .
² محفوظ قداش و جيلالي صاري ، الجزائر صمود و مقاومات 1830-1962 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2012 ، ص 88.

الوصف العام : يتألف المسجد من قسمين أساسيين هما بيت الصلاة و الرواق الأمامي، حيث يتقدم بيت الصلاة رواق مسقوف موازي للجدار الشرقي لها ، تقسمه ثلاث دعائم إلى قسمين كبيرين طولهما 4م للقسم الواحد، الدعامة اليسرى مصممة في حائط من الحجارة، و دعامة يميني مربعة بعرض 25سم، في حين الدعامة الوسطى ذات عرض مضاعف للدعامتين الجانبيتين و يقدر طولها ب50سم و عرضها 25سم، بينما قسم كل قسم بواسطة أوتاد خشبية مربعة ترتكز عليها خشبة طويلة تحمل فوقها السقف القرميدي المائل الذي يغطي المسجد ككل، أما بيت الصلاة فنلج إليها عبر مدخل فتح في جدارها الشرقي بجهته الشمالية على يمين المحراب بالنسبة للداخل لبيت الصلاة، إرتفاعه 2.1م و عرضه 1.8م، أما عن يساره فتحت نافذة إرتفاعها 0.6م و عرضها 1م، و ظهرت بيت الصلاة بمخطط مستطيل الشكل، يبلغ طوله 8.10م و عرضه 6.6م، تتألف بيت الصلاة من أسكوبين موازيين لجدار القبلة عرض الأمامي 2.9م و الخلفي 3.2م، و ثلاث بلاطات عمودية على نفس الجدار عرضها 2.1م، و تتكون هذه البلاطات و الأسكوبين بواسطة صف من الدعائم المستطيلة المسقط طولها 0.5م و عرضها 0.25م ، تسير بموازية جدار القبلة و تحمل عقودا متقاطعة، ينحاز إلى يمين جدار القبلة قليلا المحراب المجوف و النصف دائري المسقط، عرضه 0.8م و عمقه 0.54م و إرتفاعه 2.10م، تنتهي التجوية في الأعلى بجنحة ذات عقد مدبب منخفض، و تشكل فتحة المحراب بروزا نحو الخارج على شكل كتلة نصف دائرية الشكل، و تخلل الجدران الأربعة فتحات للتهوية و كوات مصممة أو مشكوات لوضع شموع الإضاءة.



صورة رقم (6) : ضريح سيدي ورياش - من تصوير الطالب-

أما الضريح فقوام تخطيطه غرفة مستطيلة الشكل (4×6.65م)، قسمت بواسطة أربع دعائم مربعة مركزية إلى ثلاث أروقة، سقف الأوسط منها بقبة مركزية ثمانية الأضلاع يبلغ محيطها 12.2م و قطرها 3م، في حين سقف كل من الرواقين الآخرين بقبيبات جانبية متقايسة مضلعة محيط الواحدة منها 8.1م و قطرها 1.1م، و على الرغم من صغر مساحة الضريح إلا أنه التسقيف فيه اعتمد على القبة المركزية و يحيط بها أربع قبيبات صغيرة، رتبت وفق نظام متميز يفصح عن مدى إمكانية خلق فضاءات صغيرة مرتبطة بقدرسية المكان، و السقف كلية محمول عقود نصف دائرية عددها اثنا عشر عقدا يتوسط الضريح و اثنا عشر عقدا مصممتا في الجدار بما فيها العقد الذي يعلو المدخل الرئيسي، هذه العقود متصلة و تمتطي أربع دعائم وسطى و ستة عشر دعامة مصممة أو مدججة في الجدار، مقسمة بثلاث عقود مصممة محمولة على أربع دعائم مصممة في كل جدار و أربع عقود تتوسط الضريح محمولة على أربع دعائم مركزية، و ثمان عقود أحد طرفها محمول على دعامة مركزية و الطرف الآخر على الدعامة المصممة، هذه العقود ترتكز على الدعائم بواسطة كتلة مكعبة موضوعة فوق الدعائم، و تقوم القباب على حنايا ركنية ، نلج إلى الضريح عبر مدخل ينصف واجهة الضريح إرتفاعه 2م و عرضه 90 سم معقود بعقد نصف دائري متجاوز نوعا ما، و لا يفوتنا أن نذكر بأن الضريح مزود بنافذة مفتوحة وسط الجدار الشمالي و معقودة بعقد نصف دائري.

3/مسجد سيدي محمد المدني و ضريحه:

الموقع: يقابل المسجد و الضريح قرية الزوايف الفواعة من جهة البحر، نصل إليهما عبر ممر ترابي صغير، و هذا بعد قطع وادي الزوايف ثم الصعود إلى أعلى الهضبة المطلة على البحر.

الترجمة: هو سيدي أحمد¹ المدني بن سيدي عبد الله ابن عبد القادر المدعو الشيخ دفين الأبيض سيدي الشيخ التي سميت باسمه بن محمد سليمان بن أبي سماحة بن أبي ليلة بن عيسى بن أبي يحيى بن اعمر بن سليمان الملقب بن العالية بن سعيد بن عقيل بن حفص الملقب حرمة الله بن عساكر بن زيد بن حميد بن عيسى بن التادلي بن محمد الملقب الشبلي بن عيسى بن زيد بن يزيد بن الطفيل المدعو الزغاوي بن صفوان بن محمد بن عبد الرحمان بن سيدنا أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-²، إنتقل إلى المنطقة في أعقاب الدخول الفرنسي لمنطقة الأبيض سيدي الشيخ، و هنا السؤال الذي يطرح نفسه بقوة، ما علاقة سيدي أحمد المدني بالمسجد؟

¹ و قيل محمد.

² محمد بن حوة بن يخلف، منهاج بعض الشرفاء لأهالي غريس الخضراء، تحقيق: بوعمامة يونس، دار الأنوار البهية للطباعة، مستغانم، 2004م، ص 61. و لا أدري سبب ذكر ترجمته في هذا الكتاب بالضبط، الذي يتكلم عن أشرف منطقة غريس، رغم أن سيدي أحمد المدني ليس من الأشراف، بل من سلالة أبو بكر الصديق، كما أن أصله من الأبيض سيدي الشيخ و ليس من غريس.

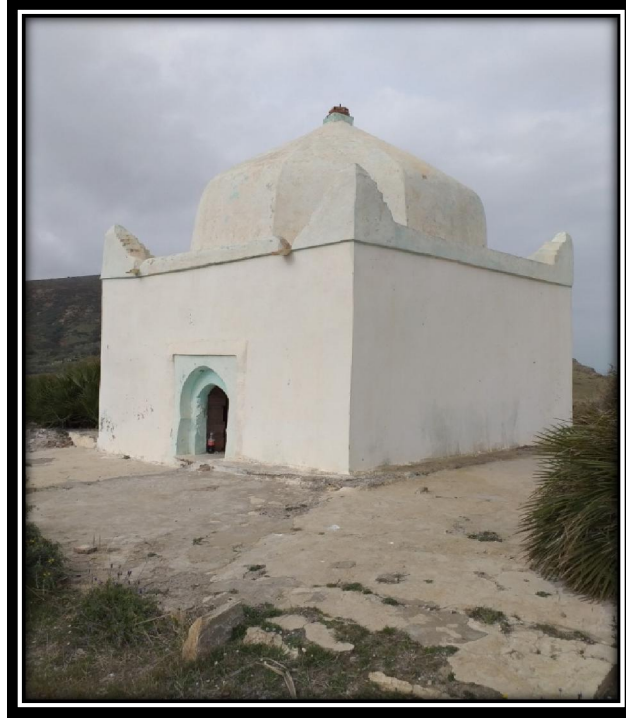
و لماذا إرتبط إسمه بالمسجد؟ رغم فارق الزمن بينهما، لأن تحليل هندسة المسجد و مواد بناءه يرجحان بناء المسجد في أواخر الفترة الزيانية أو أوائل الفترة العثمانية كأقصى تقدير، ثم المشكل الآخر هل سيدي المدني المذكور في كتاب مُحمَّد بن حوة بن يخلف هو نفسه القادم من الأبيض سيدي الشيخ؟ رغم أن مُحمَّد بن حوة متوفى قبل هذا الزمن.



صورة رقم (7): مسجد سيدي المدني - من تصوير الطالب-

الوصف العام: يأخذ المسجد نظاما تخطيطيا ذو شكل مستطيل، طوله 12.20م و عرضه 5.75م تقريبا، و بمساحة تقدر ب67م²، و ترتفع جدرانه بما يقارب 3م، نلج إليه عبر مدخلين تذكاريين إذ جاءت بارزة، الأول على يمين المحراب في الجدار الشرقي إرتفاعه 1.75م و عرضه 1.1م، والثاني يقع في الواجهة الجنوبية إرتفاعه 1.72م و عرضه 70سم، و سقفت من الخارج بظلة مغطاة بالقرميد، و قاعة صلاة مكونة من خمسة بلاطات عمودية على جدار القبلة، و أسكوبين موازيين له، حددت هذه البلاطات و الأسكوبين بواسطة دعائم مربعة الشكل، أربعة منها تتوسط القاعة و واحد مصمت في الجدار، و الأخير مدمج كليا في الجدار الجنوبي لا يظهر، تحمل فوقها خمسة عقود حذوية، و يتوسط الجدار القبلي من قاعة الصلاة محراب خماسي الأضلاع و بارز من الخارج، و على يمين المحراب يوجد المنبر الخشبي، و تخلل الجدران الأربعة للمسجد كوات و نوافذ صغيرة للإضاءة و التهوية، و التسقيف جاء بسيطا في المسجد مستويا، و إحتوى المسجد على ثلاث قبور في الجهة تقاطع البلاطة الأخيرة مع الأسكوب الأول من الجهة الشمالية، يقال أنها لولد سيدي أحمد المدني الأصغر و أخيه و الثالث لأحد

المرابطين ، و يجاور بروز المحراب من الخارج غرفة صغيرة مسقفة مدفون بها زوجة الشيخ أحمد المدني و ابنه البكر، بينما دفن خادماه خارج المسجد عند المدخل الجنوبي.



صورة رقم (8): ضريح سيدي المدني - من تصوير الطالب-

بينما الضريح جاء مربع الشكل، تعلوه قبة مضلعة محمولة على حنايا ركنية، ذو سقف مستوي تتوج أطرافه شرافات، طول ضلعه 4م تقريبا، نلج إليه عبر مدخل صغير إرتفاعه 1.2م و عرضه 60سم، يليه مباشرة قبر الولي الصالح سيدي أحمد المدني المغطى بهيكل خشبي مزخرف بألوان مائية، وضعت عليه بعض الأقمشة الخضراء، وبجانبه ثلاث قبور، إحداها لإبنته، و الآخران لحفيديه من ولده البكر، تتخل جدرابه الجنوبي و الشمالي كوتين صماء (مشكاوتين) لوضع الشموع.

4/مسجد البوحميدي الولهاسي :

الموقع: يقع المسجد الذي بداخله الضريح في مدخل قرية الهداهدة أو قرية بوجرة كما تسمى، له مدخل واحد مقابل لمدخل المسجد الجديد المقام حديثا، و يؤدي نفس المدخل الى المسجد العتيق الآخر الذي ربما كان قد شيد في أثناء الإحتلال الفرنسي أو نحوه.

الترجمة: دفن فيه سيدي عبد القادر، أحد رجالات العلم الذين تصدوا للعلم بالمسجد بداية من سنة 1830م إلى غاية وفاته عام 1845م، و نسبه عبد القادر بن يوسف بن محمد بن عبد

القادر بن علي بن يوسف بن مُحَمَّد بن يوسف بن عبد الرحمان القصري الفاسي المتوفى عام 1007هـ، و بنفس المسجد درس خليفة الأمير عبد القادر القائد البوحميدي الولهاسي، و مكث فيه الأمير عبد القادر مدة من الزمن.

الوصف العام : يتألف المسجد من قسمين أساسيين هما بيت الصلاة و الرواق الأممي، حيث يتقدم بيت الصلاة رواق مسقوف موازي للجدار الشرقي لهذه الأخيرة ، بني نصفه الأيمن بجدار توسطته نافذة مستطيلة الشكل بعرض 0.4م و إرتفاع 0.71م، في حين قسمت دعامتين النصف الأيسر المتبقي إلى ثلاث مداخل، أوسطها عرضه 1.98م بينما عرض الجانبين 1م، تم تسقيف الرواق بسقف قوامه ملاط من التربة الجيرية و بعض المثبتات الطبيعية النباتية و الحيوانية، محمولة على طبقة من القصب العمودي على الرواق، و تم حمل القصب على عوارض خشبية موازية للرواق المتقدم، و دعمت هذه الأخيرة بأوتاد خشبية، و هذا التنظيم التسقيفي للرواق هو نفسه الذي يغطي كامل المسجد، و شكلت فتحة المحراب خارجا بروزا بالجدار القبلي بمنتصف الرواق على شكل كتلة مربعة الشكل مقببة من أعلى، و فتح بالجانب الأيمن لهذا البروز نافذة خشبية من مصراع واحد إرتفاعها 0.8م و عرضها 0.56م ، في حين فتح على يساره المدخل المرتفع ب 2.1م و عرضه 1.1م، نلج من خلاله لبيت الصلاة التي ظهر قوام تخطيطها مستطيل الشكل، يبلغ طوله 8.10م و عرضه 5م.



صورة رقم (9) : مسجد البوحميدي الولهاسي - من تصوير الطالب -

و تتألف هذه الأخيرة من أسكوبين موازيين لجدار القبلة عرض الأمامي 2.8م و الخلفي 2.2م، و أربع بلاطات عمودية على نفس الجدار عرضها 2م، و تتكون هذه البلاطات و الأسكوبين بواسطة صف من الدعامات مربعة المسقط عرضها 0.5م، تسير بموازاة جدار القبلة و تحمل عقودا موتورة أو منخفضة، يتوسط المحراب جدار القبلة، و هو مجوف و مستطيل المسقط، عرضه 1م و عمقه 0.42م و إرتفاعه 2.10م، فتحت فيه نافذة صغيرة للإضاءة و التهوية، تنتهي تجويفته في الأعلى بجنينة ذات عقد نصف دائري، و فتح بينه و بين المدخل فتحة صغيرة أخرى، و تخلل الجدار الخلفي عدة كوات مصممة أو مشكوات لوضع شموع الإضاءة، وضع منبره الخشبي في القسم الخلفي المحصور بالبلاطة الأولى يسار الداخل، و هو نفسه المكان الذي فيه قبر العالم سيدي علي بن يوسف، أخرج من سقف الرواق أنابيب بلاستيكية لتصريف الماء، كما نشير إلى أن الجانب الشمالي من الرواق فتح فيه باب خشبي مؤدي إلى مقصورة المسجد المستطيلة، و هذه الأخيرة يوجد بها قبر محدد بقطع من الآجر يقال أنها لأحد مقدي زاوية سيدي الجازولي.

5/مسجد سيدي لعرج :

الموقع: عندما ندخل لقرية سيدي لعرج (بني زهنة) نجد على يميننا المسجد الجديد، نواصل المسير مع نفس الطريق إلى أن نجد في نفس الجهة دائما المسجد الأثري الذي سنتكلم عنه.

الترجمة: يحتوي مسجد سيدي لعرج على قبران، أحدهما لإبن الحاج الورنيدي التلمساني قاضي بجاية، و نسبه الكامل عثمان بن العباس بن أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب بن سعيد بن عبد الله المناوي دفين فاس¹، و قد رابط في منطقة بني زهنة أيام العثمانيين، و كان من الذين حضروا بيعة سيدي عبد الرحمان اليعقوبي دفين ندرومة على رأس فدرالية طرارة ممثلا لقبائل ولهاصة، أما الضريح الثاني فهو لمولاي إدريس الغماري، من قبيلة غمارة²، جاء إلى المنطقة من ندرومة في صحبة سيدي عثمان حين عودته منها، و إستقر هناك إلى حين وفاة سيدي عثمان، و واصل التدريس و الإمامة في مكانه إلى حين وفاته فدفن هناك، و أخلت المنطقة

¹ جاءت ترجمة جده أبو العباس أحمد في كثير من المصادر لعل أهمها البستان لصاحبه ابن مريم المديوني و التي أفرد له فيها 16 صفحة، رغم ان النسخة المحققة المطروحة لهذا المصدر بها أخطاء مطبعية و تصحيحات مثل كتابة المناوفي بدل المناوي في آخر الترجمة، و في ذكر أولاده فيها، أما ابنه هذا المرابط ببني زهنة أيام التواجد العثماني بالجزائر فقد ذكر ذلك الشفشاوني في ترجمة جده ابن الحاج الورنيدي، أنظر: الشفشاوني محمد بن عسكر الحسيني، دوحة الناشر محاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ط 2، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب للتأليف و الترجمة و النشر، الرباط، 1977م، ص 128.

² أبو راس الناصري، فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته، تحقيق: يونس كبير، دار الفضائل للنشر، معسكر، 2000م، ص 41.

نتيجة لتتبع العثمانيين لفلول الشريف الدرقاوي و أتباعه، إلى أن إستقر بها عائلات جاءت من معسكر مع الأمير عبد القادر، أثناء محاربتة للفرنسيين.

الوصف العام: يتكون هذا المسجد من بيت الصلاة فقط، و التي جاء قوام تخطيطها مستطيلا، طولها 12.5م و عرضها 5.9م، تبرز خارجها فتحة المحراب و الغرفة المجاورة لها في شكل كتلة مستطيلة الشكل، شطرت في منتصفها لتصريف المياه المتساقطة عليها عبر مجرى من سطح المسجد، و في يسارها مجرى مقعر مشكل من حبة قرميد مقلوبة، نلج إلى بيت الصلاة عبر مدخل خشبي من مصراعين، عرضه 91سم و إرتفاعه بعقده 2.66م و بدونه 2.11م، معقود بعقد حدوي محمول على عمودان مدبجان يكتنفان المدخل، ويعلوه فراغ و أحيط الكل بمستطيل مصمط في الجدار.



صورة رقم (10): مسجد سيدي لعرج بني زهنة - من تصوير الطالب-

قسمت بيت الصلاة بواسطة صف مركزي من الدعامات المتقاطعة (على شكل رمز+) عددها 4 و صفان من الدعامات المصمطة في الجدران القبلي و الخلفي، إلى أسكوبين موازيين لجدار القبلة عرض كل واحد منها 2.8م، و خمس بلاطات متعامدة معه عرضها 1.6م، يرتكز على هذه الدعامات عقود حدوية منكسرة مركزية تسير بخط موازي لجدار القبلة، و 14 عقدا حدويا مصمطا في الجدران، يتوسط الجدار القبلي لقاعة الصلاة المحراب الذي عرضه 96سم خماسي الأضلاع، تنتهي تجويفته في الأعلى بجنبة ذات عقد مرتد مدبب، و فصلت التجويفة

عن الأضلاع بشريط صغير بارز عن الجدار، و فتح في العقد المصمط الموالي للعقد المصمط المحيط بالمحراب من جهة اليمين مدخل عرضه 51سم و إرتفاعه 1.9م معقود بعقد نصف دائري، يؤدي إلى غرفة مستطيلة الشكل طولها 1.25م و عرضها 1.18 هناك فرضيتين لوجوده، الأولى أنها غرفة المحراب و الذي لم يعد موجودا اليوم، و الثانية أنها أستخدمت كمقصورة للإمام، فتح في جدارها الجنوبي نافذة مستطيلة الشكل إرتفاعها 38سم و عرضها 25 سم، و أصمط في جدارها الشمالي خزانة مستطيلة الشكل طول قاعدتها 25سم و إرتفاعها 42سم، و فتح في الجزء من الجدار القبلي المحصور بالبلاطة الأولى من جهة اليسار نافذة إرتفاعها 54سم و عرضها 21 سم معقودة بعقد نصف دائري قطره 10سم بينما فتح في الجدار الجنوبي نافذتين متثلتان على شكل مزغل، و فتح به كذلك مشكاة صغيرة لوضع الشموع عرضها 21سم و إرتفاعها 36سم، و إحتوى الجزء المحصور بالبلاطة اليسرى و الأسكوب الأمامي على قبر حفرت حدوده تحت أرضية المسجد يرجع لمولاي إدريس، و في نفس الجزء من الأسكوب الذي خلفه دفن سيدي عثمان المتوج قبره بشاهدين حجريين أصليين.

6/ مسجد سيدي محبوب :

الموقع: يقع المسجد في شرق قرية طربان، نسير عبر مسلك ترابي يربط هذه القرية بمركز بلدية سوق الإثنيين، و في وسطه نستدير يمينا سالكين طريقا ترابيا آخر، وبعد قطع المجرى المائي، نسير قليلا لنجد المسجد عند مدخل التجمع السكني الصغير.

الترجمة : يعود سيدي محبوب إلى الأنصاريين القاطنين بزاجلو في توات، و نسبه هو سيدي عبد الكريم المعروف بسيدي محبوب بن عبد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أبي بكر الأنصاري، يرتفع نسبه و ينتهي إلى الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري¹، ولد قبل منتصف القرن 13هـ، و تعلم في فاس و إنتقل إلى تلمسان في أواخر حياته، توفي في طريقه من زاوية عين الطلبة إلى هنين و دفن في نفس المكان²، مما يعني أن المسجد أسس على قبره أو على أنقاض ضريحه، وليس هو من أسسه.

الوصف العام : جاء المسجد بسيطا في شكله، أخذ تخطيطا مستطيلا، يتكون من أسكوب واحد موازي لجدار القبلة و غير موازي لعينها³، فهو بهذا عبارة عن غرفة واحدة مستطيلة

¹ مُحَمَّد بن عبد الكريم التمنيطي، جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني، مخطوط بخزانة المطارقة، د، د، د، د، د، د، ص.

² مُحَمَّد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و ما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر، د، د، ص 100.

³ لا خلاف بين أهل العلم في أن استقبال القبلة شرط لصحة الصلاة مع القدرة، و أجمعوا على أن من ترك استقبال القبلة وهو معان لها و عالم بجهتها فصلاته غير صحيحة، بينما اختلفوا في البعيد عن الكعبة، هل فرضه استقبال عين القبلة بالضبط أو جهتها فقط، فإستفرد الشافعية بوجوب إصابة عينها، عكس باقي الجمهور من المالكية و الحنفية و الحنابلة الذي رأوا ان إصابة جهة القبلة في الصلاة يجزيء لصحتها، في حين مسجد سيدي محبوب جاء محرابه مصيبا عين القبلة بذاتها فنجده يستدير أكثر من اللازم عن جدار القبلة.

الشكل، طولها 8.10م و عرضها 3.8م، ذو أربع واجهات، الجنوبية الشرقية¹ فيها هي الواجهة الرئيسية، و يوجد بها المدخل الرئيسي الذي يؤدي لبيت الصلاة مباشرة، و هو مستطيل الشكل إرتفاعه 2.1م و عرضه 0.77م.



صورة رقم (11) : مسجد سيدي محبوب - من تصوير الطالب-

نجد على يمين المدخل في الجدار الشمالي الشرقي المحراب الذي ينحرف لأقصى يمين هذا الجدار بالنسبة للداخل إلى المسجد، و هو مجوف و نصف دائري المسقط متجاوز من الجهة اليسرى و يكتنفه عمود أسطواناني بالجهة الأخرى، فهو لا يتوسط بيت الصلاة، عرضه 0.7م و عمقه يصل حتى 0.89م و إرتفاعه 2.10م، تنتهي التجويفة في الأعلى بجنبة ذات عقد غير منتظم الشكل، و تبرز فتحة هذا المحراب نحو الخارج في شكل كتلة نصف دائرية منتظمة، تم تسقيف المسجد بالعوارض الخشبية و الصفائح المعدنية (الزنك)، و جاء هذا التسقيف ذو نظام مائل لتسريب مياه الأمطار، و تم فتح نافذة في جداره الجنوبي الغربي ذات إرتفاع 0.9م و عرض 0.6م.

¹إعتمدنا في وصف مسجد سيدي محبوب على الإشارة إلى التوجه بذكر إتجاهين إثنين ، لعدم إنتظام موضعه وفقا للجهات الأربع المعروفة.

المطلب الثاني: مساجد الأضرحة

هو النوع المعاكس للصف الأول، إذ عندما يذيع صيت شيخ ما بين الناس، فلا بد من دفنه داخل حجرة سواء مستقفة أو غير ذلك، و بعد ذلك يكثر الزوار والمترددون على الضريح للتبرك، و الدعاء و الصلاة، و لأن الإسلام حرم الصلاة داخل الأضرحة فإن ذلك يكون في الهواء الطلق، و مع تكاثر الرواد يستحسن الناس فكرة بناء مسجد بجوار ضريحه لإقامة الصلوات المكتوبة في رحابه، و مع هذه الفكرة ظهرت فكرة أخرى ساهمت في وجود هذا النوع من المساجد ألا و هي مصليات الجنائز، و هي خاصة بالأضرحة التي يحيط بها مقبرة، هاتان الفكرتان الأساسيتان لظهور هذه المباني، وكتوضيح فإننا نقول أنه في هذه الحالة دفن الشخص العابد الولي الصالح كان قبل بناء المسجد.

1/ مصلى ضريحا أولاد بودلال:

الموقع: يقع المصلى والضريحان على مرتفع شمال غرب قرية تادماية، و الوصول إليهم يكون عبر طريق معبد إنطلاقا من مدخل قرية تادماية الشمالي.



صورة رقم (12): مصلى أولاد بودلال - من تصوير الطالب-

الوصف العام: يتخذ مصلى ضريحا أولاد بودلال شكلا مستطيلا، تقدر أبعاده ب 9.7م طولا و 3.1م عرضا، أخذ المصلى شكل رواق ممتد طوليا بالتوازي مع جدار القبلة، يبرز نحو الخارج بواجهته الشرقية الرئيسية المحراب بشكل كتلة مستطيلة المسقط منتظمة، يفضى إلى داخله من

باب فتح في جهة اليسار من نفس الواجهة، و هو من الخشب و ذات مصراع واحد، تعلوه ظلة صغيرة، عرضه 0.9م و إرتفاعه 2.2م، يتوسط المحراب الجدار القبلي لبيت الصلاة، و هو ذو شكل مربع منتظم، عرضه و عمقه 0.8م و إرتفاعه 2م، يعلوه عقد نصف دائري، وفي نفس الجدار تم فتح نافذتين متقابلتين مع بعضهما بالنسبة للمحراب و يبعدان عنه ب 0.8م، ميز الجدار الجنوبي من بيت الصلاة تواجد ثلاث كوات صماء مصممة به، الأولى يساره مربعة الشكل ذات ضلع 0.3م و أصلها مشكاة لوضع الشموع، و الوسطى مستطيلة الشكل بطول 0.8م و عرض 0.5م معقودة بعقد منخفض أستعملت كخزانة لوضع الألواح، أما الثالثة و التي جاءت في اليسار فهي مستطيلة الشكل طولها أقل من عرضها قياسه 0.28م و عرضها 0.68م أصلها خزانة خشبية مدججة بالكوة الجدارية المصممة لوضع المصاحف و الكتب عامة، بينما فتحت في الجدار الشمالي نافذة صغيرة مربعة الشكل ضلعها 0.32م، و تم تسقيف بيت الصلاة بسقف مائل قوامه عوارض خشبية عمودية على جدار القبلة، تحمل فوقها صفائح من القصب المشدود مع بعضه في صفوف موازية لجدار القبلة، غطيت هذه الطبقة القصبية بملاط خاص، و تم تغطية هذا الملاط من الخارج بصفوف من القرميد المربع الشكل.

2/ مسجد سيدي دحمان :

الموقع : يقع هذا المسجد شرق القرية التي سميت باسم سيدي دحمان، التي نصل إليها عبر طريق معبد يربط القرية بالطريق الولائي الرابط بين الطريق الوطني رقم 07 و بلدية سيدي ورياش، وعند مدخل القرية يسارا و عند المسجد الجديد بالضبط، نخرج يسارا عبر مسلك ترابي وسط الحقول، حتى نصل إلى المسجد العتيق الذي شيد في الفترة الإستعمارية، و بجواره المسجد الأثري الذي تساقطت بعض أجزائه.

الوصف العام : يتكون المسجد من جزئين كانا في الأصل مسقفان (سقطت أجزاء من سقف الجزء الاول المتقدم)، نلج إلى الرواق الذي يسبق بيت الصلاة عبر مدخل إرتفاعه 1.8م و عرضه 1.9م، و هو مضاف في زمن متأخر، و بقي من سقفه عوارض خشبية من الغرب إلى الشرق محمولة على أوتاد خشبية جنوبية شمالية، فتح في أعلى جداره الشمالي نافذة صغيرة عرضها 0.15م و إرتفاعها 0.3م، مسقوفة بدكة حجرية مستوية، و على يسار مدخله في الواجهة الشرقية من الداخل كوتان مصممتان مربعتا الشكل طول ضلعها 0.65م، مخصصتان لوضع النعال، بينما في جداره الجنوبي تم فتح منفذ تعلوه عارضة خشبية، إرتفاعه 1.7م و عرضه 0.7م، مسدود بالحجارة، تم بروز فتحة المحراب قليلا - إذ لم يتجاوز 0.27م- في الجدار الغربي للرواق (الشرقي لبيت الصلاة).



صورة رقم (13) : مسجدا سيدي دحمان الأثري على اليمين و العتيق على اليسار - من تصوير الطالب-

نلج عبر مدخل خشبي من مصراع واحد، إرتفاعه 1.8م و عرضه 0.8م يقع يمين بروز المحراب إلى بيت الصلاة، جاء قوام تخطيط هذه الأخيرة مستطيل الشكل، يتوسط جدارها الشرقي محراب مستطيل المسقط، عرضه 0.81م و عمقه 0.62م و إرتفاعه 2م، يعلوه عقد نصف دائري، إكتنف يساره مشكاة مستطيلة الشكل إرتفاعها 0.38م و عرضها 0.26م، و فتح في جدارها الجنوبي نافذة صغيرة، و جاء سقف بيت الصلاة ممثلا لنظام تسقيف الرواق، غير أنه تم إضافة طبقة من القصب فوق العوارض الخشبية تعلوها طبقة من الملاط الجيري الممزوج مع البقايا الطبيعية.

3/ مسجد زاوية سيدي الجازولي:

الموقع: يلتصق المسجد القديم مع المسجد الحالي من جهته الجنوبية، و هي جهة المدخل الرئيسي للتجمع السكاني، و هما معا يتوسطان ساحة الزاوية.

الوصف العام: لم نستطع الولوج إلى داخل المسجد، لعدم تبادل الأقوال حول مكان المفتاح، لذلك إكتفينا بوصفه خارجيا، فهو مستطيل الشكل، طوله 10.5م و عرضه 2.2م، و على ما يبدو فهو يتكون من أسكوب واحد موازي لجدار القبلة، و يتوسط جداره القبلي من الخارج بروز المحراب، والذي يمكن القول أنه جاء مضلعا و معقود بعقد الأقرب أنه نصف دائري متجاوز، يقع المدخل الرئيسي على يمين بروز المحراب و هو باب خشبي ذو مصراع واحد، و أبعاده جاءت بإرتفاع 1.8م و بعرض 1.2م، أما على يسار بروز المحراب فيوجد نافذة مستطيلة الشكل إرتفاعها 0.7م و عرضها 1.2م، و تم تغطية المسجد بسقف مائل .



صورة رقم (14) : مسجد زاوية سيدي الجازولي - من تصوير الطالب-

المبحث الثاني : الأضرحة المنفردة

يعتبر الضريح قطب رمزي دال في حين يعتبر الولي المدفون بداخله هو المدلول، و لا يمكننا في أي حال من الأحوال أن نفرق بين الثنائية "ضريح- ولي"، و كلاهما يمثلان فضاء قدسيا ماديا (عمارة الضريح) و روحيا (الولي الصالح)، و لما كان إختيار موضع دفن الولي و بناء قبته أساسا لتحقيق تلك الثنائية، برزت لنا حالات غريبة لمواقع أضرحة منفردة في المرتفعات و قممها، و في أسفل الأودية و حدودها، و الأغرب من ذلك داخل الغابات، و الأكثر غرابة في ذلك ما جاء على شواطئ البحار، و هذا الإفراد هو الذي أصبحت تبدو به هذه الأضرحة شامخة مسيطرة على كل المجال المحيط بها، و باسطة لروحيتها و قدسيتها على فضاءها المكون لها.

المطلب الأول : الأضرحة المغطاة

إن رمزية المكانة الجغرافية و التضاريسية الروحية تسوق مباشرة إلى رمزية البناء و شكل الضريح، و سقوية الضريح في هذه الحالة غالبا ما تكون قبة ترمز للسماء و ترتفع شامخة فوقه، هذه هي حال الأضرحة المغطاة بقبة، و سننهي هذا المطلب بحالة عجيبة أدخلناها ضمن الأضرحة المغطاة، و نقصد بها ضريح سيدي البشير غير مسقف و غير مغطى.

1/ الأضرحة الثلاث بقرية طربان:

الموقع : تقع هذه الأضرحة شرق قرية طربان، نصل إليها عبر مسلك ترابي هو نفسه المؤدي إلى سيدي محبوب، يظهر لنا في ربوة صغيرة على يساره ضريح سيدي أحمد و بجانبه بعض الحويطات المبنية، و يقابله من جهة قبلته في مرتفع ضريح سي طاهر، بينما ضريح سيدي أعمر فيتوسطهما في منخفض أسفل وادي طربان.

الترجمة : يرجع الضريح الأول المشرف على الوادي و على ضريح سيدي أعمر و مسجد ضريح سيدي محبوب إلى سيدي أحمد بن عمر بن موسى بن يحيى بن الحسن بن سعيد بن عبد القادر بن صالح بن عمر بن الحسن بن ابراهيم بن الصادق بن عبد الكريم بن عبد الكامل بن علي بن ادريس الثاني بن ادريس الثاني الحسني، المعاصر لآخر قرن من عمر الدولة الزيانية، ولد بصحراء تونس عام 886 هـ، و مكث هناك في كنف جده و بزوايته الى أن انتقل الى أرشقول بالمغرب، حيث اتخذ طريقته الصوفية¹ و دفن معه أحد إخوة سي الطاهر المدفون في الضريح الثالث و المشارك هو الآخر في معركة سيدي يعقوب، بينما يقع أسفل الوادي ضريح سيدي اعمر و الذي لا نعرف عنه سوى أنه شارك في معركة سيدي يعقوب مع الأمير عبد القادر سنة 1836م ضد القوات الفرنسية، بينما دفن في الضريح الثالث الذي يقابلها بعد قطع الوادي ضريح

¹ عامر بن المبروك محفوظي، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نايل، مطبعة النعمان، الجزائر، 2000م، ص 10 و ما بعدها.

سي طاهر، المشارك هو الآخر في نفس المعركة السالفة الذكر غير ان الضريح هذا مدفون فيه رأس هذه الشخصية فقط.

الوصف العام:

أ. ضريح سيدي أحمد: يعتبر ضريح سيدي أحمد أنموذجا حيا و مميزا للأضرحة الزيانية في ريف تلمسان، و تكمن ميزاته في مكوناته التي إحتوى عليها مثل الشاهد الخشبي، و المزاريب الفخارية، و الفراغ المستعرض الذي يلي المدخل.



صورة رقم (15) : ضريح سيد أحمد الأوشتاري - من تصوير الطالب-

بينما القوام الكلي لتخطيط الضريح يتمثل في غرفة مربعة طول ضلعها 3.8م، تعلوها قبة تبدو نصف بيضاوية القمة و مضلعة الجوانب من الخارج، إرتكز فوقها كرية على صفة جامور، تحملها حنايا ركنية من الداخل منبعثة من قواعد بشكل دعامات مصمطة في أركان جدران الضريح، و يرتكز على هذه الأخيرة (الدعامات المصمطة) عقود نصف دائرية مصمطة في الجدران الأربعة، توسط العقد المصمط بالجدار الجنوبي مشكاة مستطيلة الشكل إرتفاعها 0.4م و عرضها 0.27م، بينما فتح في الجدار القبلي (الشرقي) المدخل المرتفع ب1.8م من الداخل، وهو محمول على اوتاد خشبية، و يتقدمه إلى الخارج فراغ مربع الشكل طول ضلعه 0.8م، بينما عقد المدخل من الخارج بعقد منخفض و إرتفاع المدخل كليا من الخارج 1.56م، و يحيط بأعلى العقد فتحات أو كوات صغيرة مثلثة الشكل مكونة شريطا شبكيا قوامه مثلثات متساوية الأضلاع، المتممة

للمستطيل بجوانبها بكل مثلثين متتاليين، يزين أعلى الجدران إطار مكعب أو إفريز عرضه 12سم، وضع تحته في كل جهة من الجهات الأربع ميزاب أسطواني مصنوع من الفخار قطره لتصريف المياه قطره 8سم وتبرز بداخله حلقات، و يكتنف جوانب السطح و أركانه شرافات بأضلاع متدرجة، بمعدل ثلاث شرافات في كل جدار إثنان في طرفيه و تتوسطها الثالثة، ليصبح عددها كليا 12 شرافة، و يتوسط الضريح قبران أحدهما لسيد أحمد و الذي وضع عند رأسه شاهد من الخشب، و قبر لسي مُجَّد العامري أخ سي الطاهر.

ب.ضريح سيد اعمر: يقع ضريح سيدي اعمر بأسفل وادي صغير يقطع قرية طربان، و هو عبارة عن غرفة مربعة الشكل تقريبا (غير منتظمة الأبعاد)، طول ضلعها 3م، تعلوها قبة غير منتظمة و غير متناسقة الأجزاء محمولة على حنايا ركنية، ومحاطة من الخارج بمنضدة تم وضعها كسقف فيما يبدو، وهي قريبة معاريا من وصف رقبة القبة و إن كانت مستعرضة نوعا ما متجاوزة حدود مساحة الضريح ببضع سنتيمترات، ندخل إليها عبر باب غير منتظم هو الآخر أحيطت حوافه الثلاث عدا السفلي بقطع آجورية، وحمل جزئه العلوي بواسطة حوامل معدنية تعلوها علامات لعقد نصف دائري أصلي تم دمجه و إغلاقه¹، لا يظهر القبر بوضوح في وسط الضريح، و إن كانت بعض جوافه بارزة قليلا، و وضعت بعض المشكوات الصغيرة جدا فوق الحنيات الركنية بالضبط.



صورة رقم (16): ضريح سيد اعمر بن علال - من تصوير الطالب-

¹ يبدو الضريح غير متناسقا في مظهره، و مثل ذلك تماما قبتة و مدخله، و ذلك راجع إلى الترميم و إعادة إتمام عناصره اللذان جاءا بكيفية خاطئة، مثل ما حدث للمدخل الذي أدمج عقده في الجدار و على الأرجح أن الضريح قد تم تهدم بعض الأجزاء منه نتيجة السيول الجارفة التي مرت بها المنطقة في وقت سابق وما زالت آثارها لحد الآن بارزة في المنطقة.

ج.ضريح سي الطاهر: يبدو ضريح سي طاهر من الخارج كتلة بنائية مستطيلة تبلغ مقاساتها 4م طولاً و 3.7م عرضاً، تعلوها قبة ثمانية الأضلاع يتوج قمتها كرية بصفة جامور، و يتصدر واجهته الشرقية الرئيسية المدخل المرتفع ب1م و ذات عرض قدره 0.68م، يعلوه عقد مدبب ذات مركزين، و يزين أعلى أركان الضريح شرافات، و إحتوي السطح في جانبه الشمالي على ميزاب، و هو في أصله عبارة عن حبة قرميد مقعرة مقلوبة، أما الضريح من الداخل فلم يحتوي على قبر اللهم إلا بعض البروز الإسمنتي المربعة الشكل المغطاة بقطعة قماش، لعل رأس الإمام سي طاهر مدفون بها، تعلوها مشكاة معقودة بعقد متقاطع، و تعلو المشكاة جدارية جصية تحتوي على بعض الزخارف و نقش بها عبارة التوحيد، تحيط بإطار مستطيل يبدو من الوهلة الأولى وكأنه كان به لافتة مكتوبة و تم نزعها.



صورة رقم (17): ضريح سي طاهر - من تصوير الطالب-

و توجد مشكاة أخرى في الجدار الجنوبي معقودة بعقد نصف دائري، و إكتنف الأركان الداخلية للضريح حنيات ركنية هي نفسها التي تحمل القبة، و ما يميز هذه الحنيات أنها قسمت إلى جزئين عل مستوى اتصال الجدران بقاطع جصي.

2/ قبتا زاوية سيدي الجازولي:

الموقع : نصل إلى قرية زاوية سيدي الجازولي عبر طريق معبد يربط هذه الأخيرة بقرية طربان، يلتصق ضريح الحاج محمد الجازولي بمنزل عائلة عابدين التي تشرف على مشيخة الزاوية ، بالجهة الشمالية للساحة الذي تتوسط المسجد، و التي جاء في جهتها الشرقية المسجدان العتيق و الجديد، و يقابلها من جهة قبلتها ضريح سيدي محمد بن علي و ولده، بينما تأتي دار الضيافة في الجهة الغربية للساحة، و منها ينطلق الطريق الترابي المؤدي إلى ضريح سي الطاهر.

الترجمة : يعتبر ضريح سيدي محمد بن علي و ولده سيدي محمد أقدم ضريح في المنطقة، و قد ذكر القاضي حشلاف هذه الشخصية في الفرع الرابع من الأدراسة، كما جاء به عبد الغاني الطيار الإدريسي حفيد القاضي حشلاف، و أعطى هذا الأخير نسب الولي الصالح الشريف، فهو سيدي محمد بن علي بن عبد الله بن موسى بن أحمد المكنى بالجازولي بن مسعود بن عيسى بن عثمان بن إسماعيل بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله بن محمد بن الحسن المثنى بن محمد الجواد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب¹، و قد هاجرت عائلته إلى منطقة ولهاصة، و قد تم تأسيس الزاوية في القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي، و بالضبط في 1770م²، أما الضريح الثاني فيعود للحاج محمد العابدين المتوفى سنة 1939م، و الذي تولى مشيخة الزاوية في تلك الفترة التي سبقت وفاته.

الوصف العام:

أ.ضريح الحاج محمد الجازولي : يتكون المعلم من ممر مستطيل يحيط بالضريح من جهته الشرقية والجنوبية، في حين الجهة الغربية ملتصقة مع منزل العائلة، يتم الولوج إليه من خلال مدخل في جهته الشرقية معقود بعقد نصف دائري.

فتح بالواجهة الشرقية الرئيسية للضريح باب خشبي من مصراعين معقود بعقد نصف دائري هو الآخر، يفضي إلى قاعة الضريح المربعة الشكل ذات ضلع 4.2م، شكلت أربع أعمدة (هي في الأصل ثمانية أعمدة صلب كل عمودين منها مع بعض مثنى، مشكلة أربع أعمدة ثنائية)، مرتكز عليها و على الأعمدة المدججة في الجدران الأربعة أربع عقود مرتدة مدببة مركزية، و ثمان عقود ركنية نصف دائرية، شكل الكل ثلاث بوائك عمودية على الجدار الشرقي الرئيسي و ثلاث أخرى موازية له، البائكتين المركزيتين من كل صف هما الواسعتان.

¹ عبد الغني الطيار الإدريسي، الأشراف في ترجمة القاضي حشلاف، مطبعة الاستقامة، مستغانم، 1972م، ص42.

² Sossie Andezian, *Expériences du divin dans l'Algérie contemporaine*, CNRS, Paris, 2000, p 99.



صورة رقم (18): ضريح الحاج محمد الجازولي - من تصوير الطالب-

إنحاز القبر الأول الذي يعلوه تابوت خشبي مقبوع الأعلى و مغطى بقماش في وسط الضريح نحو الجدار الجنوبي، و تواصل معه إنطلاقاً من جهة قديمي القبر الأول قبر ثان يرتفع عليه هيكل معدني أقل علواً مغطى بالعلم الوطني الجزائري، حصرت كل حنيتين متقابلتين بينهما عقد نصف دائري مصمط تحت القبة المركزية، هذه الأخيرة جاءت مضلعة من ثمانية أضلاع محيطها 11.9م و قطرها 2.8م، يعلوها كتلة أسطوانية، تحيط بها في الأركان (تقاطع الأساكيب الموازية للجدار الشرقي مع الأساكيب العمودية عليه) قبيبات جانبية متقايسة ثمانية الأضلاع محيط الواحدة منها 7.1م و قطرها 0.8م، يعلو كل واحدة منها جامور حجري، في حين تم تغطية المساحات الأربع المتبقية و المحصورة بين كل قبيبتين بواسطة قبة نصف برميلي موتور أو منخفض، و أحيط سقف الضريح كلياً بشرفات إسمنتية حديثة، وضع في أعلى الجدران الثلاثة عدا الجدران الشمالي أنابيب بلاستيكية لتصريف المياه يمكن الإشارة في الأخير إلى أن الأسكوب الأول من جهة المدخل الموازي للجدار الشرقي قد تم سده بواسطة أبواب معدنية مشبكة، تفتح و تغلق حسب أوقات الزيارة.

ب. ضريح سيدي محمد بن علي و ولده سيدي محمد: يتكون المعلم من ممر مستطيل يحيط بالضريح من أربع جهات، يتم الولوج إليه من خلال مدخل في جهته الغربية معقود بعقد نصف دائري، فتح بالجهة الشرقية للضريح باب خشبي يفضي إلى قاعة الضريح المربعة الشكل ذات ضلع

3.9م، يتوسط كل من الجدارين الشمالي و الجنوبي كوتان معقودتان لوضع الشموع، بينما برزت في الأركان الأعمدة المربعة بشكل مصمط، حملت في تقاطع جوانبها الأربعة حنايا ركنية لرفع القبة، في حين إرتكزت فوقها على ثنايا الجدران الأربعة عقود مرتدة مدببة مصمطة.



صورة رقم (19): ضريح سيدي محمد بن علي - من تصوير الطالب-

يقع القبران بعد المدخل مباشرة في جهة اليسار، رفع فوقها هيكلان خشبيان إنتهى أعلاهما بشكل قبوي، و تم تغطيتها بقطع قماش، و توسط الضريح قبر ثالث حددت حوافه على الأرض لم أتمكن من معرفة صاحبه، تخلل أركان جدران الضريح من الخارج شرافات متدرجة، و توسطت القبة المضلعة ذات ثمانية أضلاع سقفه وعلى فوقها قضيب معدني، و برز ميزابان لتصريف المياه، الأول أعلى الجدار الغربي و هو ذات شكل أسطواني من الفخار، و الثاني في الجهة الشمالية و هو عبارة عن حبة قرميد مقعرة مقلوبة.

3/ضريحا أولاد بودلال :

الموقع : يقع الضريحان بنفس موضع المصلى، و هذا على مرتفع شمال غرب قرية تادماية، و الوصول إليهما يكون عبر طريق معبد إنطلاقا من مدخل قرية تادماية الشمالي.

الترجمة: يرجع أصل الوليان¹ إلى قبيلة سويد أو المحال العربية² التي كانت مستقرة بنواحي فليته و سهل الشلف و حوض مينا و زاوية سيدي ائحمد بن عودة بغيليزان، و قد استقرت هذه القبيلة بالمنطقة كنتيجة حتمية لترحيلها من طرف باي الغرب عصمان بن إبراهيم سنة 1774م، و قد برز عدة أئمة من هذه القبيلة في منطقة تادماية، تكرم سكان المنطقة ببناء أضرحة على قبورهم، و ربما يعود الضريحان إلى أواخر فترة التواجد العثماني بالجزائر

الوصف العام:

أ. الضريح الأول: من المؤلف أننا لم نتمكن من دراسة هذا الضريح دراسة وافية كاملة لجميع عناصره، و هذا بسبب إغلاقه و عدم تمكننا من الولوج إلى داخله، فإقتصر وصفنا على المظهر الخارجي له، إذ جاء مربع الشكل ضلعه 4.1م، تعلوه قبة سداسية، إنتهت قمة القبة بكريّة معدنية، يحيط بالقبة من الأركان الأربعة ثمان شرافات مسننة، وضع ميزاب لتصريف المياه من السطح في الجهة الشمالية للضريح، قوامها حبة قرميد معكوسة، و توسط الواجهة الشرقية الرئيسية المدخل الخشبي ذو مصراع واحد المستطيل الشكل، المرتفع ب1.1م و المستعرض ب0.7م، معقود بعقد نصف دائري متجاوز.



صورة رقم (20): ضريحا أولاد بودلال - من تصوير الطالب -

ب. الضريح الثاني: قوام تخطيط الضريح غرفة مربعة الشكل ذات ضلع طوله 4م، ندخل إليها عبر مدخل صغير ذات مصراع خشبي واحد معقود بعقد نصف دائري، فتحت في أعلاه عن

¹ أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس و عهد الامان، ط2، الدار التونسية للنشر و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، تونس و الجزائر، 1971م، ص217.

² قبيلة سويد أو المحال: قبيلة عربية هلالية عتيبة كانت تتشكل من بطون عديدة تفرعت عن قبيلة زغبة الهلالية، للإستزادة أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص56.

يمينه و يساره فتحتان صغيرتان مستطيلتا الشكل للهوية، و وضعت في أرضيته درجة صغيرة مانعة لدخول الماء و الأوساخ و الحيوانات، إكتفت جوانبه الأربعة شرافات، تعلوه قبة مضلعة ذات ثمانية أضلاع مرفوعة على دعائم مربعة مدمجة في الجدار تتوجها حنايا ركنية، تبدو إثنان منها مصمطة في الجدار الشمالي، إرتكز عليهما عقد نصف دائري منخفض مصمط هو الآخر في الجدار، إرتفاعه كليا 1.2م و نصف قطر العقد 2.5م، و يقابل المدخل كوة صماء أو مشكاة صغيرة تأخذ شكل عقد نصف دائري لوضع الشموع، و تتوسط القبور الأربعة الضريح، و قد تم إبراز هذه الأخيرة بمنضدة متدرجة هرمية.

4/ضريحا أولاد عامر:

الموقع: يقع الضريحان بجوار الطريق الولائي الرابط بين بلديتي سيدي ورياش و سوق الإثنيين، و بالضبط بين قريتي طربان و زغار، وأكثر دقة عند الخروج من قرية طربان بكيلومترين على أقصى تقدير، وهما محاطان بسور يتخلله المدخل الرئيسي، و يوجد قريهما بعض القبور¹.

الترجمة: يرجع الضريحان إلى أناس إستقروا بالمنطقة قادمين من سهل ملاتة، بعدما إستقروا في هذه الأخيرة قادمين من جبال تسالة، و يرجع نسبهم إلى قبائل بني عامر الهلالية، دفن في الضريح الأول ثلاث إخوة هم: سليمان و عامر و عمر ولا نعرف ترتيب قبورهم داخل الضريح بالضبط، و قد برز منهم الفقيه سيدي عامر الصغير المدفون في القبة الثانية، وهو الذي أمر ببناء القبة الأولى التي تحمل أجدات أبيه عامر و عميه سليمان و عمر، و أما نسبه فهو سيدي عامر الصغير بن عامر (أخواه سليمان و عمر) بن إبراهيم بن يعقوب بن العباس بن ميمون بن عريف بن سعيد بن يعقوب بن معرف بن سعيد بن رباب بن محمد بن حجوش بن عقيل بن حميد بن عامر²، إنتقلوا للمنطقة أيام إشراف البايع عثمان على البايك الغربي و إستقروا قريبا من الهداهدة³.

الوصف العام:

ب. ضريح أولاد إبراهيم العامري: بني هذا الضريح قبل ضريح الفقيه سيدي عامر الصغير، بل هناك إمكانية أن الفقيه في حد ذاته أشرف على بنائه و جاء الضريح هو الآخر ذو تخطيط مربع، طول ضلعه 3.5م، يتوسط سطحه قبة مئمنة محمولة على حنايا ركنية، يحيط بها 12 شرافة مئمنة، ثمان منها ركنية، و الباقية تتوسط الجوانب، أخرج من أعلى جدارا واجهتيه الشمالية و الشرقية

¹ الملاحظ أن القبور المحيطة بهما قليلة، و ربما هذا راجع إلى كون السكان المحليين يرجعون أصل الدفينين إلى قبائل بني عامر، التي يرون أنها ساعدت الإسبان في فترة من الفترات.

² مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 201.

³ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 2، المطبعة العربية، د م، 1955م، 166.

الرئيسية ميزابان لتصريف المياه قوامها حبة قرميد مقعرة معكوسة أو مقلوبة، هذه الواجحة الأخيرة هي نفسها التي توسطها المدخل المعقود بعقد نصف دائري، و ذو إرتفاع 1م من الخارج و عرض 0.76م، تعلو عقده بروز لوحات من الآجر بشكل مسننات، تعلو هذه الأخيرة ظلة صغيرة مشككة من وحدات قرميديّة مقعرة مغطاة بطبقة من الملاط، و يعلوها نافذة مستطيلة الشكل معقودة بعقد نصف دائري، نزل عبر العتبة المرتفعة بهذا المدخل إلى الضريح، و التي بتوسطها القبور الثلاث و هي محدودة على شكل درجة مرتفعة عن مستوى الأرضية لكل قبر، إحتوى كل من الجدار الشمالي و الجنوبي بنفس القياس و الموضع و الشكل على خزانة حائطية معقودة بعقد مدبب مرتد، يعلوها نافذة أغلقت بالآجر، و يعلوها من الجهتين مشكوتان مربعتان لوضع الشموع.

أ.ضريح سيدي عامر الصغير: قوام الضريح ذو تخطيط مربع ضلعه 3.7م، يعلوه قبة نصف بيضاوية، تحملها حنايا ركنية من الداخل، نجد في كل جدار من الجدران الأربعة عمودان مصمطان في وسطها، و يرتكز على هذان الأخيران ثلاثة عقود مدببة مرتدة مصمطة في كل واحد من الجدران الأربعة، توسط العقد المصمط الوسطي بالجدار الجنوبي مشكاة مستطيلة الشكل إرتفاعها 0.4م و عرضها 0.30م، و مشكاة أخرى بنفس قياسها معقودة بعقد نصف دائري، بينما فتح في العقد المصمط الوسطي من الجدار القبلي (الشرقي) المدخل المرتفع ب1.3م من الداخل، و يتقدمه إلى الخارج فراغ مربع الشكل طول ضلعه 0.9م نزل إليه عبر درجة من الخارج، بينما عقد المدخل من الخارج بعقد قريب من النصف الدائري (غير منتظم)، و يحيط بأعلى العقد فتحات أو كوات صغيرة مثلثة الشكل مكونة شريطا شبكيا قوامه مثلثات متساوية الأضلاع، يزين أعلى الجدران إطار مكعب أو إفريز عرضه 12سم، وضع تحته في الجهة الشمالية ميزاب قوامه حبة قرميد معكوسة، و يكتنف جوانب السطح و أركانه شرافات بأضلاع متدرجة، بمعدل ثلاث شرافات في كل جدار إثنان في طرفيه و تتوسطها الثالثة، ليصبح عددها كليا 12 شرافة.



صورة رقم (21): ضريحا أولاد عامر- من تصوير الطالب-

5/أضرحة الشهبانة التحاتة:

الموقع : تقع هذه الأضرحة أسفل قرية الشهبانة الفواعة، و يفصل بينهما وادي صغير، و هي واقعة في إمتداد خط واحد مستقيم، نصل إلى أول ضريح (سيدي حساين) عبر طريق معبد إنطلاقا من مدخل القرية مرورا بالزاوية الطيبية، وينتهي هذا الطريق المعبد عند الضريح، و نصل إلى الضريح الثاني (سيدي مُحَمَّد) سالكين المسلك الترابي المتمم للطريق المعبد، بينما الضريح الثالث (سيدي اعمر) فنصل إليه إنطلاقا من الضريح الثاني مرورا بحويطة سيدي الحسين.

الترجمة : يرجع نسبه إلى مولاي ميمون من سلالة علي بني أبي طالب، و قد جاء من وزان بالمغرب الأقصى إلى منطقة ترارة و إلى أعالي مدينة هنين بالضبط التي توفي بها ، و أقيمت على قبره قبة (هدمتها الجماعات المسلحة في تسعينات القرن الماضي)، و ترك مولاي ميمون ولدين، أكبرهما مولاي إبراهيم المعروفة قبته بأعالي هنين نحن إسم سيدي إبراهيم، والثاني هو مولاي أحمد المعروف بسيدي حساين المدفون بقبته في منطقة الشهبانة بولهاصة، و في نفس ضريحه دفن حفيده سيدي الحاج عبد القادر الثاني بن مولاي المدني الأول باني حويطة المحكمة بسوق الإثنين بن سيدي الحاج عبد القادر الاول بن مولاي أحمد سيدي حساين، و بالضريح قبر آخر يرجع لمولاي علي بن سيدي المداني الثاني بن سيدي الحاج عبد القادر الثاني، و قبر رابع صغير لم أطلع عن من دفن به، أما القبة الثانية فهي لمولاي مُحَمَّد و هو الإبن الثاني لسيدي الحاج عبد القادر الثاني بن مولاي المدني الأول بن سيدي الحاج عبد القادر الأول بن مولاي

أحمد سيدي حساين، و يوجد قبران على يسار المدخل لإثنان من الحفدة المتأخرين للولي، و في مقابل المدخل قبر للحاج بن عبد الله المتوفى حسب شاهد القبر سنة 1898م، في حين القبة الثالثة فهي لمولاي اعمر ابن سيدي الحاج عبد القادر بن مولاي أحمد سيدي حساين¹.

الوصف العام :

أضريح سيدي حساين : يتخذ الضريح شكلا مربعا طول ضلعه يصل إلى 3.76م، و يتربع على مساحة قدرها 14.13م²، أما ارتفاعه فيبلغ حوالي 3.75 م، و للضريح أربع واجهات ، تقع الواجهة الرئيسية التي يتخللها المدخل جهة الشرق و يبلغ عرض المدخل 0.8 م، و إرتفاعه 1,88م، يتوجه عقد مدبب، و يعلو المدخل شريط مستطيل يقسمه صف من الوحدات الآجورية البارزة على شكل مسننات إلى قسمين، و يعلو المستطيل ظلة من القرميد المقعر، ينطلق بوسطها من جهة الأعلى نافذة رشيقة قلمية متصاعدة نحو الأعلى، و هي في الحقيقة نافذة مستطيلة يعلوها عقد نصف دائري جاءت بشكل مزغل، يكتنف المدخل من الجهتين قائمين قلمياني نازلان من الأعلى (بداية من صف المسننات) إلى الأسفل بمقدار 1م، و يعلو النافذة القلمية في أعلى الجدار الشرقي و على طوله صف من القرميد المقعر، كما يعلو سطح الضريح في كل ركن من أركانه شرافة بشكل مثلث قائم و شرافات في منتصف جدرانه الأربعة بشكل مثلث متساوي الأضلاع، و يتوسط سطح الضريح قبة مركزية مضلعة ذات ثمانية أضلاع.



صورة رقم(22) : ضريح مولاي أحمد (سيدي حساين)- من تصوير الطالب-

¹ ابن المهجذوب عبد الكبير بن عبد الرحمان الفاسي ، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان و حوادث السنين ، موسوعة أعلام المغرب، ج 6، تحقيق: محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص2165.

يؤدي المدخل إلى غرفة مربعة أبعادها 3.56 م، و يوجد على يمين المدخل قبران صغيران، و يتوسط الضريح قبرا سيدي حساين ثم يليه قبر مولاي الحاج عبد القادر الثاني، زينت الجدران الأربعة من الداخل بعقود صماء مديبة و مرتدة محمولة على دعائم قليلة البروز مصمطة في الأركان، توسط العقد المصمط في الجدار الشرقي المدخل الرئيسي للضريح، بينما توسط العقد المصمط الجنوبي منها خزانة جدارية مستطيلة يعلوها عقد منخفض مفصص، و يقابلها في العقد المصمط الشمالي خزانة أخرى يعلوها عقد مدبب مفصص، و يعلو العقد المصمط من هذه الجهة مشكاة معقودة لوضع الشموع، أما بالنسبة للقبة، فهي تتركز على مربع انتقل فيه إلى المثلث عن طريق حنايا ركنية مجوفة، و بسيطة، و يتركز على المثلث الغطاء نصف الكروي للقبة.

ب. ضريح مولاي محمد : يتكون الضريح كليا من وحدتين تشكلان معا تخطيطا مربعا طول ضلعه 7.9م، ندخل إلى الباحة المغطاة بسقف مائل من القرميد المصفوف على عوارض خشبية نلج إليها عبر مدخل في جدارها الشرقي، عرضه 0.7م و إرتفاعه 1.4م، معقود بعقد نصف دائري يعلوه إفريز مستطيل، و يكتنفه دعامين مربعين حاملتين للعقد، فتح في نفس الجدار فتحتين صغيرتين، بينما جاءت الفتحة الثالثة في أعلى جداره الشمالي، و إحتوت هذه الباحة على ثلاث قبور، إثنان منها على منضدة بيسار الداخل للباحة و الرابع في ركنها الشمالي الغربي.



صورة رقم (23) : ضريح مولاي محمد - من تصوير الطالب -

في حين يقع الضريح المربع التخطيط الذي طول ضلعه 1.8م بالركن الجنوبي الغربي للباحة، و نلج إليه عبر مدخل مستطيل في جداره الشمالي من وسط الباحة، يحتوي على قبر محاط بأساس جداري صغير، يعلوه هيكل خشبي مغطى بقماش، و يقابل المدخل مشكاة صغيرة لوضع الشموع، بينما فتح في جداره الشرقي نافذة مثلثة الشكل تطل على القبران، و تعلو غرفة الضريح قبة نصف بيضاوية مضلعة الجوانب محمولة على حنيات ركنية، بالقبة فتحة صغيرة في ضلعها الشرقي للتهوية، و تعلوها كرية بيضاوية صغيرة بشكل جامور، و اكتنف أركان الضريح الأربعة شرافات.

ج. ضريح مولاي أعمر: هو عبارة عن غرفة مربعة الشكل ضلعها 2.9م، تعلوها قبة نصف بيضاوية الشكل محمولة على حنايا ركنية، يعلوها نصف جامور، و يكتنف أركان الضريح من الخارج شرافات بشكل مثلث قائم، و أفرغ شطر صغير من أعلى الجدار الجنوبي لتصريف المياه، نلج إلى الغرفة عبر مدخل صغير منخفض عن مستوى الأرضية بدرجتين، عرضه 70سم و إرتفاعه 1.2م معقود بعقد مدبب مرتد، يتوسط القبر المحدود بأساسات إسمنتية بارزة الضريح، في أعلى الجهة اليسر من بدن القبة في الداخل يوجد كوة صغيرة لوضع الشموع.



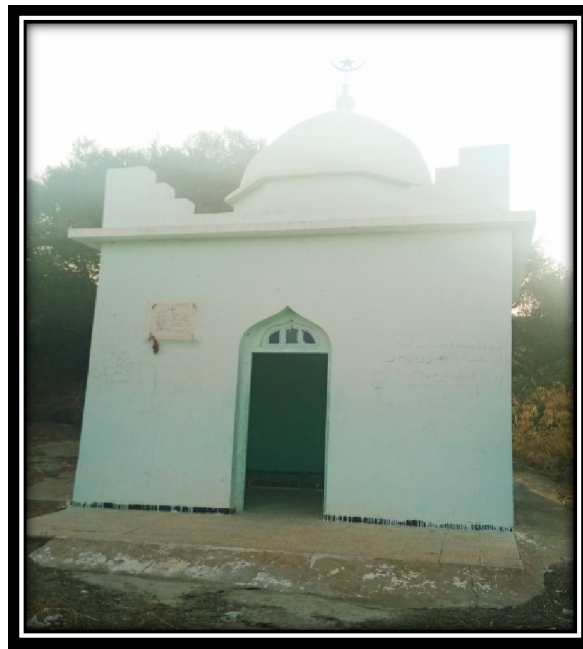
صورة رقم (24): ضريح مولاي أعمر- من تصوير الطالب-

6/ ضريح سيدي المجد بن يخلف:

الموقع: يقع الضريح في تراب بلدية بني خلاد التابعة لولاية تلمسان، و لكن أحفاده يقطنون في قرية المطامرية (أولاد سيدي يخلف) التي تقع على الحدود الفاصلة بين ولايتي تلمسان و عين

تموشنت، فهو في الأصل كان على ربوة تشرف على القرية ربما، او أن أملاك أحفاده تصل إلى تلك الأراضي التي دفن فيها ثم كان للتقسيم الإداري لسنة 1984م رأي آخر، على كل حال نصل إلى الضريح عبر مسلك تراقي إلى غاية مدخله، الجدير بالذكر أن الضريح قد تعرض للتهديم والتفجير أثناء العشرية السوداء التي مرت بها البلاد، ثم أعيد بناءه من جديد، و بمحاورة أهل القرية فإن هذه إعادة البناء كانت وفق إحدى الحالتين، فالبعض يقول أن إعادة بناء الضريح بعد التهديم كان صورة طبق الأصل لما كان عليه من قبل، فيما هناك من أهل القرية او القرى المجاورة من يقول أن الضريح تم بناءه بطريقة حديثة و وفق ما تقتضيه الضرورة في مثل هذه المنشآت، من غرفة مربعة و قبة و مدخل و كوات و فتحات و نوافذ.

الترجمة : ولد سيدي مُحَمَّدُ الإبن الأول لسيدي يخلف يوم العاشر من شهر جمادى الآخرة سنة 756 هجرية بجبل الراقوبة بمنطقة الراشدية و سمي بالفاضل العلامة الذي جعل للمحاسن علامة، أما نسبه فهو سيدي يخلف بن علي بن يحيى بن راشد بن فرقان بن حساين بن سليمان بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن إدريس بن سليمان بن موسى بن عبد الله بن أبي جعفر الصادق بن زين العابدين بن الحسين بن علي كرم الله وجهه و رضي عنه و ابن فاطمة بنت رسول الله -ﷺ-، و قد دخل سيدي مُحَمَّدُ ابن يخلف الراشدي لما دخل ولهاصة تصدى لنشر العلم فهرع الناس إليه و حصلت له وجاهة عظيمة عن أهل المنطقة، و كانت وفاته يوم الأربعاء لست بقين من رجب سنة 857 هجرية ودفن بولهاصة.



صورة رقم (25) : ضريح سيدي مُحَمَّدُ بن يخلف - من تصوير الطالب -

الوصف العام : يأخذ الضريح الشكل المربع بضلع طوله 3م، نلج إليه عبر مدخل مستطيل إرتفاعه 1.8م و عرضه 0.7م، ينتهي في الأعلى بعقد بصلي منخفض، يتوسط قبر الولي الصالح الضريح، و فتح وسط جداري الواجنتين الشمالية و الجنوبية نافذتين مربعتين طول ضلعها 0.7م معقودتين بعقدين بصليين منخفضين، رفعت القبة المثمنة فوق رقبته المثمنة هي الأخرى و التي إرتكزت مباشرة على سطح الضريح في غياب الحنايا الركنية بداخل هذا الأخير، يرتفع على القبة سفود معدني تتوسطه كرية (خوخة أو تفاحة) يعلوها هلال و نجمة، يحيط بالضريح من أعلى جدرانه إفريز مكعب ضلعه 14سم، خرج فوّه من الجهة الجنوبية أنبوب بلاستيكي لتفريغ الماء إلى الخارج، و ركنت أركان السطح بشرفات مدرجة، و إكتنف يسار المدخل لوحة رخامية بها كتابة.

7/ضريح سيدي رحمون:

الموقع: يشرف الضريح من الجهة الشمالية الغربية على القرية المسماة باسمه، إذ يقع في أعلى الربوة المطلة عليها، و نصل إليه إنطلاقا من آخر نقطة بالجهة الشمالية الغربية للقرية، سالكين طريقا ترابيا مؤدي للحقول المجاورة للقرية.

الترجمة : قفل سيدي رحمون عائدا إلى أرض عائلته ببلاد المغرب الأوسط الزياني، قادما من غرناطة التي ولد فيها بعد سقوطها كآخر معقل للمسلمين في الاندلس سنة 1492م، و رابط بالمنطقة المعروفة اليوم بإسمه في إقليم ولهاصة، حتى ذاع صيته بين أهالي المنطقة لما وقع منه فيهم من العلم و كذا لنسبه الشريف، توفي على الأرجح ما بين 1518م و 1522م، بحكم ذكر إسمه في وثيقة مخطوطة محفوظة لدى أعيان المنطقة تحمل مراسلة بينه و بين الفقيه التلمساني أبو عثمان سعيد المنداسي¹ يبحث فيه معه أمر تلمسان و ما آلت إليه أمورها خاصة بعد نزاع أبو حمو الزياني الموالي للإسبان و مولاي بن زيان، و كذلك بعض دخول الأتراك إليها، و دفن في رباطه الذي إتخذة خلوة له، أما عن نسبه فقد ذكره العشماوي تحت نسب: سيدي رحمون بن مُحَمَّد بن عبد الله بن علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن عيسى بن الحسن بن علي بن موسى بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن أحمد بن راجح بن عبد الله بن مُحَمَّد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر².

الوصف العام : ألحق بضريح سيدي رحمون قرفة تتقدم غرفة الدفن، يربط بينهما باب معقود في يتوسط الجدار المشترك بينهما أغلق نصفه و ترك النصف الآخر مفتوحا، تم تسقيف غرفة الدفن

¹ هو الفقيه الشاعر أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني، عاش خلال القرن 16م، إشتهر بالمدايح الدينية و لعل أشهرها منظومة العقبة التي شرحها أبو راس الناصري.

² العشماوي، المصدر السابق، ص221.

بقبو نصف دائري، بينما سقفت الغرفة التي تتقدمها بسقف مستو محمول على عارضتان خشبيتان تعلوها صفائح خشبية عمودية عليها، وضع فوقها القصب و الحلفاء و غطيت هذه الأخيرة بملاط من التربة الجيرية، و تشكل الغرفتان معا مبنى ذات تخطيط مستطيل، طوله 6م تقريبا، و عرضه 2.1م، توجهت أركانه العلوية بشرفات مثلثة، و فتح في وسط واجهته الشرقية الرئيسية من الأعلى مجرى لتصريف الماء.



صورة رقم (26): ضريح سيدي رحمون - من تصوير الطالب -

نلج إلى المبنى عبر باب صغير إرتفاعه 1.3م و عرضه 0.69م، إكتنف جهته اليسرى منضدة معدة للجلوس، عقد هذا الباب بعقد نصف دائري، بينما تم تغطية إلتواء العقد من الداخل بواسطة عوارض خشبية صغيرة حاملة فوقها الحجارة و الملاط، إحتوت الغرفة الأولى على كوة صماء لوضع الشموع و عقد مصمط في جدارها الجنوبي، ومنها نلج إلى غرفة الدفن عبر الباب المذكور سابقا، فنجد قبر الولي على يسارنا مباشرة بعد الجزء الذي أغلق من المدخل، وكان إغلاقه كان يهدف حمايته، و تم تغطية القبر بهيكل خشبي غطي هو الآخر بقماش، فتحت في يمين مدخل غرفة الدفن مشكاة لوضع الشموع في الجدار الشرقي، و حفرت كوتان مصمطتان أو مشكوتان عند بداية إنحناء الجدار لتكوين القبو، في وشط كل من الجدارين الشرقي و الغربي.

8/ضريح سيدي محمد النجاري :

الموقع: يقع الضريح في آخر قرية سيدي رحمون من الجهة الشمالية الشرقية، محاط بمجموعة منازل لأحفاد الولي الصالح، نصل إليها عبر طريق معبد ينطلق من وسط قرية سيدي رحمون.

الترجمة : ذكره على أنه سيدي مُجَّد بن أحمد النجاري السليمانى المتوفى سنة 846هـ، العلامة الأصولي أبو عبد الله من شيوخ أبي الحسن القلصادي¹، و واقفه في ذلك ابن مريم في البستان² و لعله نقل عنه أصلاً.



صورة رقم (27): ضريح سيدي مُجَّد النجاري- من تصوير الطالب-

الوصف العام: أول ما يمكن الإشارة إليه هنا أن نوه بطريقة الترميم الخاطئة، إذ تم تغطية كل الضريح من الخارج عدا قنطرة، بجدران حديثة كسيت بطبقة إسمنتية، توجت أركانها بشرفات متدرجة، كما يوجد ميزاب لتصريف الماء أعلى جداره الشمالي، ولم تفتح به أي نوافذ، نلج إلى الضريح المربع بضلع يقدر ب3.2م عبر مدخل ذات مصراع خشبي واحد، إرتفاعه 1.8م و عرضه 1م، معقود بعقد حدوي، يعلوه إفريز من وجدات الآجر البارزة الأطراف بشكل متدرج و متتالي، و يكتنف المدخل منضدتان للجلوس يمينا و يسارا، يتوسط الضريح قبران ملتصقان محددان أساسات صغيرة، تم وضع تابوت خشبي على الضريح الداخلي و غطي بقطعة قماش، فالعله هو ضريح الولي الصالح، و ليس لدي فكرة عن من هو مدفون بالقبر الآخر، أصمطت في الجدار الغربي خزانة مستطيلة الشكل بعرض 0.6م و إرتفاع 1م معقودة بعقد نصف دائري،

¹ مُجَّد ابن العباس العبادي التلمساني، تحقيق المقال و تسهيل المنال في شرح لامية الأفعال، تحقيق و دراسة: مُجَّد الناصيري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص19.

² ترجم ابن مريم لسيدي مُجَّد النجاري في كتابه البستان في الصفحة 221.

يعلو الضريح قبة محمولة على حنايا ركنية، و هي ذات شكل نصف كروي منتظمة جدا. يعلوها جامور من الطين المحروق.

9/ضريح سيدي حساين:

الموقع: يقع الضريح في وسط قرية سيدي احساين التي سميت نسبة إليه، و هو ملاصق لمسجد القرية، و الوصول إليه عبر طريق معبد يصل الطريق الولائي بالقرية.

الترجمة : يرجع نسبه إلى الأدارسة، فهو سيدي حساين بن عبد السلام بن حساين بن أبو الفتوح عبد الله بن عبد القادر بن مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد السلام التليدي، يتصل نسبه بجد أولاد التليدي سليمان بن مُحَمَّد بن علي بن عيسى بن موسى بن إسماعيل بن حمزة بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن سيدي نابت بن مهدي بن خالد بن عمران بن صفوان بن يزيد بن خالد بن سيدي عبد الله بن مولانا إدريس دفين فاس بن مولانا إدريس فاتح المغرب بن مولانا عبد الله الكامل بن مولانا الحسن المثني بن مولانا الحسن السبط بن الإمام علي¹، وصل إلى المنطقة لنشر الطريقة الدرقاوية، على ما يبدو في أواسط القرن 19م، و توفي بها و دفن بالدشرة التي تحمل اسمه.

الوصف العام : يلتصق الضريح بجداره الغربي مع المسجد الحديث، و هو عبارة عن مبني مربع الشكل طول ضلعه 3.8م، تظهر أساسته أسفل جدرانه، و يعلو هذه الأخيرة شرافات، و تعلو الضريح قبة نصف كروية محمولة على حنايا ركنية، نلج إلى الضريح عبر مدخل صغير في الواجهة الجنوبية، يتكون من مصراع خشبي واحد، إرتفاعه لا يتعدى 1.2م بعقده النصف دائري الذي يعلوه، و فتح في متوسط الواجهة الجنوبية الرئيسية فوق المدخل نافذتين متقايستين، مستطيلتا الشكل طولهما 0.38م و عرضها 0.1م، كما فتحت على يسار المدخل فتحة أخرى صغيرة، و يعلو يمين جدار الواجهة الجنوبية دائما فتحة دائرية كميزاب لتصريف المياه.

1 مولاي اعبد الكبير البلغيثي، إتحاف اللبيب، مطبوع مع ديوان الشيخ، دار الرشاد الحديثة، طنجة، 2011م، ص 148.



صورة رقم (28): ضريح سيدي احساين- من تصوير الطالب-

يتقدم القبر الضريح مباشرة بعد المدخل، و قد تم إبرازه عن الأرض سكل نصف دائري، و غطي بواسطة قطع من القماش، فتحت في جداره الشمالي المقابل للمدخل كوتان منقيستان مع النافذتين اللتان تعلوان المدخل، كانتا في الأصل على ما أعتقد نافذتين و تم إغلاقهما، و نفس الشيء بالنسبة للجدار الغربي المتصق مع المسجد، و الذي أصمطت فيه مشكاة مستطيلة لوضع الشموع.

10/ضريح سيدي البشير:

الموقع: يقع الضريح في أسفل الوادي المار بشرق قرية بني زهنة، غير بعيد من العين المسماة بعين النوية، و هو بتوسط البساتين المحيطة به، ونصل إليه عبر ممرات ترايبية ضيقة على أطراف البساتين.

الترجمة : هو سيدي البشير بن سيدي الحبيب بن سيدي أحمد التيجاني، وعمه سيدي أحمد بن سالم دفين تارقة، شارك مع عمه سيدي أحمد التيجاني في أحداث الثورة التيجانية ضد الأتراك في آخر حكمهم في الجزائر، و بعد إنهزام التيجانيين أمام العثمانيين و القبائل الموالية لهم، استقر بالمنطقة و توفي بها، و دفن قرب الوادي أسفل جامع بني زهنة و لم يدفن فيه، بسبب الخلاف الذي كان حاصلًا بين الأمير عبد القادر و الزاوية التيجانية، خاصة إذا علمنا أن المنطقة إستقر فيه أتباع الأمير عبد القادر كما ذكرنا سالفًا.



صورة رقم (29): ضريح سيدي البشير- من تصوير الطالب-

الوصف العام : أول ما سنطرق إليه في وصفنا لضريح سيدي البشير هو قضية سقفه (قبته)، حيث تم تسقيفه عدة مرات، و في الصباح الذي يلي اليوم الذي أنهيت فيه العملية إلا و يسقط سقفه، و آخر مرة كانت في سبعينيات القرن الماضي، و يتداول سكان المنطقة رواية رفض الولي الصالح (المقبور) للتغطية و التسقيف¹، أما من الناحية المعمارية فالضريح يبدو في تخطيطه مستطيل الشكل، طوله 4م و عرضه 2.6م، تنزل عبر ثلاث درجات إليه بواسطة مدخل إرتفاعه بعقدته المتقاطع 1.6م و عرضه 0.9م، زين أعلى عقده بإفريز من قطع الآجر البارزة في ترتيب منتابح و متوالي مشكلة عقدا نصف دائري، يعلوها هي الأخرى شريط بارز على شكل ظلة قليلة البروز، يرتفع فوق هذه الظلة مباشرة نافذة معقودة بعقد نصف دائري إرتفاعها 0.4م و عرضها 0.2م، يقابلها من الداخل إلى الأسفل بقليل، بنفس الشكل و القياس نافذة أخرى في الجدار الغربي المقابل للمدخل، و نفس الأمر حصل في الجدار أعلى الجدار الشمالي إلا أن هذه النافذة أغلقت، و فتحت بمقابلها في الجدار الجنوبي نافذة بشكل مزغل، و تخلل الجدران الأربعة للضريح عدة كوات صغيرة سواء المصمطة بالداخل أو المفتوحة للخارج، يتمثل دورها في توزيع ثقل الجدران، يعلو جدران الضريح من الداخل الحنيات الركنية التي تم إعدادها لحمل القبة المتساقطة، فغطت الأجزاء الركنية للضريح، إرتكز عليها عقود مصمطة نصف دائرية -تقريبا- مثلت في الأصل أضلاع المثلث المنتقل بواسطة من المربع إلى الدائرة، شكلت جوانبها السفلية

¹ الرواية ذكرها السيد بشير بسايح، المشرف على مفاتيح المسجد الأثري ببني زهنة أثناء مقابلة مسجلة معه بتاريخ 26 أوت 2016م.

مع الدعامات المدمجة في الجدران و التي تبرز قليلا في الأركان و مع الحواف الأرضية للضريح، شكلت مستطيلات مدمجة في الجدران الأربعة للضريح، و جاء قبر الولي مستويا على الأرضية الترابية، لا يمكننا التأكد من موضعه بالضبط، سوى بموضع شاهد القبر الحجريان الموضوعان جانبا بعد سقوطها نتيجة سبب من الأسباب.

المطلب الثاني : الأضرحة غير مغطاة و الحويطات

الحويطة هي بناء غير مكتمل بنصف جدار بدون ملاط أحيانا و بوجوده في أحيان أخرى يحيط بقبر، يرمز إلى وجود ولي أو شخص قريب منه مدفون في هذا المكان، و يرى الأستاذ رضوان عباس الذي أطلق إسم الكركور برسم ولي على الحويطة أنها تلك الأكوام من الحجارة ذات الصلة بقبر ولي من أولياء الله¹، و هي فضاءات دينية مقدسة.

1/حويطة سيدي دحمان:

الموقع: تقع حويطة سيدي دحمان في ربوة أعلى القرية التي سميت بإسمه، و نصل إليه عبر مسلك ترابي إتطلاقا من القرية مرورا بالمسجدين الأثري التي تهدمت بعض أجزاءه و العتيق المجاور له.

الترجمة : إذا تتبعنا ترجمة سيدي دحمان في موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين فإننا نجد أن أبناء الثلاثة كل واحد منهم سمي إبنه البكر دحمان، و ذكر فيها أيضا أن أحدهم سافر إلى تلمسان ثم قفل راجعا إلى وهران ، و لكن إستقر به الحال في نواحي واد يسر² بولهاصة و ترك ذرية هناك، و توفي بالمنطقة و دفن قرب جامعها، أما أبناء الثلاثة فهم يوسف و عبد الرحمان و منعم³، و لا ندري أي منهم الذي إنتقل ولده إلى تلمسان و توفي بولهاصة، فعلى كل فيمكن إرجاع نسبه إلى: سيدي دحمان بن أحد أبناء سيدي دحمان الثلاث بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد ابن أحمد ابن منصور ابن عبد الرحمان ابن علي ابن يعلي ابن أحمد ابن مُحَمَّد ابن أبوبكر ابن أحمد ابن مُحَمَّد ابن سعيد ابن علي ابن جابر ابن عاصم ابن أبوبكر ابن سعيد ابن مُحَمَّد ابن عمر ابن عبد الله ابن إدريس⁴.

¹ عباس رضوان ، أكوام الحجارة المقدسة: الكركور أنموذجا ، مجلة التغير الإجتماعي و العلاقات العامة في الجزائر ، العدد الثالث ،

جامعة مُحَمَّد خيضر ، بسكرة ، د ت ، ص478.

² ينتهي مجرى واد يسر و يصب في وادي تافنة أسفل سد المداحة بولهاصة ، في منطقة سيدي دحمان حاليا ، مما يعني أن المقصود هو نفسه.

³ راجح خيدوسي و آخرون ، موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريون ، دار الحضارة ، ج2 ، الجزائر ، 2003م ، ص61.

⁴ وثيقة مخطوطة محفوظة عند الدكتور مُحَمَّد طيب من الشلف ، بادر إلى إرساله صورة رقمية عنها ، أغتنم الفرصة في هذا المقام لشكره من جديد.



صورة رقم (30) : حويطة سيدي دحمان- من تصوير الطالب-

الوصف العام : الضريح عبارة عن حويطة مبنية من الحجارة بواسطة ملاط ترابي، تأخذ شكل مستطيل، ذو البعدين 3.2م طولاً و عرض 2.7م، نلج إليها عبر مدخل مبني بالآجر عرضه 0.5م، يتوسطه القبر، و تتخلل جداره الجنوبي فتحة صغيرة مربعة الشكل.

2/ حويطة سيدي الحسين بقرية الشهابنة:

الموقع : تقع هذه الحويطة في المسلك المؤدي إلى ضريح سيدي محمد إنطلاقاً من ضريح سيدي اعمر بالشهابنة الفوافة.

الترجمة : ربما دفن في هذه الحويطة أحد أقارب المشرفين على الزاوية، أو أحد المقدمين.



صورة رقم (31) : حويطة سيدي الحسين- من تصوير الطالب-

الوصف العام : هذه الحويطة هي مبنى قوامه حجارة مرصوفة بواسطة ملاط ترابي جيري في شكل مربع طول ضلعه 2.5م و إرتفاعها هو 1.4م، و يتوسط الضريح الذي نلج إليه عبر فتحة عرضها 0.5م قبر غرست عند رأسه شجيرة صغيرة في مكان شاهد القبر، و تم تهيئة مشكاة صغيرة بصفائح حجرية في جداره الجنوبي¹.

3/حويطات مقبرة سيدي أحمد:

الموقع : و هي ثلاث أضرحة، تأخذ شكل حويطات، موزعة في مقبرة سيدي أحمد بقرية طربان، و منتشرة في محيض ضريحه، خصصت لها مسالك ضيقة في المقبرة للوصول إليها. الترجمة: لا يمكن الجزم بالشخصيات الحقيقية المدفونة داخل هذه الحويطات، إلا بالقول بأنها تعود لأبناء الولي سيدي احمد و أحفاده، أو لشخصيات إشتهرت بالعلم و الصلاح.

الوصف العام : أضرحة أحادية التخطيط، تتكون من أربعة جدران قصيرة أو بالأحرى أنصاف جدار، الضريح الأول مبني و مكشوف يمتد على مساحة مربعة (2.5م×2.4م)، و إرتفاع جدرانه 1.5 م، ندخل إليه عبر باب في جهته القبلية إرتفاعه 1.2م، مسقف بصفيحة حجرية مهدبة، و بداخله تقف قطعة حجرية كشاهد قبر، و تجاورها نخلة صغيرة، و يحتوي الضريح على كوة صماء مصممة مستطيلة لوضع الشموع في الجدار الجنوبي، و بنفس المساحة يأتي الضريح الثاني المبني هو الآخر و الذي ترتفع جدرانه عن الأول (1.9م تقريبا)، نلج إلى داخله عبر مدخل إرتفاعه 1.5م، تعلوه صفيحة حجرية محمولة على عوارض حجرية و معقود من الجهة الخارجية بعقد متقاطع، تقع على يسار الداخل منه مشكاة او كوة مصممة ذات ارتفاع 75سم معقودة بعقد مبسوط و كوة صماء أخرى في الجدار الشمالي صغيرة عن الأولى، و يتوسط الضريح قبران، أما الضريح الثالث فهو عبارة عن حجارة مرصوفة بشكل مربع طول ضلعه 1.6م، و أعلى إرتفاع لها هو 1.4م نتيجة تساقط الحجارة في بعض النقاط، و يتوسط الضريح الذي نلج إليه عبر فتحة عرضها 0.7م قبر مغطى بنخلة صغيرة و بعض الشجيرات.

¹ من ملاحظتها يمكن القول أن هذه الكوة كانت عبارة عن فتحة أو نافذة صغيرة و أغلقت بأحجار صغيرة، رغم أن هذه الفكرة بعيدة لأنه لا يوجد سبب لوضعها فالضريح مكشوف كليا، و من ذلك يمكن التأكيد أن وضعها كان بغرض وضع الشموع فيها.



لوحة رقم (21): صور الحويطات الثلاث بمقبرة سيدي أحمد الأوشتاري - من تصوير الطالب-

4/ حويطة سيدي سليمان :

الموقع : تقع هذه الحويطة في مفترق الطرق ذي أربع إتجاهات المتجه إلى قرية سيدي رحمون بفرعيه الشمالي و الشرقي و إلى زاوية سيدي يعقوب غربا و إلى قرية الشهابنة جنوبا، و هو محاذي للطريق المعبد المؤدي لقرية الشهابنة.

الترجمة: ربما يعود الضريح إلى شخصية الإمام سيدي سليمان ، حسب سكان المنطقة و إلا فإن مثل هذه الأضرحة عادة ما تكون مجهولة بالنسبة لإسم و شخصية المدفون بها.



صورة رقم (32): حويطة سيدي سليمان- من تصوير الطالب-

الوصف العام: الضريح مكشوف و ذو تخطيط مربع ، طول ضلعه 3م تقريبا، ترتفع جدرانه 2م عن الارض، نلج إليه عبر مدخل إرتفاعه الكلي 2.3م، مسقف بصفيحة حجرية على شكل عقد منبسط محمولة على هيكل حديدي¹، و تنتهي الأطراف الأربعة للضريح بكتل حجرية متصاعدة على شكل هرمي²، و بداخل الضريح قبران متماثلا الشكل، وقد تم تبليط الأرضية بطبقة إسمنتية.

¹ لاندرى إن كان هذا الهيكل الحديدي تم إضافته فقط لتدعيم العقد ، أو أنه كل العقد جديد تم إضافته في فترات متأخرة عن بناء الحويطة.

² لا أعرف إن كان يمكن القول عنها في هذه الحالة أنها شرافات بشكل هرمي.

5/ حويطة سيدي علي بوشنتوف:

الموقع : تقع هذه الحويطة بمقبرة سيدي ورياش شرق مدرسة الإمام أشهب، و شمال ضريح سيدي ورياش، و الوصول إليها يكون من نفس المدخل الذي نصل به لضريح سيدي ورياش. الترجمة : يرجع سيدي علي بوشنتوف إلى الولي الصالح سيدي أحمد بوشنتوف دفين أرزيو، قد هاجر لمنطقة ولهامة بعد وفاة والده في معركة المقطع التي شارك فيها، و دفن بمقبرة سيدي ورياش¹.



صورة رقم (33) : حويطة سيدي علي بوشنتوف- من تصوير الطالب

الوصف العام : الضريح مكشوف و ذو تخطيط مستطيل ، بطول 2.4م و عرض 2م ، ترتفع جدرانه 1.1م عن الأرض، نلج إليه عبر فتحة عرضها 0.8م، يتوسطه القبر الذي لا يكاد يظهر، حيث تغطيه الحشائش و الشجيرات.

¹ عبد الرزاق بن حمادوش ، المصدر السابق ، ص46.

الفصل الثالث:

التحليل المعماري

و

الفني

مبحث 1: النظام المعماري لأضرحة

ولهاصة

مبحث 2: الخصائص الرمزية للأضرحة و

مقوماتها الفنية و المعمارية

المبحث الأول: النظام المعماري لأضرحة ولهامة

المعروف أن النظم المعمارية و طرزها عبر التاريخ مرتبطة بعدة عوامل أهمها البيئة المحلية المحيطة بها أو القرية منها، وكذا تأثرها بما سبقها عبر التاريخ، أو ما يسايرها و يواكبها من مناطق مختلفة، و البناء مرتبط أساسا بتقسيم الفراغات بحسب المساحة الممدودة له، و نفس الأمر إنطبق على أضرحة ولهامة و مساجدها، فالمساحة المسخرة لبنائها و المواد المتوفرة لتقويمها، و تقسيم فراغاتها و بيئتها المناخية و التضاريسية، هي كلها عوامل أثرت في الشكل النهائي لهذه العمائر الدينية، و في حجمها و توجهها و إتجاهها العامين.

المطلب الأول: التخطيط العام و عناصره المعمارية

لكي نقف على التحليل المعماري و الفني للأضرحة، لابد لنا من الرجوع إلى أصولها الأولى، و هي التميز بالبساطة، و عدم تحديد مكان معين لها، و برزت لنا من هاهنا قاعدتين أساسيتين:

- مساحة الضريح و عمارته تكون حسب الظروف البيئية و الإمكانيات المتاحة بالمنطقة، و منه جاءت المخططات المعمارية للأضرحة تقريبا منتظمة.

- حددت فضاءات الأضرحة بجدران تفصلها عما يجاورها، و هذا ما لوحظ في أغلب الأضرحة بمنطقة ولهامة، إذ جاء كل مبنى منفصل تماما عن ما يجاوره، بإستثناء ضريح سيدي يعقوب الذي جاء ملتصقا مع الخلوة و المئذنة، و ضريح سيدي حساين الملتصق بالمسجد الجديد، و ضريح سيدي الحاج محمد الجازولي الملتصق بمسكن العائلة.

- قد تسبق بيوت الصلاة في مساجد الأضرحة بأروقة¹ كما هو الحال في دراستنا بالنسبة لمسجد سيدي ورياش و مسجد البوحميدي و مصلى سيدي دحمان.

1- المخططات²: لم تخرج المساجد التسعة التي أخذناها كنماذج في دراستنا عن نطاق التكوين الأساسي القائم على إحدى الحالات الثلاث:

¹ الرواق: هو المساحة أو الممر المسقف المحصور بين صفيين من الأعمدة أو الدعامات، أو بين جدار و صف من الأعمدة أو الدعامات، و هو ما يعرف إصطلاحا بالبائكة. أنظر: محمد حمزة الحداد، الرواق في العمارة الإسلامية بمكة المكرمة: دراسة تاريخية أثرية، سلسلة العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية، ج3، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2004م، ص8.

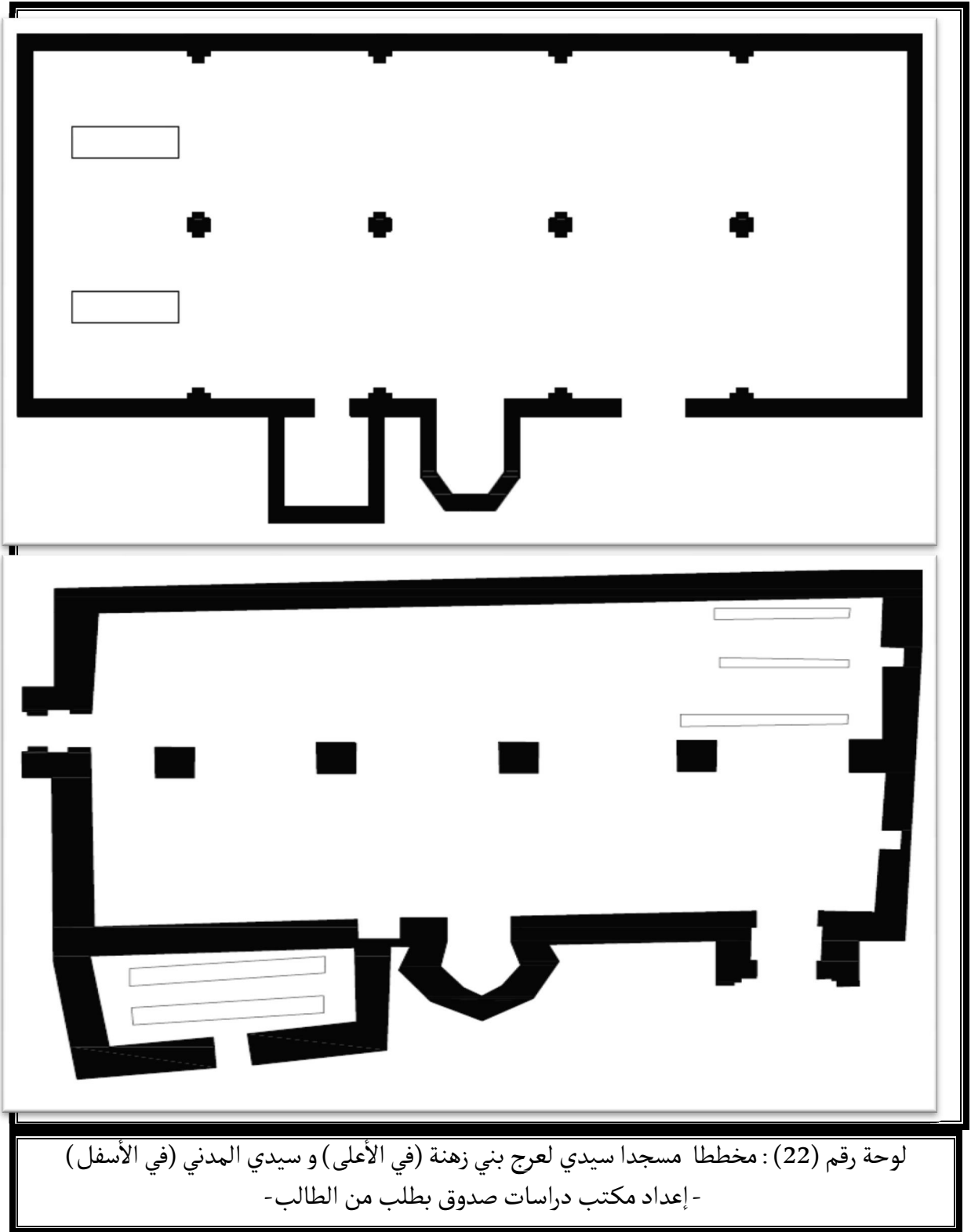
² سنأخذ تموضع أشكال المخططات الخاصة بنماذج دراستنا إعتبارا في كل هذا العنصر — المعنون ب: 1- المخططات. — المعطيات التالية:

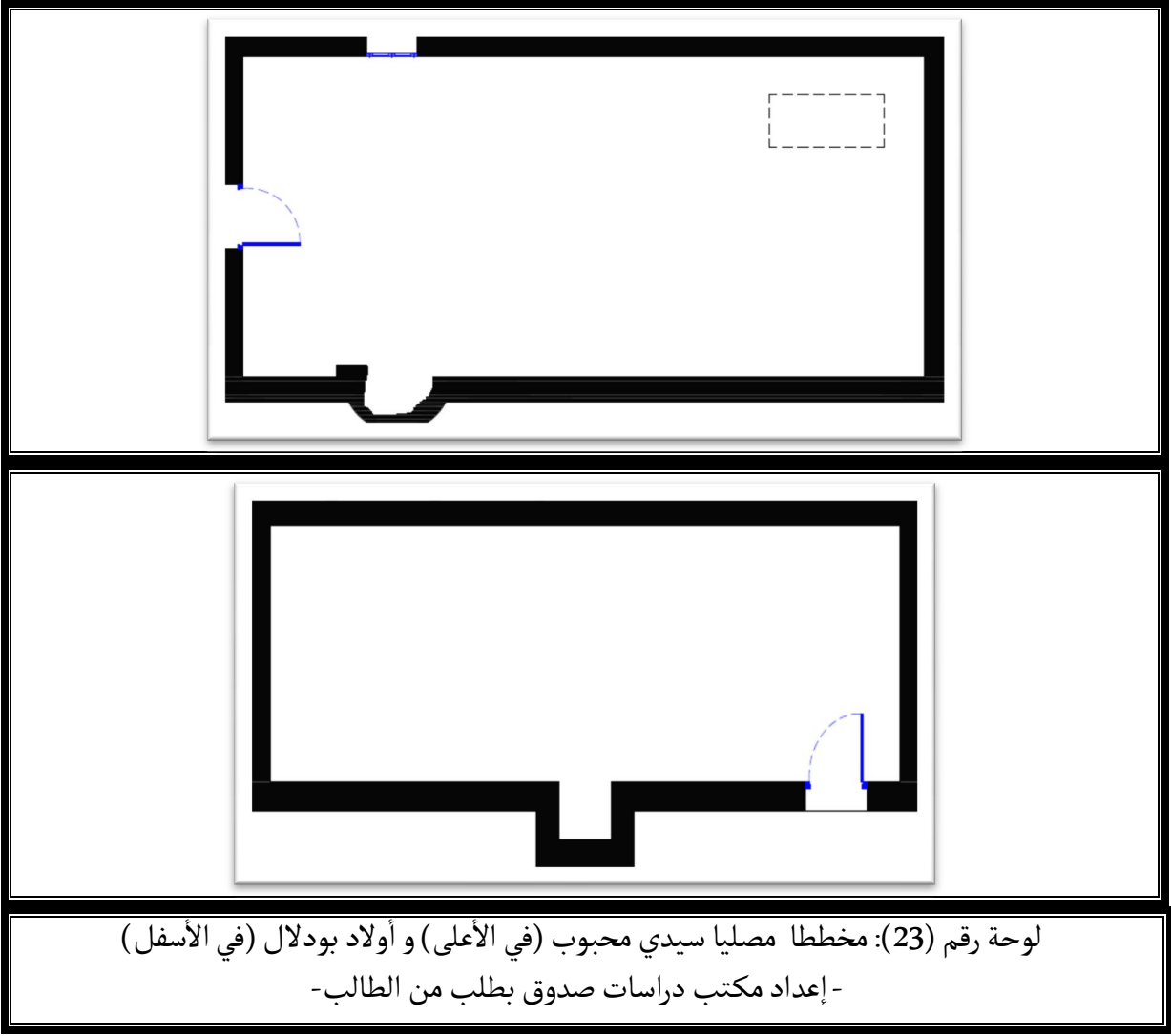
- الإتجاه:



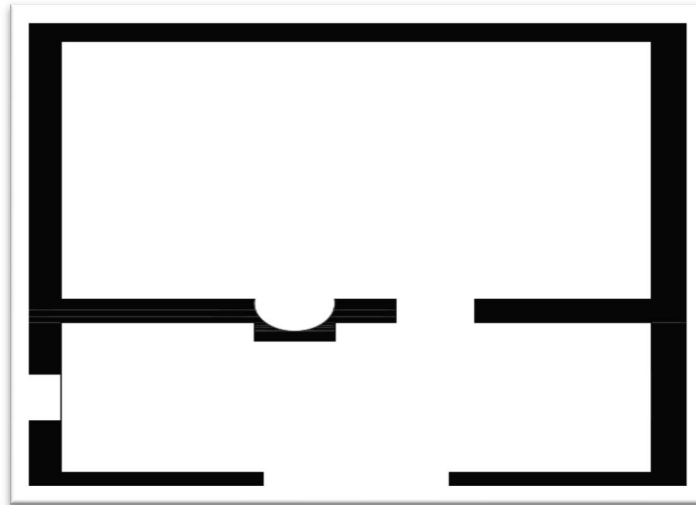
- السلم: 50/1.

■ بيت الصلاة فقط، و هذا ما كان قوام مساجد سيدي لعرج و زاوية الجازولي و سيدي المدني و سيدي محبوب و مصلى أولاد بودلال .

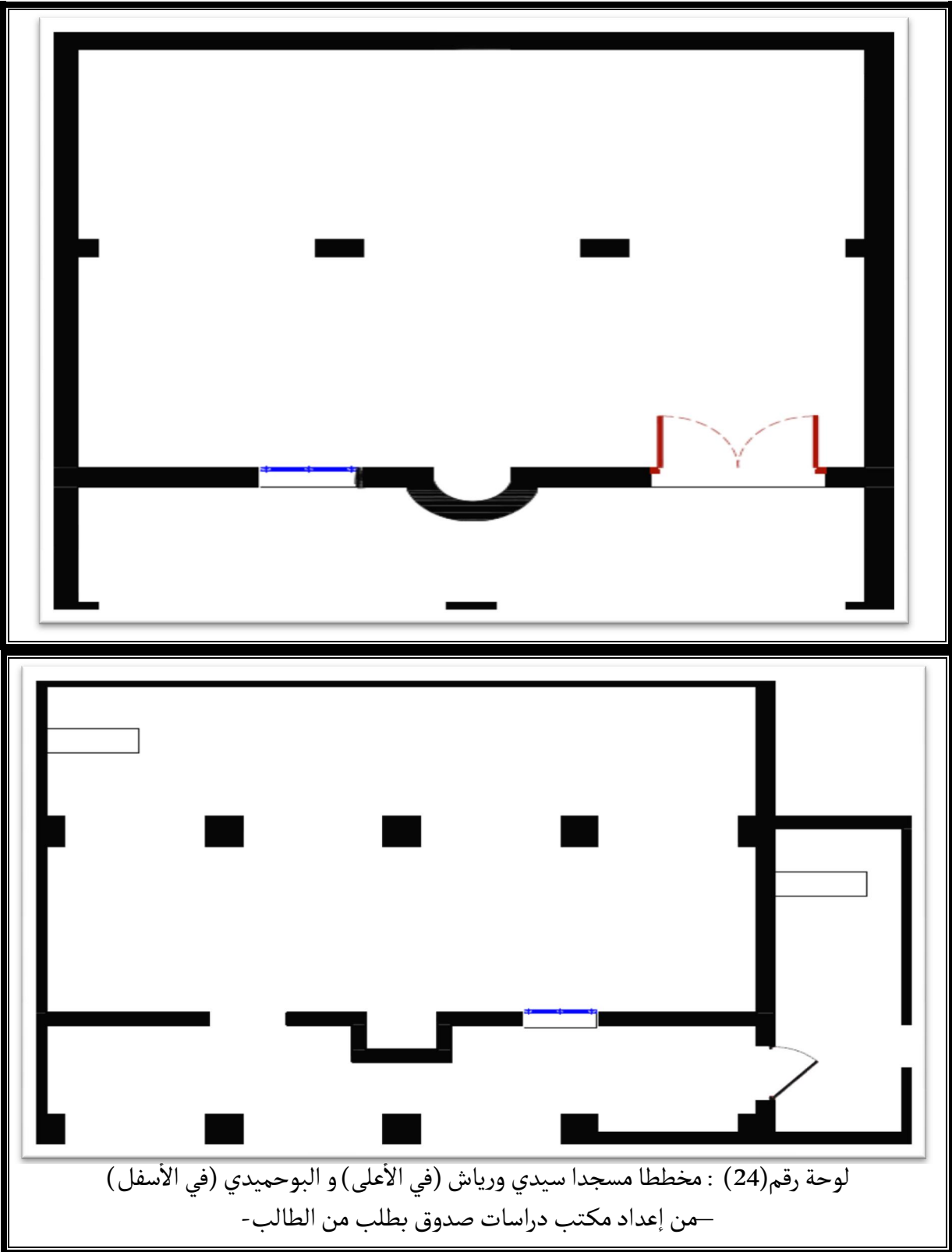




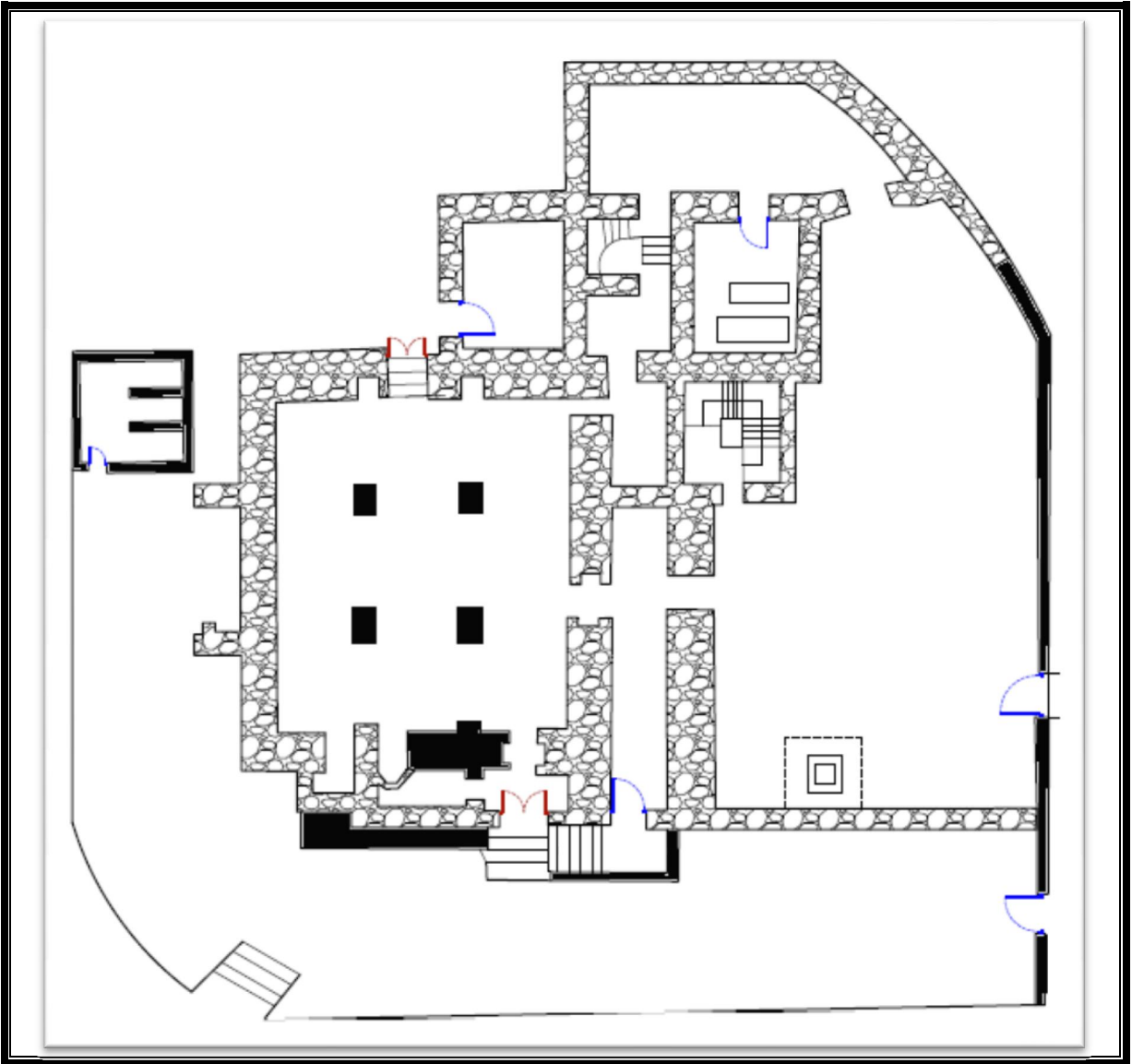
■ بيت الصلاة مسبق برواق، مثلت هذا الأنموذج مساجد سيدي ورياش و البوحميدي و سيدي دحمان.



مخطط رقم(2): مصلى سيدي دحمان – من إعداد مكتب دراسات صدوق بطلب من الطالب-



■ بيت صلاة و صحن، و ذلك بمسجد سيدي يعقوب.



مخطط رقم (3) : مجمع سيدي يعقوب - إعداد مكتب دراسات صدوق بطلب من الطالب-

و إتخذت هذه المساجد التسعة مخططا ذو شكل مستطيل، عدا مسجد سيدي يعقوب القريب من المربع، و إن كان في الحقيقة مربع الشكل بضلع 10م قبل تعرضه للقصف المدفعي، أما الأضرحة فأخذت أغلبها الشكل المربع التام، أو المربع النسبي القريب من ذلك مثل ضريح سيدي ورياش (4.5م × 4.1م) و سي الطاهر (4م × 3.7م)، بإستثناء ضريح سيدي رحمون الذي جاء مستطيلا كليا.

جاءت بيوت الصلاة وفقا لما يصطلح عليه أثريا و معاريا الطراز المحلي، مقارنة بطراز المساجد الوافد من تركيا و المشرق خلال الفترة العثمانية، و هذا الطراز المحلي التقليدي قائم في أصله على نظام الأعمدة و الدعامات، سواء كانت هذه المساجد بصحن أو بدونه، و يغطي بسقف مسطح مستوي أو مائل، و في دراستنا هذه إنحصرت تخطيطات بيوت الصلاة ما بين غياب البلاطات العمودية و الأساكيب الموازية كما في مصلى أولاد بودلال و سيدي دحمان و سيدي محبوب و نضيف لهم إعتقادا منا مسجد زاوية سيدي الجازولي، أو قسمت بيت الصلاة عرضيا إلى قسمين طوليين موازيين لجدار القبلة كما هو الشأن بالنسبة لمعظم المساجد الباقية المتمثلة في مساجد سيدي لعرج و سيدي المدني المتقاطعة فيهما مع خمس بلاطات عمودية عليها، و البوحميدي المتقاطعة فيه مع أربعة بلاطات عمودية عليها، و سيدي ورياش المتقاطعة مع ثلاث بلاطات عمودية عليها، و نستثني من هذا التعميم مسجد سيدي يعقوب الذي توازى فيه مع جدار القبلة ثلاثة أساكيب تقطعها عموديا ثلاث بلاطات.

أما الأروقة فجاءت ذو شكل مستطيل دائما، تحدها بأكمة من الدعامات التي قد تحمل العقود كما كان في رواق سيدي ورياش، أو بدونها كما حدث في مسجد البوحميدي، أو نلج إليها عبر بايين من جهتين مختلفتين كما في مسجد سيدي دحمان (أحدهما مغلق بالحجارة).

في حين لا يمكن القول عن صحن سيدي يعقوب إلا بالإشارة إلى أنه ذو تخطيط غير منتظم، و نضيف هنا عن هذا الإستثناء في وجوده ما ذكرته الأستاذة ليهم زينب قائلة: " بالنسبة للمساجد الريفية، و كما سبق و أن أشرنا أن معظمها تأتي خالية من هذا العنصر المعماري الهام - تقصد الصحن- بل تكتفي فقط بالرواق الأممي"¹.

بينما الكلام عن الأضرحة كبير، و هذا نظرا لتنوع مخططاتها و تخطيطاتها، و قد أفادنا الكاتب و الأديب و المؤرخ الجزائري الكبير أبو العيد دودو بملخص صغير عن تنوع هذا النوع من العمارة الدينية في الجزائر بقوله: "...و لأضرحة المرابطين ثلاثة أشكال، فعندما يموت المرابط العادي يكتفي العرب² بإقامة سور منخفض حول قبره، و إن كان المرابط المتوفي -المتوفي هي الأصح— وليا كبيرا و كان له تأثيره على عدد من القبائل فإنهم يقيمون له ضريحا فوق قبره، أما إذا كان مشهورا من خلال الدور الذي لعبه سواء في مجال التعليم أو كان يجوب الجزائر لنشر طريقته

¹ ليهم زينب، المساجد الريفية بمنطقة بجاية: دراسة معمارية أثرية، مذكرة لإتمام متطلبات شهادة الماجستير في الآثار الريفية و الصحراوية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2011م، ص 45.

² المقصود من كلمة العرب في هذا السياق هم العرب، و لكن أبو العيد ذكرها هكذا كما جاءت عند المستشرقين الألمان.

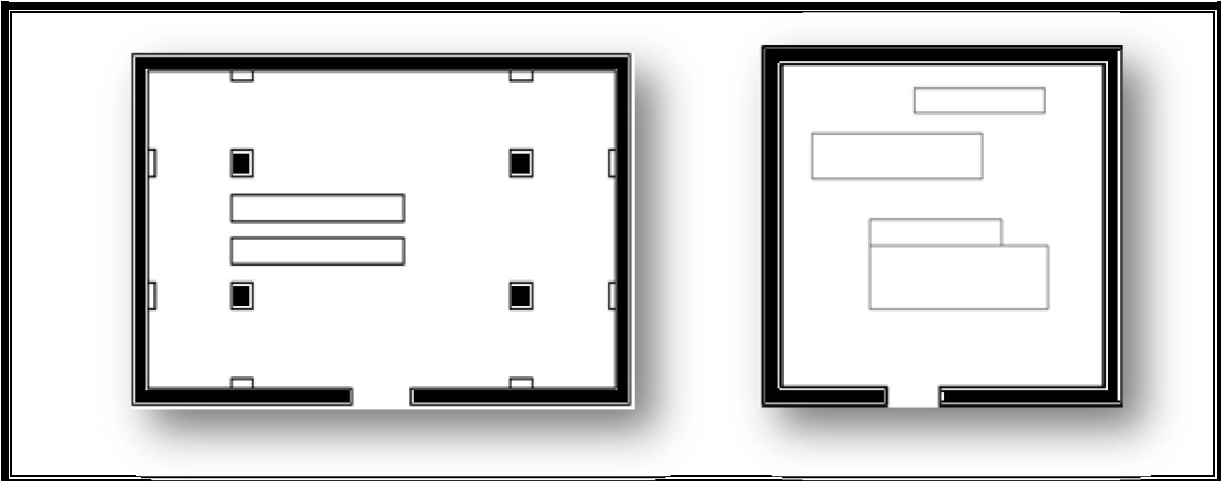
الصوفية أو علما، فإن الجزائريين يبنون له زاوية بها مسجدا...¹، و من خلال هذا التقسيم لأبي العيد نرى أنه قسم عمارة الضريح إلى ثلاث أقسام، حويطات و أضرحة منفردة و أضرحة ملحقة، و هو نفس التقسيم الذي إتبعناه في دراستنا، مما أمكننا من القول أن الدراسات متوافقتان - منهجيا على الأقل- في تحليلها التخطيطي للأضرحة في الجزائر، و إن كانت دراستنا عينة صغيرة جدا من هذا المجال الواسع.

و يمكن الإشارة إلى أن كل أضرحة ولهافة تندرج ضمن النوع البسيط الذي يتكون من غرفة واحدة مربعة أو مستطيلة تضم القبر أو القبور، بإستثناء أضرحة كل من سيدي يعقوب و مولاي محمد بالشهابنة و سيدي رحمون، المسبوقة بغرف تتقدم الضريح. و ما يمكن إضافته بالنسبة للأضرحة هي إمكانية تمييزها باعتبار موضعها ضمن التجمع من عدمه إلى نوعان، رغم إختلاف موضع الضريح و تنوع أماكن تواجده، بالنسبة للمنشآت المرتبطة بها، و هذان النوعان هما:

■ أضرحة ملحقة بالمساجد أو ألحقت بها مساجد- أو مصليات- و قد ذكر الأستاذ دحدوح عبد القادر في دراسته التاريخية و الأثرية عن عمران و معمار مدينة قسنطينة أن ظاهرة إلحاق الأضرحة بالمساجد و غيرها من المنشآت الدينية في الجزائر شاعت خلال العصر العثماني، و أعطى أمثلة لذلك عبر عدة مدن في الجزائر، متجاوزا ما جاء قبلها من الفترات من هذه المخططات المتصلة، لكن سرعان ما تدارك الأمر و لم يترك الفرصة للتعقيب على فكرته قائلا: "... و إن كانت فكرة إلحاق الأضرحة و المدافن بالمساجد في الجزائر ترجع إلى العهد الزياني" مستدلا بالقبّة الملحقة بمسجد سيدي إبراهيم المصمودي في تلمسان²، و في منطقة ولهافة ألحقت العديد من الأضرحة بالمساجد و الزوايا، و يعود أقدمها إلى الفترة الزيانية ممثلة في أنموذج سيدي يعقوب، و حذت حذوه عدة نماذج أخرى كأضرحة سيدي المدني و سيدي ورياش بالنسبة لمسجديهما.

¹ أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الإسبان (1830م-1855م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 136.

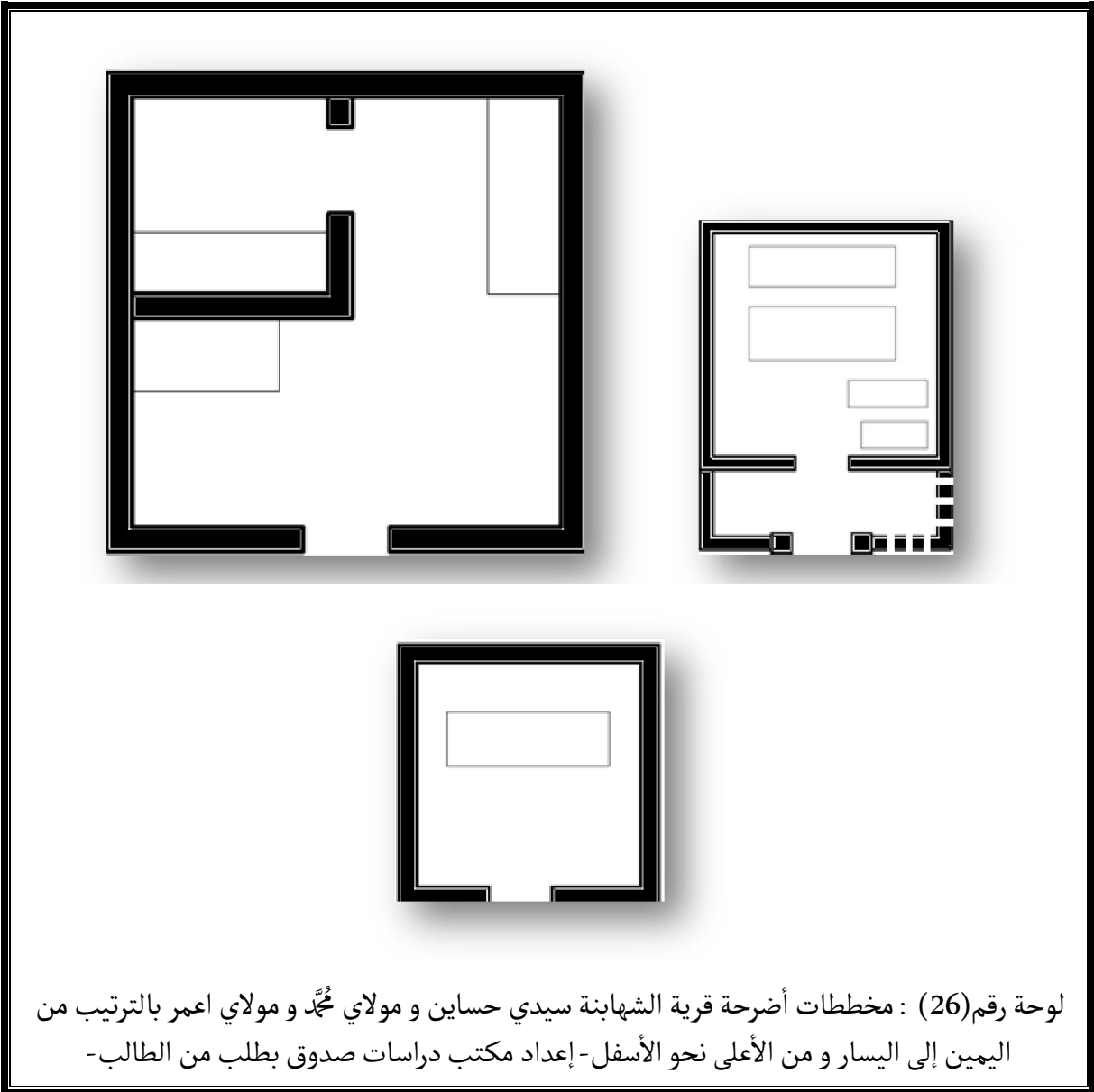
² عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص 509.



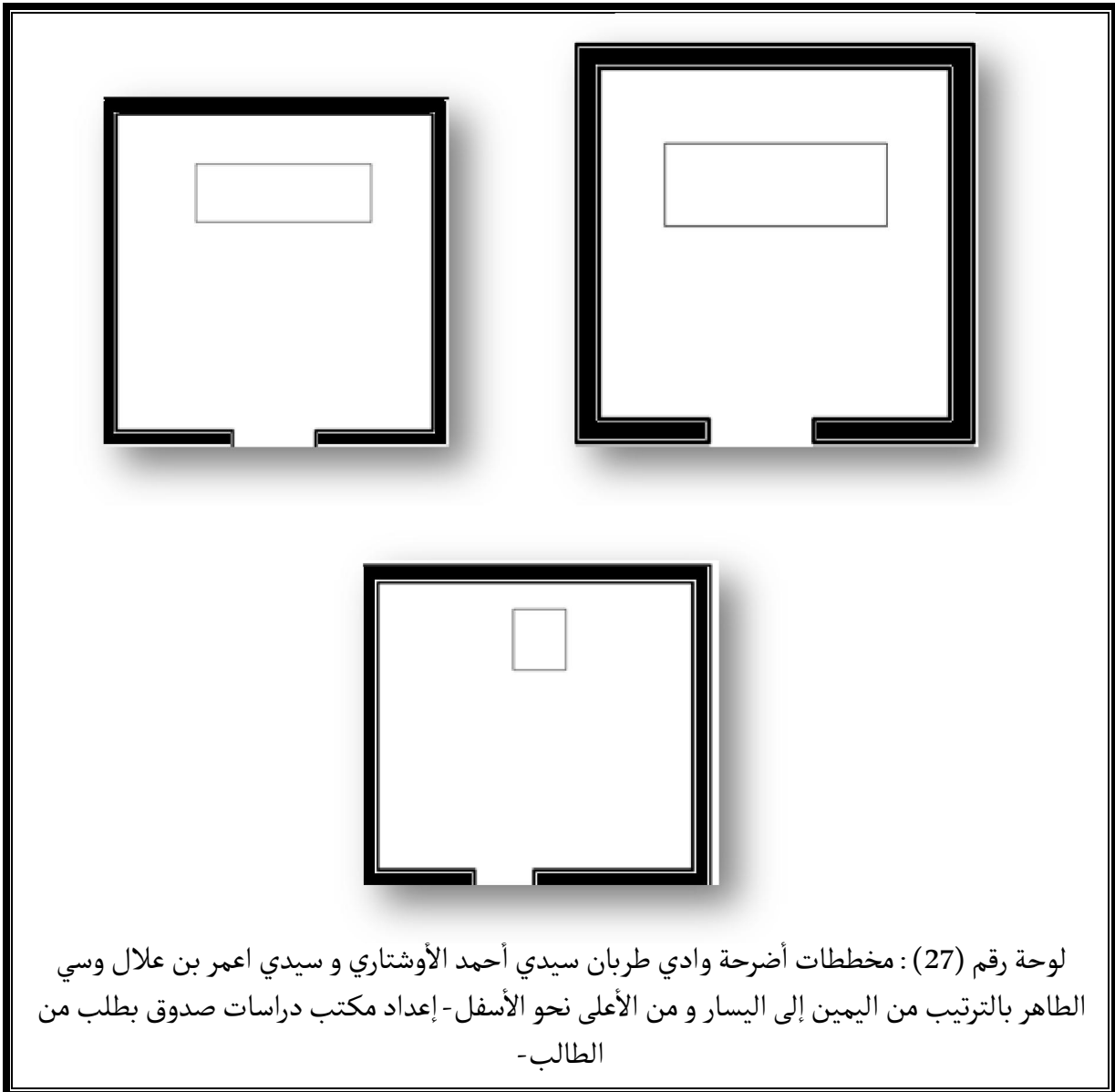
لوحة رقم (25): مخططا ضريحا سيدي مُجَّد المدني (على اليمين) و سيدي ورياش (على اليسار)
-إعداد مكتب دراسات صدوق بطلب من الطالب-

و إن كانت ملحقة ببعضها لكنها منفصلة عنها هيكليا، و يدخل ضمن هذا النوع كذلك تلك المساجد التي التي إحتوى هيكلها على الضريح مباشرة، و ظهرت لنا في نماذج مساجد سيدي لعرج و البوحميدي و سيدي محبوب، و إن كان هذا الأخير قد تعرض لطمس القبر بوسطه، و لا تخرج عن نطاق هذا النوع تلك المساجد التي ألحقت لاحقا بالأضرحة مثل مصلى قبتا أولاد بودلال و مسجد سيدي دحمان و مسجد زاوية سيدي الجازولي.

■ أضرحة منفردة، و قد جاءت هذه الأخرى إما مجموعة من الأضرحة المرتبطة عائليا و المتباعدة مكانيا أو زمانيا قليلا و الموحدة مجاليا مثل أضرحة قرية الشهابنة الثلاث.

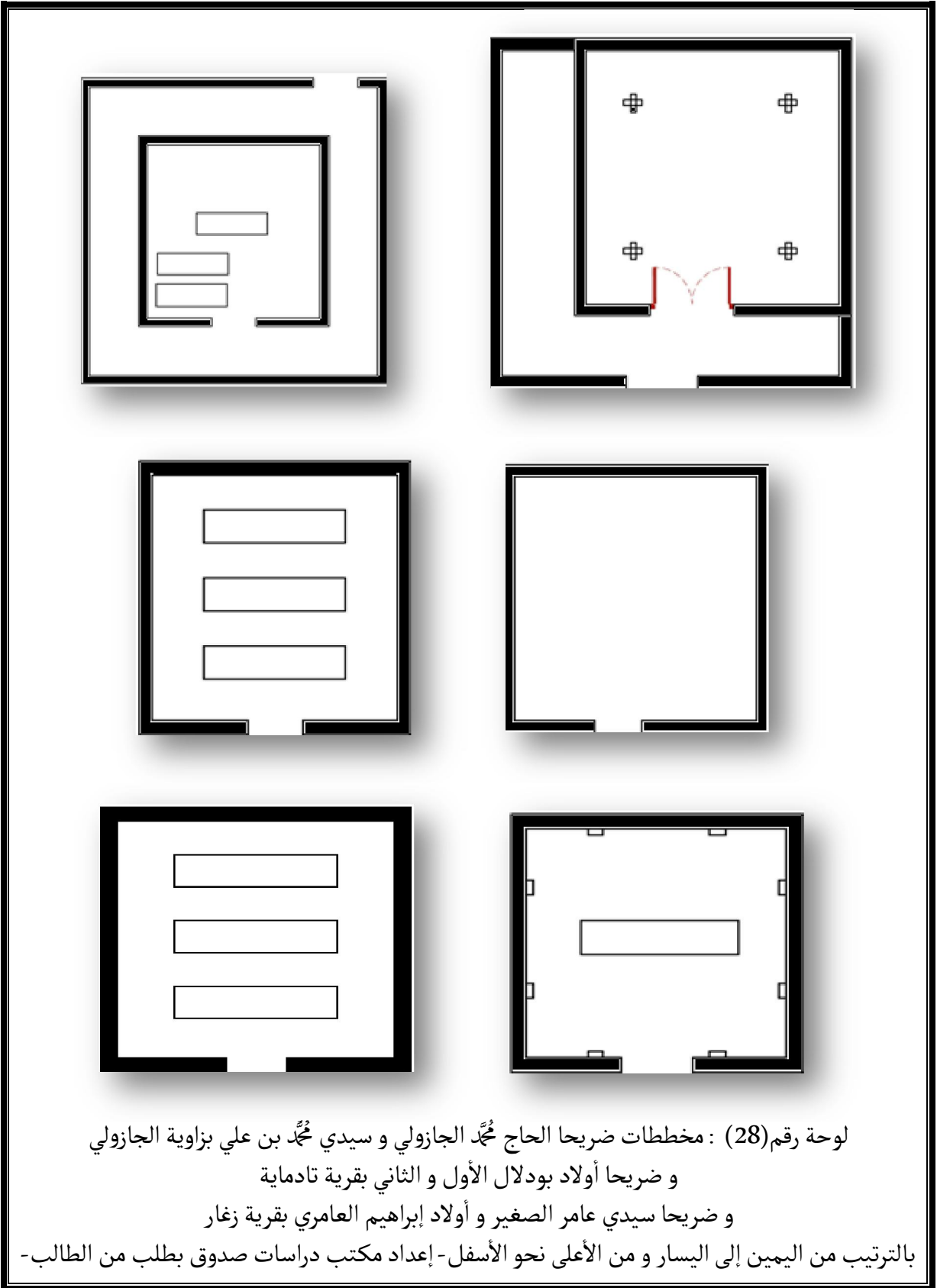


و مثل ذلك بأضرحة وادي قرية الطربان الثلاث.

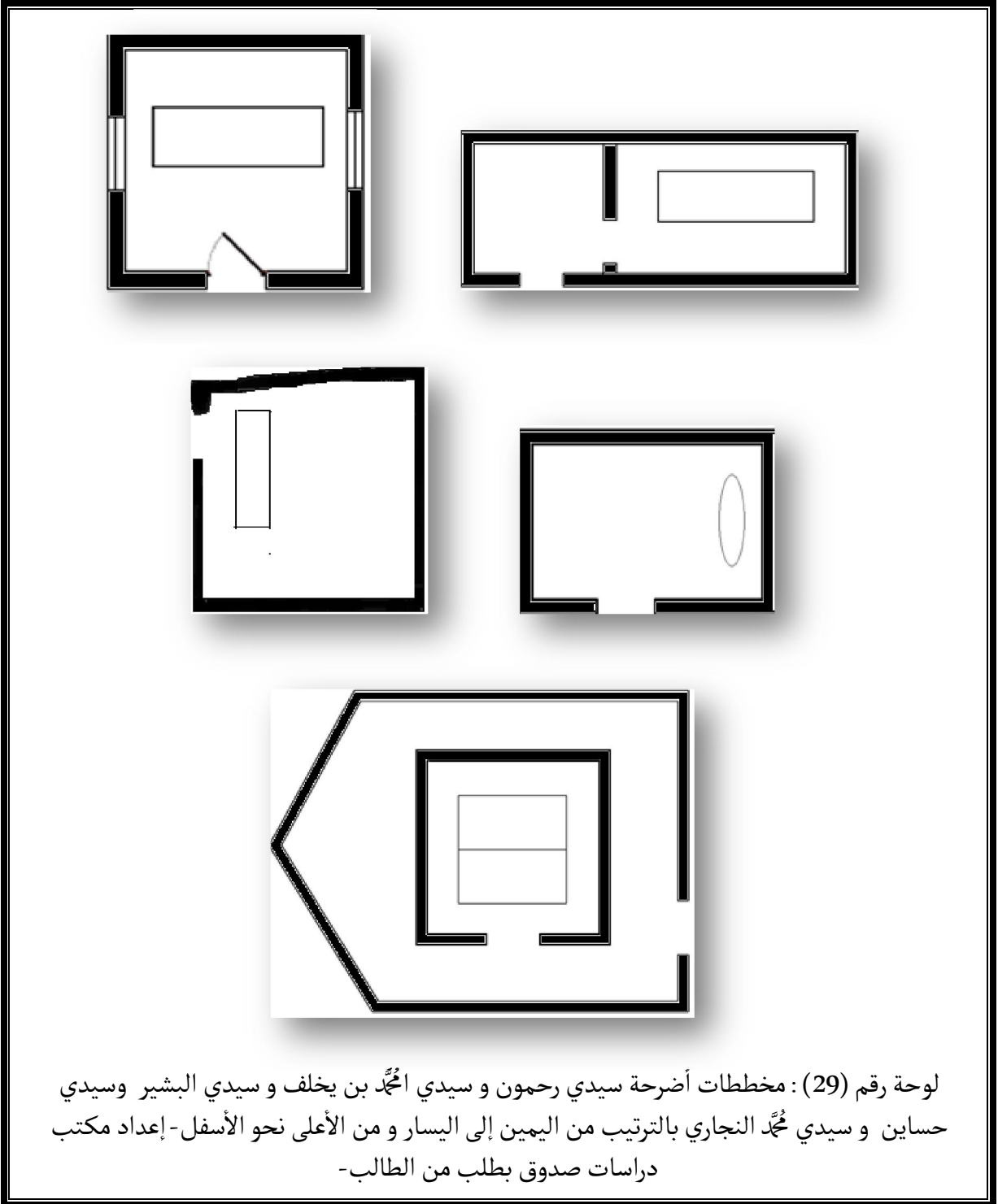


أو قبتان منفصلتا الهيكل موحدتا المجال و المكان مثل قبتا زاوية سيدي الجازولي و ضريحا أولاد بودلال و ضريحا أولاد عامر¹.

¹ هذا النوع من الأضرحة المتجمعة ، أو ضريح يضم عدة قبور ، هي المتعارف عليها بالمدفن أو التراب العائلي ، و هي ظاهرة سابقة لظهور الإسلام ، أما في العهد الإسلامي فربما أصلها ظهر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي دفن في حجرة عائشة و دفن بجواره الخليفين أبو بكر الصديق و عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، و من ثم إنتشرت هذه الظاهرة فتعددت القبور داخل الضريح الواحد أو تبنى مجموعة من القباب يدفن فيها أفراد العائلة الواحدة. أنظر كل من: أحمد رجب ، تاريخ و عمارة المزارات و الأضرحة الأثرية الإسلامية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 2005م ، ص 156. و : فادية عطية مصطفى ، عمائر القاهرة الجنائزية: دراسة أثرية معمارية ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية ، قسم الآثار الإسلامية ، جامعة القاهرة ، 2003م ، ص 543.

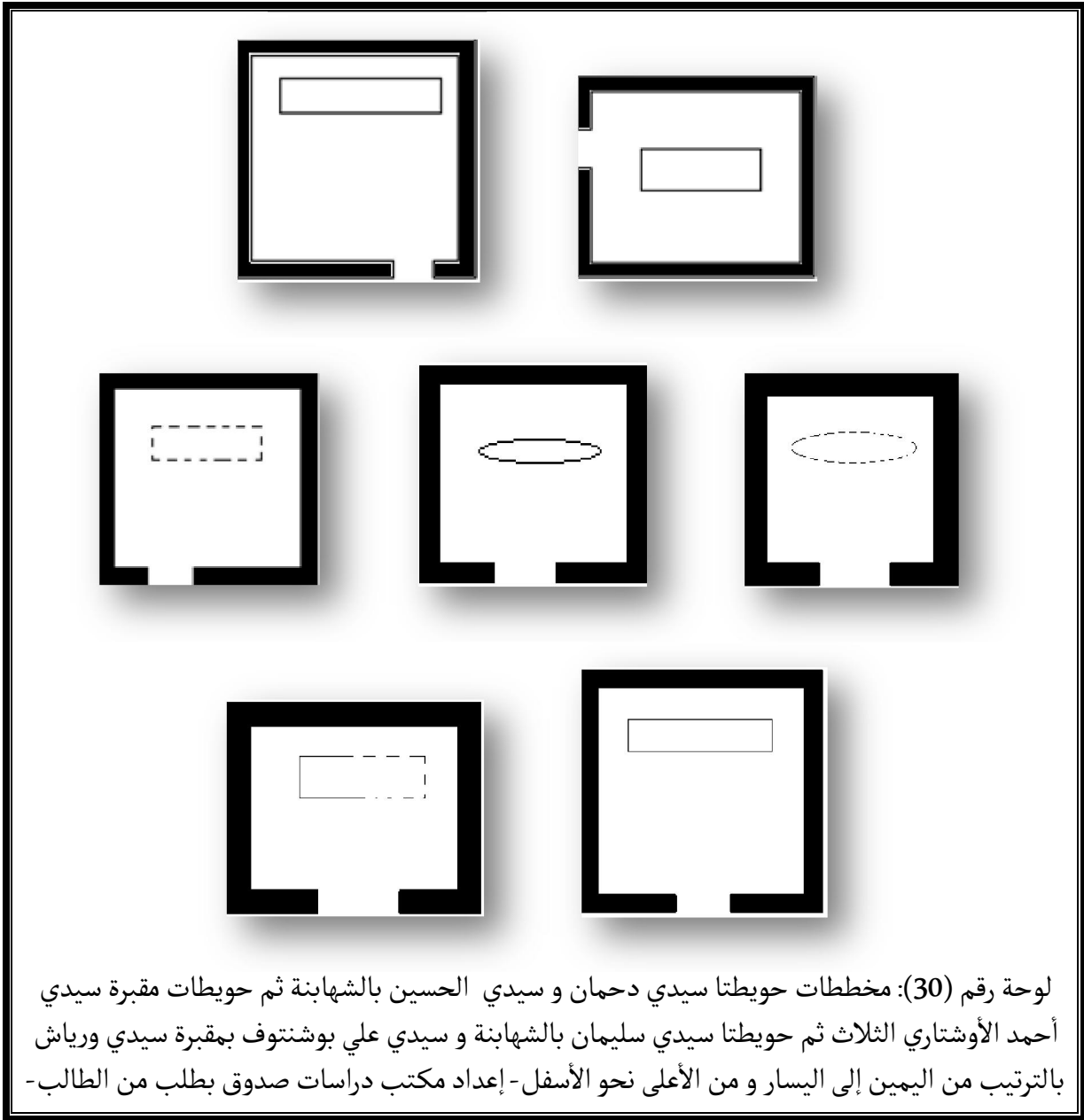


أو منفردة مثل ضريح سيدي رحمون و سيدي المجد بن يخلف و سيدي البشير و سيدي حساين¹ ، و سيدي محمد النجاري و إن كان هذا الأخير محاط بالسكنات.



¹ و إن كان هذا الأخير ملتصقا بالمسجد الجديد من جهته الغربية ، و هنا تبرز فكرة إن كان هذا المسجد في حد ذاته مستحدثا على أنقاض مسجد أقدم منه زمنيا أو بني ملاصقا للضريح تيمنا و تبركا به في إعتقاد من شيدوه.

في حين إنتظمت الحويطات المدروسة آخذة الشكل ما بين المربع أو المستطيل.



2-المخاريب : المخراب هو نصف الأسطوانة أو التجويف الجداري الذي يعلو رأسه نصف كرة تسمى الطاقية أو الطاسة أو الصّدفَة حسب طبيعة الزّخرفة¹، و يتوسط - غالبا- جدار القبلة الذي يقابل اتجاه الكعبة المشرفة، و هذا الوضع الجغرافي هو الذي حتم على المعماري المسلم توجيه المخراب نحو اتجاه الكعبة²، و بهذا فالمخراب هو جهة القبلة و توجه المصلين و المحل الذي يتصل الإنسان المسلم بربه، كما يمثل عنصراً في غاية الأهمية في عمارة المسجد بشكله المجوف، و

¹ قتيبة الشهابي، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996، ص 307.

² صالح بن قرينة، علم الآثار و الهوية المغربية، دار الهدى، عين مليلة، 2012، ص 65.

لم يذهب المسجد بعيداً عن منظومة المحراب الاعتيادية، فمحراب المسجد يرتفع بارتفاع جدار القبلة داخلياً تعبيراً عن السمو و يتناسب مع ارتفاعه القبة التي تعلو فراغ المحراب، و التي ترتفع عن مستوى كل عناصر المسجد باستثناء مئذنته، أما بمنطقة ولهافة فقد إحتوت كل النماذج المدروسة من المساجد على المحراب، إلا أن هذه الأخيرة إختلفت لعدة إعتبارات، فبإعتبار موضعها فغالبا ما تتوسط المحاريب الجدار القبلي لبيت الصلاة أو بالتقريب على أكثر تقدير، و هذا ما نلاحظه في محاريب مساجد سيدي يعقوب و سيدي المدني و البوحميدي و سيدي لعرج و زاوية سيدي الجازولي و مصليا أولاد بودلال و سيدي دحمان، بينما ينحاز عن متوسط الجدار القبلي قليلا في مسجد سيدي ورياش إلى جهة اليمين، و كليا في مسجد سيدي محبوب، و يوازي المحراب في كل الحالات الجدار القبلي عدا محراب سيدي محبوب الذي لم يأتي كذلك، و برزت كل المحاريب في شكل كتلة نحو الخارج عدا مسجد سيدي يعقوب أين برزت داخل مكتب الإستقبال، و إن إختلفت مساقطها من أسطوانية مثل سيدي محبوب، أو نصف دائرية بقببية مثل بروز محراب سيدي ورياش، أو مضلع ذو خمس أضلاع يعلوه هرم كما في مسجد سيدي المدني و سيدي يعقوب، أو مستطيلة تعلوها إنحناء نحو الجدار كما في مسجد البوحميدي و مصلى سيدي دحمان و مسجد الزاوية الجازولية، أو دونها كما في مسجد سيدي لعرج و مصلى أولاد بودلال، أما عن المسقط الداخلي للمحاريب فتعدد هو الآخر من خماسي الأضلاع كمحراب مساجد سيدي يعقوب و سيدي المدني و سيدي لعرج، إلى نصف دائري كمحراب مساجد سيدي ورياش و سيدي محبوب و زاوية سيدي الجازولي، أو منتظم و إما يكون مستطيل كما هو الحال بالنسبة لمحرابا مسجدا البوحميدي و سيدي دحمان أو مربع كما هو الشأن بالنسبة لمحراب مصلى أولاد بودلال.

أما بإعتبار التجويفة التي تكتنف فتحة المحراب من الأعلى و بإستثناء مسجد الزاوية الذي لم نلج إليه، فقد إنتهت كلها بعقود رغم إختلاف شكلها، كالعقد النصف دائري المتجاوز في محرابا مسجدا سيدي يعقوب و سيدي المدني و العادي في محراب مصلى سيدي دحمان أو المنخفض كما في محراب البوحميدي أو تقريبا مثل مصلى أولاد بودلال، أو عقد مدبب سواء المنخفض كما في محراب سيدي ورياش أو مرتد كالذي في محراب مسجد سيدي لعرج، أو غير منتظم أصلا كالذي بسيدي محبوب.



محراب مسجد سيدي المديني



محراب مسجد البوحميدي الولهاسي



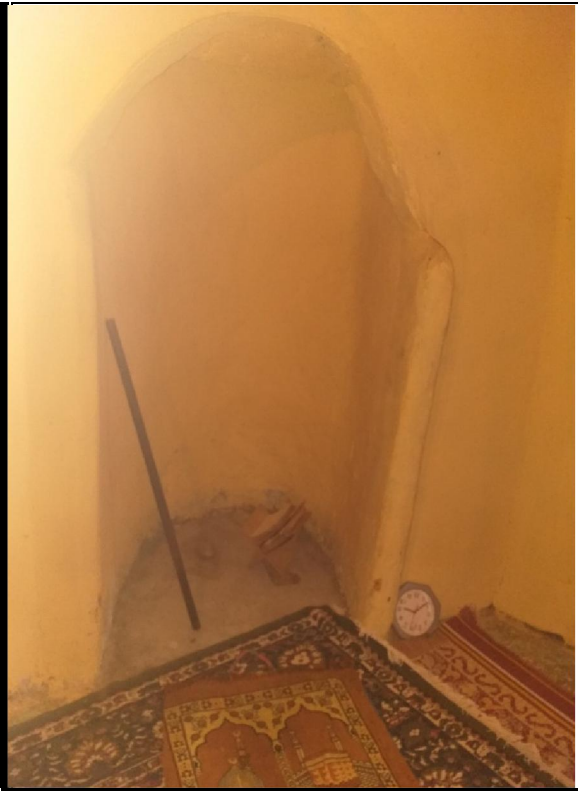
محراب مسجد سيدي دحمان



محراب مصلى ضريحا أولاد بودلال



محراب مسجد سيد لعرج



محراب مسجد سيدي محبوب



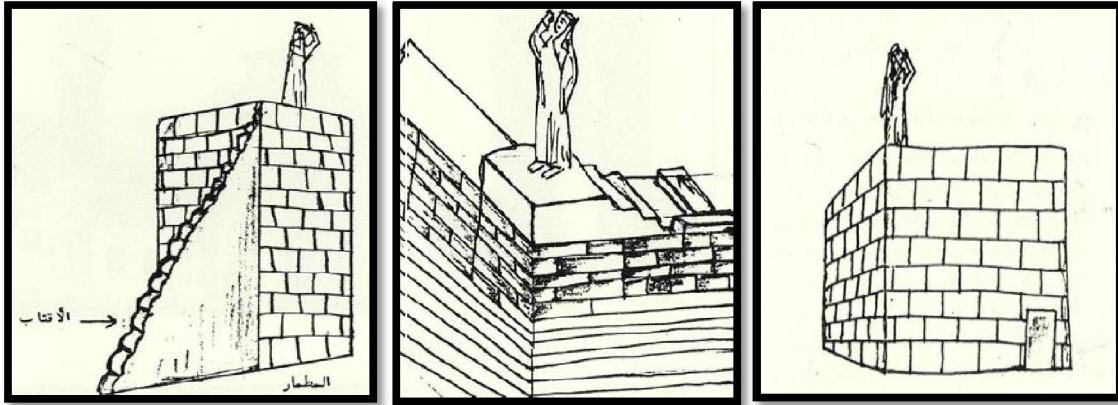
محراب مسجد سيدي يعقوب



محراب مسجد سيد ورياش

لوحة رقم (31): محاريب مساجد ولهافة الأنموذجية في دراستنا من تصوير الطالب-

3-المآذن : اعتُبرت المآذن من أهم عناصر عمارة المساجد الإسلامية و ما تزال إلى يومنا هذا كذلك، إذ لا يخلو مسجد منها -تقريباً- فمنها ينطلق الأذان، و بها ترى المساجد و تميز، و يطلق في بلادنا على المئذنة كثيراً اسم الصّومعة، و كما هو متفق عليه فإن المئذنة لم تكن أصلاً من العناصر المعمارية الأساسية في المساجد خاصة إذا ما أخذنا بعين الإعتبار أن مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم لم يكن له مئذنة في الأول، بل مر الأذان في باديء الأمر بثلاث مراحل، بداية من آذان بلال -رضي الله عليه- على سطح أطول بيت حول المسجد على حسب ما ذكر السهودي أن أبو داود و البيهقي و ابن إسحاق عن امرأة من بني النجار قالت: " كان بيتي أطول بيت حول المسجد، وكان بلال يؤذن عليه الفجر..."¹، مروراً بما ذكره ابن سعد بإسناده في الطبقات الكبرى عن أم زيد بن ثابت قالت: " كان بيتي أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن أول ما أذن، إلى أن بنى رسول الله صلى الله عليه و سلم مسجده، فكان يؤذن بعد على ظهر المسجد و قد رفع له شيء فوق ظهره-تقصد المسجد-"²، وصولاً إلى ما نقله مرة أخرى السهودي عن الأقبهري عن عبد العزيز بن مروان: " كان في دار عبد الله بن عمر أسطوان في قبلة المسجد يؤذن عليها و هي مربعة قائمة إلى اليوم - عاش عبد العزيز بن مروان ما بين 199هـ و 286هـ - يقال لها المطمار."³.



لوحة رقم (32): أشكال تبين مراحل تشكل المئذنة من اليسار إلى اليمين.
نقلا عن: رسلان عبد العزيز، نشأة المئذنة، مجلة الدارة، عدد 7، جامعة الفيوم، 2015م، ص41.

و تجادل عديد المختصين حول الأصل المعماري الإشتقاقي للمئذنة، ما بين منارة الإسكندرية أو أبراج معابد بلاد الشام، في حين أن دخول هذا العنصر للمسجد كان متأخراً عن بداية بناء هذا

¹ السهودي المصري، وفاء الوفا، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1981م، ص229.

² عبد القادر محمد بوزيان، صفوة البيان في أحكام الإقامة و الأذان، دار النصر للطباعة، الرباط، 2013م، ص59.

³ السهودي، المصدر نفسه، ص530.

الأخير، و من الممكن أن تكون مئذنة جامع البصرة التي بناه عامل البصرة زياد بن أبيه سنة 45هـ/665م هي البداية الفعلية لإدراج هذا العنصر في المساجد، متبوعة بالصوامع الأربع التي أقامها مسلمة بن مخلد عامل مصر في مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط سنة 53/672م، و في دراستنا هـ(ذو إحتوى أنموذج واحد على هذا العنصر، و نقصد به مجمع الولي الصالح سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني، و الذي جاءت مئذنته منفصلة عن المسجد و الضريح رغم تزامن بناءها مع المسجد و قبل بناء الضريح¹، و هذا بسبب آلية جمع مياه الأمطار التي توسطت المسجد و المئذنة، و بلغ ارتفاعها 16.55 م، بحيث طول بدنها 15.02م و طول جوسقها 1.53 م تقريبا، هذا الأخير به حفرة صغيرة في أعلاه و هي مكان لسفود يعلوه هلال لم يعد له وجود، و به فتحة في شرقه نصل بها إلى شرفة المئذنة ارتفاعها 91 سم و عرضها 72 سم، و مدخل المئذنة في جهتها الشرقية و يفتح على جهة اليمين ارتفاعه 3.10م و يعلوه قوس نصف دائري، أما عرضه 1.60 م، بجوفها (داخلها) سلم حلزوني به درجة أولى من الأرض طولها 59 سم و عرضها 32 سم و ارتفاعها 31 سم، تعقبها 30 درجة طولها 56 سم و عرضها 32 سم و ترتفع 36.5 سم، و على أطرافها الأربعة شُرَافَات (شُرُفَات) ذي ثلاثة مكعبات مربعة ضلع الواحد منها 23 سم.



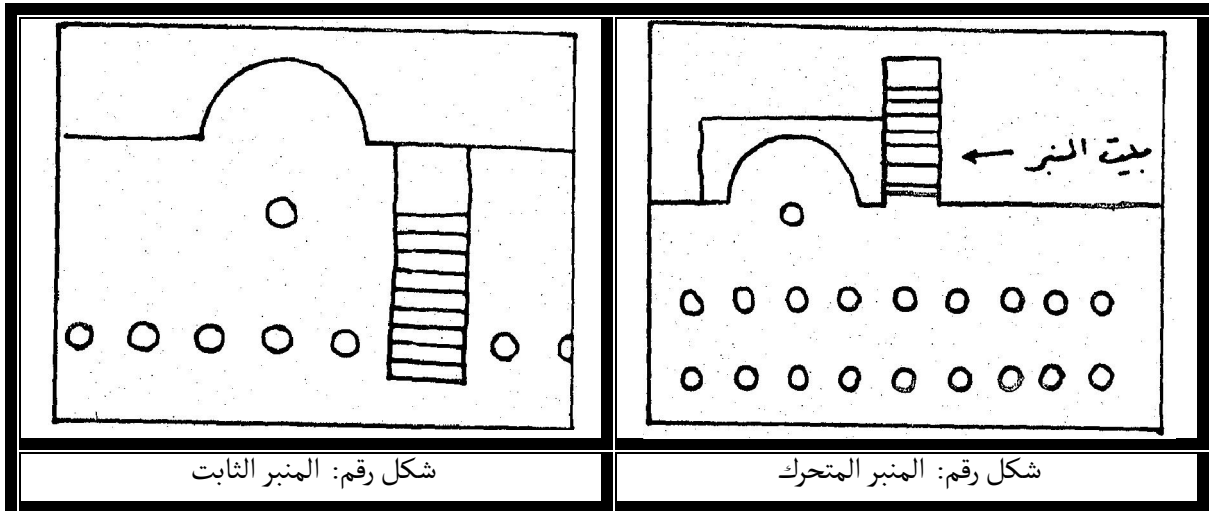
صورة رقم(34): مئذنة مسجد سيدي يعقوب من تصوير الطالب-

¹ شهادة سيدي يعقوب عبد الوهاب، مقدم و إمام زاوية سيدي يعقوب، مقابلة معه في 25 ديسمبر 2016.

4- المصنوعات الخشبية المنقولة:

لم تخلو المساجد و الأضرحة من المنتجات الفنية الخشبية، إذ ساعد تواجد هذا الأخير بكثرة، و سهولة العمل عليه و به و ليونته و سرعة التحكم فيه على تشكيل عدة منشآت فنية أهمها في دراستنا المنابر و التوابيت.

أ-المنابر: تفنن المسلمون في صنع المنابر و أبدعوا، حتى كانت المنابر إحدى المجالات التي أظهرت تذوقهم الجمالي و قدرتهم على الإبداع بكل قوة، و تتلخص أهمية المنبر بالنسبة للمساجد الإسلامية الأولى من حيث أنه كان العلامة المميزة للمسجد الجامع، و المنبر هو منصة مرتفعة من الحجر أو الرخام أو الخشب - و هو الغالب - تتسع لوقوف و جلوس الخطيب، و يقع في يمين المتوجه إلى المحراب، و هو نوعان متحرك يدخل و يخرج إلى مكان معد لذلك أو ثابت في مكانه.



شكل رقم: المنبر الثابت

شكل رقم: المنبر المتحرك

لوحة رقم(33): شكلا تخطيط مكان المنبر الثابت و المتحرك - نقلا عن: مبارك عبد المجيد، قصر مفرار التحتاني: دراسة أثرية و معمارية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية، كلية الآداب و العلوم الإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2001م، ص115.

و عنه يقول مُجَّد عاصم رزق: "المنبر جمعه منابر مرقاة يرتقيها الخطيب أو الواعظ في المسجد أو غيره و قد سمي منبرا لعلوه و ارتفاعه".¹، و ضم المنبر عدة أقسام، وضحها الأستاذ ذيب بديرينة في دراسته قائلا: " إن الصورة الآلية للمنابر عموماً سواء كانت خشبية أم حجرية، هي ذات المسقط المتعامد على جدار القبلة و الصف الأول، الممتد قاطعا الصفوف بحسب طوله المرتفع فوق رؤوس المصلين، المزود بباب ورائه ستارة و بدرج و درابزين على جانبيه و مجلس

¹ مُجَّد عاصم رزق، المرجع السابق، ص 302.

للخطيب في آخره العلوي، و الذي يعلوه جوسق فوقه قبة صغيرة، و هي الغالبة على المساجد القديمة المبنية في العهود الإسلامية إبتداء من أيام الأمويين إلى ما بعد سقوط الدولة العثمانية.¹ و يمكن حصر أقسام المنبر في المدخل و فتحته المؤدية إلى جلسة الخطيب عبر درج تحيط به من الجانبين الريشتان اللتان يعلو كل واحدة منها درابزين، و يعلو جلسة الخطيب القبيبة و يفتح في الجانبين تحت جلسة الخطيب بابين معقودين، و قد ظهر المنبر أول ما ظهر في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم في السنة التاسعة للهجرة على الأرجح² من صنع غلام العباس عم الرسول يدعى باقول، إستجابة لإقتراح تميم الداري و مشورة من أصحابه صلى الله عليه و سلم، ثم إتخذ عمرو بن العاص لنفسه منبرا في جامع بالفسطاط فنهاه عمر ابن الخطاب عن ذلك و أمره بإزالته³، و حسب عبد الرحيم غالب و فريد الشافعي فإن منبر جامع القيروان يعتبر أقدم منبر لا زال موجودا لليوم، في حين يشير حسين مؤنس إلى أن أول منبر خشبي مثل منابر اليوم هو منبر جامع قرطبة، و الذي ظهر قبل المنابر المصرية التي لم تظهر إلا في جامع ابن طولون، و تواصلت المنابر تتعدد زخارفها، و تختلف أشكالها، و لم تخلو مساجد ولهافة الحالية و القديمة رغم صغرها من عنصر المنبر مثلها مثل باقي المساجد، أما في نماذجنا فلم نجد في المصليات و نقصد بها مصلى مقبرة أولاد بودلال و مصلى سيدي محبوب، و في المساجد الأثرية بكل سيدي دحمان⁴، وكذا في سيدي لعرج و الذي تبدو فيه الغرفة المعدة للمنبر واضحة لكن لم يعد موجودا فيه ولا نعرف ما مصيره، بينما لم نستطع الولوج إلى مسجد زاوية سيدي الجازولي، في حين وجد في كل من جامع سيدي يعقوب و الذي إضافة إلى منبره الموجود به وجد منبر آخر قديم محفوظ بالمدرسة القرآنية الحديثة، إضافة إلى منبري مسجدا سيدي المدني و البوحيمدي، و البداية بمسجد سيدي يعقوب الذي جاء منبره خشبيا متحرّكا مزوّدا بأربع عجلات، يرجع للفترة العثمانية، مصنوع من الخشب الصّلب، يتكوّن من ثلاث درجات طول كلّ واحدة 60 سم وعرضها 37 سم بينما ارتفاعها 31 سم، نصل بها عن طريق درابزين ارتفاعه 62 سم و طوله 1.25م و سمكه 10 سم إلى جلسة الخطيب (المجلس) التي طولها 82 سم و عرضها

¹ ذيب بديرينة، المنابر الرخامية بمساجد الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2010م، ص33.

² اختلفت الروايات حول تاريخ إتخاذ النبي صلى الله عليه و سلم لهذا المنبر، فقيل في السنة السابعة للهجرة حسب ابن سعد في الجزء الأول من كتابه الطبقات الكبرى، و قيل الثامنة كما ذكر الهروي في الأخبار، لكن الأصح هو التاسعة للهجرة إذا ما أخذنا بعين الإعتبار أن تميم الداري القادم من فلسطين دخل المدينة في هذه السنة، بينما المعروف عن العباس بن عبد المطلب فقد قدم المدينة بعد فتح مكة أي في أواخر القرن 8 الهجري.

³ مُجّد هزاع الشهري، عمارة المسجد النبوي منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكي، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2005 م، ص73.

⁴ رغم أن المنبر المحفوظ في المسجد العتيق يرجح أنه نقل إليه من المسجد الأثري المجاور له.

60 سم، و ارتفاع جانبيها الأيمن و الأيسر 60 سم يتوسّطها عقدان مفصّان قطرها 74 سم وارتفاعها 42 سم ، في حين جانبيها الخلفي على شكل كرسي ذو خلفية مقببة أقصى ارتفاع له هو 84 سم و هو مزوّد بدعامتين خشبّيتين على شكل حرف V طول كل واحدة منها 82 سم.



صورة رقم (35): منبر مسجد سيدي يعقوب من تصوير الطالب-

و قدر طول المنبر ككلّ 1.83 م و عرضه 65 سم، و قد حافظ على شكله ومقوماته و ربّما يرجع ذلك إلى صناعة العثمانيين للمنابر حيث يتم معالجة الخشب بتغطيته بمحلول مخفّف من المستكة و النفط¹، أما غرفة المنبر فهي ذات شكل مستطيل طوله 1.75م و عرضه 76 سم ، و بها على يمين المنبر تجويف ينتهي بقببية (طاسة أو طاوية) صغيرة في أعلاه. بينما منبر مسجد سيدي المدني فجاء روعة في الجمال زاده حجمه أهبة و إحتراما، مثبت على يمين المحراب بواسطة حواف إسمنتية، و هو منبر خشبي طوله 2.1م و عرضه 70سم، يتكون مدخله من فتحة معقودة بعقد مرتد مدبب، يقوم على عضادتين، و يعلوه إفريز مستطيل، وسقف هذا المدخل بقببية جوانبها مقوسة و واجهتها مزخرفة، و تتكون الريشتان من حشوات مربعة متناقصة العدد نحو الأعلى مصفوفة في ستة صفوف، و أخرى مستطيلة بسيطة محصورة بداخل الحشوات المربعة.

¹ خيرة بن بلّة ، منابر مساجد الجزائر في العهد العثماني: دراسة أثرية فنية ، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب ، العدد 13 ، القاهرة، 2012، ص156.



صورة رقم(36): منبر مسجد سيدي المدني-من تصوير الطالب-

و الجزء الذي يعلو جلسة الخطيب ذات طول 70 سم و عرضها 60 سم لا يحتوي على قبيبة مثل القببات التي إعتدنا عليها في المنابر الإسلامية، بل إنتهت خلفيتها بشكل معقود بعقد نصف دائري على طرفيه رمانتين، و إكتنفها من الجانبين تشبيك أساسه قوائم بسيطة، و ربطت العضادتين اللتان بالمدخل مع جانبي جلسة الخطيب مكونة درابزين قوامه عارضة خشبية واصلة طولها 1.2م و تشكل درج المنبر من ستة درجات بجلسة الخطيب طولها 70سم و الذي هو عرض المنبر و عرضها 68سم.

أما آخر منبر فقد حالته سيئة جدا، و نقصد به منبر مسجد البوحيمدي الذي شهد سقوط البعض من أجزائه، و قد تم وضعه في نفس القسم من المسجد الذي به قبر سيدي علي بن يوسف، طوله 1.58م موزع على ثلاث درجات طولها الذي هو عرض المحراب قريب من 62 سم، و عرضها 42سم، مرتفعة عن الأرض ب 20سم و 35سم و 55سم على التوالي، و هذا التدرج في الإرتفاع هو الذي يحدد الريشتان البسيطتان، نصل عبر هذه الدرجات الثلاث إلى جلسة الخطيب المربعة الشكل بضع قدره 62سم، إكتنف جانبيها مجنبتان خشبيتان مستويتان يعلو كل واحدة منهما، فتحة بشكل عقد مرتد مدبب مشطور المفتاح، و نفس العقد يعلو الواحمة في حين بقيت خلفيتها مفتوحة، فلعلها سقطت مثلما يبدو الأمر بالنسبة للخشبة السفلية التي يجلس عليها الخطيب و كذلك أسفل مجنبتا الجلسة.



صورة رقم (37): منبر مسجد البوحميدي من تصوير الطالب-

و يمكن القول أن المنابر الثلاثة المدروسة إحتوت على كل العناصر المكونة للمنابر عموماً، بداية من المقاييس العامة للمنابر فقط تجاوز طول منبر سيدي المدني المتران، بينما تراوح بين 1.5م و 1.8م تقريباً، بينما جاء عرض المنابر الثلاثة محصور بين 60 و 70سم، أما المدخل و فتحته إذ و رغم غيابه في منبرا مسجدا البوحميدي و سيدي يعقوب، إلا أنه جاء معقود بعقد مرتد مدبب محمول على عضادتين جانبيتين، و تعلوه قبيبة مزخرفة في مسجد سيدي محمد المدني، أما المداخل الجانبية الموجودة تحت جلسة الخطيب، فقد إنعدمت في ضريحاً مسجدا سيدي يعقوب و سيدي المدني، و فتحت بشكل مربع في منبر مسجد البوحميدي أو لعلها كانت مغلقة وسقطت مع مرور الزمن، بينما الدرجات الصاعدة إلى جلسة الخطيب فقد إختلف عددها و مقاييسها، ففي منبر مسجد سيدي يعقوب عددها ثلاث درجات بعرض 60 سم، و بنفس العدد في منبر مسجد البوحميدي إلا أن عرضها قدر ب 62 سم، أما منبر سيدي المدني فقد ضم ست درجات متماثلة العرض و الذي قدر ب 68سم، ثم الريشتان و اللتان جائتا بسيطتان و لا يتجاوزان حدود الدرجات في منبر البوحميدي، و أخذتا شكل مثلث قائم متدرج الوتر في مسجد سيدي المدني، و قوامها حشوات مربعة الشكل معشقة، و قسم كل مربع إلى مستطيلين، بينما في سيدي يعقوب جاءت الريشتان مترابطة مع الحواف العلوية للدرجات، و توسط الجزء منها الذي تحت جلسة الخطيب شكل نجمة بارزة، و يعلو كل ريشة الدرايزين المنعدم في منبر

مسجد البوحميدي، و المتكون من مقبض خشبي في المنبرين الآخرين، و هذا المقبض مثبت في الأعلى بمجنبتين جلسة الخطيب في كلا المنبرين، في حين ثبت في الأسفل بعضدتي المدخل في منبر سيدي المدني، و بقوأم متصلة بنائمة الدرجة الاولى في منبر سيدي يعقوب، و الجزء الموالي هو جلسة الخطيب المستطيلة المسقط بمسجد سيدي المدني طولها 70سم و عرضها 60سم محاطة بخلفية معقودة الأعلى و مجنبتين مشكلتين من قوأم، و بنفس المسقط جاءت في منبر سيدي يعقوب لكن أبعادها إختلفت عن الأول فجاء طولها 82سم و عرضها 60سم محاطة بخلفية معقودة و مجنبتين فتح في وسطها فتحة عبي شكل عقد نصف دائري مفصص، و رغم سقوطها في منبر البوحميدي إلا أن أبعادها جاءت في قوام المربع ذات الضلع 62سم، محاطة من الجانبين بثلاث صفائح خشبية مترابطة، يعلوها الجزء الحامل للقبية و الذي أخذت مجنباته و واجهته شكل عقد مرتد مدبب مشطور المفتاح، و ربما كانت فيه قبية و سقطت.

ب- التوايت أو الهياكل الخشبية : التابوت هو الصندوق الخشبي الذي يحفظ فيه المتاع، و هو النعش الخشبي الذي يسجى فيه الميت¹، كما يعتبر من التحف المنقولة في الأضرحة الإسلامية التي توضع فوق قبور الأولياء و الصالحين و الحكام و العارفين بعد وفاتهم²، و تغطي عادة التوايت بأقمشة خضراء اللون أو السوداء و تزين بألوان مذهبة، و يتكون التابوت غالبا من أربع أقسام هي الواجهات الأربع، المجنبتين منها تكون مزينة بحشوات أو زخارف لونية، و يتوسطها الباب، المعقود غالبا، و يعلو واجهة مقدم الرأس الصدر، و يعلو التابوت قبة أو قبو، و قد إحتوت بعض الأضرحة في منطقة ولهافة على تابوت بل تعدى الأمر إلى إحتواء الضريح الواحد على تابوتين، و البداية بضريح سيدي الحاج محمد و سيدي محمد بن علي بزواية سيدي الجازولي، إذ إحتوى الأول على تابوت واحد بينما إحتل جزء من الضريح الثاني تابوتان، و جاءت كلها متشابهة و متقايسة، فهي توايت مستطيلة الشكل، ذات طول 1.7م و عرض 0.90م، يتكون كل واحد منها من أربع واجهات، إثنان جانبيتان عرضيتان، و إثنان طوليتان لا تحملان أي جهة منها للصدر، أخذت الواجهات الأربع في ضريح الحاج محمد الجازولي شكلا بسيطا خال من أي زخرفة أو نقوش، بينما تكونت واجهات تابوتا ضريح سيدي محمد بن علي من تجميع حشوات مستطيلة الشكل بواسطة النقر و اللسان، تعلو التوايت الثلاث قبوة نصف أسطوانية أو مهدا نصف برميلييا، و إرتكزت التوايت الثلاث على أربع قوأم صغيرة.

¹ محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص 43.

² ربيع حامد خليفة، الفنون الإسلامية في العصر العثماني، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة 2001م، ص 197.

أما تابوت ضريح مولاي مُحَمَّد بقرية الشهبانة، فقد جاء على هيئة صندوق خشبي مستطيل الشكل عرضه 0.7م و طوله 1.5م، واجهاته العادية عادية و لا تحملان أي زخرفة، ولا يحمل التابوت أي عنصر آخر غير الواجهات الأربع، سوى عمود عليه علم يرتفع من واجهته العرضية الجنوبية.



تابوت ضريح
الحاج مُحَمَّد
الجازولي



تابوتا
ضريح
سيدي مُحَمَّد
بن علي

لوحة رقم (34): صور توابيت قبتا زاوية سيدي الجازولي-من تصوير الطالب-

و جاءت كلها متشابهة و متقايسة، فهي توابيت مستطيلة الشكل، ذات طول 1.7م و عرض 0.90م، يتكون كل واحد منها من أربع واجهات، إثنان جانبيتان عرضيتان، و إثنان طوليتان لا

تحملان أي جهة منها للصدر، أخذت الوجحات الأربع في ضريح الحاج مُحَمَّد الجازولي شكلا بسيطا خال من أي زخرفة أو نقوش، بينما تكونت واجحات تابوتا ضريح سيدي مُحَمَّد بن علي من تجميع حشوات مستطيلة الشكل بواسطة النقر و اللسان ، تعلو التوايت الثلاث قبوة نصف أسطوانية أو مهذا نصف برمبليا، و إرتكزت التوايت الثلاث على أربع قوائم صغيرة. أما تابوت ضريح مولاي مُحَمَّد بقرية الشهبانة، فقد جاء على هيئة صندوق خشبي مستطيل الشكل عرضه 0.7م و طوله 1.5م، واجماته العادية عادية و لا تحملان أي زخرفة، ولا يحمل التابوت أي عنصر آخر غير الواجحات الأربع، سوى عمود عليه علم يرتفع من واجمته العرضية الجنوبية.



صورة رقم (38): تابوت مولاي مُحَمَّد من تصوير الطالب-

ثم تابوت ضريح سيدي عامر الصغير، المستطيل الشكل بطول 1.8م و عرض 0.85م، تكونت واجمته العرضيتان من قوائم محصورة بعوارض تشكل شكلا مربعا، أما واجمته الجانبيتان فقد زينتا بتجميع حشوات مربعة و مستطيلة، يتخللها بعض الحشوات المزدانة بزخارف نباتية و هندسية نفذت بأسلوب التخريم، و أحيطت المجنبتان أسفل هذه الحشوات بصف من القوائم الصغيرة، توج كل إثنان منها متتاليان عقد نصف دائري، يعلو الواجحة الجنوبية من التابوت صدرا معقودا بعقد نصف دائري، وضع في جانبيه رمانتين، حمل الصدر و العقد كتابة شاهدة.



صورة رقم (39): تابوت سيدي عامر الصغير-من تصوير الطالب-

و لم يعلو التابوت أي قبة أو قببية غير أنه تم فتح الباب في أعلاه، وجاء هذا الأخير عبارة عن فتحة مستطيلة الشكل طولها 56سم و عرضها 42سم، محددة الحواف بواسطة قطع خشبية. و يشبه هذا التابوت إلى حد بعيد تابوت ضريح سيدي يعقوب، خاصة في القياس المشترك، و في شكل الصدر عدا الرمانتين اللتان لم تتواجدا فيه.



صورة رقم (40) : تابوت سيدي يعقوب-من تصوير الطالب-

و الذي حمل هو الآخر كتابة لكنها تذكارية هذه المرة، بينما زخرفت مجنبتيه الطوليتين بزخارف لونية قوامها أشكال نباتية و هندسية، وكذلك إختلف موضع الباب في هذا التابوت، فقد جاء في الواجهتان الجانبيتان كما هو الأمر بالنسبة لكثير من التوابيت العثمانية. الأنموذج السابع هو تابوت ضريح سيدي محمد المدني، و الذي لا يختلف عن القياسات العامة في التابوتين المتقدمين، و جاء صدره أقل طولاً و إنتهى بعقد منخفض ليس عليه أية كتابة، و لا يعلوه سوى عمودين متقاطعين يحملان علماً، زينت مجنبتاه الطوليتان بزخارف لونية قوامها أشكال هندسية و نباتية، و فتح في الشرقية منها المقابلة لمدخل الضريح الباب الذي أخذ شكل مدخل معقود بعقد نصف دائري متجاوز محمول على عمودين وهميين ملونين.



صورة رقم (41): تابوت سيدي المدني من تصوير الطالب-

أما آخر تابوت فهو الخاص بضريح سيدي محمد النجاري، و الذي جاء مستطيلاً هو الآخر طوله 1.72م و عرضه 0.7م، و يخلو من عنصرا الباب و الصدر، بينما قوام واجهاته الأربع مجموعة معينات متساوية، يمكن القول عنها أنها شكلت شبكة من المعينات.



صورة رقم (42): تابوت سيدي محمد النجاري-من تصوير الطالب-

و في الأخير يمكن القول أن التواييت بأضرحة ولهاصة و إن تشابهت تقريبا في القياس، إلا أن تشكيلتها التقنية و الفنية اختلفت من تابوت لآخر.

5- الفضاءات المحيطة المكشوفة و المسقوفة¹: يطلق على المساحات المكشوفة من المساجد، أو المحيطة بالأضرحة لغرض الإضاءة أو التهوية الصّحن و الفناء، إضافة إلى مصطلحات السّاحة أو الباحة²، كما أنّ الصّحن يمثل القسم المنكشف من المبنى و عليه تطلّ الأبواب و التّوافذ³، و رغم غياب هذه الخاصية غالبا في الأضرحة الريفية، خاصة المنفردة، دون الحديث عن الحويطات لأنها في حد ذاتها مكشوفة، إلا أن هذا الأمر لم يمنع من تميز بعض النماذج المدروسة بهذه الخاصية، و البداية بمجمع سيدي يعقوب حيث وجدت به ثلاث مساحات مختلفة الحجم و الموضع إثنان منها مكشوفة و الثالثة مسقوفة، المساحة المكشوفة الأولى هي التي أطلق عليها الصحن، و يتواجد في الناحية الشماليّة من المسجد و الضريح، و هو غير منتظم الشّكل يبلغ أقصى طول فيه 22.31م تقريبا، بينما أقصى عرض فيه حوالي 12.53م تقريبا، في حين طول كل محيطه يبلغ تقريبا 74.41م، يتّصل بقاعة التّداوي بباب عرضه 1.24م و ارتفاعه 1.78م، يعلوه قوس نصف دائري قطره 1.24م وارتفاعه 1.04م، كما يتّصل بقاعة الضيوف عبر باب ارتفاعه 2م و عرضه 1.05م، إضافة إلى باب ثالث يؤدي إلى الخارج في جهته الشماليّة عرضه 0.98م و

¹ أحيانا يتم تسقيف هذه المساحات لسبب من الأسباب، كإتخاذها مركزا تعليميا أو قاعة لإنتظار زوار الضريح أو للدفن داخلها.

² محمّد حمزة الحدّاد، دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2005، ص 34.

³ محمّد عاصم رزق، المرجع السابق، ص 167.

ارتفاعه 0.72م، و يتواجد بالصحن مساحات خضراء و قبور لأفراد العائلة، و جب مائي، بينما الفضاء المكشوف الثاني هو الفناء الخارجي و الذي يقع في الجهة الشرقية ويمتد إلى غاية الجهة الجنوبية ليحوي الميضأة داخل مساحته، يحيط به سور، ونصل إليه من الجهة الشرقية عبر مدخل عرضه 2.03م و إرتفاعه 2.45م تتقدمه 6 درجات طولها 2م وعرضها 40 سم وارتفاعها 27سم، كما هناك مدخل آخر في الجهة الشمالية عرضه 1.12م وارتفاعه 2م تقريبا يؤدي إلى منزل الولي¹، أما المساحة الثالثة المسقفة فهي التي يطلق عليها بيت الضيوف أو الميعاد و هي الغرفة التي تسبق مدخل الصريح²، و هي مكسية ببلاطات خزفية زرقاء حديثة، شكلها غير منتظم من جهة الشمال طولها حوالي 7.50م و عرضها 3.60م في أقصى الحالات، تتصل بالصريح عن طريق باب مسبوق بثلاث درجات، ارتفاعه 2.13م و عرضه 1م تقريبا، و باب يؤدي إلى الصحن ارتفاعه 2م و عرضه 1.05م، و لها باب يؤدي إلى خلوة الشيخ و بجدارها الجنوبي نافذة.

و تميز ضريحا زاوية سيدي الجازولي هما الآخران بتواجد الفناء الخارجي، و الذي جاء في حالتها عبارة عن سور إرتفاعه 1.5م تقريبا، يحيط بصريح سيدي محمد بن علي من جهات أربع، و يبعد عن جدار الصريح ب 1.1م، و هو ذو أرضية مبلطة بوحدات خزفية سوداء و بيضاء بالتناوب، ندخل إليه عبر واجهة مكسية بالبلاطات الخزفية في جهته الغربية بواسطة مدخل عرضه 1م و إرتفاعه 2م، معقود بعقد نصف دائري يعلوه إفريز صغير تغطيه وحدات من القرميد المقعر، و فوق هذا الشريط أو الإفريز في كل طرف شرافة مسبوقة بحامل معدني خاص بوضع العلم، بينما يحيط بصريح سيدي الحاج محمد الجازولي من جهتين عدا جهته الغربية الملتصقة مع منزل العائلة و الجهة الشمالية، يبعد عن جدار الصريح ب 1.2م الجنوب و أقل من ذلك في جهة الشرق، كسيت أرضيته بطبقة إسمنتية، ندخل إليه عبر واجهة مكسية بالخزف في جداره الشرقي من خلال مدخل عرضه 1م تقريبا و إرتفاع 2م تقريبا، يعلوه عقد نصف دائري، و يعلو هذا الأخير إفريز مغطى بوحدات من القرميد المقعر و يتوسط الشريط أو الإفريز سفود معدني ذهبي اللون من ثلاث كريات (تفافيح) يعلوها هلال، و يكتنف المدخل عمودان طول كل واحد منهما 1.5م، و يتواجد بالسور ثلاث شرافات اثنتان منها في الجدار الشرقي عند تقاطع السور مع واجهة المدخل، و الثالثة في جانبه الجنوبي الشرقي.

¹ لم يبقى منه أثر اللهم إلا بعض البقايا الصغيرة جدا و التي حسب سكان القرية ترجع لمنزل الولي الصالح و هي أول ما تم بناءه في المنطقة من طرفه.

² حسب مقدم الزاوية فقد كانت هذه الغرفة غير مسقفة، و جزءا من الصحن، ثم بعد ذلك سقفت، رغم أن سقفها يبدو من الأعلى متناسقا مع الأسقف الأخرى و متزامنا معها.

أما في حالة مسجد سيدي ورياش فيمكن إعتبار المساحة الفاصلة بينهما باحة، و التي تضم الرواق الذي يسبق بيت الصلاة و الذي سبق وصفه، و الجزء الخلفي للضريح الذي تم تسقيفه بالقصب المجموع بواسطة أسلاك معدنية، و يتوسط هاذان الجزءان مساحة غير محددة من الجهات الأخرى تتمركز في وسطها شجرة كبيرة، تم تهيئة جزء منها ليكون مكان لمسح ألواح طلبة القرآن، و بجانبها الأيسر شجرة ليمون، وحددت الممرات داخل الفناء بقطع آجورية أو أشرطة إسمنتية، و تم تبليلها بقطع من الحجارة السوداء.

و تم إحاطة ضريح سيدي محمد النجاري بقرية سيدي رحمون بسور من الوحدات الإسمنتية، يرتفع ب 2م تقريبا، مشكلا فناء مثلث الشكل يحصر في رأسه الجنوبي منضدة مرتفعة ب0.4م، تحتوي على شجرتين و بعض القبور، و ندخل إلى هذا الفناء عبر مدخل فتح في قاعدة المثلث.

و نفس الشيء الذي لاحظناه في سيدي ورياش ، نلاحظه في ضريح مسجد البوحميدي، إذ سبقت قاعة الصلاة برواق و مساحة ذات شكل شبه منحرف تفصل هذا الرواق عن المسجد العتيق الذي بني في فترة الإحتلال، و أحيط الكل بسور طوله قريب من 2م، ندخل إليه عبر مدخل فتح في القاعدة الكبرى لشبه المنحرف بالجهة الجنوبية للمسجدان.

بينما في ضريح سيدي محمد المدني، فقد تم إحاطته بطبقة من الإسمنت لكن بدون سور محدد لها، و إحتوت في جهتها الشرقية صهريجا صغيرا، كان مخصصا لمسح الألواح القرآنية، و هذه الطبقة عرضها 1.6م أمام واجهة الضريح، و 1.2م في الجهات الثلاث الباقية.

و بنفس الكيفية سبق مدخل مسجد و ضريح سيدي محبوب، إذ وضعت طبقة من الإسمنت بالجهة الجنوبية للمسجد و الضريح، حملت هذه المساحة في طرفها الشمالي الشرقي، عمودا خشبيا وضع في أعلاه مكبر صوت، و حملت البروز الخارجي للمحراب، كما جاءت بها درجة تسبق المدخل الرئيسي للمسجد.

و حصر سور حجري تهدمت الكثير من أجزاءه، مرتفع عن الأرض بمقدار 1م، مساحة مستطيلة الشكل تسبق ضريح سيدي احساين بقرية الشهابنة الفواعة، و لم يبق من السور سوى الجهة تحصر مدخل الضريح، و الجدار الجنوبي له و طرف من الجدار الشمالي في الناحية الغربية، بينما جداره الغربي تم بناءه بوحدات إسمنتية حديثة، الجدير بالذكر أن هذا الفناء يحوي بداخله مقبرة صغيرة.

أما ضريح مولاي محمد بنفس القرية فقد ضم في تخطيطه باحة إستثنائية ، إذ جاءت مسقوفة كلية بالقرميد المسطح الحديث، و تحيط بالضريح من جهتي الشرق و الشمال، و سقفها مائل، و فتح المدخل في جدارها الشرقي، و هو بعرض 0.7م و إرتفاع 1.4م، معقود بعقد نصف دائري

تعلوه مساحة صغيرة، و يكتنفه دعامتين مربعتين تحملان العقد، و فتحت في نفس الجدار فتحتين للتهوية، و فتحة أخرى في أعلى جداره الشمالي، و إحتوت هذه الباحة على ثلاث قبور سبق ذكرها.

في حين تم إحاطة ضريحاً أولاد عامر بسور إرتفاعه 1.3م، من جهتها الجنوبية يفصل بينهما و بين الطريق العام، و فتح فيه المدخل المؤدي إليهما، و حصر هذا السور مساحة كبيرة، إحتوت على غرفة لتخزين أثاث الضريحين، و بعض القبور، كما إحتوت على مساحة صغيرة مبلطة بطبقة من الإسمنت تسبق مدخلا الضريحين، في وسطها حفرة صغيرة تضح مياه الامطار المتساقطة من أعلى السقف.

و على كل فقد إختلفت الفضاءات المحيطة بالأضرحة من حيث إنكشافها، حيث جاءت في أغلب النماذج منكشفة، عدا باحة ضريح مولاي مُحمَّد بقرية الشهابنة و الفناء الذي يسبق ضريح سيدي يعقوب، و رواقا مسجدا سيدي ورياش و البوحميدي، فقد سقفت هاته الأخيرة، و إختلفت هذه الفضاءات من حيث مساحتها فنجده كبيرة كما في ضريحاً أولاد عامر بقرية زغار، أو غير محددة أصلا كما في سيدي المدني و سيدي ورياش، أو ممتوسطة كما في صحنا سيدي يعقوب و ضريح سيدي احساين بالشهابنة و سيدي مُحمَّد النجاري بسيدي رحمون، أو متناسبة مع الضريح كما في ضريحاً زاوية سيدي الجازولي و ضريح مولاي مُحمَّد بالشهابنة، أو صغيرة كما بمسجد ضريح سيدي محبوب، و الملاحظ عليها أنها تحتوي عادة على قبور و أشجار و غرف و مواجل لتجميع المياه و غسل الألواح القرآنية.

المطلب الثاني: العناصر المعمارية

إن العمارة لا تقوم و لا تكتمل إلى بقيام مجموعة من العناصر، و التي تعمل بإكتمالها و توظيفها على الإخراج النهائي للمبنى، مثلما حدث مع مساجد و أضرحة ولهاصة، حيث إشترت بعد العناصر المعمارية في جميع النماذج، بينما إشترت في مجموعة منها بنماذج أخرى، في حين إنفردت بعض النماذج بعنصر معماري معين وحيد و لم يشترك معه أي نموذج آخر في هذا العنصر المعماري، و على كل فإن جل هذه العناصر يتوزع دورها بين الوظيفة الإنشائية أو الوظيفة الجمالية، أو بتداخلها معا.

1/ وسائل الرفع و الدعم:

تعتبر الدعامات الجزء الدائم للسقف أو الجدار أو العقد، و الحامل و الرافع لها، و يختلف مقطعها من دائري إلى مربع، أو مستطيل، أو بيضاوي، أو نصف دائري، أو أكثر من النصف¹.

أ- الأعمدة: العمود هو ما تحامل الثقل عليه من فوق كالسقف يعمد بالأساطين المنصوبة²، و هو كذلك ما يدعم به السقف أو الجدار³، و العمود هو ما يدعم به الجدار⁴، فنقول عمد السقف أي: أقامه بعماد و دعمه، و عمد الحائط دعمه و جعل له عمادا، أما في العصر- الإسلامي فقد بدأ المسلمون باستخدام جذوع النخيل لحمل سقوف مساجدهم الأولى، مثلما حدث في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة و بمسجد عمرو بن العاص⁵، و قد أطلقت عدة مسميات على العمود، مثل العمود في المشرق و السارية في المغرب و الشمعة في لبنان، و الأعمدة هي الركيزة الأساسية للمبنى، لذلك نجدها قد أستعملت منذ الفترة القديمة، فظهر عند المصريين الأعمدة المربعة و المستديرة و المركبة، و عند الإغريق إستعملت الأعمدة الأيونية و الكورنثية و الدورية، و أضاف لهم الرومان الأعمدة التوسكانية و المركبة، ثم تطورت هذه الأعمدة مع مرور الزمن، اما المسلمون فقد إستعملوا جذوع النخيل و الأشجار أحيانا، و ما وجدوه أمامهم من أعمدة البنايات القديمة في أحيان أخرى⁶، و أستعملت هذه الأعمدة إما لحمل

¹ قتيبة الشَّهَبي، المرجع السابق، ص 237.

² ابن منظور، المصدر السابق، مج 4، ص 295.

³ عبد الرَّحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، بروس برس، بيروت، 1988، ص 33.

⁴ نفسه، ص 34.

⁵ سعد زغلول عبد الحميد، العمارة و الفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2004، ص 283.

⁶ قرمان عبد القادر، الدعائم و الحوامل في العمارة الإسلامية: دراسة نموذجية، مجلة آثار، العدد 8، معهد الآثار، الجزائر، 2011 م،

العقود و الأسقف و القباب، أو ملتصقة بالجدران للتدعيم أو للترزين خاصة بوضعها على جوانب المداخل، ويتكون العمود عامة من قاعدة يتكئ عليها البدن لها أساس تحت مستوى الأرض يسمى الوسادة، و يعلو البدن تاج تعلوه القرمة التي تعلوها الحدارة، و على هذه الأخيرة يستريح كتف العقد أو يستند السقف، أما عن أشكال العمود المشهورة التي وجدت في نماذج دراستنا فهي:

- **العمود المربع أو المستطيل** : هو العمود الذي يأخذ المسقط المربع أو المستطيل، و لم يستعمل بكثرة في العمائر الإسلامية، و ربما في إعتقادي أن ذلك راجع لكونه أستعمل المربع و المستطيل بصفتهما دعامة لا بصفتهما عمود، أما في أضرحة و مساجد ولهافة فنجد هذا النوع من الأعمدة في ضريح سيدي محمد بن علي في زاوية سيدي الجازولي و عددها ثمانية، و جاء العمود فيها مصمطا في أطراف الجدران من أجل حمل كل من نقاط إرتكاز القبة من جهة و العقود المصمطة في الجدران من جهة اخرى، و جاءت هذه الأعمدة مربعة الشكل قياس ضلعها 24سم و غطيت جملها تقريبا (عدا الجزء السفلي منها) بمربعات خزفية، كما أدمجت أربع عقود مربعة الشكل ذات ضلع 23سم في أطراف جدران سيدي محمد بن يخلف، خاصة إذا علمنا أن بناءه جديد و الأبنية الحديثة تعتمد على هذا النوع من الأعمدة، و نفس الشيء ربما يمكن قوله على ضريح سيدي الحاج عبد القادر الجازولي بزواية سيدي الجازولي، و أستعمل نفس النوع من الأعمدة في ضريح أولاد عامر الأول، و لكن هذه المرة جاء مصمطا في الجدران لحمل العقود المصمطة بمعدل عمودين مصمطين في الجدارين الشمالي و الجنوبي و أربع أعمدة في كل من الجدارين الشرقي و الغربي، و هذا الشكل من العمود هو الذي أخذه العمودان الذين يكتنفان مدخل ضريح مولاي اعمر بالشهابنة و هو مستطيل ذو طول 27سم و عرض 23سم، و نفس الأمر يقال على المدخل الغربي المؤدي لبيت الصلاة بمسجد سيدي يعقوب، إذ أكتنف هذا المدخل عمودان مربعان ذات ضلع 23سم مصمطان في الجدار يعلوهما عقد نصف دائري متجاوز.

		
العمود المربع المكتنف لمدخل ضريح مولاي اعمر بالشهبانة -من تصوير الطالب-	العمود المربع المصمط بالجدران الداخلية لضريح سيدي عامر -من تصوير الطالب-	العمود المربع المصمط في الأركان الداخلية لضريح الحاج الجازولي -من تصوير الطالب-

لوحة رقم (35): نماذج من الأعمدة المربعة بأضرحة ولهافة-من تصوير الطالب-

- العمود الأسطواني : و يسمى أيضا المستدير أو الدائري، و هو العمود الذي يرتكز على قاعدة دائرية و مسقطه كذلك، و أستعمل هذا النوع من الأعمدة في ضريح سيدي الحاج عبد القادر بزواوية سيدي الجازولي، حيث إكتنف مدخل فناء عمودان أسطوانيان نصف قطر قاعدتها 12سم و إرتفاعه 1.5م، و يكتنف محراب مسجد سيدي محبوب من جهة اليمين فقط، عمود أسطواني مصمط أو نصف مدمج في الجدار إرتفاعه 1.4م.

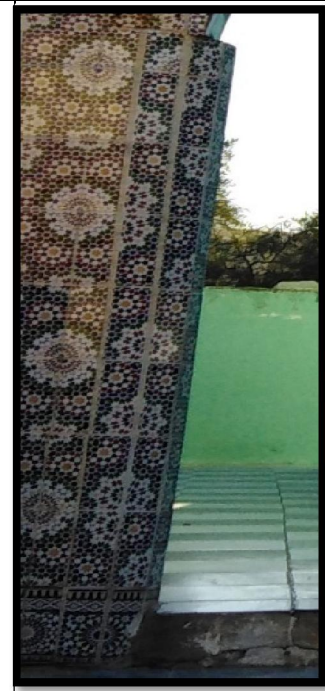


لوحة رقم (36): نماذج من الأعمدة الأسطوانية بنماذج الدراسة-من تصوير الطالب-

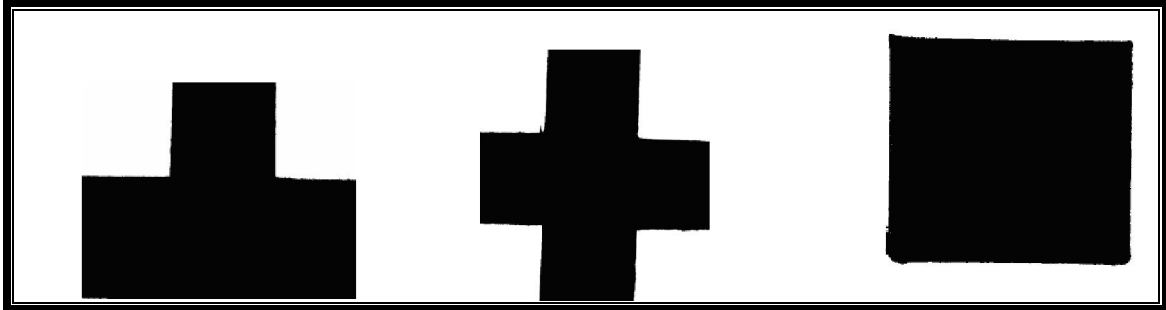
- العمود المضلع : و يأتي غالبا مئمتا (ذو ثمانية أضلاع) ، و إنفرد ضريح سيدي محمد بن علي بزواية سيدي الجزولي بهذا النوع من الأعمدة، رغم كونه جاء مصمطا في الجدار، إذ إكتنف مدخل فناء عمودان مضلعان إرتفاعهما 1.6م.

صورة رقم (43) : العمود ثماني الأضلاع المصمط في مدخل فناء ضريح

سيدي محمد بن علي



ب- الدعامات : هي من أهم العناصر التي يرفع بها و عليها السقف، تختلف تقنيات بناءها و موادها، تأخذ غالبا المساقط المنتظمة المربعة أو المستطيلة، أو الدائرية، أو متقاطعة من مستطيلين على شكل رمز (+)، أو التي تميل إلى المتقاطعة¹ أو المثلثة.



لوحة رقم (37) : أشكال لأنواع الدعامات المستخدمة بمنشآت ولهافة الدينية-من إعداد الطالب-

و تبنى عادة بطريقتين : إما بالحجارة المنحوتة واحدة فوق الأخرى، أو بواسطة قطع الآجر و رصها في صفوف، و يعطي عبد الرحيم غالب فرقا واحدا بينها و بين العمود بأنها أضخم من هذا الأخير²، و قد إستعمل المعمار بالعمارة الدينية في منطقة ولهافة الدعامات بشكل كبير، و أستعملت الدعامات المستطيلة المسقط في جامع سيدي يعقوب، إذ جاءت ذات 92 سم طولاً و عرض 70سم، منها أربع مركزية في بيت الصلاة و الأخرى مصمطة في الجدران.

صورة رقم (44):
الدعامة المستطيلة
التي تتمركز بوسط
مسجد سيدي يعقوب



¹ الدعامات التي تميل إلى المتقاطعة هي التي جاءت متقاطعة المسقط و لكنها غير بارزة الأضلاع.

² عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 189.

و بنفس المسقط المستطيل جاءت الدعامة الوسطى في واجهة الرواق الذي يسبق بيت الصلاة بمسجد سيدي ورياش، طولها 50سم و عرضها 25سم، و هي نفس القياسات و الشكل التي جاءت في بيت الصلاة.



لوحة رقم (38): الدعامة المستطيلة الوسطى بواجهة الرواق (على اليمين) و المتمركزة ببيت الصلاة (على اليسار) في مسجد سيدي ورياش - من تصوير الطالب-

و بنفس المسجد و في الرواق بالضبط جاءت الدعامتين المصمطة اليمنى و المستقلة اليسرى في طرفيه مربعة المسقط ضلعها 25سم، و هو كذلك المسقط الذي جاءت به دعامات الضريح بنفس المجمع، لكن بضلع طوله 50سم.



لوحة رقم (39): الدعامة المربعة الجانبية بواجهة الرواق (على اليمين) و المتمركزة بغرفة الضريح (على اليسار) في مجمع سيدي ورياش من تصوير الطالب-

و نفس هذه القياسات حددت الدعامات الأربعة المربعة المسقط التي تتوسط مسجد سيدي المدني، و لم تحد دعامتا الرواق القبلي الذي يسبق بيت صلاة مسجد البوحميدي و لا دعاماتها التي تقسمها عن هذه الأوصاف فهي مربعة المسقط ذات ضلع 0.5م.



لوحة رقم (40): الدعامة المربعة المتمركزة بيت صلاة مسجد سيدي المدني (على اليمين) و المتمركزة بيت صلاة (في الوسط) و واجهة رواق (على اليسار) مسجد البوحميدي من تصوير الطالب-

و حملت دعامات مصمطة قليلة البروز طولها 50سم العقود المصمطة في ضريح سيدي أحمد الأوشتاري بطربان، و مثلها تقريبا في ضريح سيدي البشير ببني زهنة، و نفس الوظيفة أدتها الدعامات المصمطة¹ في أركان الضريح الأول من ضريحا أولاد بودلال، لكن هنا كانت أكثر بروزا مسقطها مربع ضلعه 30سم.



لوحة رقم(41): الدعامات المصمطة في أركان أضرحة سيدي أحمد الأوشتاري (على اليمين) و سيدي البشير (في الوسط) و الأول بأولاد بودلال (على اليسار) -من تصوير الطالب-

أما النوع الثالث من الدعامات هو تلك المتقاطعة أو المتعامدة، و التي توسطت قاعة صلاة مسجد سيدي لعرج بقرية بني زهنة، وهي ذات ضلع 30سم و عرض 10سم للبروز الواحد، بينما زادت في دعامات غرفة ضريح سيدي الحاج محمد الجازولي 36سم طولا و 12سم عرضا.

¹ أطلق عليها الكثير من الأثريين العرب إسم الأكتاف. أنظر يحي وزيري، المرجع السابق، ص131.



لوحة رقم (42): الدعامتان المتقاطعتان المتمركزة ببيت صلاة مسجد سيدي لعرج (على اليمين) و المتمركزة بغرفة ضريح الحاج مُجَّد الجازولي (على اليسار) - من تصوير الطالب-

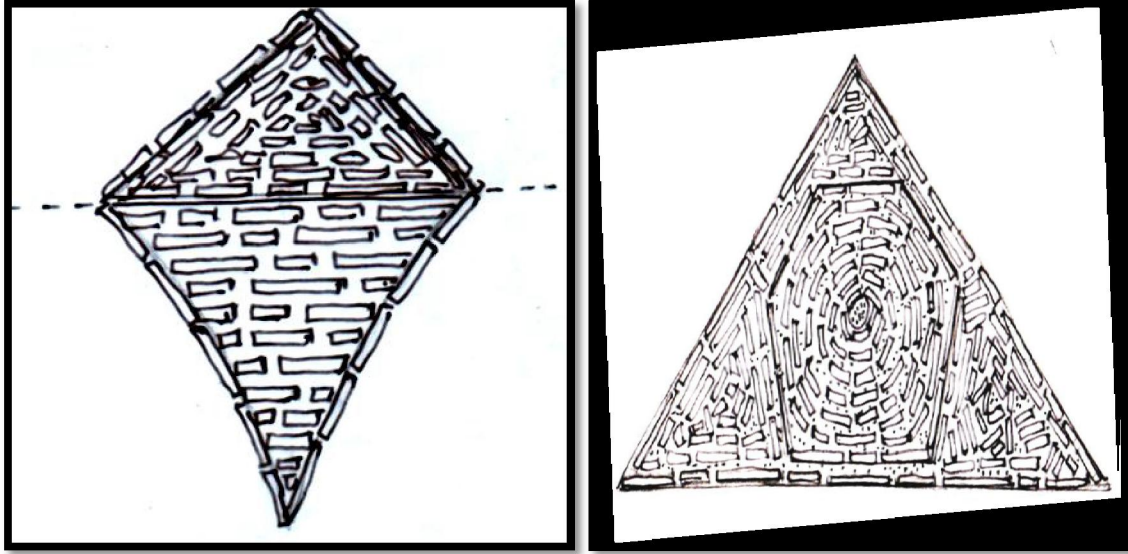
و على كل فإن الوظيفة الأساسية للدعامات هي حمل السقف، سواء كان مستويا كما في المساجد أو تتوسطه قبة كما في الأضرحة، أو حمل بعض العقود المصمطة سواء بوظيفة جمالية أو وظيفة إنشائية.

2/ عناصر الإنتقال: ترتبط هذه العناصر إرتباطا وثيقا بالعنصر الذي يعلوها و المتمثل في القبة، فهي -مناطق الإنتقال- القاعدة الأساسية التي تقوم عليها القبة، و تحتل هذه العناصر الأجزاء الركنية للمبنى غالبا، و تتنوع عبر عدة أنواع لعل أهمها المثلثات الكروية و الحنايا الركنية و المقرنصات الركنية، و رقاب القباب، و العوارض المصلبة و المحارات و غيرها.

أماكن الإنتقال: لقد طرح الدكتور حسين مؤنس مشكلة كانت في الأصل مطروحة منذ القديم، إذ و بعد إعطائه تفسيراً معمارياً للقبة بقوله عنها "... ومن الواضح أن القبة تنشأ من عقود متقاطعة في مركز واحد هو المفتاح الرئيسي الأعلى للقبة."¹، أضاف متحدثاً عن الطرح السالف ذكره "... و لكي تتلاقى العقود في نقطة واحدة على هذه الصورة، لا بد أن تقوم أرجلها على كتف دائري أو مثنى أو مسدس، و تلك كانت المشكلة الأولى التي تعين على المعمارين حلها، لأن الغالبية العظمى من المباني مربعة أو مستطيلة، فلا بد إذن من تحويل أعلى البناء

¹ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 140.

المربع إلى دائرة.¹، فتم إبتكار عناصر معمارية تكون مراكز للانتقال من شكل إلى شكل، و إحتلت هذه الأخيرة الزوايا الركنية في المباني المربعة أو المستطيلة. وقد عدد ح. مؤنس الحلول التي إبتكرتها الشعوب التي قبل الإسلام، فذكر أن الرومان حلوا هذه المشكلة ببناء ما يسمى بالمثلثات الكروية، و إبتكر القرس حنية الأركان أو الحنايا الركنية، و أضاف لهما المسلمون إبتكارا ثالثا تمثل في تحويل الحواف المربعة للجدران إلى هيئة مثنى، أو أن تقوم القبة مباشرة على هيكل من الخشب.²

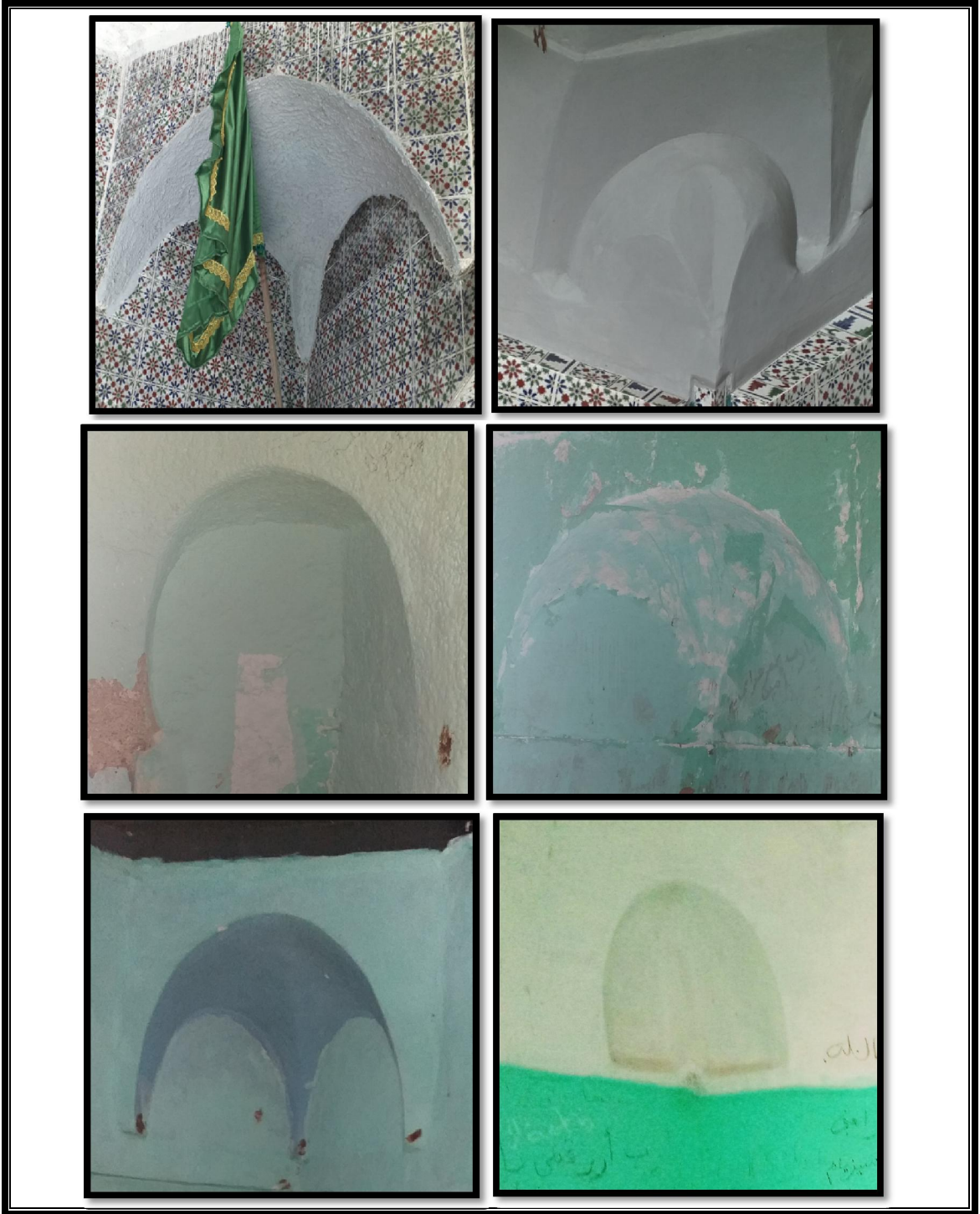


لوحة رقم (43): شكلا المثلثات الكروية (على اليمين) و الحنيات الركنية (على اليسار) كما تصورت ذلك : لعزازي عتيق رفيقة، مواد و تقنيات البناء بالجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2013م، ص 223.

و أستعملت هذه العناصر المعمارية في كل أضرحة ولهاصة التي بها قباب، سوى ضريح سيدي المجد بن يخلف، و تواجدت كذلك في ضريح سيدي البشير رغم عدم وجود قبته، و إختلفت فقط في أحجامها، أو في انقسامها بواسطة خط متصلب من الجص أو الحجر من عدمه.

¹ نفسه، و نفس الصفحة.

² نفسه، ص 141. - بتصرف-



لوحة رقم (44): مناطق الإنتقال في ضريحا زاوية الجازولي (الحاج مُجَدَّ على اليمين و سيدي المُجَدَّ بن علي (على اليسار) في الأعلى.
و مناطق الإنتقال في ضريحا أولاد إبراهيم العامري (على اليمين) و سيدي عامر الصغير (على اليسار) في الوسط.
و مناطق الإنتقال في ضريحا أولاد بودلال الأول (على اليمين) و سيدي المدني (على اليسار) في الأسفل
- من تصوير الطالب -



لوحة رقم (45): مناطق الإنتقال في ضريحا سيدي احساين (على اليمين) و سيدي حساين مولاي احمد (على اليسار) في الأعلى.
 و مناطق الإنتقال في ضريحا مولاي مُجَّد (على اليمين) و سيدي اعمر بن علال (على اليسار) في الوسط
 و مناطق الإنتقال في ضريحا سيدي احمد الأوشتاري (على اليمين) و سي تاهر (على اليسار) في الأسفل
 - من تصوير الطالب -

ب- ربة القبة: هي العنصر الذي ترتكز عليه القبة، و تصل بين هذه الأخيرة و سطح المبنى، و إنفرد ضريح سيدي المجد بن يخلف بهذا العنصر المعماري الذي تقوم عليه قننه المضلعة، و قد بلغ طول ضلعها الواحد 2.25م، و محيطها 9م، يعلوها إفريز مكعب طول ضلعه 7سم، و حدد إرتفاع القبة ككل ب0.4م.



صورة رقم (45): ربة القبة بضريح سيدي المجد بن يخلف من تصوير الطالب-

ج- العقود : العقد أو القوس عبارة عن امتداد صلب منحن لأعلى بين نقطتين تدعمانه، تعتبر العقود من الوحدات المعمارية التي تجمع بين دورين، وظيفي معماري وجمالي، ففي الحالة الأولى تبرز أهميته في قوة تحمل السقف، و الإنارة و التهوية من خلال فتحته، أما كعنصر الجمالي فإن شكلها هو الذي يوحي بذلك¹، و قد طوّر المسلمون أنواعا مختلفة من الأقواس، فجاءت مدببة و دائرية و حذوية، و جعلوا للأقواس وظيفة هندسية و جمالية في آن واحد، و تميزت العقود في منطقة ولهامة بتعدد أشكالها، و تفاوت أدوارها ما بين جمالية و وظيفية، و جاءت العقود مصممة في جدران المساجد و الأضرحة، و إرتكزت على الأعمدة و الدعامات المتمركزة ببيوت الصلاة و الغرف الأضرحة، كما توجهت نهايات المداخل و الفتحات و الكوات و حنيات المحاريب و مداخل المنابر²، و أغلب العقود ببيوت الصلاة أو بغرف الأضرحة التي جاءت في دراستنا إنحصرت بين:

¹ أوقطاي أصلان آبا، فنون الترك و عمائرهم، تر: أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية، إسطنبول، 1987م، ص41.
² تجنبنا للتكرار فإن الحديث عن العقود في هذه العناصر المعمارية مرتبط بالحديث عن كل عنصر منها على حد.

- العقود النصف الدائرية: تم إعتادها في المواضع التالية
* العقود النصف الدائرية ببيت صلاة مسجد مجمع سيدي يعقوب.



صورة رقم (46) : عقود بيت الصلاة في مسجد سيدي يعقوب-من تصوير الطالب-

* العقود النصف الدائرية المركزية و المصمطة بغرفة الدفن في ضريح سيدي ورياش.



صورة رقم (47) : العقود الوسطى و المصمطة بضريح سيدي ورياش-من تصوير الطالب-

* العقود النصف الدائرية المصمطة بغرفة الدفن في ضريح سيدي أحمد الأوشتاري.



صورة رقم (48) :العقود المصمطة بجدران ضريح سيدي أحمد -من تصوير الطالب-

* العقود النصف الدائرية المتجاوزة بأركان البوائك الجانبية لضريح الحاج محمد الجازولي.



صورة رقم (49) :العقود الركنية بوسط ضريح الحاج الجازولي -من تصوير الطالب-

* العقد النصف الدائري المنخفض المصمت بالجدار الشمالي للضريح الثاني.



صورة رقم (50) : العقد المصمت في الجدار الشمالي لضريح أولاد بودلال الأول -من تصوير الطالب-

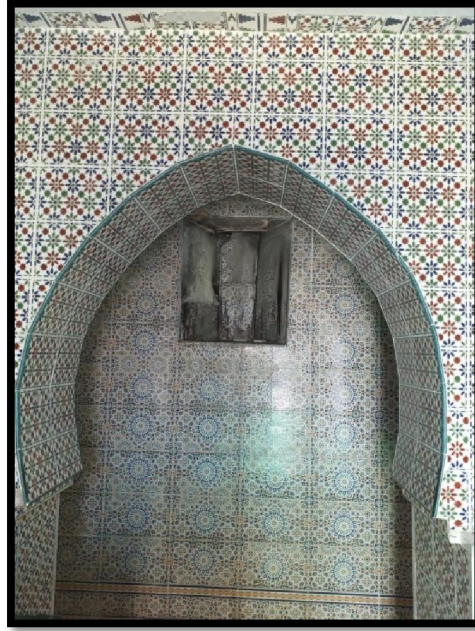
* العقود النصف الدائرية المصمطة التي تعلو الحنيات الركنية بضريح سيدي البشير.



صورة رقم (51) : العقود المصمطة في بضريح سيدي البشير -من تصوير الطالب-

- العقود المدببة المرتدة: تم إعتادها في المواطن التالية

* العقود المدببة المرتدة الوسطى بضريح الحاج الجازولي:



صورة رقم (52) : العقود الوسطى بضريح الحاج الجازولي -من تصوير الطالب

* العقود المدببة المرتدة المصمطة في جدران ضريح سيدي المجدد بن علي.



صورة رقم (53) :العقود المصمطة بضريح سيدي المجدد بن علي -من تصوير الطالب-

* العقود المدببة المرتدة المصمطة في جدران ضريح سيدي عامر الصغير.



صورة رقم (54) : العقود المصمطة بضريح سيدي عامر الصغير -من تصوير الطالب

* العقود المدببة المرتدة المصمطة في جدران ضريح سيدي حساين مولاي أحمد.



صورة رقم (55) : العقود المصمطة بضريح سيدي حساين مولاي أحمد -من تصوير الطالب

- العقود المتقاطعة: تم إعتادها في الموضع الآتي

* العقود المتقاطعة المركزية بيت صلاة مسجد سيدي ورياش.



صورة رقم (56) : العقود المركزية بيت صلاة مسجد سيدي ورياش --من تصوير الطالب

-العقود المتوترة المنخفضة : تم إعتادها في الموضع الآتي

* العقود المتوترة المركزية بيت صلاة مسجد البوحميدي.



صورة رقم (57) : العقود المركزية بيت صلاة مسجد البوحميدي --من تصوير الطالب

العقود الحدوية: تم إعتادها في الموضعان التاليان
* العقود الحدوية المركزية بيت صلاة مسجد سيد المدني.



صورة رقم (58) : العقود المركزية بيت صلاة مسجد سيدي المدني -من تصوير الطالب

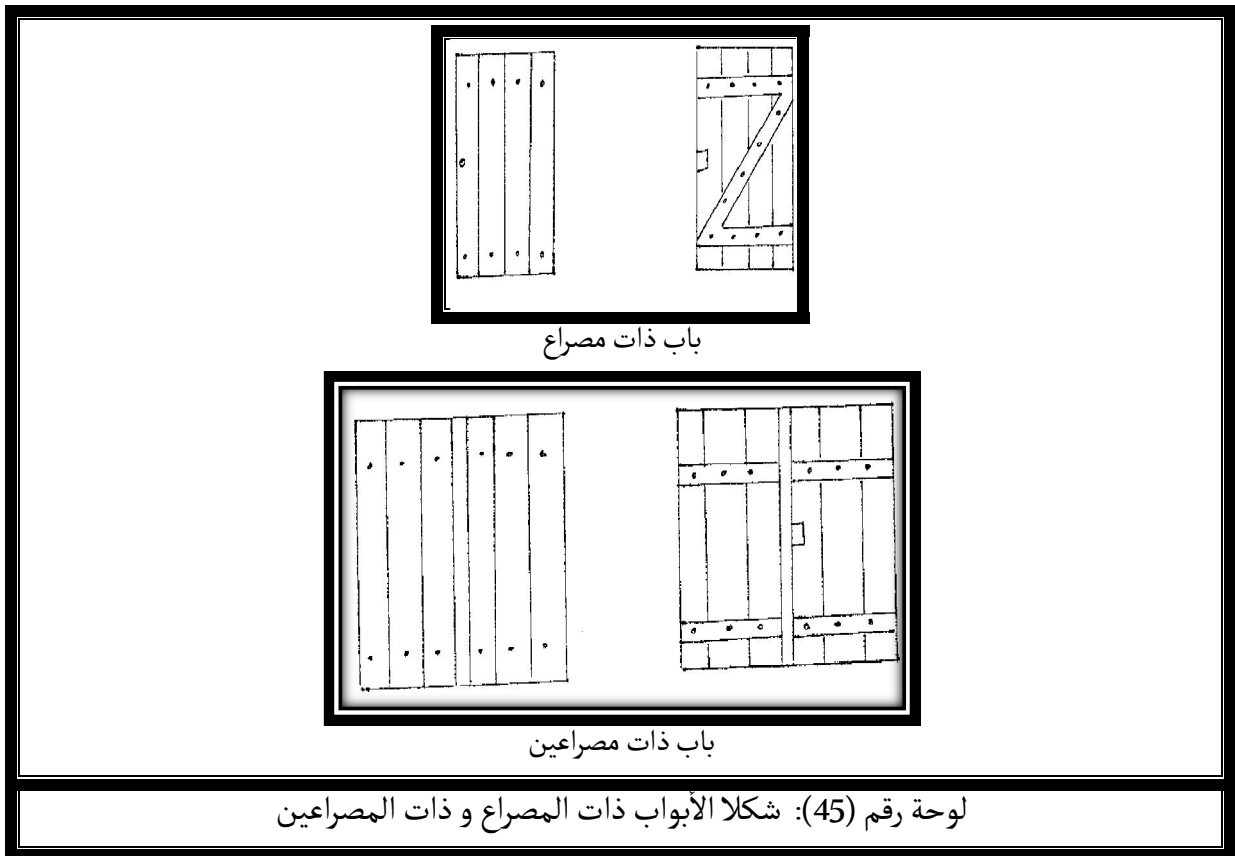
* العقود الحدوية المنكسرة المركزية و المصمطة بيت صلاة مسجد سيدي لعرج.



صورة رقم (59) : العقود المصمطة بجران بيت صلاة مسجد سيدي لعرج -من تصوير الطالب

3- الفتحات : لعبت الفتحات دورا وظيفيا و جماليا هاما في مختلف العمار، و أهم هذه الفتحات التي يمكن الحديث عنها في المباني الدينية الأبواب و النوافذ بحكم إشتراكها في جميع هذه الأخيرة، و هذا ما وقفنا عليه في نماذجنا المدروسة.

أ- المداخل : المدخل هو الفتحة أو الباب الذي نلج بواسطته أو ندخل من خلاله إلى داخل الضريح أو المسجد، و المدخل هو الفتحة القائمة في باب المدينة أو الحصن، أو في واجهة المنزل أو القصر أو المسجد¹، و هو نوعان : النوع الأول يظهر بسيطا وهو على شكل فتحة معقودة بعقد نصف دائري يؤدي مباشرة إلى السقيفة، أما النوع الثاني فهو الكتلة البارزة على الواجهة و هي ظاهرة معمارية تعرف بإسم مقدم المبنى كما يطلق عليها إسم المداخل التذكارية²، و أشار عاصم مُجَّد رزق إلى قيمته المعمارية الزخرفية و إلى كونه يلعب دورا هاما في تكوين واجهات العمار الأثرية الإسلامية، و زاد في تعريفها على أنها كل فتحة في بناء مما يغلق عليه بمصراع أو مصراعين³:



لوحة رقم (45): شكلا الأبواب ذات المصراع و ذات المصراعين

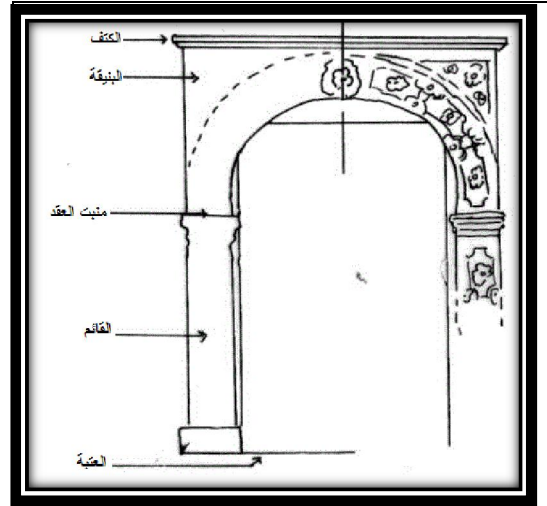
¹ عاصم مُجَّد رزق ، المرجع السابق ، ص 23.

² نصيرة تنبريت ، العمار الدينية والمدنية بمدينة المدية خلال العهد العثماني: دراسة تاريخية وأثرية ، مذكرة لإتمام متطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، الجزائر ، 2009. ، ص 62.

³ مُجَّد عاصم رزق ، نفسه ، ص 66 و ص 267.

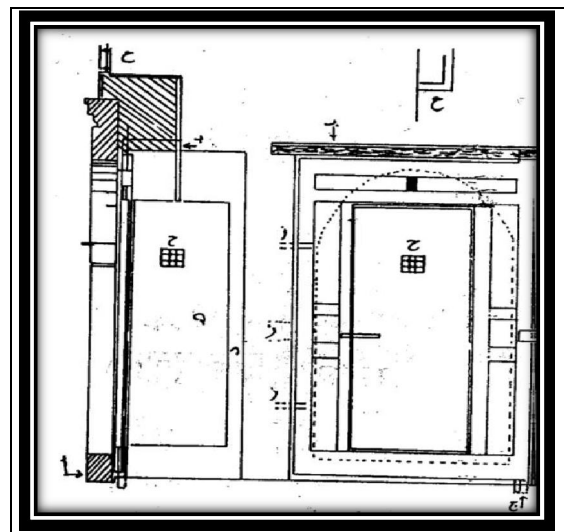
و يتكون غالبا المدخل من:

- العتبة : أسكفة الباب التي توطأ ، وهي درجة صخرية موضوعة عند المدخل قبل الباب.
- ✓ الخشبة : التي فوق الساكف الأعلى.
- ✓ الحاجب و الساكف: هو الموازي للعتبة من الأعلى.
- ✓ العضادتان: العارضتان .



شكل رقم (2) : مكونات المدخل الأساسية
- نقلا عن: سعاد بن شامة
المنشآت المعمارية الأثرية بمدينة البليدة:
دراسة معمارية أثرية ، مذكرة لإتمام متطلبات الحصول
على الماجستير ،
معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2009م ، ص 258-

و قد أعطى الأستاذ عقاب مُجَّد الطيب تفصيلا لتركيب المدخل بقوله: " يصمم إطار أو يتبث في الجدران حاجب يخفي إلتصاق الإطار بالجدار، و يتبث على هذا الإطار مصراعين¹ ، يتكونان من قائمتين و رأسين، و تغلق الأبواب من الداخل بواسطة مزالج بسيطة و طويلة²."



شكل رقم (3) :
تفصيل لتركيب الأبواب كما أعطاه الأستاذ طيب
عقاب- نقلا عنه: قصور مدينة ... ، ص 154-

¹ أو مصراع واحد، و يسمى أيضا بالضلفة.

² مُجَّد الطيب عقاب ، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة ، الجزائر ، 2002م ، ص 156.

و المدخل هو الرابطة و الواصلة بين وسطين أحدهما عام و الآخر خاص، و في هذا العنصر بالذات برزت ما تسمى بالمداخل التذكارية، و هي المداخل التي تظهر بشكل بارز يخرج عن سمت الجدران، و قد عرف هذا النوع من المداخل أولا ببلاد المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي بجامع المهديّة في تونس (305هـ/917م)، ثم ظهر من جديد بعد المرابطين في المساجد الموحدية بتمنل و الكتبية، و مساجد الدويلات التي إقتسمت تركة الموحدين (المرينيين و الزيانيين و الحفصيين و بني نصر)، و إنتقل هذا النوع من المداخل إلى مصر على يد الفاطميين و ظهر في جامعي الحاكم بأمر الله و الأقرم، ثم المساجد المملوكية كمسجد الظاهر بيبرس البندقداري (667هـ/1268م)¹، ثم إنتشر هذا النوع في المشرق و الأناضول، و الأثوذجان الوحيدان من هذا النوع من المداخل إنحصرا في مدخلا مسجد سيدي المدني بقرية الزوانيف، الأول الرئيسي في الجدار الشرقي إرتفاعه 1.75م و عرضه 1.1م، و الثاني يقع في الواجهة الجنوبية إرتفاعه 1.72م و عرضه 70سم، و كلاهما يتكون من مصراعين.

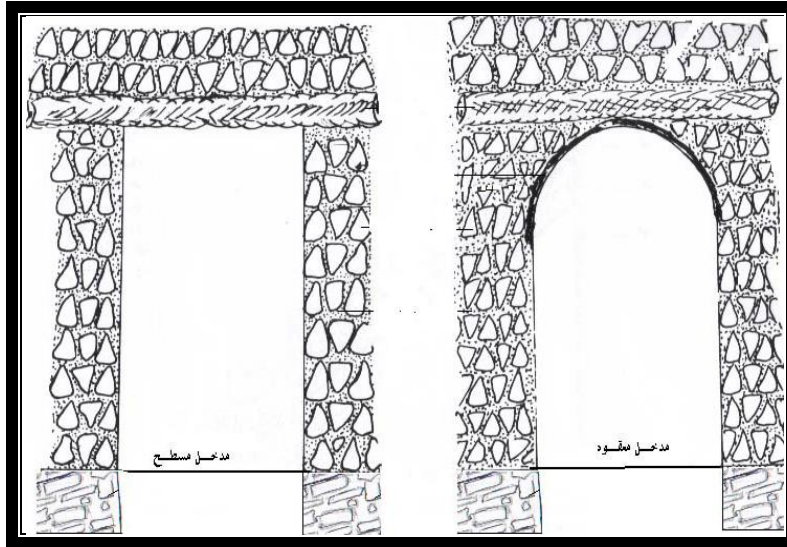


لوحة رقم (46): المدخلان التذكاريان (الجنوبي على اليمين و الشرقي على اليسار) بمسجد سيدي المدني
- من تصوير الطالب -

و كانت المداخل في بداية إنتشار الإسلام عبارة عن فتحات في الجدران، و قد تتعدد المداخل في المبنى الواحد، كما قد تتعدد في الجدار الواحد، و يعتمد عدد و ضخامة و سعة المداخل في

¹ عاصم مُجذّر زرق، المرجع السابق، ص 267.

أي عمارة مهما كان نوعها على سعة موقع هذه العمارة في حد ذاتها، و تقسم المداخل بحسب شكل حاجبها أو ساكنها إلى قسمين: مسطحة و معقودة.



لوحة رقم (47): شكلا المدخل من حيث نهايتهما العلوية

- نقل عن: دحمون منى ، قصر بوسمغون بولاية البيض: دراسة أثرية تحليلية ، مذكرة لإتمام متطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2، 2005م، ص105-.

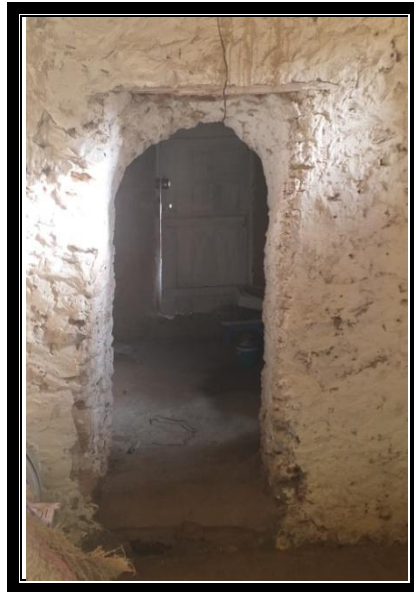
كما تعددت المداخل في المنشآت الدينية النموذجية في دراستنا، و قابل هذا التعدد تنوع كبير في المداخل من حيث الأبعاد و السعة و الأشكال، و نظرا للنماذج الكثيرة سنكتفي بذكر المداخل الرئيسية للعماير فقط، و البداية بالمساجد و بعد مدخلا مسجد سيدي المدني المتقدم ذكرهما، نشير إلى مسجد سيدي يعقوب الذي تخلل بيت صلاته مدخلان رئيسيان أيضا، المدخل الأول فتح على يمين جدار القبلة بالنسبة للواقف خارجا مقابل المسجد، مسبوق بأربع درجات طولها 82 سم و عرضها 39 سم و إرتفاعها 32 سم، عرضه 70 سم و إرتفاعه 2.10 م - و هذا الإرتفاع بعقده الذي يرتفع 42 سم و قطره 70 سم - و تفصل بينه و بين بيت الصلاة مساحة صغيرة لوضع الأحذية، أما المدخل الثاني فجاء في مؤخر بيت الصلاة من الجهة الغربية و هو ذو عرض 69 سم و إرتفاع 1.20 م، تنزل بواسطته إلى بيت الصلاة من خلال خمس درجات تتزايد أطوالها ذهبيا¹، حيث تبلغ الأولى 31 سم و الثانية 50.10 سم و الثالثة 81.15 سم و تتساوى الرابعة و الخامسة بطول 1.30م.

¹ أي وفق العدد الذهبي أو النسبة الذهبية وهي: الناتج عن تقسيم طولين متتاليين و تساوي 1.61803399 بالتقريب.



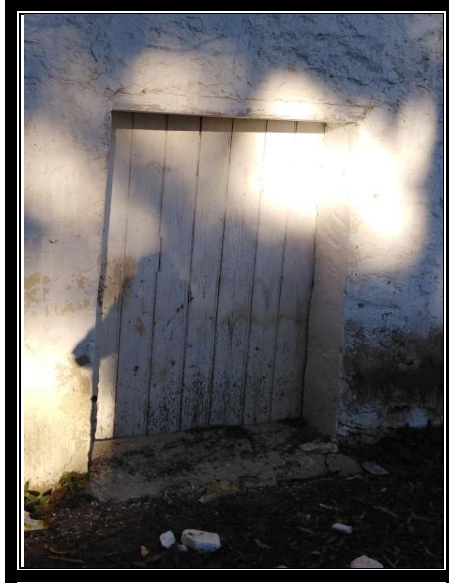
لوحة رقم (48): صورتا المدخلين الرئيسيين (الشرقي على اليمين و الغربي على اليسار) بمسجد سيدي يعقوب - من تصوير الطالب -

و تخلل الجزء الشمالي من جدار الرواق الذي يسبق بيت الصلاة في مسجد البوحميدي مدخلا معقودا غائرا فيه، عرضه 0.70م و إرتفاعه 1.5م، رفعت عتبه قليلا على مستوى الأرضية لمنع دخول الماء و الأتربة.



صورة رقم (60): المدخل الشمالي لمسجد البوحميدي الولهاصي - من تصوير الطالب -

بينما تخلل الجدار القبلي من مسجد زاوية سيدي الجازولي، على يمين بروز المحراب المدخل الرئيسي و هو من النوع المسطح، إذ لا يعلوه أي عقد، و ذو مصراع واحد قوامه 7 عوارض خشبية مترابطة فيما بينها، أبعاده جاءت بإرتفاع 1.8م و بعرض 1.2م، مسبوق بعتبة مرفوعة قليلا عن مستوى الأرضية لمنع تسرب الماء و الأتربة إلى الداخل.



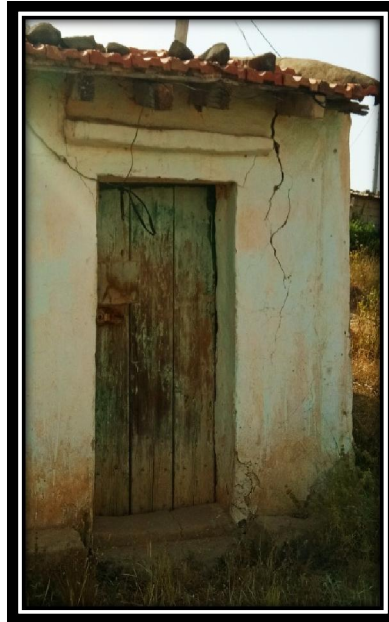
صورة رقم (61): المدخل الرئيسي و الوحيد بمسجد زاوية الجازولي-من تصوير الطالب-

و هذه النوعية من الأبواب المسطحة برزت في عدة نماذج أخرى من المساجد مثل مدخلا رواق مصلى سيدي دحمان و بيت صلاته، الأول عبارة عن مدخل بدون مصراع، مسقوف بعارضتين خشبيتين إرتفاعه 1.8م و عرضه 1.9م، و الثاني هو المدخل الوحيد المؤدي لبيت الصلاة و يقع على يمين المحراب بالنسبة للواقف خارجا، و يمكن الإشارة إلى وجود مدخل مسدود بالحجارة في الجدار الجنوبي من الرواق إرتفاعه 1.7م و عرضه 0.7م ، لعله هو الأصلي قبل ما يفتح المدخل الثاني، و هذا إذا أخذنا بعين الإعتبار إنفتاح المسجد على جهة القرية التي تقع جنوبه، و كذلك بإعتبار أن الكوتان الغائرتان على يمينه، و المصمطتان في الجدار الشرقي وظيفتهما وضع الأحذية و الأغراض.



لوحة رقم (49): صورة مدخل رواق مسجد سيدي دحمان و في خلفيته المدخل الرئيسي لبيت الصلاة و على اليسار صورة المدخل المسدود من تصوير الطالب-

و مدخل مصلى ضريحا أولاد بودلال، و الذي بلغ عرضه 0.9م بينما بلغ إرتفاعه 2.2م، فتح في جهة اليسار من الواجهة الرئيسية الشرقية، و هو من الخشب و ذو مصراع واحد قوامه ثلاث عوارض خشبية مترابطة فيما بينها، تعلوه ظلة صغيرة،



صورة رقم (62): المدخل الرئيسي و الوحيد بمصلى ضريحا أولاد بودلال من تصوير الطالب-

و كذلك مدخل مسجد سيدي محبوب، و هو مستطيل الشكل إرتفاعه 2.1م و عرضه 0.77م، تتقدمه صفيحة إسمنتية، و تنوطاً أسفله عتبة مرتفعة لصد دخول الماء و الحشرات و

الأثرية، و لا أدري إن كان هذا المدخل هو الأصلي أو في نفس مكان المدخل الأصلي على الأقل، أو تم تغييره أثناء إعادة ترميم المسجد بعد أن جرفته السيول سابقا.



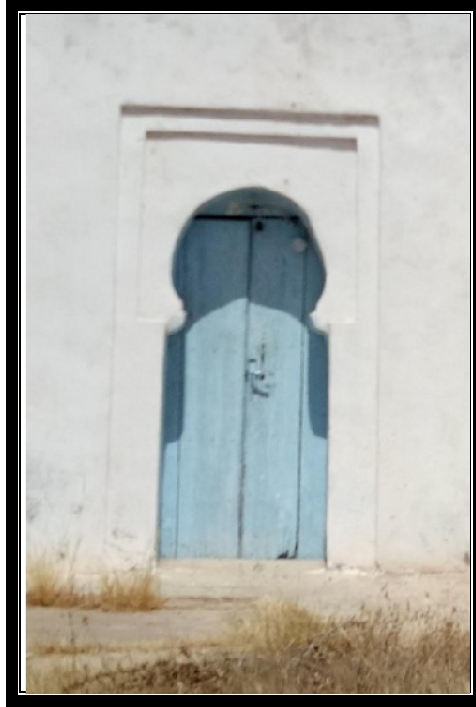
صورة رقم (63): المدخل الرئيسي و الوحيد بمسجد سيدي محبوب من تصوير الطالب-

و نفس الشيء بالنسبة لمدخل مسجد سيدي ورياش، فهو من النوع المسطح، و ذو مصراع واحد من خمسة عوارض خشبية مترابطة، فتح في الجدار الشرقي على يمين المحراب بالنسبة للداخل لبيت الصلاة، إرتفاعه 2.1م و عرضه 1.8م.



صورة رقم (64): المدخل الرئيسي بمسجد سيدي ورياش من تصوير الطالب-

أما آخر مسجد فهو مسجد بني زهنة، و الذي إنطوى مدخله تحت نوع المداخل المعقودة، و هو مدخل خشبي ذو مصراعين، عرضه 91سم و إرتفاعه بعقده 2.66م و 2.11م بدونه، معقود بعقد حدوي محمول على عمودان مدججان يكتنفان المدخل، و يعلوه فراغ و أحيط الكل بمستطيل مصمط في الجدار.



صورة رقم (65): المدخل الرئيسي بمسجد سيدي ورياش-من تصوير الطالب-

و هكذا يمكننا القول أن المداخل في مساجد ولهافة إنقسمت إلى قسمين، معقودة و نخص بالذكر المساجد التي تعود لفترات ما قبل التواجد العثماني مثل مسجد بني زهنة الإدريسي و سيدي يعقوب الزياني، أو يعتقد فيها ذلك مثل مسجد سيدي المدني الذي لعله يعود للفترة الزيانية، أو مسطحة في المساجد التي يعتقد أنها واكبت تواجد الأتراك بالجزائر مثل مسجد البوحميدي - بنسبة ضئيلة- أو ما بعد هذه الفترة.

كما يمكن الإشارة إلى أنها و بإستثناء المدخل الرئيسي الشرقي من بيت صلاة مسجد سيدي يعقوب، و المدخل الرئيسي الوحيد بمسجد سيدي لعرج و مدخلا سيدي المدني، فإن كل المساجد جاءت مداخلها من مصراع واحد.

أما مداخل الأضرحة فجاءت كلها و بدون إستثناء¹ من نوع المداخل المعقودة، فمدخل ضريح سيدي يعقوب مسبوق بثلاث درجات، و هو ذو إرتفاع 2.13م و عرض 1م تقريبا، معقود بعقد مدبب مرتد، أما مدخل ضريح سيدي ورياش الذي قدر إرتفاعه ب2م و عرضه 90 سم، معقود بعقد نصف دائري متجاوز نوعا ما، و هو مسبوق بدرجتين، بينما ضريح سيدي المدني فنلج إليه عبر مدخل صغير إرتفاعه 1.2م و عرضه 60سم، معقود بعقد نصف دائري منكسر، يرتفع المدخل عن مستوى الأرضية بدرجة(عتبة)، يحيط به من الجانبين فراغين يتوجهما عقد منكسر غائران في الجدار.



بينما فتح في الجدار القبلي (الشرقي) لضريح سيدي أحمد الأوشتاري مدخل مرتفع ب1.8م من الداخل، و هو محمول على أوتاد خشبية، و يتقدمه من الداخل إلى الخارج فراغ مربع الشكل طول ضلعه 0.8م، بينما عقد المدخل من الخارج بعقد منخفض و إرتفاع المدخل كليا من الخارج 1.56م، و يتصدر الواجهة الشرقية الرئيسية لضريح سي طاهر المدخل الوحيد المرتفع ب1م و ذات عرض قدره 0.68م، يعلوه عقد مدبب ذات مركزين ، و لم ينتظم مدخل ضريح سيدي اعمر الذي يتوسطهما.

¹ يستثنى من هذه المداخل مدخل سيدي اعمر بن علال بوادي قرية طربان ، و الذي بني بعشوائية و لم يأتي منتظما ، لكن هذا كان نتيجة إعادة البناء و الترميم الخاطيء ، حيث يبدو بتتبع آثاره من الداخل أنه كان معقودا.



لوحة رقم (51): صور مداخل أضرحة طربان
(سيدي أحمد سي طاهر سيدي اعمر على التوالي بداية من اليمين) - من تصوير الطالب -

أما ضريحاً زاوية سيدي الجازولي فكلاهما إحتوى على مدخلان رئيسيان، خارجي يؤدي إلى الفناء المكشوف، فتح هذا الأخير بضريح سيدي محمد بن علي في جهته الغربية و قدر عرضه ب1م و إرتفاعه ب 2م، معقود بعقد نصف دائري يعلوه إفريز صغير تغطيه وحدات من القرميد المقعر، بينما فتح في ضريح سيدي الحاج محمد الجازولي في الجهة الشرقية، و هو عبارة عن واجهة مكسية بالحزف يتوسطها مدخل عرضه 1م تقريبا و إرتفاعه 2م تقريبا، يعلوه عقد نصف دائري، و يعلو هذا الأخير إفريز مغطى بوحدات من القرميد المقعر، و داخلي يؤدي إلى الضريح، فتح بالجهة الشرقية لضريح سيدي محمد بن علي مدخل ذات باب خشبي معقود بعقد منخفض يفضي إلى قاعة الضريح إرتفاعه 1.8م و عرضه 0.8م، بينما في ضريح الحاج محمد الجازولي فتح بالواجهة الشرقية الرئيسية منه المدخل، و هو ذات باب خشبي من مصراعين معقود بعقد نصف دائري، إرتفاعه 1.8م و عرضه 0.9م.



لوحة رقم (52): صور المداخل الداخلية و الخارجية في قبتا زاوية الجازولي
(الخارجي ثم الداخلي بسيدي محمد بن علي ثم الخارجي و الداخلي بالحاج محمد الجازولي) – من تصوير
الطالب -

نمر إلى ضريحاً أولاد بودلال بتادماية، حيث توسط الواجهة الشرقية الرئيسية للضريح الأول المدخل الخشبي ذو مصراع واحد المستطيل الشكل، المرتفع ب1.1م و المستعرض ب0.7م، معقود بعقد نصف دائري متجاوز، بينما الضريح الثاني فنلج إليه عبر مدخل صغير ذات مصراع خشبي واحد معقود بعقد نصف دائري، إرتفاعه 1.2م و عرضه 0.7م.



لوحة رقم (53) : صورتا مدخلا ضريحي أولاد بودلال (الأول على اليمين و الثاني على اليسار) – من تصوير
الطالب -

أما ضريحاً أولاد عامر، فأخذت نفس الطريق هي الأخرى، و البداية بضريح أولاد إبراهيم العامري، و الذي فتح في جداره الشرقي مدخل معقود بعقد نصف دائري، و ذو إرتفاع 1م من الخارج و عرض 0.76م، تعلو عقده بروز لوحات من الآجر بشكل مسننات، نزل من خلال درجة العتبة إلى داخله، أما الضريح الثاني فهو ضريح سيدي عامر الصغير فقد فتح في العقد المصمت الوسطي من الجدار القبلي (الشرقي) منه المدخل المرتفع ب1.3م من الداخل، و يتقدمه إلى الخارج فراغ مربع الشكل طول ضلعه 0.9م نزل إليه عبر درجة من الخارج، بينما عقد المدخل من الخارج بعقد قريب من النصف الدائري (غير منتظم).



لوحة رقم (54) : صورتنا مدخلي ضريحي أولاد عامر (أولاد إبراهيم على اليمين و سيدي عامر الصغير على اليسار)

—من تصوير الطالب—

ضريح سيدي محمد النجاري هو الآخر عقد مدخله بعقد حدوي، يعلوه إفريز من وجدات الآجر البارزة الأطراف بشكل متدرج و متتالي، إرتفاعه 1.8م و عرضه 1م.



صورة رقم (66): مدخل ضريح سيد محمد النجاري-من تصوير الطالب-

و غير بعيد عن هذا الضريح فتح المدخل الرئيسي لضريح سيدي رحمون في واجهته الشرقية، و هو مدخل صغير إرتفاعه 1.3م و عرضه 0.69م، إكتنف جهته اليسرى منضدة معدة للجلوس، و عقد هذا المدخل بعقد نصف دائري، بينما تم تغطية إلتواء العقد من الداخل بواسطة عوارض خشبية صغيرة حاملة فوقها الحجارة و الملاط.



صورة رقم (67): مدخل ضريح سيدي رحمون -من تصوير الطالب-

نصل إلى الأضرحة الثلاثة بقرية الشهبانة، بداية بضريح سيدي حساين الذي فتح في جهته الشرقية مدخل عرضه 0.8 م، و إرتفاعه 1,88 م، يتوجه عقد مدبب، و يعلوه شريط مستطيل يقسمه صف من الوحدات الآجورية البارزة على شكل مسننات إلى قسمين، و يعلو المستطيل ظلة من القرميد المقعر، أما الضريح الثاني فهو مولاي مُحَمَّد و الذي فتح في الجدار الشرقي من باحته المدخل الرئيسي، عرضه 0.7 م و إرتفاعه 1.4 م، معقود بعقد نصف دائري يعلوه إفريز مستطيل، و يكتنفه دعامتين مربعتين حاملتين للعقد، في حين فتح مدخل ضريح مولاي مُحَمَّد هو الآخر في واجهته الشرقية، و هو مدخل صغير منخفض عن مستوى الأرضية بدرجتين، عرضه 70 سم و إرتفاعه 1.2 م معقود بعقد مدبب مرتد.



لوحة رقم (55): صور مداخل أضرحة الشهبانة
(سيدي حساين- مولاي اعمر- مولاي مُحَمَّد على التوالي بداية من اليمين) - من تصوير الطالب-

ثم ضريحا سيدي مُحَمَّد بن يخلف الذي نلج إليه عبر مدخل مستطيل إرتفاعه 1.8 م و عرضه 0.7 م، ينتهي في الأعلى بعقد بصلي منخفض، و سيدي احساين الذي نلج إلى الضريح عبر مدخل صغير في الواجهة الجنوبية، يتكون من مصراع خشبي واحد، إرتفاعه لا يتعدى 1.2 م بعقده النصف دائري الذي يعلوه.



لوحة رقم(56) : صورتا مدخلاي ضريحا سيد احمَّد بن يخلف على اليمين و سيدي احساين على اليسار
-من تصوير الطالب-

آخر ضريح يمكن إضافته هنا هو ضريح سيدي البشير الذي أدمجناه في دراستنا ضمن الأضرحة المسقفة رغم أن سقفه غير موجود إذ كان يمكن وضعه ضمن نماذج الحويطات، على كل فقد فتح مدخله في واجهته الشرقية، نزل إليه بواسطة عبر ثلاث درجات، أما إرتفاعه بعقده المتقاطع فهو 1.6م و عرضه 0.9م، زين أعلى عقده بإفريز من قطع الحجر البارزة في ترتيب متتابع و متوالي مشكلة عقدا نصف دائري، يعلوها هي الأخرى شريط بارز على شكل ظلة قليلة البروز. من هذا الإختلاف في تصنيفه نمر إلى نوع آخر من المدافن، ألا و هي الحويطات، و إن كانت تبدو مداخلها في كثير من النماذج عادية و هي عبارة عن فتحات مستطيلة في الواجهات الشرقية لهذه الأخيرة مثلما هو عليه الحال في حويطة سيدي الحسين بالشهابنة الذي نلج إليه عبر فتحة عرضها 0.5م.



صورة رقم (68) : مدخل حويطة سيدي الحسين-من تصوير الطالب-

فإن الحويطات الأخرى كلها سقت مداخلها، و إنقسمت أساكفها هي الأخرى ما بين معقودة كما هو الحال في حويطتا سيدي سليمان بالشهابنة الذي إرتفع مدخله كليا ب 2.3م، و سقف بصفيحة حجرية على شكل عقد منبسط محمولة على هيكل حديدي، و كذا الحويطة الثانية بمقبرة سيدي أحمد الأوشتاري التي جاء مدخلها مرتفعا ب 1.5م، و تعلوه صفيحة حجرية محمولة على عوارض حجرية و معقود من الجهة الخارجية بعقد متقاطع.



لوحة رقم (57): صورتا مدخلا حويطتا سيدي سليمان على اليمين و الثانية بمقبرة سيدي احمد على اليسار
— من تصوير الطالب—

أو مسطحة كما جاءت بحويطتا سيدي علي بوشنتوف التي نلج إليها عبر فتحة عرضها 0.8م و إرتفاعه 1.1م مسقفة بعارضة خشبية، و عتبتها صفيحة حجرية غير مهدبة، و الحويطة الأولى بمقبرة سيدي أحمد الأوشتاري التي ندخل إليها عبر باب في جهته القبليّة إرتفاعه 1.2م و عرضه 0.76م، مسقف بصفيحة حجرية مهدبة .



لوحة رقم(58) : صورتنا مدخلا حويطنا سيدي علي بوشنتوف على اليمين و الأولى بمقبرة سيدي احمد على اليسار
-من تصوير الطالب-

و عامة فإننا يمكن القول أن المعماري بمنطقة ولهافة و عبر كل الفترات التي بنيت فيها هاته الأضرحة و الحويطات قد حاول إعطاء صبغة معمارية و زخرفية للمداخل، إصطدمت هذه الرغبة بعراقل لعل أهمها قلة المواد الأولية و الظروف البيئية و المناخية لمثل هذه المميزات، فغابت عن هاته المداخل الدقة في تحديد العناصر المعمارية كالعقود، و أيضا غابت عنها اللمسة النهائية للمدخل كليا، و يستثنى من هذا كله مداخل أضرحة سيدي المجد بن يخلف و ضريح زاوية سيدي الجازولي و حويطة سيدي سليمان، و ربما هذا راجع إلى كونها بنيت حديثا.

ب-النوافذ : تنقسم الطاقة إلى نوعين، صماء للزخرفة أو حفظ المتاع أو وضع الأدوات و الشموع ، تسمى كوة مصمطة أو مشكاة، و مخترقة للحائط¹ ، و هذه الأخيرة تضم عدة أنواع من العناصر المعمارية التي تنجز في الجدران، و تختلف وظائفها، و التي تنحصر بين الإضاءة أو التهوية أو كلاهما مع بعض، و من أهم هذه العناصر النوافذ و الشمسيات و القمريات و الكوات المفتوحة.

و إن كانت بعض العمار الدينية في ولهافة لم يفتح بها أية نوافذ كما هو الحال في ضريح سيدي المدني، و أضرحة وادي طربان الثلاث² و قبتنا زاوية الجازولي، و الضريح الأول بأولاد بودلال،

¹ يحي وزيري ، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية ، الكتاب الثاني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1999م ، ص65.

² و إن كان ضريح سيدي احمد الأوشناري قد فتح فوق مدخله تشبيكات مثلثة الشكل.

و معهم ضريح مولاي مُحَمَّد بالشهابنة، إضافة إلى ضريح سيدي رحمون و سيدي مُحَمَّد النجاري، فإن أحجام النوافذ قد اختلفت في باقي العمار الدينية ، و من حيث هذا الجانب نميز نوعين، الكبيرة و هي التي تتجاوز أحد أبعادها 0.8م، بينما التي لم يتجاوز أحد أبعادها هذا الحد تندرج ضمن النوافذ الصغيرة، و أما من ناحية الحواجب العلوية لهذه النوافذ فإنقسمت هي الأخرى إلى المسطحة و إلى المنتهية بعقد أو المعقودة.

و من النوافذ الكبيرة المسطحة الساكف، تلك التي فتحت على يسار البروز الخارجي لمحراب مسجد سيدي ورياش و التي قدر إرتفاعها ب0.6م و عرضها 1م، قوامها مصراعين خشبيين، كما فتحت بالجانب الأيمن للبروز الخارجي لمحراب مسجد البوحميدي نافذة خشبية من مصراع واحد، إرتفاعها 0.8م و عرضها 0.56م.



لوحة رقم(59): نافذتين مستطيلتين كبيرتين في مسجدا سيدي ورياش (على اليمين) و البوحميدي (على اليسار)



و تم فتح نافذة في الجدار الجنوبي الغربي لمسجد سيدي محبوب ذات إرتفاع 0.9م و عرض 0.6م.

صورة رقم(69) : جزء من نافذة مسجد سيدي محبوب
من تصوير الطالب-

و وجد هذا النوع من النوافذ أيضا على يسار بروز محراب مسجد زاوية سيدي الجازولي، حيث فتحت نافذة مستطيلة الشكل إرتفاعها 0.7م و عرضها 1.2م، قوامها -حاليا- مصراع على شكل صفيحة معدنية.



صورة رقم (70) : نافذة مسجد الزاوية الجازولية من تصوير الطالب-

بينما النوافذ الكبيرة المعقودة، أتخذت في الجدار الشمالي لضريح سيدي ورياش و هي ذات إرتفاع 0.8م و عرض 0.6م، معقودة بعقد نصف دائري منخفض.



صورة رقم (71) : النافذة المعقودة بضريح سيدي ورياش من تصوير الطالب-

و فتح وسط جداري الواحمتين الشمالية و الجنوبية نافذتان مربعتان متقابلتان طول ضلعها 0.7م معقودتان بعقدتين بصليين منخفضين.



صورة رقم (72): أنموذج النافذة المعقودة الكبيرة بضريح سيدي المجدد بن يخلف من تصوير الطالب-

أما النوافذ الصغيرة المسطحة المستطيلة الشكل، فبدأ بمسجد سيدي يعقوب إذ وجدت في أعلى جداره القبلي أربع نوافذ متماثلة تقريبا إرتفاعها 0.75م و عرضها 0.5م، و فتحت فتحة صغيرة في جدار القبلة لبيت صلاة مسجد سيدي ورياش إرتفاعها 13 سم و عرضها 21 سم.



لوحة رقم (60): نافذتين مستطيلتين بجدار القبلة في مسجدا سيدي يعقوب (على اليمين) و سيدي ورياش (على اليسار) - من تصوير الطالب-

و بمسجد البوحميدي مثلتا نافذتين متماثلتين إرتفاعهما 0.4 م و عرضها 0.28م هذا النوع من النوافذ، الأولى في الجدار الشمالي للمقصورة، و الثانية بالجدار الشرقي للرواق.



لوحة رقم (61) : نافذتين مستطيلتين بمقصورة البوحميدي (على اليمين) و رواقه (على اليسار)
- من تصوير الطالب -

كما تم فتح نافذتين متقابلتين مع بعضها بالنسبة لمحراب مصلى أولاد بودلال و يبعدان عنه ب 0.8م، إرتفاعها 0.40م و عرضها 0.28م، كم فتحت في الجدار الشمالي من نفس المصلى نافذة صغيرة مربعة الشكل ضلعها 0.32م.



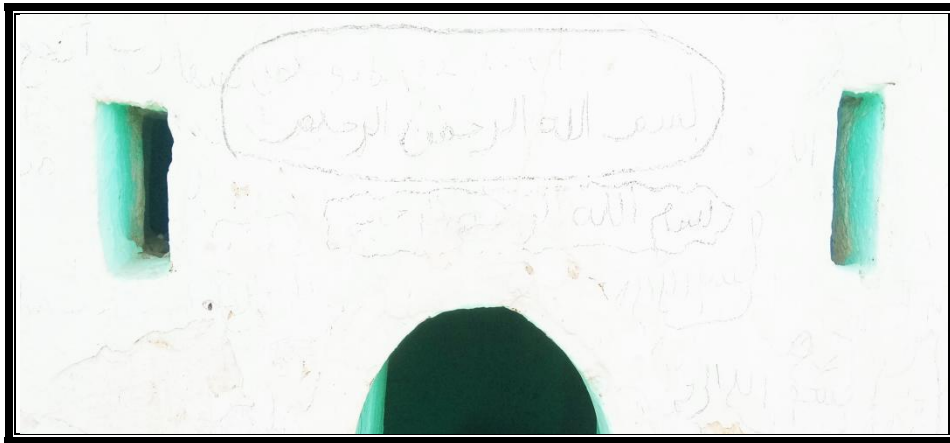
لوحة رقم (62) : صورتنا نوافذ مصلى أولاد بودلال - من تصوير الطالب -

و بجدار مسجد سيدي دحمان فتحت نافذتان من هذا النوع، إحداهما في الجدار الشمالي للرواق، إرتفاعها 0.2م و عرضها 0.3م، و تحددت نافذة أخرى في الجدار الجنوبي لبيت الصلاة إرتفاعها 0.35م عرضها 0.22م.



لوحة رقم (63) : صورتنا نافذتا مسجد سيدي دحمان -من تصوير الطالب-

و فتحت في أعلى المدخل عن يمينه و يساره بالضريح الأول من ضريحاً أولاد بودلال فتحتان صغيرتان مستطيلتا الشكل، إرتفاعها 0.35م و عرضها 0.15م .



صورة رقم (73): النافذتان المكتنفتان لمدخل الضريح الأول بأولاد بودلال -من تصوير الطالب-

و فتح في ضريح مولاي اعمر بالشهابنة عدة نوافذ صغيرة منها فتحتان في الواجهة الشرقية لباحته، بينما جاءت الفتحة الثالثة في أعلى جدارها الشمالي، و أخرى في الجهة الشرقية لقبته.

كما فتح في متوسط الواجهة الجنوبية الرئيسية فوق المدخل بضريح سيدي احساين نافذتين متاقستين، مستطيلتا الشكل طولهما 0.38م و عرضها 0.1م، و فتحت على يسار مدخله فتحة أخرى صغيرة.



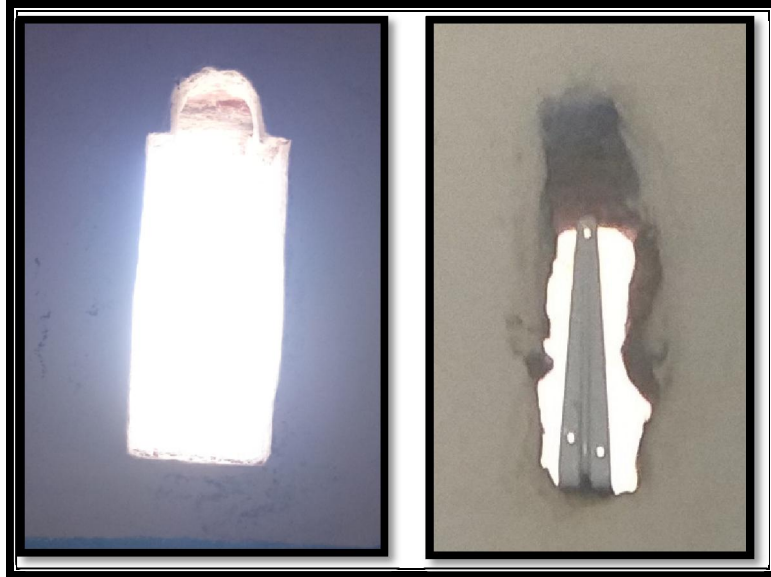
صورة رقم (74) : نوافذ ضريح سيدي احساين -من تصوير الطالب-

و تتخلل الجدار الجنوبي لحويطة سيدي دحمان فتحة صغيرة مربعة الشكل، طول ضلعها 0.25م.



صورة رقم (75) : النافذة المربعة بحويطة سيدي دحمان -من تصوير الطالب-

في حين النوافذ الصغيرة المعقودة تواجدت في كل من محراب مسجد البوحميدي، كما فتح في الجزء من الجدار القبلي المحصور بالبلاطة الأولى من جهة اليسار بمسجد بني زهنة نافذة إرتفاعها 54سم و عرضها 21 سم معقودة بعقد نصف دائري قطره 10سم،



لوحة رقم (64): صورتنا نافذتا محراب مسجد البوحميدي (على اليمين) و مسجد بني زهنة (على اليسار) - من تصوير الطالب-

و يعلو مدخل ضريح أولاد إبراهيم العامري نافذة مستطيلة، إرتفاعها 0.5م و عرضها 0.28م الشكل معقودة بعقد نصف دائري، كما إحتوى كل من الجدار الشمالي و الجنوبي بهذا الضريح و بنفس القياس و الموضع و الشكل على نافذة علوية أغلقت بالآجر.



لوحة رقم (65): النافذة المعقودة أعلى مدخل ضريح أولاد إبراهيم العامري و نموذج من النافذتين المسدودتين - من تصوير الطالب-

يرتفع فوق ظلة مدخل سيدي البشير مباشرة نافذة معقودة بعقد نصف دائري إرتفاعها 0.4م و عرضها 0.2م، يقابلها من الداخل إلى الأسفل بقليل، بنفس الشكل و القياس نافذة أخرى في الجدار الغربي المقابل للمدخل، و نفس الأمر حصل في الجدار أعلى الجدار الشمالي إلا أن هذه النافذة أغلقت.



لوحة رقم (66): النافذتان المعقودتان بضريح سيدي البشير -من تصوير الطالب-

بينما بعض النوافذ أخذت شكلا واسعا من الداخل و ضيقا من الخارج أو ما يطلق عليه إسم المزاغل، كتلك التي استخدمت بمسجد سيدي المدني و هي ذات إرتفاع 0.62م و عرض 0.3م، أو أغلب فتحات مسجد بني زهنة و التي جاء إرتفاعها 0.66م و عرض 0.3م،



لوحة رقم (67): صورتان نموذج لنوافذ مسجد سيدي المدني (على اليمين) و نوافذ مسجد بني زهنة (على اليسار) -من تصوير الطالب-

و فتحت بالجدار الجنوبي لضريح سيدي البشير نافذة بشكل مزغل إرتفاعها 0.4م و عرضها 0.32م.



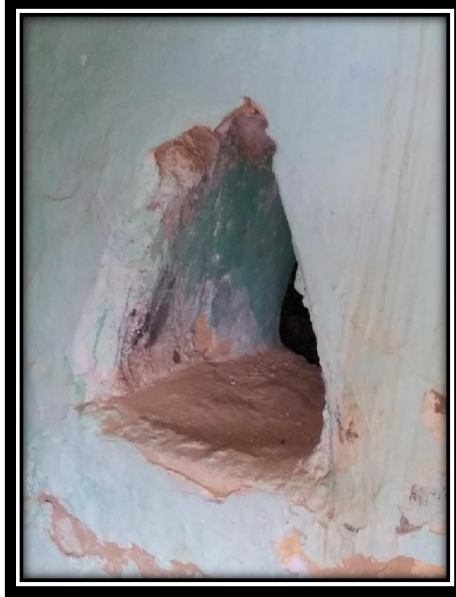
صورة رقم (76) : نافذة على شكل مزغل بضريح سيدي البشير من تصوير الطالب-

كما إنطلق بوسط الظلة التي تعلو ضريح سيدي حساين بالشهابنة من جهة الأعلى نافذة رشيقة قلمية متصاعدة نحو الأعلى، و هي في الحقيقة نافذة مستطيلة يعلوها عقد نصف دائري جاءت بشكل مزغل.



صورة رقم (77) : النافذة التي تعلو مدخل ضريح سيدي حساين من تصوير الطالب-

و آخر نوع من النوافذ في نماذجنا هي تلك النوافذ المثلثة كالتي جاءت بالجدار الشرقي لضريح سيدي اعمر بالشهبانة و المطلة على باحته، و هي بشكل مثلث متساوي الساقين، طول كل من ضلعيه 0.33م و طول قاعدته 0.25م، و إرتفاع هذه النافذة 0.38م.



صورة رقم (78): النافذة المثلثة بضريح سيدي اعمر بالشهبانة -من تصوير الطالب-

و في الأخير لا يمكننا إلا القول أن النوافذ و الفتحات و بتغير أحجامها و أشكالها، فقد تعددت وظائفها، ما بين وظائف إنشائية من توزيع للثقل كأكثر الفتحات التي فتحت في ضريح سيدي البشير، أو جمالية من حيث إضفاء امشة زخرفية كتلك المزاغل و النوافذ التي تعلو المداخل. أو تؤدي وظيفة الإنارة و التهوية و هي تلك النوافذ الكبيرة التي تم فتحها، أو الإنارة وحدها مقل النوافذ الصغيرة التي فتحت في الواجهات الشرقية، أو التهوية وحدها مثل النوافذ المفتوحة في الواجهات الشمالية و الجنوبية.

و نعتقد أنه لا معنى من فتح نافذة في حويطة مكشوفة كما إنفردت بذلك حويطة سيدي دحمان إلا لأمرين، توزيع الثقل أو الوظيفة الجمالية.

ج-الشبابيك: أستخدمت عدة مواد في صنع الشبابيك، لعل أبرزها الحديد و الخشب و الجص و الحجر المفرغ و الآجر و الزجاج الملون، و رغم أن أغلب الفتحات من أبواب و نوافذ بالعمائر الدينية في ولهاصة بقيت هكذا دون شبابيك، إلا أن هذا الأمر لم يمنع إحتواء بعض النماذج المدروسة على هذا النوع من عناصر الحماية، فقد تم عزل تابوتا ضريح الحاج مُحَمَّد الجازولي بالزاوية عن المدخل، عن طريق فصل البائكة الأولى الموازية لجدار القبلة التي تلي المدخل عن

البائكتين الوسطى و الغربية بواسطة سياج حديدي، و هو عبارة عن شباك مستطيل الشكل إرتفاعه 1.8م و عرضه 0.6م، قوامه شبكة من المعينات الصغيرة، يدعمها من الخلف معين كبير، رؤوسه تتوسط الأطوال الأربعة للمستطيل.



صورة رقم (79): الشباك الحديدي بضريح الحاج محمد الجازولي - من تصوير الطالب-

أو تستعمل القضبان عمودية على عرض النوافذ، إذ أستخدم هذا النمط من الشبايك في نافذة ضريح سيدي ورياش، والتي جاء قوامه ثلاث قضبان طولها 0.5م ترتبط في الأعلى مع قضيب مقاطع لها، و كذلك في مصلى أولاد بودلال إذ قسم النافذتين اللتان تكتنفان المحراب على قسمين قضيب إرتفاعه 0.32م،



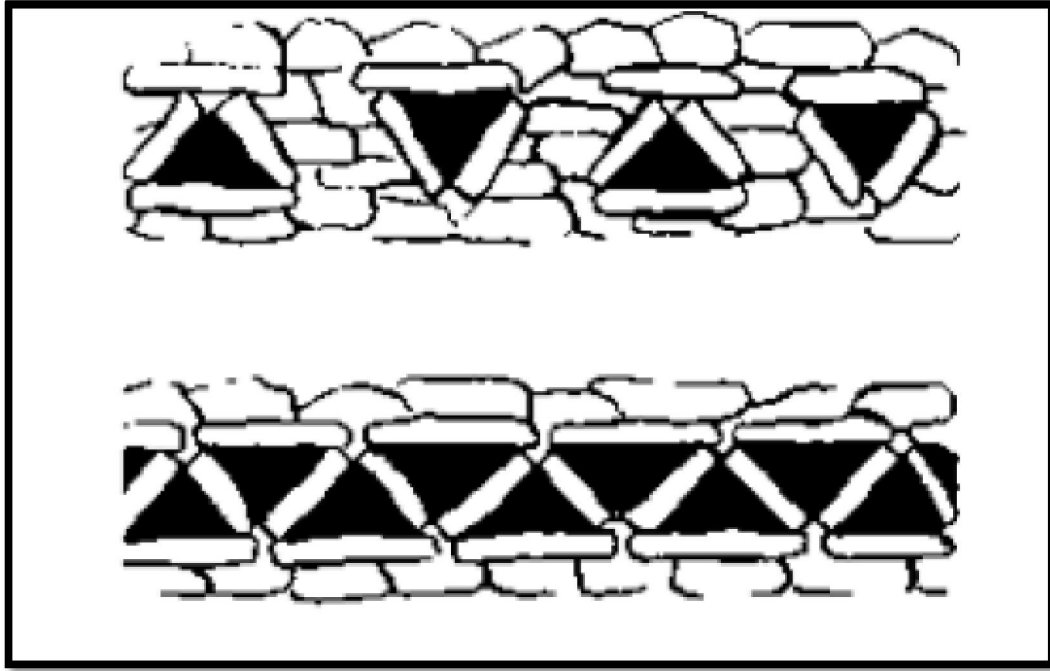
لوحة رقم (68): صورتا القضبان الحديدية المستخدمة في الشباك بضريح سيدي ورياش (على اليمين) و مصلى أولاد يودلال (على اليسار) -من تصوير الطالب-

كما استخدمت تقنية رص قطع الآجر بوضعية عمودية كشبايك، من أجل إغلاق فتحات التهوية، لمنع دخول الطيور في مسجد سيدي المدني .



صورة رقم(80): تقنية التشبيك بواسطة الآجر في مسجد بني زهنة -من تصوير الطالب-

و يمكننا إدراج الفتحات المثلثة التي تعلو ضريحاً سيدي أحمد الأوشتاري بطربان و سيدي عامر الصغير بزغار ضمن هاته العناصر المعمارية (الشبايك)، و قد أعطت الأستاذة حجري درية تفسيراً لهذا النوع من الفتحات، إذ ترى أن هذا النوع من الفتحات نتحصل عليه بواسطة حجّرين على شكل حرف V (كما في ضريح سيدي عامر الصغير) أو حرف V و حرف V مقلوب (كما في ضريح سيدي أحمد الأوشتاري)، و دعمت قولها بإعطاء رسمين لتمطين من هذه النوافذ¹.



شكل رقم (4): أنموذجان عن النوافذ المثلثة-تقلا عن: حجري درية، نفس المرجع، ص258.

¹حجري درية، العمارة التقليدية الريفية بالأوراس: القنطرة-غوفي- أنموذجا، رسالة لنيل شهادة الدكتوراة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة أبي القاسم سعد الله، الجزائر، 2017م، ص 257 -بتصرف-.



لوحة رقم: صورتنا المشابك الجدارية التي تعلو مدخلا ضريحا سيدي عامر الصغير
(في الأعلى) و سيدي أحمد الأوشتاري (في الأسفل) -من تصوير الطالب-

أما الزجاج فلم يستعمل إلا في موضعين، العقد الذي يعلو مدخل ضريح سيدي المجدد بن يخلف و نوافذه، و نافذة سيدي محبوب.

4/ الحنيات الغائرة في الجدران¹: و يقصد بها تلك الفراغات المصممة في الجدران، و التي أخذت أشكالاً و أنواعاً مختلفة.

أ-الكوات الصماء²: لو نرجع إلى تعريف يحيى وزيرى المتقدم لنجد أن الكوة هي الطاقة الصماء للزخرفة أو حفظ المتاع أو وضع الأدوات و تسمى الكوة المصممة أو المشكاة، و تعددت المشكوات في مساجد و أضرحة منطقة ولهاصة محل دراستنا بأشكالها المختلفة و أحجامها

¹ تم إختيار التسمية بهذا الشكل إستنادا إلى الأستاذة يمينة تسكورت ، و رأيناها الانسب في مقامنا هذا . للتوسع أكثر أنظر: يمينة تسكورت ، الآثار الإسلامية المادية و اللامادية لمنطقة تيبازة خلال الفترة العثمانية: دراسة أثرية إجتماعية ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد علم الآثار ، جامعة الجزائر 2، 2015م ، ص 188.

² لم نجد أحسن من الربط بين الحجم و مكان التواجد من جهة و بين الوظيفة من جهة أخرى لنفرق بين الكوة الصماء و الخزانة ، فالتى وظيفتها وضع الأشياء خزانة دون شك ، أما التي وظيفتها وضع الشموع فهي مشكاة ، بينما التي في الأضرحة كلها مشكاة ، و التي في المساجد الصغيرة مشكاة و الكبيرة خزانة.

المتعددة، و ربما إرتبطت ظاهرة فتح كوات صماء بظاهرة المدافن و الأضرحة إرتباطا وثيقا، و إلا كيف نفسر تواجد بعض المشكوات في حويطات أو أضرحة بدون سقف بل مكشوفة تماما، خاصة إذا علمنا أن المتعارف عليه لدى غالبية الجزائريين إن لم نقل كلهم بأن تتحدد أوقات زيارتهم للأضرحة من الصباح إلى قبيل آذان المغرب، أي قبل حلول الظلام، و يمكننا تقسيم الكوات الصماء أو المشكوات في أضرحة و مساجد منطقة و لهاصة إلى أربع أنواع حسب أشكالها، و هي : المستطيلة أو المربعة المسطحة الحنية العلوية، المستطيلة أو المربعة المعقودة الحنية، الغائرة على شكل مزغل، على هيئة عقد كليا.

- الكوات الصماء(المشكوات) المستطيلة أو المربعة المسطحة الحنية العلوية:

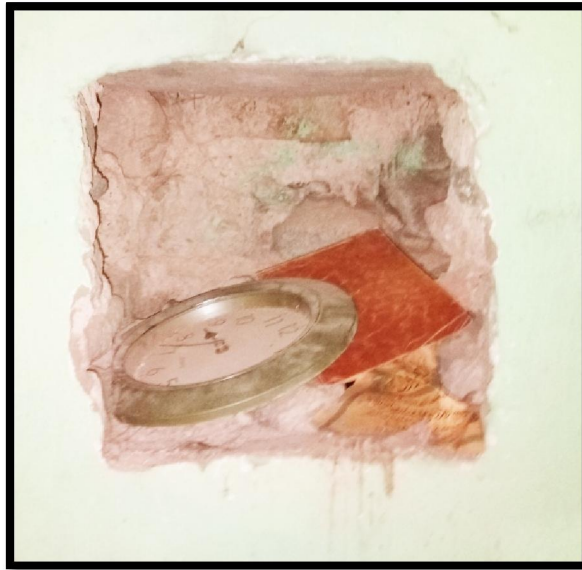
* الكوة المستطيلة المسطحة بالجدار الخلفي الغربي من بيت صلاة مسجد سيدي المدني، و التي قدر إرتفاعها ب 42سم و عرضها 20سم و عمقها 8سم، حدد حاجبها العلوي بواسطة عارضة خشبية، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



* الكوة المستطيلة المسطحة بالجدار الشمالي من بيت صلاة مسجد سيدي المدني، و التي قدر إرتفاعها ب 40سم و عرضها ب 20سم و عمقها 12سم، يعلو حاجبها العلوي إفريز مستطيل، يتوسطه زخرفة بارزة بهيئة عقد، و أحيط الكل بشريط بارز عرضه 4.5 سم ، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



* الكوة المربعة المسطحة بالجدار الجنوبي لمصلى أولاد بودلال، و التي قدر طول ضلعها ب30سم و عمقها 8سم، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



* الكوة المستطيلة المسطحة على يمين محراب مسجد سيدي دحمان، و التي قدر إرتفاعها ب 38سم و عرضها ب20سم و عمقها 10سم، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



* الكوتان المستطيلتان المسطحتان بجويطات مقبرة سيدي أحمد الأوشتاري، و التي قدر إرتفاعها ب 18سم و عرضها ب22سم و عمقها 10سم، صورهما الطالب و أرفقهما في صورتان التاليتان:



* الكوة المستطيلة المسطحة التي توسطت العقد المصمت الوسطي بالجدار الجنوبي لضريح سيدي عامر الصغير ، إرتفاعها 0.4م و عرضها 0.30م و عمقها 16سم ، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



* الكوة المستطيلة المسطحة التي أصممت بالجدار الغربي لضريح سيدي احساين، إرتفاعها 0.4م و عرضها 0.28م و عمقها 19سم ، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



* الكوة المربعة المسطحة بصفائح حجرية في الجدار الجنوبي لحويطة سيدي الحسين¹، ضلعها 0.28م وعمقها 19سم، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



¹ كما أشرنا إليه سابقا، من ملاحظتها يمكن القول أن هذه الكوة كانت عبارة عن فتحة أو نافذة صغيرة وأغلقت بأحجار صغيرة، رغم أن هذه الفكرة بعيدة لأنه لا يوجد سبب لوضعها فالضريح مكشوف كليا، و من ذلك يمكن التأكيد أن وضعها كان بغرض وضع الشموع فيها.

- الكوات الصماء (المشكوات) المستطيلة أو المربعة المعقودة الحنية العلوية:

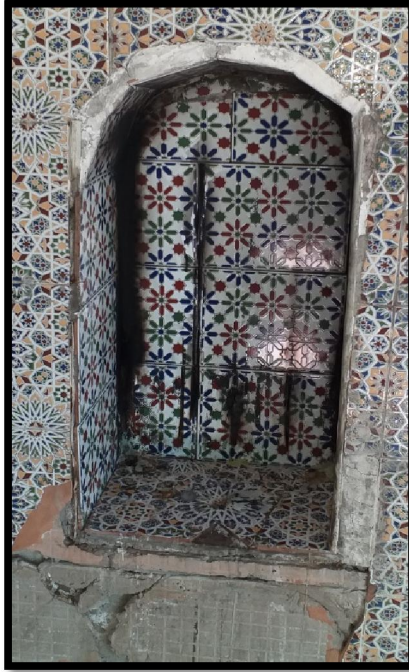
* الكوة المربعة المعقودة بالجدار الشمالي من بيت صلاة مسجد سيدي لعرج، و التي قدر إرتفاعها ب 27سم و ضلعها 20سم و عمقها 6سم، معقودة بعقد نصف دائري، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



* الكوتان المستطيلتان المعقودتان، الأولى (على اليمين) تحت الجدارية الجصية في الجدار الغربي لضريح سي الطاهر، إرتفاعها 30سم و عرضها 15سم و عمقها 12سم، معقودة بعقد متقاطع، و الثانية (على اليسار) بالجدار الجنوبي من نفس الضريح، معقودة بعقد نصف دائري، إرتفاعها 45سم و عرضها 20سم و عمقها 12سم، صورها الطالب و أرفقها في الصورتان التاليتان:



* الكوة المستطيلة المعقودة بالجدار الجنوبي من ضريح سيدي أمجد الجازولي، معقودة بعقد نصف دائري منخفض، إرتفاعها 45سم و عرضها 21سم و عمقها 13سم، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



* الكوة المربعة المعقودة بالجدار الشمالي لضريح أولاد إبراهيم العامري، معقودة بعقد نصف دائري، ضلعها 30سم و عمقها 21سم، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



-الكوات الصماء(المشكوات) الغائرة على شكل مزغل: بالجدار الغربي في ضريح الحاج محمد الجازولي، و التي قدر إرتفاعها ب 41سم و عرضها 20سم و عمقها 13سم، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



- الكوات الصماء(المشكوات) على هيئة عقد كليا: بالجدار الغربي من ضريح أولاد بودلال الأول، عل هيئة عقد نصف دائري، إرتفاعها 12سم و قطرها 8سم و عمقها 6سم، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



ب- الخزانات الجدارية : يمكننا تقسيم الخزانات في أضرحة و مساجد منطقة و لهاصة إلى نوعين حسب شكلها، و هي: المستطيلة أو المربعة المسطحة الحاجب، المستطيلة أو المربعة المعقودة الحاجب.

- الخزانات المستطيلة أو المربعة المسطحة السائف (الحاجب):

* الخزانة المستطيلة المسطحة بالجدار الشمالي لمقصورة (أو غرفة منبر) مسجد سيدي لعرج، و التي قدر إرتفاعها ب 0.42 و عرضها 0.7م و عمقها 25سم، لعل دورها يتمثل في حفظ بعض أغراض الإمام، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



* الخزانة المستطيلة المسطحة بالواجهة الغربية لمسجد سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني، على يمين الباب الغربي¹، إرتفاعها 1.06م² و عرضها 0.73م و عمقها 41سم، حدد حاجبها العلوي بعوارض خشبية، وظيفتها وضع الأكل لطلبة القرآن بحكم وقوعها بالقرب من الخريش أو المدرسة القرآنية، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:

¹ هناك إختلاف في أصلها، فقد تم اعتبارها نافذة وسبب غلقها أنها جاءت في الجهة الخلفية للجزء المضاف بعد القصف وكذا لتسقيفها الأصلي، بينما هناك من يراها خزانة لأن تواجد نافذة بهذا الحجم في الجهة الغربية المواجهة للبحر يؤدي إلى البرودة الشديدة شتاء و الرطوبة صيفا، و كذلك بالعودة إلى أصل المعلم إذ وجد كمرباط لمراقبة التحرشات الصليبية.

² إرتفاعها الأصلي حسب مقدّم الزاوية حوالي 2 م قبل وضع طبقة من الإسمنت لمنع تجمع المياه أمام المدخل.



* الخزانة المستطيلة المسطحة بالجدار الجنوبي لمصلى أولاد بودلال، طولها أقل من عرضها قياسه 0.28م و عرضها 0.68م و عمقها 40سم، أصلها خزانة خشبية مدمجة بالكوة الجدارية المصممة لوضع المصاحف و الكتب عامة ، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:

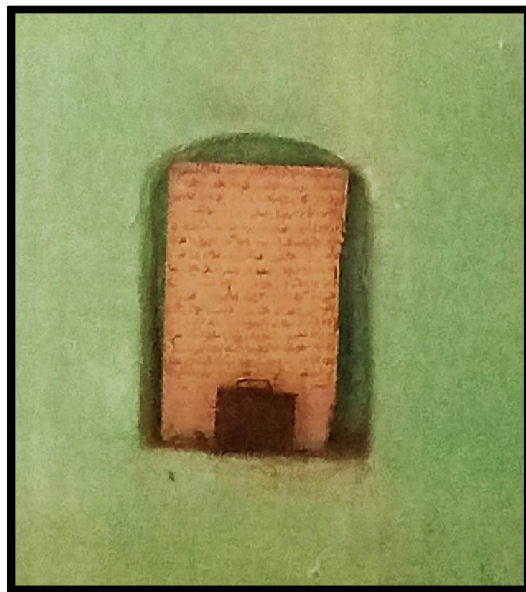


* الخزانان المربعان المسطحان على يسار مدخل رواق مسجد سيدي دحمان، طول ضلعها 0.65م، وعمقها 10 سم مخصصتان لوضع النعال و الأحذية، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



الخزانات المستطيلة أو المربعة المعقودة الساكف(الحاجب):

* الخزانة المستطيلة المعقودة بالجدار الجنوبي ، و التي قدر إرتفاعها ب 0.8م و عرضها ب 0.5م وعمقها ب 12سم، معقودة بعقد منخفض أستعملت كخزانة لوضع الألواح ، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



* الخزانتان المستطيلتان المعقودتان بالجدارين الجنوبي و الشمالي بنفس القياس و الموضع و الشكل ، و التي قدر إرتفاعها ب 0.50م و عرضها ب 0.39م و عمقها ب 26سم، معقودتان بعقد مدبب مرتد، أستعملتا لوضع أغراض الضريح و هدايا الزوار ، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



* الخزانتان المستطيلتان المعقودتان، الأولى (على اليمين) توسطت العقد المصمت الجنوبي يعلوها عقد منخفض مفصص، إرتفاعها 0.4م و عرضها 0.25م و عمقها 17سم، و الثانية (على اليسار) تقابلها في العقد المصمت الشمالي ، يعلوها عقد مدبب مفصص، إرتفاعها 0.4م و عرضها 0.27م و عمقها 17سم، أستعملتا لوضع أغراض الضريح و هدايا الزوار ، صورهما الطالب و أرفقها في الصورتان التاليتان:



*الخزانة المستطيلة المعقودة بالجدار الغربي من جدار ضريح سيدي مُحمَّد النجاري ، والتي قدر إرتفاعها ب 1م و عرضها ب 0.6م وعمقها ب 10سم، معقودة بعقد نصف دائري، أستعملت كخزانة لوضع هدايا زوار الضريح ، صورها الطالب و أرفقها في الصورة التالية:



5/ الشرفات : الإضافة الوحيدة التي تكاد ترى من بعيد هي رف أعمدة قصيرة، أو كتل صغيرة مثلثة فوق أركان البناء، يطلق عليها معماریا و أثريا الشرفات، و تأتي في أغلب الأضرحة، و استخدمت الشرفات في الأول لوظيفة عسكرية، لتتحول إلى عنصر معماری زخرفي تميزت به جميع العمارة الإسلامية¹، و منها العمارة الدينية، و قد أستعملت هذه العناصر المعمارية في منطقة ولهافة بعدة عمائر دينية، و زادت حدة إستعمالها في الأضرحة، إذ في إعتقادنا أنه لم يخلو ولا ضريح -في دراستنا- من هذه العناصر²، حتى تلك التي أعيد تسقيفها أو تجديدها كليا، و يستثنى من هذا كله ضريح سيدي اعمر بن علال بوادي طربان الذي جدد في فترات لاحقة من بناءه، و إنقسمت الشرفات في عمائر ولهافة الدينية إلى عدة أقسام، و هذا بحسب شكلها، و البداية بالشرفات المتدرجة، و تعددت أشكال هذه الأخيرة بحسب عدد درجاتها و حجم هذه الدرجات في حد ذاتها، فأقل عدد من الدرجات يمكن الإشارة إليه هو درجتان إثنان مثلما هو عليه الحال في الشرفات الذي تتوضع في الركن الشرقي من الواجهة الرئيسية لفناء ضريح سيدي الحاج الجازولي و في نفس الركن بالواجهة الجنوبية، بينما تكتنف شرافتين أخريتين مدخل هذا الفناء، إرتفاع الدرجة الواحدة 0.22م و عرضها 0.25م.

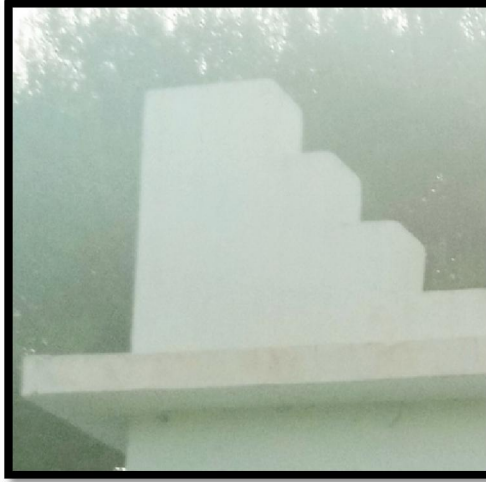


صورة رقم (81) : شرافتا الركنان الشرقيان من الواجهة الرئيسية الشرقية و الجنوبية بضريح الحاج الجازولي
-من تصوير الطالب-

¹ مُجَّد الطيب عقاب ، المرجع السابق ، ص185.

² لا يدخل في هذا الحصر ضريح سيدي البشير، إذ يشكل في هذه الحالة إستثناء، بحكم أن سقفه قد سقط و لم يعد موجودا.

أو يزيد عدد الدرجات إلى ثلاث كما هو شأن شرفات ضريح سيدي المجد بن يخلف، التي بلغ طول ضلعها 0.2م، و في الشرفات الثمان التي تكتنف أركان مئذنة سيدي يعقوب، و طول ضلعها 0.30م.



لوحة رقم (69): أنموذج شرافة من الشرفات الثمانية بضريح سيدي المجد بن يخلف (على اليمين) و مئذنة سيدي يعقوب (على اليسار) - من تصوير الطالب -

ليصل عدد الدرجات إلى أربع، مثلما هي عليه الشرفات التي تتوضع بالأركان الأربعة لضريح سيدي المجد بن علي بالزاوية، و قوامها أربع مكعبات مربعة ضلعها 0.12م، ترتبط كل شرافتين متجاورتين في نفس جهة الركن من واجهتين مختلفتين بالمكعب الأعلى، و هذا الأخير يشكل مركز إلتقاء شرافتين متجاورتين و هو نفسه قمة كل واحدة منهما أو شرفات ضريح سيدي يعقوب التي بلغ طول ضلع مكعبها 0.14م.



لوحة رقم (70): أنموذج شرافة من الشرفات الثمانية بضريح سيدي المجد بن علي بالزاوية (على اليمين) و بضريح سيد يعقوب (على اليسار) - من تصوير الطالب -

بينما أقصى حد لعدد هذا الدرجات هو سبع، مثلما حدث في شرفات أركان ضريح سيدي محمد النجاري، و يفرض السؤال نفسه، هل هاته الشرفات بنيت بنفس شكل الشرفات الأصلية للضريح؟ أو مخالفة له؟ أو أن الضريح أصلا لم يكن له شرفات؟، على كل بلغ إرتفاعها 0.49م و عرضها 0.77م، تتكون من سبع درجات مستطيلة طولها 11سم و عرضها 7سم.



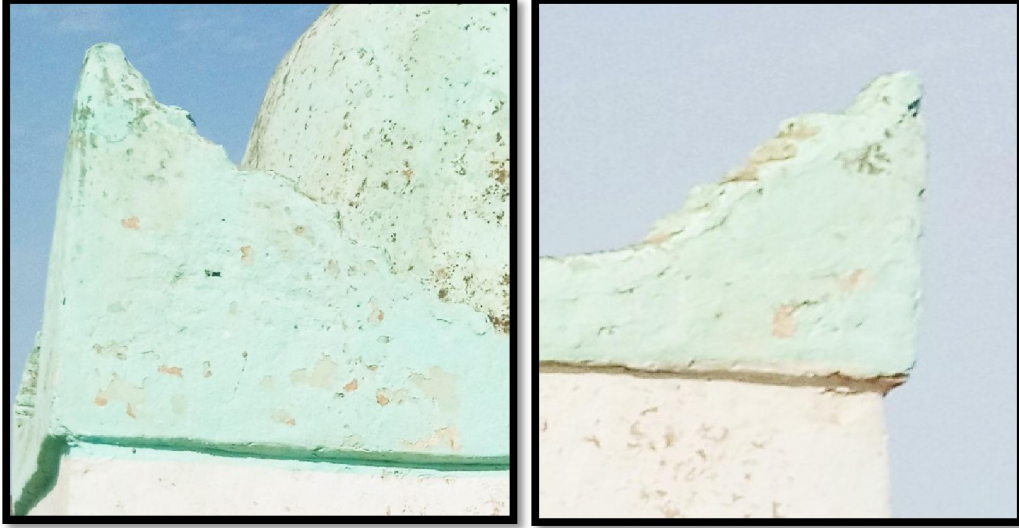
صورة رقم (82): أنموذج لشرفة متدرجة بضريح سيدي محمد النجاري-من تصوير الطالب-

ثم الشرفات المسننة و التي قوام تدرجها بروز على شكل نصف معينات من قمتها إلى قاعدتها، و وجدت هذه المسننات أو الشرفات المسننة متجاوزة مثني مثني في الأركان الأربع- بواجهتي كل ركن- لضريح سيدي المدني، عدد هذه البروز هو خمسة، و إرتفاع كل شرفة 0.42م.



صورة رقم (83): أنموذج مسننتان متجاورتان من الأربع بضريح سيدي المدني-من تصوير الطالب-

و بنفس النوع توضع المسننات الثمانية بضريح أولاد بودلال الأول و الثاني، إلا أن إرتفاعها كان أقل من مسننات سيدي المدني، إذ قدر ب0.39م، بينما زاد عدد البروز إلى 8 بروز على شكل نصف معينات.



لوحة رقم (71): صورتان لأنموذج من مسننات ضريحا أولاد بودلال الأول على اليمين و الثاني على اليسار
—من تصوير الطالب—

و نفس النوع إكتنف أركان ضريح سيدي عامر الصغير، بإرتفاع 0.40م و سبع بروز، و مثلها تماما في الشكل و القياسات بضريح سي الطاهر.



لوحة رقم (72): أنموذج شرافة من الشرافات الثمانية التي تتوضع بأركان ضريحا عامر الصغير (على اليمين) و سي الطاهر (على اليسار)—من تصوير الطالب—

و النوع الثالث من الشرافات هي تلك التي أخذت شكل مثلث قائم، مثل التي إعتلت أركان ضريح أولاد إبراهيم العامري بقرية زغار، وبلغ إرتفاعها 0.45م و طول وترها 0.48.



صورة رقم(84): أنموذج شرافة مثلثة مسطحة بضريح أولاد إبراهيم العامري—من تصوير الطالب-

أو التي إعتلت أركان ضريح سيدي رحمون و حويطة سيدي سليمان بالشهابنة ، و قد بلغ إرتفاع هذه الأخيرة في سيدي رحمون 0.40م و طول وترها 0.5م، وعددها ثمانية، بمعدل شرافتين مترابطتان رأسياً في كل ركن، بينما إختلفت فقط الأبعاد التي في الحويطة، إذ جاءت في هذه الأخيرة بإرتفاع 0.27م وعرض 0.26م.



لوحة رقم (73): أنموذج شرافة مثلثة مسطحة بضريح سيدي رحمون (على اليمين) و حويطة سيدي سليمان (على اليسار) —من تصوير الطالب-

أما عن النوع الرابع من الشرفات فهو على شكل شبه منحرف (أو مستطيل غير منتظم)، في ضريح سيدي احساين برز هذا النوع من الشرفات، بإرتفاع 0.2م و عرضها 0.85م.



صورة رقم (85): أنموذج شرافة بشكل شبه منحرف بضريح سيدي احساين—من تصوير الطالب-

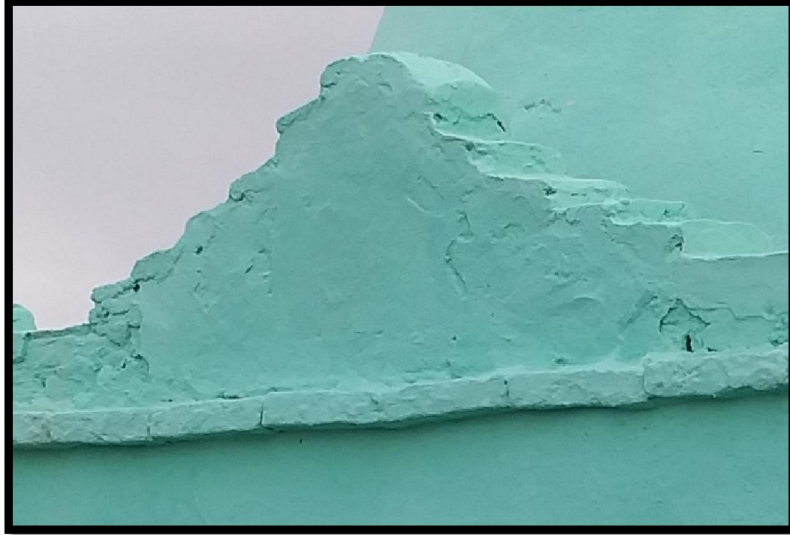
أو مربع مسنن أحد الأضلاع كما هو الشأن في ضريح سيدي ورياش، طول ضلعه 0.4م و عدد بروزه ثلاثة.



صورة رقم (86): أنموذج شرافة بشكل مربع مسنن احد الأضلاع بضريح سيدي ورياش—من تصوير الطالب-

و يمكن الإشارة إلى نوع آخر من الشرفات لم تكتف الأركان الأربعة للضريح، و إنما توسطت جوانبه الأربعة أو بعضها أو إحداها، و تميز ضريحا سيدي عامر الصغير و سيدي أحمد بطربان

بهذا النوع من الشرفات، فشرفات ضريح سيدي عامر الصغير جاءت الشرفات الوسطى مسننة على شكل مثلث متساوي الساقين، طول قاعدته 1م و طول ضلعيه المتساويين 0.70م، و قوامها خمسة بروز.



صورة رقم (87): أنموذج شرفة مثلثة مسننة جانبية بضريح سيدي عامر الصغير—من تصوير الطالب-

أو على شكل مثلث متساوي الضلعين ولكن بطريقة متدرجة مثل التي تم إحاطة أعلى الجدار في بيت صلاة مسجد سيدي يعقوب، إرتفاعها 0.40م، وعرضها 0.5م، تتكون من ثلاث درجات على شكل مكعبات.



صورة رقم (88): شرفات مسجد سيدي يعقوب—من تصوير الطالب-

بينما نفس النوع من هذه الشرفات التي في ضريح سيدي أحمد الاوشتاري أخذ شكل مثلث متساوي الساقين، و لكن بوجه مسطح، طول قاعدته 0.95م و طول ضلعيه المتساويين

0.65م، و مثل هذا الشكل توسطت شرافات ضريح أولاد إبراهيم العامري، إلا أن طول القاعدة فيها 0.88م و طول ضلعها 0.48م.



لوحة رقم (74): صورتاً نموذج الشرافة المثلثة المسطحة الجانبية بـضريح سيد أحمد الاوشتاري (على اليمين) و ضريح أولاد إبراهيم العامري (على اليسار) -من تصوير الطالب-

بينما أخذت شكل شبه منحرف في ضريح سيدي ورياش، إرتفاعه 0.40م و قاعدته الكبرى 0.48م و الصغرى 0.23م كن درجتين.








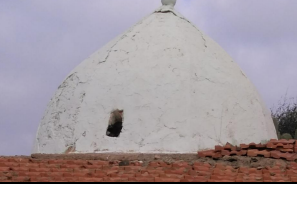
صورة رقم (89): أنموذج شرافة جانبية على هيئة شبه منحرف بـضريح سيدي ورياش -من تصوير الطالب-





16/ أنظمة التسقيف: لا يخفى على أحد من المختصين في مجال العمارة قديماً و حديثاً، الإرتباط الوثيق بين هذه الأخيرة و الطبيعة البيئية و المناخية المحيطة بها، و يبرز هذا الإرتباط و التأثير في مواطن كثيرة منها، و لعل أهم هذه المواطن نجد السقف، إذ تعين على هذا الأخير أن يتناسق و الجو المشهور في تلك المنطقة، مثلما إرتبط السقف كما سنرى بنوعية العمارة و وظيفتها، و إختلفت الأسقف و تقسمت إلى عدة أنواع و هذا بتنوع طراز العمارة و فترتها و وظيفتها، ونفس الشيء لوحظ في مساجد و أضرحة ولهاصة الأثرية و الريفية.

أ-السقف المقبب : القبة هي بناء دائري المسقط مقعر من الداخل، مقبب من الخارج، تتألف من دوران قوس على محور عمودي لتصبح نصف كرة تقريباً¹، و ذكرت المصادر أن أول ظهور للقباب في العمارة كان في آسيا منذ زمن بعيد ثم انتشرت في بلاد الفرس لتزدهر وتتطور بعد ذلك في بلاد الروم واليونان دون مصر في عصرها القديم، ثم انتشرت بعدها انتشاراً واسعاً في بلاد المسلمين، إلا أن أول ظهور للقبة في العمارة الإسلامية كانت قبة الصخرة المشرفة التي بُنيت بأمر من عبد الملك بن مروان في بيت المقدس في فلسطين، ثم تعاقب ظهور القباب بعد ذلك لتكون ثاني قبة في العمارة الإسلامية هي قبة النسر في المسجد الأموي في دمشق الذي بُني بأمر من الوليد بن عبد الملك في عام 133-132 هـ (750م)، و استمر ظهور القباب على أسطح المساجد حتى لا يكاد يخلو أي مسجد من قبة ومئذنة بل ازدادت أعداد القباب في بعض المساجد على عدد المآذن لما تُعطيه للمسجد من فخامة وإجلال وعظمة، ثم امتدت بعد ذلك لتتجاوز العمارة المساجدية فشملت الأضرحة أيضاً كلقبة الخضراء المتواجدة في الروضة الشريفة، وتذكر المصادر أن أول من بناها هو السلطان قايتباي، و هذه القبة تغطي ضريح النبي صلى الله عليه وسلم وأضرحة كلاً من صاحبيه عمر بن الخطاب وأبو بكر الصديق - رضي الله عنهما- و غيرها من القباب التي ظهرت في مباني العمارة الدينية و الدنيوية كالقصور، و الجوامع، لتمتد للعمارة المدنية أيضاً، هذا و قد تنوعت القباب في دراستنا و تنوعت معها أشكالها، و بإستثناء الأضرحة -عدا ضريح سيدي رحمون و سيدي البشير- فلقد إختلفت القباب من كل المساجد الأثرية بمنطقة ولهاصة، سوى مسجد سيدي يعقوب التلمساني، و هذا بسبب إلتصاق المسجد بالضريح، إلا أن القبة قد غطت هذا الأخير، أما عن أوصاف القباب فقد جمعناها في الجدول الآتي:

¹ عبد الرّحيم غالب ، المرجع السابق ،ص309.

الوصف الضريح	صورة القبة	شكل القبة	قطرها	طول محيطها
سيدي يعقوب		نصف كروية	3.44م	9.85م
أولاد عامر		مثمثة	3م	12م
سيدي عامر الصغير		نصف بيضاوية	2.9م	9.1م
سيدي محمد النجاري		نصف كروية	3م	9.42م
أولاد بودلال الاول		سداسية	2.98م	12م
أولاد بودلال الثاني		نصف بيضاوية مضلعة الجوانب	2.91م	10.9م
سيدي أحمد الأوشاري		نصف بيضاوية	3.13م	12.1م
سيدي أمير		غير منتظمة	2.6م	9.1م

9.8م	2.8م	مثمثة		سي الطاهر
11.9م	2.95م	مثمثة		سيدي الحاج مُحَمَّد الجزولي
7.8م	1م	مثمثة		قبيبات سيدي الحاج مُحَمَّد الجازولي
12.5م	3.36م	مثمثة		سيدي مُحَمَّد بن علي
12.2م	3.2م	مثمثة		سيدي ورياش
8.1م	1.1م	مثمثة		قبيبات سيدي ورياش
12.4م	3.3م	مثمثة		سيدي أحساين
7.53م	2.4م	نصف بيضاوية		مولاي أعمار

م7	م1.6	نصف بيضاوية مضلعة الجوانب		مولاي مُحمَّد
م9	م1.3	مثمثة محمولة على رقبة		سيدي المُحمَّد بن يخلف
م8.79	م2.8	نصف كروية		سيدي حساين
م12	م3	نصف بيضاوية مربعة الجوانب		سيدي مُحمَّد المدني

جدول رقم (8): أشكال القباب و توزيعها بأضرحة ولهاسة

من الجدول نلاحظ أن الشكل الذي أستعمل بكثرة هي القباب المثمثة، و التي حملت واحدة منها الإستثناء لكونها رفعت على رقبة مثمثة في ضريح سيدي المُحمَّد بن يخلف، بينما أحيطت القبتان المركزيتان المثلثتان في ضريحا سيدي ورياش و سيدي الحاج مُحمَّد الجازولي بأربعة قبيبات في الأركان أصغر منها حجما و مماثلة لها شكلا، و واحدة سداسية بضريح أولاد سيدي بودلال الأول ثم تأتي بعدها القباب النصف بيضاوية بنوعها التام أو المضلعة الجوانب من ثمان جهات، أو حتى بأربع جهات كما حدث في ضريح سيدي مُحمَّد المدني، القباب النصف الكروية هي الأخرى حاضرة في ثلاث نماذج، إلا أن النموذج التي توضع فيه بشكل كامل و متناسق هو قبة ضريح سيدي مُحمَّد النجاري بقرية سيدي رحمون، في حين لم تنظم قبة ضريح سيدي اممر بوادي طربان تحت أي شكل من الأشكال المعروفة للقباب، و في الأخير يمكن الإشارة إلى توسط حجم القباب حيث أكبرها هي قبتا سيدي مُحمَّد بن علي بزاوية الجازولي و سيدي أحمد الأوشتاري بسفح طربان، في حين أصغر القباب بإستثناء القبيبات الصغيرة نجد قبتا مولاي اممر و سيدي المُحمَّد بن يخلف.

ب- السقف البسيط المائل : و تسمى أيضا الأسقف الإنسيابية، و الهدف منها ربما كان عدم تجمع المياه من جهة، و عكس أشعة الحرارة من جهة أخرى، لذلك نرى أغلب الأسطح المائلة تعلو من الجهة الغربية و تنحدر باتجاه الجهة الشرقية، و لم تخلو المساجد و الأضرحة بمنطقة ولهامة من هذا النوع من الأسقف، و ربما هذا راجع لتوفر المقومات الأساسية لهذا النوع من مواد أولية كالقصب و الأوتاد الخشبية و التربة الجيرية، و نلاحظ أن هذا النوع من الأسقف قد تم تهيئته من الجهة الخارجية بنوعين، النوع الأول يستعمل القرميد المربع كما هو الحال في البهو المحيط بضريح مولاي اعمر بالشهابنة الفوافة و مصلى ضريحا أولاد بودلال.



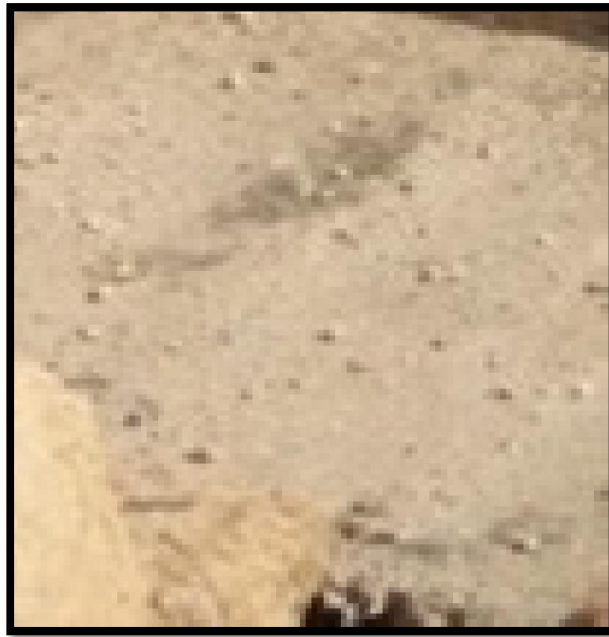
لوحة رقم (75) : صورتا السقفان القرميديان المائلان بضريح مولاي اعمر (في الأعلى) و مصلى أولاد بودلال (في الأسفل) - من تصوير الطالب -

أو تم إعادته بسبائك معدنية (صفائح الزنك) كما هو الحال بالنسبة لمسجد زاوية سيدي الجازولي.



صورة رقم (90) : سقف مسجد زاوية سيدي الجازولي- من تصوير الطالب-

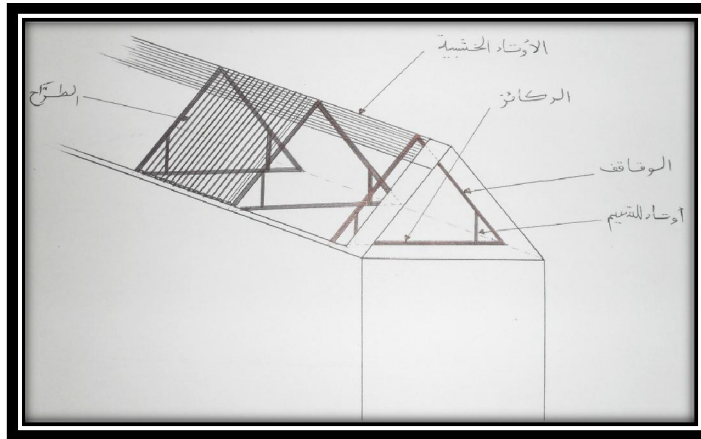
و النوع الثاني هو وضع طبقة ملاطية في الأعلى، و يتمثل هذا النوع في سقف مصلى سيدي دحمان و مسجد سيدي ورياش.



صورة رقم (91) : سقف مصلى سيدي دحمان- من تصوير الطالب-

ج-السقف الجملوني : هي الأسقف التي يضاف لها حوامل تأخذ شكل مثلث منفرج متجه الزاوية المنفرجة نحو الأسفل، ليسمح بتشكيل الظهر المسنم، و يتم تقوية أضلاعها بدعائم خشبية صغيرة تنطلق من ضلعها السفلي بشكل مائل نحو ضلعها الجانبيين المائلين، أو دعائم من

الآجر وفوقها تمدد روافد تعلوها ألواح خشبية يليها الملاط و تغطي من الخارج بالقرميد¹، و هذا النوع من الأسقف إنفرد به مسجد زاوية سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني، إذ يبقى السقف من العناصر المهمة فيه، و يرجع ذلك إلى تاريخيته و أسطوريته، فلو تأملنا من الداخل لوقفنا على تحفة فنية أصلها من الخشب، و زخرفتها هندسية نجمية متنوعة الأجام و الأشكال، أو نباتية منحوتة و مرسومة بألوان مختلفة، و هي مسنودة على خشب محلي.



شكل رقم (5): تقنية السقف الجملوني

- نقلًا عن رابح فيسة مُجد، العمران الريفي في منطقة بني سنوس (تلمسان): دراسة تاريخية أثرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2014م، ص 215.

أما من الخارج فهو سقف جملوني من ثلاث صفوف (أحدها لم يعد له وجود نتيجة القصف الذي تعرّض له المسجد)²، و هذه الصفوف مثلثة الشكل و هي من القرميد الأحمر المترابط بملاط من الرّمل و الجير المطفأ و الطين، و ترتكز على ألواح خشبية من الداخل .

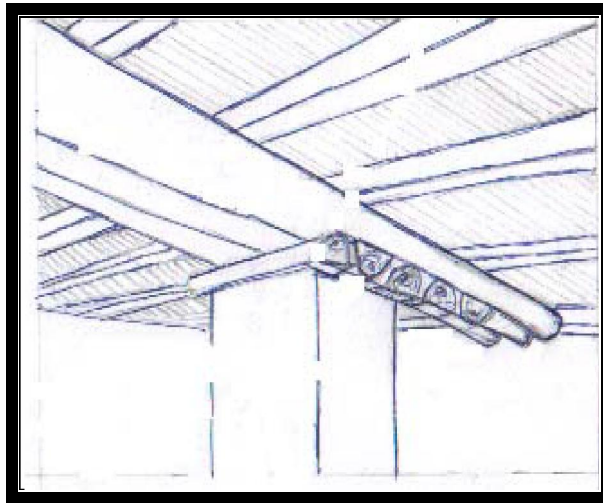
¹ عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص 689.

² قد تم سقوط أجزاء كبيرة من هذا السقف بسبب المعارك المتعددة بداية من 1503م بين المقاومين من المنطقة و القراصنة البرتغاليين، ثم تعرضها للقصف سنة 1836م من جهتين، الجهة الشرقية البرية من طرف مدفعية قوات الجنرال دار لانج، و من الجهة الشمالية البحرية من طرف فيلق الجنرال بيجو، في معركتهم ضد قوات الأمير عبد القادر وخليفته على المنطقة البوحميدي الولهاصي، و أخيرا تعرضها للقصف المدفعي مرة ثانية سنة 1958م من طرف قوات الجنرال بيير المنطون.



لوحة رقم (76) : المظهر الخارجي و الداخلي للسقف الجملوني بمسجد سيدي يعقوب- من تصوير الزميل الصحفي مُجد حساني سنة 2014م-

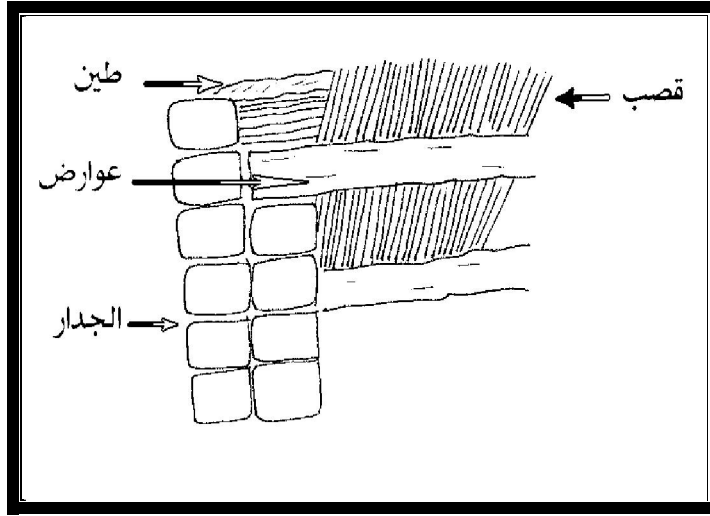
دالسقف البسيط المستوي : و هي الأسقف التي يتم فيها وضع مجموعة حوامل متباعدة، تتصل من الجدار للجدار، أو من الجدار إلى الدعامة أو العمود، أو من الدعامة أو العمود إلى دعامة أو عمود آخر، ثم يعلوها باتجاه عكسي روافد متراصة، يعلوها القصب تحمل فوقها الملاط.



شكل رقم (6) : تقنية التسقيف بالقصب- نقلا عن : دحمون منى، قصر...، 112.

وقد أعطى ابن خلدون وصف لهذا السقف قائلا: " و من صنائع البناء عمل السقف بأن يمد الخشب المحكمة النجارة أو الساذجة على حائطي البيت، و من فوقها الألواح كذلك موصولة

بالدساتير، و يصف عليها التراب و الكلس و يبسط بالمراكز حتى تتداخل أجزاؤها و تلتحم، و يعالى عليها الكلس كما يعالى على الحائط.¹



شكل رقم (7): تصور لطريقة التسقيف التي تحدث عنها ابن خلدون
-نقلا عن : خديجة بوخلخال ، قصر تاجموت بولاية الأغواط: دراسة أثرية و معمارية ، مذكرة لإتمام متطلبات
الماجستير في الآثار الصحراوية و الريفية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2011م ، ص123-

و قد كانت هذه الطريقة من التسقيف هي المتخذة في كثير من المباني الدينية بمنطقة ولهاسة، فنجدها في كل أسطح مرافق مسجد سيدي يعقوب عدا الضريح و بيت الصلاة، كما نجدها في مساجد سيدي المدني و البوحميدي و سيدي لعرج، و هي نفسها المتواجدة في الغرفة التي تسبق غرفة الدفن في ضريح سيدي رحمون.



صورة رقم (92) : سقف مستوي بمسجد زاوية سيدي يعقوب- من تصوير الطالب-

¹ عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص334.

المطلب الثالث : التحليل الفني (الزخرفة)

إختصرنا في هذا المطلب أهم المظاهر الزخرفية بمختلف أنواعها، حيث إنتشرت المواضيع الفنية على مختلف العناصر المعمارية و المنقولة المكونة لعناصر الدراسة، و أهمها:

1- المواضيع الزخرفية على التوابيت : بقدر ما يحظى الأولياء الصالحين و أضرحتهم من التبجيل و التقدير، بقدر ما إنعكس هذا الإحترام إلى توقير كبير من طرف السكان المحليين لمرابطهم، و أدى هذا التوقير للمرابطين و الأولياء إلى وضع توابيت على قبورهم، و قد أشرنا سابقا إلى قوام التوابيت و نشأتها و مكوناتها الأساسية، و يكفي الآن أن نتطرق إلى أهم المواضيع الفنية الزخرفية المزيّنة لها، و في هذا المجال فقد لعبت زخرفة المصنوعات الخشبية خلال مختلف الفترات و السلالات الإسلامية دورا كبيرا في التعريف بالفن الإسلامي، و هذا كله بسبب التنوع و الثراء الكبيرين للزخارف الإسلامية من حيث التقنيات و الفنيات، و من بين التوابيت الثانية في نماذجنا المدروسة، بدأت أربع منها بسيطة خالية من كل أنواع التثمين، حيث جاءت عبارة عن قطع خشبية مسطحة متراكبة مع بعضها البعض، و تقصد بها توابيت ضريحاً زاوية سيدي الجازولي الثلاث و تابوت ضريح مولاي محمد الصغير بقرية الشهابنة التحاتة، بينما إختلفت تقنيات و مواضيع زخرفة توابيت أضرحة سيدي يعقوب و سيدي عامر الصغير، إضافة لضريح سيدي محمد المدني و سيدي محمد النجاري.

و البداية بضريح سيدي محمد النجاري و ذلك لحفة الحديث عن أهم المظاهر الزخرفية به، حيث جاء شكله الكلي عبارة عن زخارف هندسية قوامها معينات متتالية متقايسة زينت واجهاته الخمس، طول ضلعها 2 سم، و شكلت هذه الشبكة من المعينات عن طريق جمع صفائح خشبية مستقيمة رقيقة و رشيقة عرضها 2.1 سم، بواسطة مسامير سلكية صغيرة ذات النقاط الرأسية المساوية للميكرون الواحد .



صورة رقم (93): الزخرفة الهندسية بتابوت سيدي محمد النجاري- من تصوير الطالب-

كما تعتبر الكتابات الأثرية من أهم خصائص الزخرفة الإسلامية، فلقد أنتجت لنا أنواعا من الخطوط كخط الثلث والكوفي والرقعي والفارسي والتسخي. وقد عبرت هذه الكتابات عن الروح الدينية والتقاليد الاجتماعية للمجتمع الإسلامي من حيث تسجيلها للآيات القرآنية وصيغ الدعاء والمدح والحكم والقول المأثور¹، إذ لعب الخط العربي أو الزخرفة الخطية أو الزخرفة الكتابية دورا كبيرا من الجانب الفني للمنتجات الخشبية، و اعتبرت التوايت مجالا خصبا لتنفيذ هذه الأخيرة، و ما تابوتا سيدي يعقوب و سيدي المداني إلا أنموذجان حيان لهذه الوسيلة الزخرفية، ففي ضريح سيدي يعقوب لم نستطع العثور على شواهد مادية للكتابات التي يرجح أنها كانت موجودة كما ذكرنا سابقا، إلا أنّ أهم كتابة يمكن الإشارة إليها والتي ما زالت قائمة للآن هي تلك الموجودة في الضريح، والتي ترجع مثلما هو مُشار إليه فيها إلى القائد العثماني على ناحية تلمسان "القائد محمد بن حمزة" والذي زار المنطقة، وهي كتابة منقوشة على الهيكل الخشبي الموضوع فوق القبر نصّها كالآتي:

" الحمد لله وحده أما بعد

هذا مقام الولي الصالح سيدي

يعقوب بن الحاج رحمه

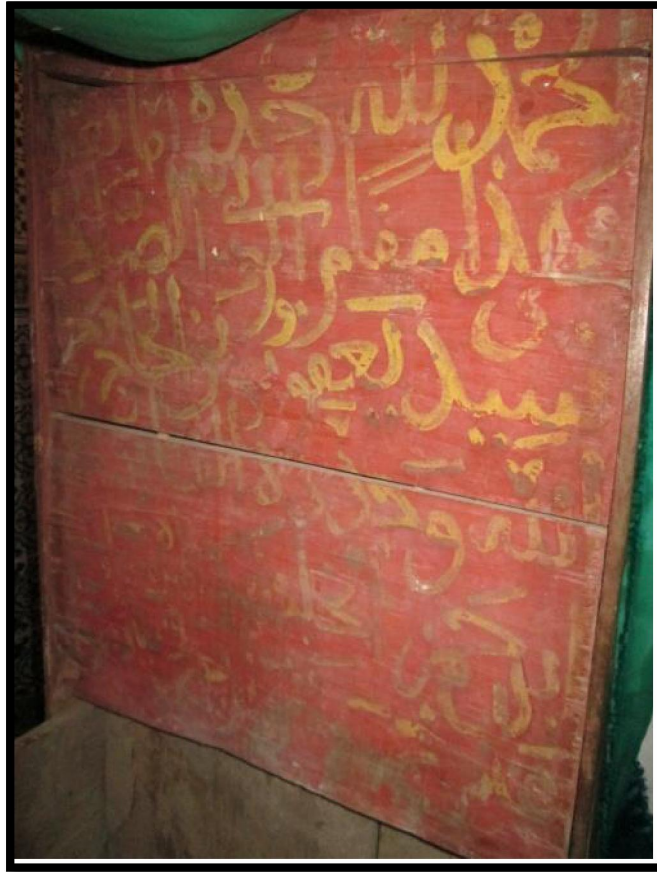
الله و جدده القائد محمد

بن حمزة الخليفة العثماني

بتلمسان في عام خمسة

و أربعين و مائة و ألف هجرية 1145هـ."

¹ عبد العزيز لعرج، الكتابات الأثرية في البلاطات الخزفية بضرخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الثالث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1987، ص19.



صورة رقم (94) : العبارات و الصيغ الدينية و التذكارية المنقوشة في تابوت سيدي يعقوب- من تصوير الطالب-

بينما تابوت ضريح سيدي عامر الصغير فهو الآخر زينته كتابات، قوام نصها في الأعلى جزء من الآية 60 من سورة الحج، بينما الجزء السفلي فإحتوى على الآيتين 37 و 38 من سورة النور:

الجزء العلوي: " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

و لينصرن الله من ينصره

إن الله لتقوي عزيز"

الجزء السفلي: " رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر

الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة يخافون

يوما تتقلب فيه القلوب و الأبصار

ليجزهم الله أحسن ما عملوا و يزيدهم من فضله

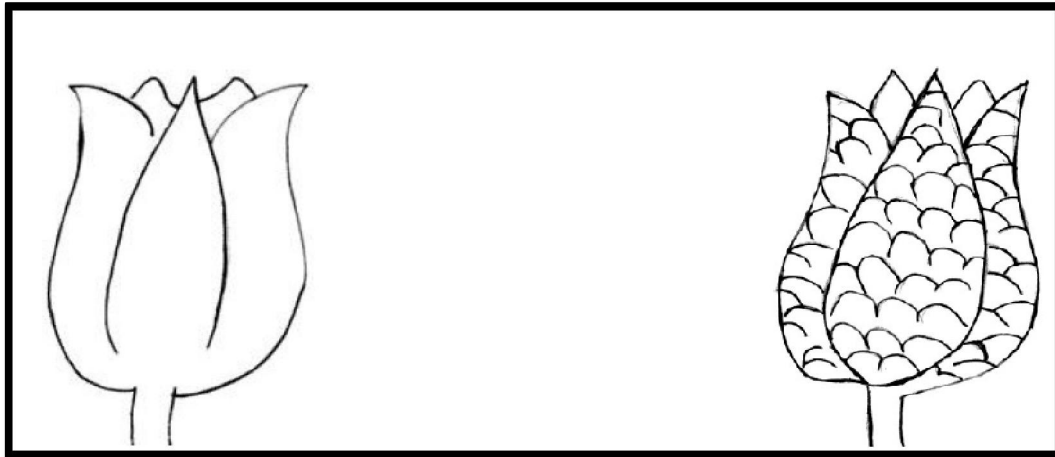
و الله يرزق من يشاء بغير حساب"



صورة رقم (95): العبارات و الصيغ الدينية المنقوشة في تابوت سيدي عامر الصغير- من تصوير الطالب-

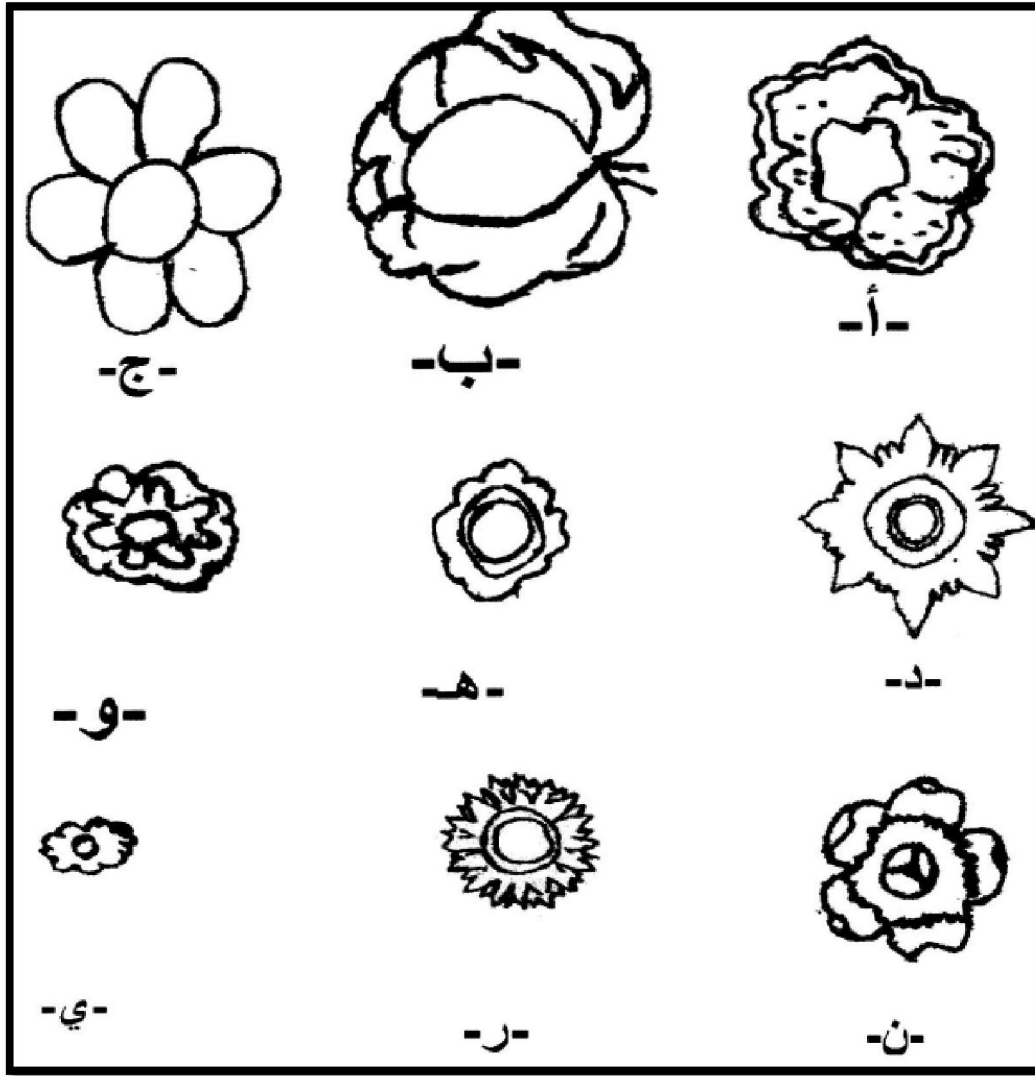
و إنفرد تابوت ضريح سيدي مُجَّد المدني عن باقي التوابيت بترائه الزخرفي الكبير، و الذي نفذ بتقنية إستخدام الألوان أو الزخرفة بالطلاء، و قد قسم جانبي التابوت إلى أربعة قطاعات متساوية تم الفصل بينها بفتحات معقودة، أما قوام زخرفة كل قطاع فقد توسط كل واحد إناء زين بدنه بمجموعة معينات، و كذلك غطاءه إلا أن معينات هذا الأخير أقل حجما من البدن، و شكل مقبضاه على هيئة حبل نهايتاه مورقة، و يعلو الغطاء كرتين صغيرتين يعلوهما هلال متجه نحو الأعلى، و أحيط الإناء بمجموعة زخارف نباتية – لوحظ غياب عدة عناصر نباتية كالأوراق و الفواكه و المراوح التخيلية- قوامها:

- زهرة اللالة: و تسمى أيضا بشقائق النعمان و أيضا الخزامي، و لعل الإهتمام الذي حظيت به من طرف الفنانين المسلمين راجع لإرتباطها بمعاني عقائديةن إذ تشبه في هيئتها لفظ الجلالة " الله "، و أستعملت في التابوت زهرة اللالة بنوعين ، الأول مجموع أحاط بالإناء وأعيد ثمان مرات، إتصلت بينها بسيقان، و الثاني مفتوح لثلاث إتجاهات، و إكتنف جانبي الهلال و أعيد مرتين و إرتبط هو الآخر مع النوع الأول.



شكل رقم (8) : زهرة اللالة - تقلاعن دحدوح ، المرجع السابق ، ص 880-

- الأزهار و الورود: تعتبر الأزهار و الورود و لازالت من المقومات الأساسية للزخرفة النباتية، و إن كان يرجع ذلك لتعدد و إختلاف أشكالها، فإن الأهم من ذلك يرجع إلى طواعيتها و قابليتها لإتخاذ مظاهر زخرفية متعددة، أما في هذا القطاع من التابوت فنلاحظ تنوع في عدد الأزهار و أشكالها، حيث إحتل الأركان الأربعة للقطاع أربع أزهار قريبة من زهرة عباد الشمس ذات 12 رأسا، و توسطت كل زهرتين في الجهتين زهرة ذات سبع بتلات -مثل الزهرة ن في الشكل الملحق-، في حين النوع الثالث من الأزهار هو زهرة الياسمين التي تعلو الهلال مباشرة و هي متكونة من ستة بتلات.



شكل رقم (9) : أنواع مختلفة لزهور و ورود مستخدمة في تشكيل الزخارف النباتية
- نقلا عن: جميلة جلال ، الأعمال المعمارية للداي مصطفى باشا في مدينة الجزائر و ضواحيها من خلال وثائق الأرشيف و المعالم القائمة: دراسة معمارية و أثرية و فنية ، مذكرة لإتمام متطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2 ، 2012م ، ص 401-

- السيقان و الأفرع النباتية: هي الأساس الزخرفي النباتي ، نظرا لكونها هي الحاملة للأنواع الأخرى من الزخارف النباتية، و هي نفس الوظيفة التي أدتها في هذا التابوت.



صورة رقم (96): اللوحة الفنية الزخرفية التي يحملها كل قطاع من تابوت سيدي المدني- من تصوير الطالب-

2- المواضيع الزخرفية على المنابر: تبدأ عملية نحت و زخرفة المنبر بقيام النقّاش بتحديد الخطوط العامة و الأشكال، و هذا بطريقة تعتمد على إستخدام وريقة من المعدن أو الكرتون لإظهار المسار المراد إبرازه و نحته، و بعدها يستعين بأزاميل مختلفة لإنجاز الزخارف، مع استعمال الأزاميل الملائمة للزخرفة و الشكل المراد الحصول عليها¹، و في المنابر الثلاث بنماذجنا المدروسة سنقتصر على منبر مسجد سيدي يعقوب، الذي إكتنف جانباة أو ريشته نجمتان خماسيتان متماثلتان، طول ضلعها 0.2م، و أقصى طول للنجمة هو 0.42م، صنعت من خشب مغاير للخشب الأصلي للمنبر.

¹ خيرة بن بلة، منابر مساجد الجزائر في العهد العثماني: دراسة أثرية فنية، مجلة الإتحاد العام للأثريين العرب، العدد 13، القاهرة، د ت، ص 151.



صورة رقم (97): النجمة المزيّنة لريشتا منبر مسجد سيدي يعقوب – من تصوير الطالب-

3- شواهد القبور¹: شاهد القبر و جمعه شواهد هو لوح رخامي أو حجري أو خشبين يوضع فوق القبر عند رأس الميت، يكتب عليه غالبا بعد البسملة آيات قرآنية متعلقة بمقام الموت و البعث والحساب و الجنة و النار و شهادة التوحيد ، كما يكتب عليه اسمه و موطنه و مذهبه و تاريخ وفاته ، و قد بلغ إتقان الكثير من الشواهد إعدادا و نحتا و كتابة - غائرة و بارزة - مستوى جعلها من الأعمال الفنية² .

و إن كانت أغلب الأضرحة المدروسة لم تحتوي على شواهد، أو ربما لم تعد تحتوي عليها، فإن الإستثناء صنعته قرية بني زهنة بمعلميها المدروسين، و تقصد بهما مسجد سيدي لعرج و ضريح سيدي البشير.

و البداية ستكون بشاهدي قبر سيدي عثمان بمسجد بني زهنة سيدي لعرج، إذ جاء الشاهد الرأسي مستطيل الشكل، طوله 49سم و عرضه 27سم و سمكه 5.7سم، نقشت عليه الكتابة بخط الثلث المغربي، و نفذت بتقنية النقش البارز على أرضية غائرة، و توزعت الكتابة على عشرة أسطر، لم تحتوي الكتابة على أي من مظاهر الزخرفة و التوريق، في حين إحتوت على نقاط الإعجام و حركات الإعراب.

¹ سنكتفي بالوصف التقني للشاهدين ، دون التطرق بدقة إلى ما إحتوت عليه الكتابات ، نظرا لضيق الوقت من جهة ، و عدم تمكننا بشكل كاف من تحليلها.

² مُجّد عاصم رزق ، المرجع السابق ، ص 158.

في حين حمل الشاهد القدي نفس مواصفات و تقنيات الشاهد الرأسي، و يمكن الإختلاف الوحيد في عدد الأسطر، و التي جاء عددها هنا تسعة أسطر بدل عشرة.



لوحة رقم (77): صورتنا شاهدي قبر سيدي عثمان الرأسي (في الأعلى) و القدي (في الأسفل) بمسجد بني زهنة

— من تصوير الطالب —

أما شاهدا ضريح سيدي البشير، فحاج شكلهما دائري أو ما يصطلح عليه بالشاهد القرصي، و هما مفصصان، قطرهما 28.5 سم و سمكها 4.8 سم، و أحيطت كتابتهما بإطار دائري، و نفذت هذه الأخيرة بتقنية النقش البارز على أرضية غائرة، و إحتوت على نقاط الإعجام و حركات الإعراب، و عدد أسطر كل شاهد ثمانية، و نشير في الأخير أن الشاهد القدي منقوص من الجهة السفلية.



لوحة رقم (78): صورتا شاهدي قبر سيدي البشير الرأسي (في الأعلى) و القدي (في الأسفل) بمسجد بني زهنة
— من تصوير الطالب —

4- الزخارف الجدارية: عمد الفنان المسلم إلى تمييز و تزويق الجدران، و برز هذا النوع من الزخارف على الجدران منذ فترة مبكرة من بروز الفن الإسلامي حتى قبل بداية إستقلاله عن الفنون التي سبقته،

أما في نماذجنا فالبداية بمسجد سيدي المدني، حيث تنهض على جانبي الإطار- من الداخل- المحيط بالكوة التي تلي المدخل الشرقي للمسجد زخرفة بارزة تعلو الكوة مباشرة و يعلوها الإطار مباشرة هو الآخر، و قوامها عقد مفصص من سبعة فصوص، أربعة منها عبارة عن أن إقتطاعات دائرية طولها 9 سم للواحد، تفصل بين كل إثنين متجاورة فصوص على هيئة حدوية ليصبح عددها ثلاث، و نفذت هذه الزخرفة عن طريق تقنية الإضافة، إذ تم إضافة هذا العقد المفصص بعد نهاية تشكيل الكوة.



صورة رقم (98): العقد الزخرفي البارز الذي يعلو كوة يمين المدخل الشرقي بمسجد سيدي المدني
-من تصوير الطالب-

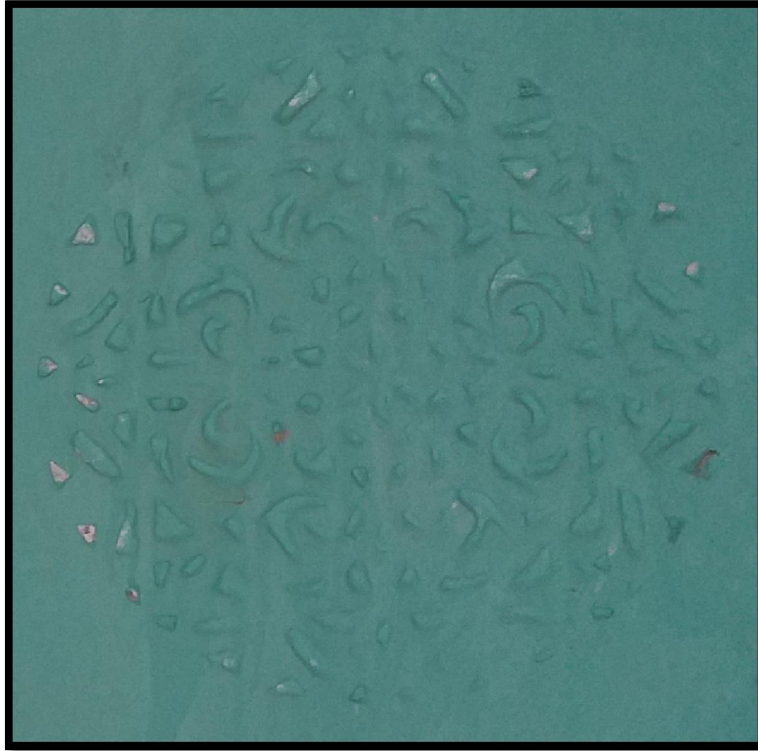
و في سيدي يعقوب و بقبة الصّريح، فقد أمر القائد العثماني بتلمسان مُحَمَّد بن حمزة بزخرفتها، فتم وضع طبقة جصية نفذت عليها بتقنية التلوين، حيث صبغت الأشكال بطلاءات مختلفة اللون، هذا تقنياً أما فنياً فقد تنوعت الأشكال الهندسية إذ جاءت بشكل خطوط مستقيمة و منحنية و منكسرة و هي بسيطة بدون أي تعقيد، و أستخدمت كذلك الأشكال المساحية كالدايرة و المثلث و المعين، و تنوعت معها العناصر الزخرفية النباتية، إذ كونت السيقان و الأوراق الملتفة و الأزهار المتنوعة مواضيع زخرفية تتفق مع المفهوم الإسلامي للفن، أضفت طابعا جمالياً خاصاً على القبّة.



صورة رقم (99) : قبة سيدي يعقوب من الداخل - من تصوير الطالب-

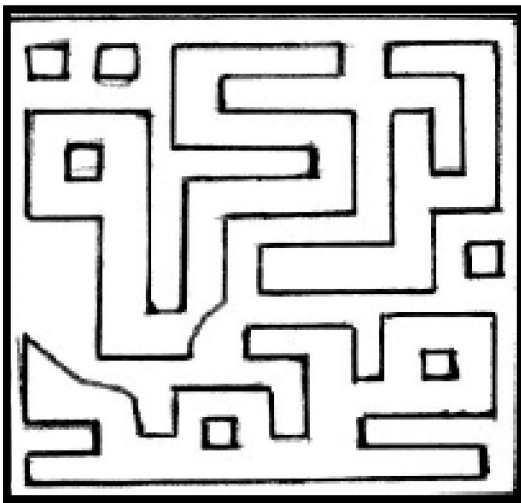
و إكتنف كل من الجهتين اليسرى و اليمنى باللافتة- التي من المفروض أنها كانت مثبتة بالجدار الغربي داخل الضريح- المقابلة مدخل ضريح سي الطاهر زخرفة نباتية منفذة على طبقة جصية و بتقنية النقش الغائر قوامها زخارف نباتية من المراوح النخيلية الأحادية و الثنائية، و بعض الوريقات و البتلات الصغيرة، و يجرنا الكلام عن تجميع هذه الزخارف النباتية ضمن مجال واحد إلى الكلام عن فن الرقش الإسلامي أو فن التوريق أو الأرابسك، و هو عبارة عن تكوين من فروع نباتية و جذوع منشئية و متشابكة¹.

¹ عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية في العصر العثماني، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1987م، ص11.



صورة رقم (100) : الزخرفة النباتية الجدارية بضريح سي الطاهر -من تصوير الطالب-

و أسفل هذه الزخرفة النباتية تم طبع كتابة أخرى بتقنية الحفر الغائر دائما، تحمل عبارة " بركة مُحَمَّد" بالخط الكوفي الهندسي، و هي العبارة التي أستعملت بكثرة في العمائر العثمانية بالجزائر، فعلى سبيل المثال لا الحصر طبعت نفس الكتابة في مدخل زاوية بن عبد الرحمان في قسنطينة على حد اشار إليه الأستاذ دحدوح في دراسته.



لوحة رقم (79): صورة الكتابة في ضريح سيدي الطاهر (على اليمين)-من تصوير الطالب- و تفرغ للكتابة بمدخل زاوية بن عبد الرحمان في قسنطينة (على اليمين) -نقلا عن : دحدوح ، المرجع نفسه ، ص883.

5- المواضيع الزخرفية التجسيمية أو المجسمة: عناصر السفود و الجامور أتمودجان.

تنتهي غالبا قمم القباب بزوائد معدنية أو طينية أو حجرية، هذه الزوائد يبقى هدفها الأول جمالي تزييني، و أحيانا تحمل أحد المعنيين: الإعتقادي أو التوجيهي، و هذه العناصر الجمالية في نماذجنا إنقسمت إلى ثلاث أنواع، مجسمات كروية أو مخروطية رأسية، أو سفود أو جامور، و إن كنا قد تركنا النوع الأول جانبا، نظرا لكون هذه المجسمات المخروطية الشكل أو الآخذة لهيئة قلال جاءت كنتيجة حتمية و منتطرة، فإن النوعين الثاني و الثالث يأخذان أهميتهما من كونها مضافان.

أ- السفود أو الجامور المعدني: استعملت الرموز الإسلامية في معظم المباني خاصة المباني الدينية منها، و نقصد بهذه الرموز النجمة و الهلال و التفافيح و التي تم استعمالهما في مواقع و مجالات وكذا دلالات مختلفة:

● الهلال: و يوضع الهلال غالبا أعلى المآذن أو القباب، و يكون موازيا لاتجاه القبلة للدلالة عليها¹، و من المرجح أنّ الهلال استعمل في العمارة الإسلامية رجوعا إلى أمرين²، أولهما أن التوقيت الإسلامي يعتمد على الشهور القمرية، و الثاني أن ظهور الهلال ينير الأرض من الظلام الذي تكون فيه عندما كان القمر في المحاق، و هذا ما فعله الإسلام عندما بدد ظلمات الجاهلية.

● النجمة: تُرسم النجوم إشتقاقا من الدائرة، و عبرت النجمة الخماسية المتشكلة من إندماج مثلثين، و هاذين الأخيرين معبران عن جزئي الكون³.

● التفافيح: لم أجد تفسيراً لرمزيتها، إلا من خلال بعض الروايات لأساتذة و مختصين من أنها (ربما) دلالة على أن الإسلام دين الكون أي الكرة الأرضية في تفسير أول، و في تفسير ثاني على أنها دالة على الخير والبركة.

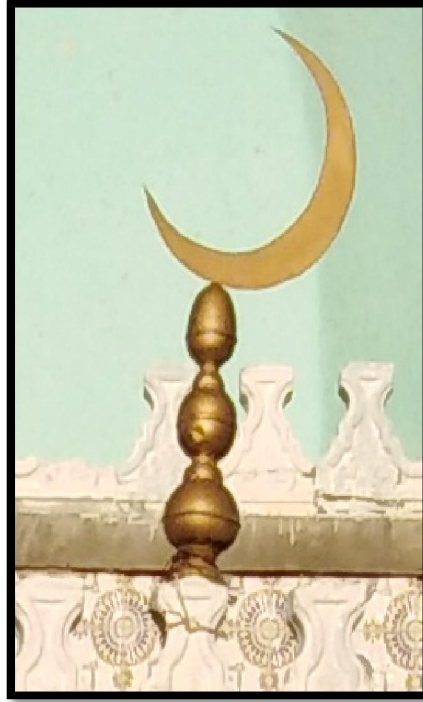
و تميزت أربع أضرحة من نماذجنا المدروسة بهذا النوع من الزخارف، و البداية ستكون مع السفود أو الجامور المكتنف لمدخل ضريح الحاج الجازولي، و هو من النحاس و ذو لون ذهبي، قوامه ثلاث كريات - أو تفافيح - متطاولة و متزايدة الحجم من الكرية السفلى وصولا للكرية

¹ يحي وزيري، المرجع السابق، ص121. و قد عارض كثير من المعماريين و المختصين في العمارة الإسلامية هذا الطرح و برروا ذلك بكون احتواء الكثير من المساجد القديمة على أهلة معاكسة للقبلة و كذا لوجود هلال فوق المسجد الحرام مع أنه كنه قبلة.

² صالح لمعي، التراث الإسلامي في مصر، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1987، ص25.

³ عفيف بهنسي، دراسات نظرية في الفن العربي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1974، ص101.

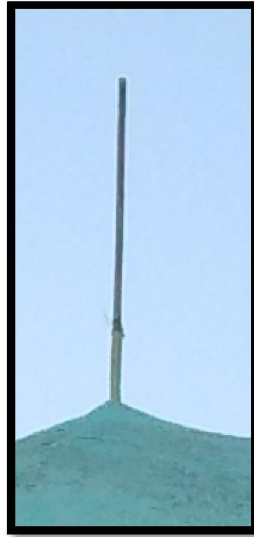
العليا، يعقب هذه الأخيرة مباشرة هلال يأتجاه الجنوب الغربي، و الأقرب ربما أنه يتوجه ناحية ضريح سيدي سليمان الجازولي ببلدة سيدي عبد الرحمان بن علي الجازولي¹ بالقرب من مراكش، و هذا التوجه إعتقادا بتواصل المجالين لكون الطريقة العيساوية الجازولية بولهاصة ما هي إلى فرع من الطريقة السللمانية الجزولية التي أسسها سيدي سليمان الجازولي.



صورة رقم(101) : السفود أو الجامور الذي يزين أعلى مدخل ضريح الحاج الجازولي- من تصوير الطالب-

و بنفس القرية -زاوية سيدي الجازولي- توج نهاية قبة ضريح سيدي محمد بن علي قضيب معدني، لعله كان في الأصل سفود يحمل هو الآخر بعد الرموز الزخرفية مثل الهلال أو النجمة، وتم سقوطها أو إسقاطها في إعتقادنا، و إلا فإنه قضيب معدني من الحديد في الأصل طوله 0.52م.

¹ هو الشقيق الأكبر لسيدي محمد بن علي الذي نقل الطريقة إلى ولهاصة، و دفن فيها، و كان ضريح إحدى نماذج دراستنا.



صورة رقم (102): القضيب المعدني الذي يعلو قبة ضريح سيدي مُحَمَّد بن علي- من تصوير الطالب-

و لا ندري على أي أساس تم إستحداث السفود الذي يعلو قبة ضريح سيدي مُحَمَّد بن يخلف، هل هو على هيئة السفود الأصلي الذي كان متواجدا قبل تفجير الضريح - و هذا يُعتبر أن القبة كان يعلوه سفود قبل تفجيرها في إعتقادنا- ، أو أنه مجرد إجتهد تميمي من أجل إضفاء صبغة دينية على الضريح، نظرا لما يمثله الهلال و النجمة من معاني في الإسلام، أما من ناحية الوصف فإن السفود إرتفاعه 0.7م، يحمل بأسفله فوق القبة مباشرة قلة ذات رقبة طويلة، يفصلها فراغ صغير لا يتجاوز 0.26م عن الهلال الذي تعلوه مباشرة نجمة في أعلى السفود.



صورة رقم (103): السفود أو الجامور المستحدث الذي يعلو ضريح سيدي مُحَمَّد بن يخلف - من تصوير الطالب-

السفود المعدني الحديدي الأخير هو ذلك الذي يعلو قبة ضريح سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني، و الذي يرتفع ب0.64م من آخر نقطة في قمة القبة، و قوامه كرتين نحاسيتين ذات

لون أحمر، السفلى أكبر من التي تعلوها، ثم يتواصل قضيب السفود ليحمل في نهايته هلالاً متجهاً إلى السماء.



صورة رقم (105) : السفود أو الجامور الذي يعلو قبة ضريح سيدي يعقوب — من تصوير الطالب-

ب-الجامور الطيني: نجد عند كثير من الباحثين أن السفود أو الجامور في معناها واحد و لا يختلفان، إلا أن هناك من فرق بينهما بأن الأول في أصله حديدي و الثاني أصله آجوري — أو طيني¹، و يعلو قبة ضريح سيدي محمد النجاري جامور طيني مشوي — أو محروق- ذو لون آجوري، إرتفاعه 0.3م، قوامه كتلة أسطوانية يعلوها قرص مغلق، و يعلو هذا الأخير قببية صغيرة.



صورة رقم (106) : الجامور الذي يعلو قبة ضريح سيدي محمد النجاري — من تصوير الطالب-

¹ من الباحثين الذين فرقوا بينها نجد خيرة بن بلة و فريد الشافعي، و محمد الصغير غانم — رحمه الله- و عبد الحق معزوز.

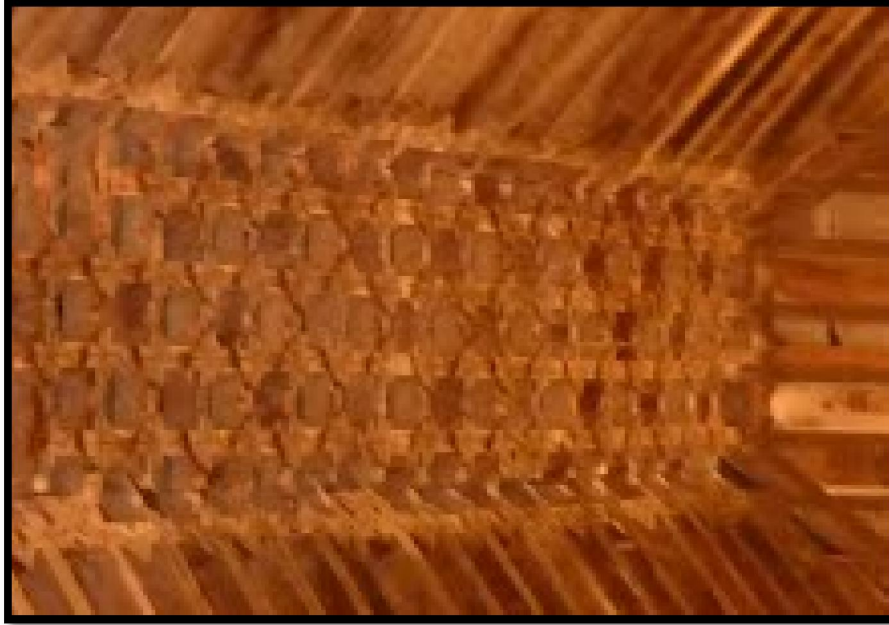
6- زخرفة السقف الخشبي بمسجد سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني: إن الكلام عن عن زخرفة الأسقف يجرنا حتما إلى الكلام عن دوافع التفاوت في زخرفة هذه الأخيرة، و يمكننا الإشارة إلى نقطتين في هذا المجال هما:

- تفاوتت زخارف الأسقف في العمارة الإسلامية - خاصة في الفترة العثمانية- وفقا لنوع هذه العمارة في حد ذاتها، إذ برزت زخرفة هذه العناصر من المباني في الكثير من العمار المدنية، و نقصت كثيرا إن لم نقل إنعدمت في المباني العسكرية و الدفاعية، بينما العمارة الدينية فبنسبة أقل من العمارة المدنية، و تنقص هذه النسبة في المساجد و الزوايا مقارنة بالأضرحة.
- تفاوتت العناية بزخرفة الأسقف حسب الأستاذة زهيرة حمدوش وفقا لأهمية الغرفة في حد ذاتها أولا، ثم للوضع المادي لصاحبه ثانيا¹.

و في سيدي يعقوب يبقى السقف من العناصر المهمة، و يرجع ذلك إلى تاريخيته و أسطوريته، فلو تأملنا من الداخل لوقفنا على تحفة فنية أصلها من الخشب، و زخرفتها هندسية نجمية متنوعة الأبعاد و الأشكال، أو نباتية منحوتة و مرسومة بألوان مختلفة، و قوام زخرفته أطباق نجمية² مفرغة عن طريق الخراطة، يحيط بها أربع أطباق نجمية كل واحد منها قوامه مربع في الوسط محاط بأربع أشباه المنحرف الرأسية المنفذة بتقنية الحفر الغائر، يفصل بينها ثلاث خطوط المنفذة بتقنية الحز البسيط.

¹ زهيرة حمدوش، السقف الخشبي بالجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة المعيار، المجلد التاسع، العدد الأول، 2018م، ص 482.

² الطبق النجمي ابتكار إسلامي يقوم على تجميع عدة أشكال هندسية متنوعة. أنظر: زكية راجعي، مساكن الفحص بمدينة الجزائر في العهد العثماني: دراسة أثرية معمارية و فنية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007، ص 270.



لوحة رقم (80): صورتان لسقف سيدي يعقوب بن الحاج - من تصوير الطالب-

المطلب الرابع: تقنيات البناء و موادها

تعد صنائع البناء من أقدم الصنائع، وهي معرفة العمل و ضبط القواعد و تسخير الموجود من أجل إتخاذ العماير بمختلف أنواعها و بتعدد نشاطاتها، و تنفق كثيرا مع ما قاله إخوان الصفا في هذا الشأن عن البناء: "... و لم تعرف ظاهرة البناء تطورا سلبيا بل على العكس كلها إيجابية و هذا واضح من خلال وجه المقارنة بين مختلف البناءات عبر تدرج العصور".¹

1- مواد البناء :

أ- ماهية مواد البناء : يبسط الأستاذ روبرت ك. المفهوم العام لهذه المواد فيقول: " مادة البناء هي أي مادة كانت سائلا أم صلبا طبيعيا أم إصطناعية".²، فهي تعتبر القوام الأساسي في بناء مختلف العماير و عديد المنشآت و الهياكل القاعدية منذ الفترات المتقدمة من تواجد الإنسان، و قد تم تسخير المعطيات الطبيعية المنتشرة عبر الأوساط البيئية بمختلف أشكالها و مميزاتها في خدمة الإنسان، خاصة بعدما عرف هذا الأخير كيف يستغلها و يتحكم في تنظيمها و هيكلتها، و وضعها تحت تصرفه.

ب- أنواعها : تنوعت المواد المتخذة في البناء بتنوع المصادر الطبيعية الأولية المصنوعة منها، و تميزت هذه المواد الطبيعية الأولية بإستعمالها إما هكذا بصفتها الطبيعية، و تهذيبها و تحضيرها بالحرق أو الشوي.

● المواد الصخرية: إن سهولة الحصول على الصخور سواء من الطبيعة أو من المقالع، هو الأمر الذي جعلها مستخدمة بكثرة و في أغلب المباني الأثرية، ناهيك عن سهولة تهذيبها و تحضيرها، إضافة إلى ليونة إستعمالها، هذا كله جعلها تتقدم المواد البنائية المتنوعة في أهم العماير منذ القدم.

✓ طبيعة الصخور: يعتبر العامل الطبيعي أهم سبب في تشكل مختلف المواد الصخرية، و هذا بفعل الترابطات بين مختلف المواد و غيرها من التفاعلات الكيميائية.

- الصخور الرسوبية: قد شاع استخدامها في الأبنية لوفرتها و قلة قابليتها لامتنصاص الماء و قلة تمددها و انكماشها، و من أهم أنواعها الحجر الجيري و هو أكثر الأنواع استخداما في البناء و هو أبيض اللون به بعض الشوائب تضيفي عليه ألوانا أخرى، و يتركب إما من تراكم و تصلب هياكل الحيوانات البحرية و إما بالتركيب الكيميائي، و الحجر الرملي الأحمر و يتكون من رواسب

¹ إخوان الصفا ، رسائل إخوان الصفا و خلان الوفاء ، دار صادر ، بيروت ، د ت ، ص 287.

² Caratini Robert, *Techniques de construction et métiers*, in encyclopédie, Bordas, 23 volume, Paris, Bruxelles, Montréal, 1975, P 182 .

منتظمة من الحجر الرملي والأردواز، ثم حجر الربط و يستخدم في عمارة بعض الجدران الحجرية والآجرية حيث يبرز بالتناوب طرف حجر المدماك عن الذي تحت و عن الذي فوقه و ذلك لتتداخل حجارة مداميك الجدران الأربعة في زوايا البناء و بهذا يزداد التماسك عند انعدام الأعمدة¹.

- **الصخور النارية** : وهي أكثر أنواع الصخور المتواجدة في باطن القشرة الأرضية أو القريبة من سطحها، تتشكل بفعل مواد منصهرة في باطن الأرض و تكون برودتها إما بطيئة أو سريعة، في الحالة الأولى ينتج حجر الجرانيت أما الحالة الثانية فينتج حجر البازلت.

- **الصخور المتحولة** : كالرخام و الكوارتزيت و يطلق المصطلح بمعناه العام على قطع الصخور الصغيرة أو الصخور الصلبة المتكونة من كسارة و فتات الصخور و تصلبها و منها الأحجار الكريمة².

✓ **المواد البنائية المستخلصة من الصخور**: يتم إستخلاص عدة مواد للبناء من الصخر، مثل حجارة الدبش و الجص و الرخام، و هي كلها مواد أستعملت في العمارة الدينية بمنطقة ولهاصة.

- **الحجارة** : الحجارة هي كل قطعة يزيد قطرها عن 2 م و عمد المعمارون إلى إحضارها و توظيفها حسب نوع الصخر و مدى قوة تحمله للضغط³، و الحجر مصطلح مشتق من الأحجار الطبيعية بعد استخراجها من قشرة الأرض الخارجية بأنواعها البركانية و الرسوبية و المتحولة⁴، و أستخدمت الحجارة منذ القدم لرفع الوحدات المعمارية و تبيان ملامحها، و وجدت الحجارة في معظم العمار الدينية بولهاصة، و أستخدمت الحجارة في إقامة الأساسات و في بناء الجدران، و سيظهر ذلك من خلال النماذج التي سنتكلم عنها لاحقا عندما نتكلم عن إقامة الأساسات و البناء بالدبش.

- **الجص** : لقد عرفت المونة المصنوعة من مادة الج في صتال خيوك بتركيا، و في الحضارات القديمة بصفة عامة مثل بلاد الرافدين حيث وجد في مدينة أريحا منذ ستة آلاف سنة و كان المصريون يستعملونه في تغطية جدران الأهرامات، و ذكره الكثير من المؤرخين الإغريق في

¹ محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص73.

² دحماني جمعية، مسجد القليعة سيدي علي بن مبارك: دراسة أثرية معمارية و فنية، مذكرة لإتمام متطلبات الحصول على شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2013م، ص74.

³ علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط: دراسة تاريخية أثرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006م، ص 261 و 291.

⁴ مجموعة مؤلفين، خواص و إختبارات مواد البناء: تقنية معمارية، المؤسسة العامة للتعليم الفني و التدريب المهني، الرياض، دت، ص41.

بعض كتبهم و كذلك فعل الرومان¹، و تواصل إستعمال الجص في مختلف العمار، و في عدة وظائف، خاصة الوظيفة الجمالية الزخرفية، و أستعمل الجص كذلك في إعداد المونة الرابطة.

- الرخام : تعتبر كاربونات الكالسيوم المتبلور هو القوام الكيميائي الأساسي للرخام، و أستعمل الرخام في مواضع كثيرة من مختلف العمار، و أستعمل في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، حيث أتخذ في تسقيف قصر غمدان باليمن على ما ينقل لنا الهمداني في وصفه له: "وإنه كان عشرين سقفا بعضها فوق بعض، بين كل سقفين عشرة أذرع وغرفته العليا مسقوفة برخامة واحدة شفاقة يدرك من خلالها طير السباد"²، و الفترة الإسلامية و مع بداياتها إستعمل الرخام الذي كان موجودا في العمار البيزنطية السابقة للإسلام، أما في بلاد المغرب فعلى ما يذكره كلوزيل و أحمد فكري فإن مسجد القيروان على عهد زيادة الله الأغلبي سنة 221هـ/836م فإن محرابه قد كسي بالرخام المحرم و حفه من الجانبين عمودان رخاميان من الرخام البرتقالي الاحمر³، بينما المتبع للعمار الأثرية بمنطقة ولهاصة يجلب نظره قلة إستخدام المصنوعات الرخامية في مختلف العمار، و السؤال الذي يطرح نفسه بقوة في هذا المقام: لماذا هذا الشح في إستخدام الرخام في مختلف المباني الدينية بولهاصة؟ هل هذا راجع لقلة توفر المادة الأولية؟ و نقص ورشات تصنيعه؟ أو حتى عدم جلبه و إستوراده؟ أو ماذا؟.

المهم و رغم كل هذه الأسئلة المهمة الإجابة إلا أن هذا لم يمنع من تواجد بعض الإستثناءات في إستخدام الرخام، و لعل أغلب من تكلموا عن الصناعات الرخامية في الجزائر إلا و عرجوا في دراستهم على أهم المقالع و المحاجر الخاصة بإستخراجه، و لعل أقربها إلى المنطقة و أشهرها على المستوى الوطني منذ الفترة الرومانية محجرة تاقتالت بالقرب من ضريح الولي الصالح الولهاصي المنشأ سيدي العبدلي، و ذكرت كذلك محاجر ندرومة و النور (الغزوات) و لالة مغنية في عدة مراجع فرنسية⁴، بينما مجالات إستخدامه كثيرة و منها ما ذكره محمد عاصم رزق حين الحديث عن الرخام في معجمه " و يستعمل غالبا في العمارة الإسلامية، كأعتاب للمداخل خاصة منها الرئيسية أو يكسى به أسفل الجدار " و إنطبق ذلك بناذجنا في القطعة الرخامية التي تغطي

¹ Adam J.P , **La construction romaine: matériaux et techniques**, 3ème édit, Grand manuel Piccard, France, 1995, P 69.

² الهمداني، الأوناد البالية، مخطوطة محفوظة في مكتبة الملك سعود تحت رقم: 475 أ ج 112، متاحة على موقع المكتبة في الأنترنت، ص 12.

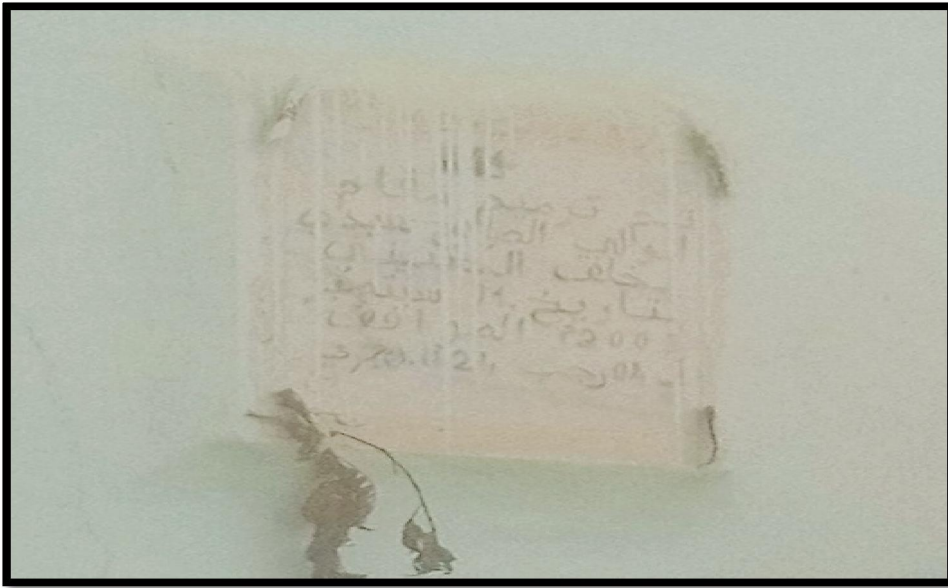
³ أنظر كل من: أحمد فكري، المسجد الجامع بالقيروان، مطبعة المعارف، القاهرة، 1936، ص 58. و: كريسول، الآثار الإسلامية الأولى، تر: عبلة عبد الهادي، دار الروعة للنشر، دمشق، 1984، ص 296.

⁴ Dussert et Bettier , **Les mines et carrieres en algerie** , Paris , 1937, p 47.

عتبة مداخل ضريح سي الطاهر و سيدي عامر الصغير، و اللافتة الإعلامية على يسار مدخل ضريح سيدي لمحمد بن يخلف.



لوحة رقم (81) : قطعة رخامية تغطي عتبي ضريح سي طاهر(على اليمين) و سيدي عامر الصغير (على اليسار)- من تصوير الطالب-



صورة رقم (107) : اللافتة الرخامية بضريح سيدي المجدد بن يخلف- من تصوير الطالب-

✓ تحضير المواد البنائية الصخرية: تتغير أساليب تحضير و تجهيز المواد البنائية، فمنها فهو بسيط و منها ما هو معقد.

تستخرج الحجارة من المحاجر على شكل كتل حجرية عشوائية البنية و غير جاهزة للبناء، كما أنها غير مناسبة الهيئة و الحجم، مما يصعب إستغلالها الإنشائي، و من أجل ذلك فلا بد من تفكيكها و تهذيبها و تهيئتها بالصل، فيستعمل الحجر المنحوت أو المصقول. و أما عن الصناعة الرخامية، فقد جمع ذ. بديرينة في دراستها أهم الأدوات المستعملة فيها و لخصها في¹:

- أدوات الضرب outils de percussion : المطارق المعدنية و الخشبية، المنقار ذو حدين...
- أدوات القطع outils de tailles : الإسفين، المثاقب، الطراة، المغرز، الأزاميل، المرقش...
- أدوات الكشط و الحك outils d'abrasion et les abrasifs : المحكات، المنشار الحجري، المبشرة الحجرية...
- أدوات القياس instruments de mesure : المسطرة، الفرجار...

و يتم تهيئة الرخام أولا في المقالع حيث يتم الوصول إليه عبر إزالة الطبقة الأولى، ثم يتم تفليق القطعة الكبيرة إلى قطع صغيرة بإستعمال الأسافين و المطارق²، ثم يتم نقلها للورشة، و هنا تبدأ المرحلة الثانية، إذ يتم أولا تنظيف هذه القطع و ترتيبها على حسب حجمها المطلوب، ثم تأتي عملية النقش على الرخام و التي كانت تعتمد على الطريقة التقليدية حتى سنة 1850م حيث إستعملت الطريقة الميكانيكية في فرنسا لأول مرة، و في هذه العملية يتم تجهيز القطع الرخامية على حسب الحاجة و الوظيفة و الزخرفة³.

بينما الجص فيحصل عليه من حرق الحجر الرسوبي الجبسي في درجة 250، و يضاف له الماء للحصول على عجينة لدنة سريعة التصلب⁴، و قد أورد ابن خلدون الحديث عنه و عن تحضيره قائلا: "...و من صناعة البناء ما يرجع إلى التمييق و التزيين كما يصنع من فوق الحيطان الأشكال المجسمة من الجص، يغمر الماء ثم بمثقاب الحديد، و إلى أن يبقى له رونق و رواء"⁵.

¹ ذيب بريدينة، المرجع السابق، ص 69-74.

² Adam J.P, OP CIT,p34.

³ ذيب بريدينة، نفسه، ص 78. — بتصرف-

⁴ عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 120.

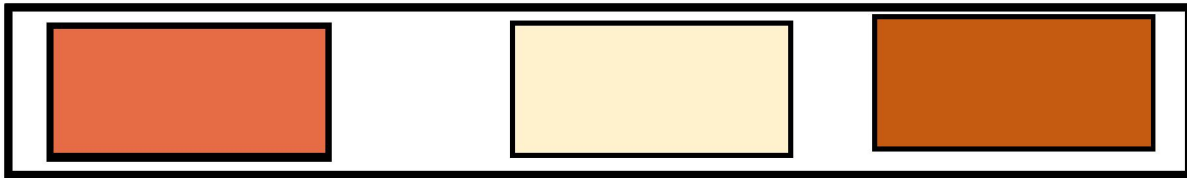
⁵ ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 727.

● المواد الطينية: إن إستعمالات الطين متعددة، و مجالات إستخدامه تتنوع بين الإستعمال الطبيعي المباشر، أو الإستعمال غير المباشر بتصنيعه و تحويله.

✓ **طبيعة الطينة :** يستخرج التراب بعد إزالة الطبقة السطحية الغنية بالمواد العضوية و النباتات التي تؤدي في حالة وجودها إلى تطور التسوس بالجدران ، كما يشترط أن يحتوي على نسبة مهمة من الطين¹.

✓ **المواد البنائية المستخلصة من الطين:** يطلق على الطوب باللاتينية «Adobe»، و أصل هذه الكلمة جاءت من اللغة الإسبانية، و عرفت في اللغة العربية باسم الطوب²، و ينقسم الطوب إلى نوعين رئيسيين حسب طريقة التشكيل ، النوع الأول الطوب المحروق ويعرف بالآجر و أما النوع الثاني غير المحروق و يعرف باللبن.

- **الطوب غير محروق أو اللبن:** يعتبر الطوب من أقدم المواد البناء بحيث يبدأ تاريخ استعماله مع بدايات الحضارة، و لقد أخترع الطوب ما بين عشرة آلاف سنة إلى ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد، بحيث ظهر أول أنموذج للطوب في حوالي 8600 إلى 7000 ق.م، بمنطقة أريحا بفلسطين، و كان مصنوع باليد و مقاساته هي (26×12×12سم)، ثم بدأ يتطور إلى طوب مقولب أو يصنع بواسطة قالب من الخشب و بعدها يترك ليجف و يصبح صالح للعمل و ذلك في 5000 ق.م³.



شكل رقم (10): الألوان الثلاثة -غالبا- لقطع الطوب و الآجر

- **الطوب المحروق أو الآجر:** يعود ظهوره لأول مرة كمادة للبناء في بلاد ما بين النهرين في حوالي 3500 ق.م، كما ظهر أول آجر مزجج في 2111 ق.م، و من ثم إنتشر في بقع كثيرة خاصة مع الرومان⁴، أما في العمارة الإسلامية فنن إيجابياته أنه أستعمل كوحدة قياس يعتمد عليها لمعرفة

¹سليمي نور الدين ، تقنيات بناء القصور بواحة فركلة ، مجلة المهندس ، العدد 23 ، مركز الرازي للبحوث الهندسية ، مراكش ، 2000 م ، ص70.

²عمر الأمين ، مواد البناء و تقنياته بالمغرب الأوسط ، مذكرة مقدمة لإتمام متطلبات نيل الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2 ، 2001 م ، ص34.

³Campbell J.W.P , Brick a world history, Thames & Hudson Ltd, London,2003, P26.

⁴Ipid, P30.

المعاير¹، و هو في أصله مادة طينية يتم قولبتها ثم حرقها في الفرن، و سنتطرق إلى مجالات إستخدام الطوب بنوعيه في العمارة الدينية بولهاصة لما نصل إلى الكلام عن تقنيات البناء بهما.

- القرميد: هو طبخ الآجر، أي آجر محروق ذو شكل مستطيل نصف دائري، أو مستدير مقعر في نهايته، عرضي مستطيل إحدى جهتيه أضيق من الأخرى²، و يستعمل غالبا القرميد في الأسطح، إذ يأتي بشكل خطوط ممتدة من أسفل إلى أعلى و تكون وحداته فيها متلاصقة و متراكبة في أطرافها و متوازية فيما بينها، و تتناوب كذلك مرة الجهة المقعرة بجهة الأعلى و مرة تعلوها الجهة المقعرة معاكسة له و الجهة المحدبة إلى أعلى.

الفخار: تعتمد الصناعة الفخارية على الطين، هذا الأخير يمر بمراحل عدة حتى يصبح فخار و أولها التشكيل ثم التجفيف و أخيرا التبخير، و هي العملية التي يتحول فيها الطين إلى فخار، كما يمكن أن يغطى الجسم الفخاري سواء من قبل أو من بعد التبخير بسائل طيني يسمى البطانة لإخفاء شكل الطين الخشن³، و المعروف أن الفخار يستخدم أكثر في المصنوعات المنتقلة، و قليلا ما يستعمل في المباني، و هذه القلة هي ما تميزت به مساجد ولهاصة و أضرحتها، إذ نلاحظ فقرها للمنتجات الفخارية، رغم تواجد عدة منشآت أستخدم فيها الفخار مثل القنوات المائية بقرية سيدي محبوب.



صورة رقم (108): القنوات المائية المكتشفة تحت واد طربان بجهة سيدي محبوب

¹ لطف الله قاري، إضاءة زوايا جديدة للتقنية العربية الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996م، ص 115 م.

² عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 314.

³ يمينة تسكورت، الآثار الإسلامية المادية و اللامادية لمنطقة تيبازة خلال الفترة العثمانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2015م، ص 368.

و القلال الفخارية الموجودة بالقرب من وادي يسر غير بعيد عن تجمع سيدي دحمان و كذلك سيدي محبوب.



لوحة رقم (82): الجرار المحفوظة بالمسجد العتيق سيدي دحمان (على اليمين) و القطع و الشقف الفخارية التي جرفتها السيول بسيدي محبوب من تصوير الطالب-

و صنع ضريح سيدي أحمد الأوشتاري بطيربان الإستثناء من حيث إحتواءه على الفخار في عناصره، إذ صنع ميزابه الموجودان بأعلى واحتماه الشرقية و الشمالية من مادة الفخار، و هو يشبه في تصميمه عدة مزاييب تعودان للفترتين الزيانية - أو الحفصية و المرينية المعاصرتين لها- و الفترة العثمانية، فعلى سبيل المثال نجد نفس هذا النوع في مسجد سيدي علي بن مبارك بالقليعة الذي يرجع للفترة العثمانية.



لوحة رقم (83): الميزاب الفخاري بأعلى الواجهة الشرقية من ضريح سيدي أحمد الأوشتاري (على اليمين)- من تصوير الطالب- و ميزاب مسجد سيدي علي مبارك بالقليعة المشابه له (على اليمين)

✓ **تحضير المواد البنائية الطينية:** إن إختيار المادة الطينية المناسبة و نقلها إلى ورشة التحضير و التهيئة، هو الخطوة الأولى في تجهيز المواد البنائية الطينية، و بعد إيصالها للمكان المطلوب فعمل الخطوة الموالية تكمن في عملية الخلط على أرض مسطحة، و تتم هذه العملية عادة بواسطة الأرجل من أجل المساهمة في تماسك الطين جيدا، و قد يضاف أحيانا لها مواد أخرى مثل التبن أو الرمل لزيادة التماسك، لنمر إلى مرحلة أخرى تتمثل في خلط الطين بالماء و قليل من الرمل أو الجير لتلينه، و هكذا نكون قد حصلنا على العجينة، و من ذلك يتم تحضير القوالب من الخشب دون غطاء و لا قاعدة، و أبعاد هذه القوالب هي أبعاد وحدات الطوب اللبن أو الآجر الناتجة فيما بعد، و توضع هذه الأخيرة على الأرض و تملأ بالعجينة، و يترك القالب ليجف تحت أشعة الشمس للحصول على وحدات الطوب اللبن، أو بالحرق في الأفران أو المواقد المعدة لذلك في حالة الآجر.

بينما الميزابان الفخاريان بضريح سيدي أحمد الأوشتاري، فقد مرا بكامل المراحل التي تمر بها عادة المصنوعات الفخارية¹، بداية من جلب الصلصال الطيني من مواضعه بمحيط الجبال، ليتم قطعه و نقله، ليعقب هذا العمليتان مباشرة عملية التنظيف و نزع الشوائب، و تترك المادة الصلصالية المعالجة لتجف تحت أشعة الشمس، ثم تهرس و تكسر بمدق لتصبح غبارا صافيا، ثم تفرغ بأحواض بها الماء من أجل الطينة بالماء، ثم تفرش الطينة تحت أشعة الشمس لتبخير الماء منها، يضاف إليها رمل رقيق أو بقايا فخارية ماسكة و متبثة، ثم تعجن الخلطة بالأيدي و الأقدام، ثم تقسم الخلطة إلى قطع و تترك لتخمر، ليتم تشكيل الشكل المراد صناعته، و من الممكن القول أن صناعة الميزابان تم من خلال إستعمال طريقة الدولاب، ثم يتم تخفيف المنتجات الفخارية أمام الشمس، ثم تأتي عملية التفخير و تتمثل هذه العملية في الحرق داخل الفرن.

● **المواد الرابطة:** و يقصد بها تلك المونة و الملاط اللاصق و الرابط بين الوحدات البنائية، و التليس و مادة تغطية الأسقف الطينية.

✓ **طبيعة المادة:** يرى ابن منظور أن الملاط عبارة عن طينة تستخرج من باطن الأرض و تطوع في الماء²، و المادة الرابطة في معظمها مكونة من حبيبات الرمل و الطين مضاف إليهما الماء، ثم يضاف إليهما الجير كمادة لاحمة، و يسمى أيضا المونة، و يبقى الإشارة أن مادتي الرمل و الجير من أفضل المواد قدرة على التصلد، وهذا ناتج عن العناصر الكيميائية الرابطة المكونة لهما

¹ تكاد تتفق جميع الدراسات على نفس المراحل التي تمر بها المنتجات الفخارية، و للإشارة فقد إتمدنا على يمينة تسكورت في إعطاء لمحة عن تقنيات التصنيع التي مرت بها الميازيب الفخارية في ضريح سيدي أحمد، أنظر: يمينة تكورت، المرجع السابق، ص 369-371.

² ابن منظور، المصدر السابق، ص 681.

كالسيليكا و الكالسيت و الهيماتيت و الليمونيت، و من مميزات الملاط أو المونة أنها مادة لاحمة تربط بين جميع المواد البنائية المستعملة مثل الحجارة و الطوب و الآجر، و كذلك فإنها تساهم في توزيع الثقل و ضغوط و عزوم الأحمال، و تعزل كذلك الصوت و الحرارة و الرطوبة، و أستعملت المونة أو الملاط في كل المباني بولهاصة و مثلها تماما المباني المختارة في دراستنا، و إختلفت المواد المكونة للمونة تبعا لتواجدها في البيئة المحيطة من عدمه، و كذلك تبعا للظروف المناخية المحيطة، خاصة إذا ما علمنا أن منطقة ولهاصة منطقة ساحلية كما أشرنا إليه سابقا، فتم إستعمال التربة البيضاء مضاف إليها بقايا الرخويات و الحصىيات و الماء في مسجد زاوية الجازولي و مسجد سيدي يعقوب، و تم إستعمال الجير كمادة لاحمة لوحده مضاف له الماء كما هو الحال في الضريح الأول بأولاد بودلال.



صورة رقم (106): إستعمال التربة البيضاء و الماء كملاط بمسجد الزاوية- من تصوير الطالب-



صورة رقم (107): إستعمال التربة البيضاء و الماء كملاط بمسجد سيدي يعقوب- من تصوير الطالب-



صورة رقم (108): إستعمال المادة الجيرية و الماء كملاط بالضريح الأول في أولاد بودلال - من تصوير الطالب-

أستعمل الملاط أو المونة بالإضافة إلى ما تم ذكره سابقا، في تغطية و تليس الجدران أو تغطية الأسقف، و عندنا عدة نماذج لهاته العمليتين في نماذجنا المدروسة.



صورة رقم (109) : تليس الجدران الداخلية لمسجد سيدي دحمان بالمونة- من تصوير الطالب-



صورة رقم (110) : تليس الجدران الخارجية لضريح أولاد إبراهيم العامري بالمونة- من تصوير الطالب-

✓ **تحضير المواد اللاصقة :** إن إستخراج المواد الداخلة في تركيب الملاط كالجير، لا بد و أن يمر بعملية التفتيت خاصة إذا ما علمنا أن الجير في أصله يستخرج من باطن الأرض ككتل حجرية ، و من أجل هذا لا بد من حرقها و تفتيتها أو طحنها ثم تنقيتها، و يجلب الطين من الطبيعة و به نجد بقايا الرخويات و الحصىات ، في حين يجلب الرمل من حواف الوديان أو شطوط الأنهار، و هذه الأخيرة كلها متوفرة في منطقة ولهاصة، و يخلط الجميع بالماء و القليل من التبن، أو مادتين أو مادة لوحدها، على حسب طلب إستعمالها.

● **المادة الخشبية :** لا يمكن إستبعاد الخشب بأنواعه عن صناعة البناء، فقد إرتبطت هذه المادة إرتباطا كبيرا بإنشاء العمار، و هذا ما جعل إستخدامه متنوعا و مختلف الوظائف.

✓ طبيعة المادة الخشبية: يعتبر الخشب حسب الأستاذ إبراهيم عميري من المواد الأولية للبناء الأكثر استخداماً و إنتشاراً في تاريخ البشرية إلى غاية وقتنا الحالي¹، و لعل ابن خلدون قد عرف قدر المادة الخشبية و دورها فلم يتوانى في ذكر ذلك قائلاً: " و هذه الصناعة من ضرورات العمران و مادتها الخشب.... و من صنائع البناء عمل السقف بأن تمد الخشب المحكمة النجارة، أو الساذجة، على حائطي البيت و من فوقها الألواح، كذلك موصلة بالدسائر..."²، و أستعملت عدة أنواع من الأشجار كالعرعار و الصنوبر و النباتات كالقصب في المنشآت الدينية بولهاصة، و هذا الإستعمال كان إما مباشرة بإستعمال الجذوع و القصب كما هو، أو بتهديبها و تعديلها على حسب الحاجة في مرات أخرى، و أستخدمت الأخشاب في عدة مجالات أهمها التسقيف و حواف المداخل و النوافذ و الكوات، و في التوابيت و المناير، و في مصاريع الأبواب و النوافذ و حالة واحدة أستعملت في شاهد قبر، و بسبب كثرة إستعمال الخشب في العمارة الدينية بولهاصة سنقتصر على إعطاء نماذج متنوعة لنبيين أهم مجالات إستخدامه في دراستنا.



لوحة رقم (84): إستخدام الخشب في صنع توابيت أضرحة ولهاصة - من تصوير الطالب-

¹ إبراهيم عميري، مواد و تقنيات العمارة القديمة، منشورات المديرية العامة للآثار و المتاحف، دمشق، 2010، ص 17.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ص 727.



لوحة رقم (85): إستخدام الخشب في صنع منابر مساجد ولهافة - من تصوير الطالب-



لوحة رقم (86): إستخدام القصب و الأخشاب المصنعة أو الطبيعية كعوارض بمسجد البوحميدي - من تصوير الطالب-



لوحة رقم (87) : الجمع بين عدة أنواع من الخشب في سقف واحد- من تصوير الطالب-



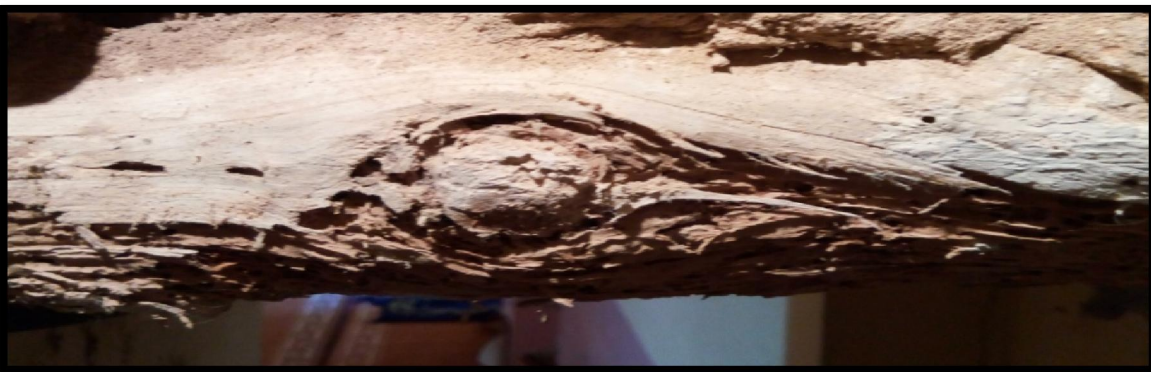
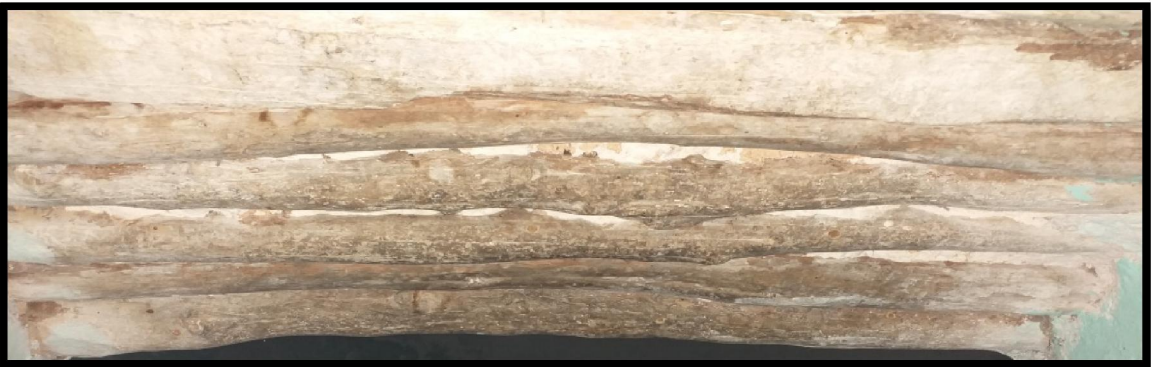
صورة رقم (111): إضافة سعف النخيل إلى العوارض الخشبية المصنعة أو الطبيعية مكان القصب في ضريح سيدي رحمون - من تصوير الطالب-



صورة رقم (112): السقف الخشبي الجملوني بمسجد سيدي يعقوب - من تصوير الطالب-



لوحة رقم (88) : نماذج لمصاريح الأبواب الخشبية- من تصوير الطالب-



لوحة رقم (89) : نماذج من الحواجب أو الأساكيف الخشبية بمداخل مساجد و أضرحة و لهاصة

- من تصوير الطالب -



لوحة رقم (90) : نماذج من مصاريع النوافذ في مساجد و أضرحة ولهافة- من تصوير الطالب-



صورة رقم(113) : الخزانة الخشبية بمصلى أولاد بودلال - من تصوير الطالب-



صورة رقم(114) : الشاهد الخشبي بضريح سيدي أحمد الأوشتاري- من تصوير الطالب-

✓ تحضير المادة الخشبية:

يوجد عدد من الأدوات التي استخدمت في الصناعة الخشبية مثل المطارق ،البُلط ،الأزاميل ، المناشير ، الفارات إلى جانب المخرطة التي يستخدمها الخراط يوجد مجموعة من الدفر التي تستخدم في أعمال الحفر على أشكال و أبعاد مختلفة، و يمر تجهيز الخشب و إستعماله بعدة مراحل هي:

■ **مرحلة الإنتقاء و التحضير:** في البداية يجب إنتقاء الأشجار الملائمة للعناصر المراد إقامتها، و المتوفرة في البيئة المحلية، أو السهلة الجلب و الإستيراد بحكم ريفية المباني الدينية، و التي عادة لا تتطلب دقة أكبر لا في التنفيذ و لا في الإستخدام، بل كلها تمتاز بالبساطة.

■ **مرحلة التجفيف:** قبل إستعمال الخشب لا بد من إجراء عملية التجفيف للحصول على مادة صلبة من الخشب و يوجد طريقتين¹:

أ- **التجفيف الطبيعي:** و هو الغالب في منطقة ولهاصة، و يستلزم ثلاث خطوات

1- شق جذوع الأشجار .

2- إزالة اللحاء الخارجي.

3- وضع الخشب معرض للهواء و الجو.

ب- **التجفيف الإصطناعي:** و هي طريقة أسرع في عمليات التجفيف التي تجرى على الأخشاب بعد شقها إلى ألواح توضع داخل أحواض من الماء الجاري بسرعة .

■ **عملية العلام و القياس:** من أهم عمليات النجارة الضرورية، تجنباً لإفساد المصنوعات الخشبية، و قوامها أخذ القياسات الطولية و الركنية (الزوايا) ، و تحديدها و تعليمها، وهذه العملية تسير تبعا لتتابع المراحل الموالية، فتصبح ضرورية في كل مرحلة²، و الملاحظ أن هذه العملية و سابقتها، كانت تقام ورشاتها في منطقة بداخل المساجد أو بالقرب من الأضرحة، وهذا نظير صعوبة إيصال المصنوعات إليها بسبب التضاريس من جهة، و بسبب سهولة تهيئة الأخشاب للإستعمال المباشر، ويستثنى من ذلك المناير و التوايت.

■ **مرحلة القطع و النشر:** قوام هذه العملية هو قطع الأخشاب بإستعمال المنشار وفق الأطوال المراد إستخدامها، و التي تم تحديدها وفقا للعملية السابقة.

¹ هنري كريس جونجمان، النجارة العامة، تر:عبد المنعم عاكف، دار الأهرام للنشر، القاهرة، 1970م، ص26.

² بن بلة علي، المصنوعات الخشبية بقصور قصبة الجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2003م، ص38.

- مرحلة التلميس: إن هذه العملية تهدف تماما إلى تهذيب الأسطح العلوية للقطع الخشبية، وتهيئة هذه الأخيرة لاستعمال المسحاج و المكشط.
- مرحلة النقر و الثقب: يتم العمل على النقر بواسطة الأزامل و الدقماق، من أجل تحقيق العمق المطلوب و الذي يجب أن يتجاوز طول اللسان ببضع ميلمترات، أما الثقب فيبدأ بإحداث خطين متقاطعين لتحديد مركز الثقب، الذي يقام به عن طريق المخراز و يثقب بالمسامير.
- عمليات التشكيل: يصعب التفريق بين عمليات التصنيع و عمليات الزخرفة نظرا لتداخلها، و سنحاول هنا فصلها قدر المستطاع، و البداية ستكون مع أهم عمليات التصنيع الخشبية:
 - طريقة التجميع و التعشيق: بلغ فن تجميع الخشب و العاج والعظم والصدف حد الروعة و قد إبتكر المسلمون هذه الطريقة في العصور الإسلامية الوسطى تحت ضغط عاملين أساسيين هم:
 - 1- جو معظم البلاد الإسلامية الذي يميل إلى الحرارة .
 - 2- فقر معظم البلاد إلى الأنواع الجيدة من الأخشاب .
 و تتم هذه الطريقة عن طريق تجميع حشوات هندسية بسمك معين ثم تجمع مع بعضها على السطح المراد زخرفته و تعشق داخل الإطارات و هذه الطريقة تتطلب وقتا كبيرا و دقة فائقة¹، و شهدت منابر و توابيت النماذج المدروسة أعمالا كثيرة من التجميع و التعشيق بتقنيتهما: التعشيق المنطوية أو النقر و اللسان، منها تابوت سيدي عامر الصغير.



لوحة رقم (91): تقنية النقر و اللسان في تعشيق و تجميع القطع الزخرفية بتابوت ضريح سيدي عامر الصغير (على اليمين) و ريشتا منبر سيدي المداني - من تصوير الطالب-

¹حسن الباشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1984م، ص442.

- طريقة أشغال الخراط : هي من أكثر الطرق استخداما في زخرفة القطع الخشبية، وهي تنقسم إلى نوعين:

- 1- الخراطة الواسعة: أو الكبيرة الحجم.
- 2- الخراطة الدقيقة : التي تفنن الفنان من خلالها في تنويع الأشكال والوحدات المستخدمة، وذلك باستعماله لعدة طرق ، منها الخراط المسدس الذي يقوم على وحدة أساسية هي الشكل السداسي المتكرر ، و تتصل القطع فيما بينها عن طريق ألسنة تخرج من شكل سداسي ، و هي تعرف لدى الأتراك ب " المشبك " و التي كانت تتركب بتجميع قطع صغيرة من الخشب المخروط بأشكال مختلفة لتبدو وكأنها شبكة منسوجة يوجد بين قطعها فتحات تكشف عما ورائها ، و ينشأ عن تجميعها أشكال زخرفية مختلفة، وهي تعد ابتكارا إسلاميا¹ ، و لم تخرج هذه التقنية عن نطاق المصنوعات الخشبية بمنطقة ولهامة، و نميزها كمثال في درابزين جلسة الخطيب في منبر سيدي المدني.



صورة رقم (115): خراط درابزين جلسة الخطيب في منبر سيدي المدني- من تصوير الطالب-

- التجميع بالمسامير: تستعمل المسامير عادة في عملية التجميع شرط أن تكون خالية من الرؤوس ليسهل اخفاءها، و استعمل المسامير كذلك في تزيين المنشآت الخشبية، و أستخدمت المسامير في المنابر و المصاريع و التواييت و في أغلب المنشآت الخشبية.

¹المرجع السابق ، ص 451.



المسامير المتخذة في تابوتي سيدي عامر على اليمين و سيدي مُجَّد النجاري على اليسار- من تصوير الطالب-



المسامير المتخذة في مصراعا مدخل ضريح سيدي احساين مولاي أحمد- من تصوير الطالب-



المسامير المتخذة في مصراعا مدخل مسجد سيدي لعرج- من تصوير الطالب-

لوحة رقم (92): إستعمال المسامير في مختلف المصنوعات الخشبية- من تصوير الطالب-

أما تقنيات الزخرفة فقد كانت الطرق المستعملة فيها بالمنتجات الخشبية قديما يقوم على طريقة التلوين بالأصباغ أو تقنية حفر الزخارف أو تطعيم الخشب بالعاج، أما طريقة إستعمال الحشوات فهي لم تظهر إلا بعد الإسلام، و ذلك نتيجة لضغط عاملين اثنين هما الطقس و ندرة

الخشب، هذا وقد تنوعت طرق زخرفة التحف الخشبية بمختلف أنواعها و تعددت طرق زخرفتها، وأهمها:

- **طريقتا الحفر والحز**: منها الحفر البسيط والغائر والمشطوف والحز (وهو الحفر البسيط غير العميق)، ونجد هذه الطريقة منفذة على التحفة مفردة، أو مشتركة مع تقنيات أخرى، ويتم الحفر على الخشب بواسطة مقص أو منقر، يدفع براحة اليد أو يضرب بواسطة مطرقة خشبية ذات رأسين، وتنفذ الزخارف المحفورة بطريقة تسمح بحفظها وت ماسكها وذلك بترك أجزاء كافية تفصل بين العناصر المحفورة، وقد إزدهر فن الحفر على الأخشاب منذ القدم ويؤكد ذلك المنتجات الخشبية التي تؤكد براعة الإنسان في هذا الفن ويلاحظ أن الزخارف التي حفرها الفنانون في فجر الإسلام كانت متأثرة إلى حد كبير بالزخارف الساسانية والبيزنطية والهيلينية ثم تطورت طريقة الحفر في الخشب تطورا تدريجيا حتى أصبح للفن الإسلامي أساليبه الخاصة في هذا الميدان¹.

- **تقنية التطعيم**: التطعيم في المصطلح الأثري الفني هو أسلوب زخرفي ينحصر في تحضير قطع صغيرة مسطحة مصقولة من العظم أو العاج أو الصدف بأشكال فنية معينة ثم تحفر المواد المراد تطعيمها وتثبت القطع فيها، وقد إستخدمت في تطعيم الأعمال الخشبية مواد متنوعة تضم العاج والعظم والصدف والأبنوس كما توصل الفنان المسلم إلى تطعيم هذه الأخشاب بأشرطة رقيقة من نوع آخر من الأخشاب ذي لون مخالف كما طعمت القطع الخشبية بطبقة رقيقة من الفسيفساء² وتم زخرفة الأخشاب بطريقة التطعيم عن طريق الخطوات الآتية:

- 1- عمل رسم بالحجم الطبيعي للشكل المراد تطعيمه.
 - 2- نقل الزخارف إلى سطح القطعة الخشبية ثم تحفر الزخارف بعمق يساوي سمك خامات التطعيم من سطح الخشب.
 - 3- تنشر الخامات طبقا للسمك المطلوب ثم توضع في المناطق المحفورة في القطع الخشبية ثم تلصق ثم يضغط عليها حتى يتم التصاقها وتترك حتى تجف تماما.
- أما في نماذجنا فقد تم تطعيم ريشتا منبر مسجد سيدي يعقوب بنوع آخر من الخشب معاكس لخشبه الأصلي.

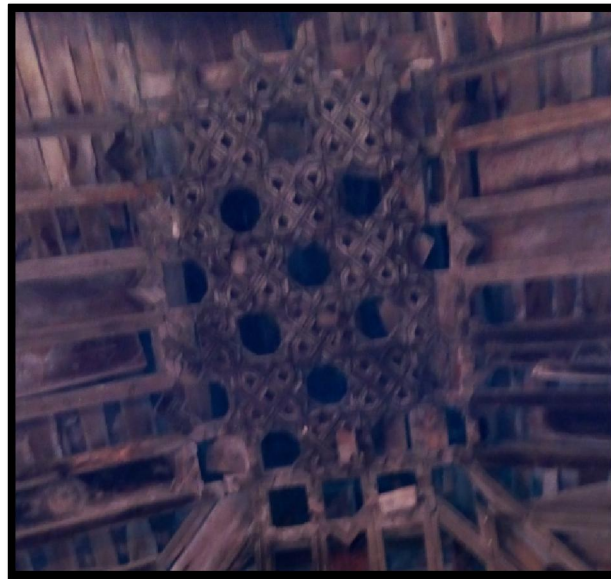
¹ عبد العزيز مرزوق، الفنون الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، 1987م، ص160.

² نفسه، ص162.



صورة رقم (116) : تطعيم منبر سيدي يعقوب بنوع آخر من الخشب- من تصوير الطالب-

- تقنية التخريم: إستخدمت في زخرفة التحف الخشبية وتمثل في تكوين عناصر زخرفية متنوعة سواء نباتية أو هندسية من خلال حفر هذه العناصر حفرًا يصل إلى ثقب التحف الخشبية¹، و كمثل عن هذه التقنية في نماذجنا السقف الخشبي بمسجد سيدي يعقوب .



صورة رقم (117) : إستخدام تقنية التخريم في سقف مسجد سيدي يعقوب- من تصوير الطالب-

- طريقة الزخرفة بالتلوين : هي عملية دهن الخشب بألوان متعددة لمواضيع زخرفية مختلفة. عرفت هذه الطريقة منذ بداية العصر الإسلامي و استخدمت إلى جانب طريقة الحفر و ذلك لتوضيح التفاصيل للزخارف المنفذة بالحفر و يمر تنفيذ هذه العملية على الخشب

¹ أحمد مصطفي ، تشكيل الخشب ، دار الفكر العربي ، عمان ، 1990م ، ص 149.

بمرحلتين اثنتين هما:

1- معالجة الخشب بتغطية السطح المراد زخرفته بمحلول مخفف من المستكة و النفط ، أو بتغطية السطح بطبقة سميكة من الشمع و النفط ، مما يفيد في حفظ الأخشاب من الرطوبة التي تتسبب في إفساد الألوان.

2- إذابة المساحيق المعدنية المستعملة في التلوين : و ذلك إما في صغار البيض المحلل في النييد، أو الغراء المستخلص من السمك .

و تم إستعمال هذه التقنية في تابوت ضريح سيدي المدني، إذ تم رسم عدة زخارف بواسطة الألوان المائية.



صورة رقم (118): الزخارف المنفذة بالألوان في تابوت سيدي المدني- من تصوير الطالب-

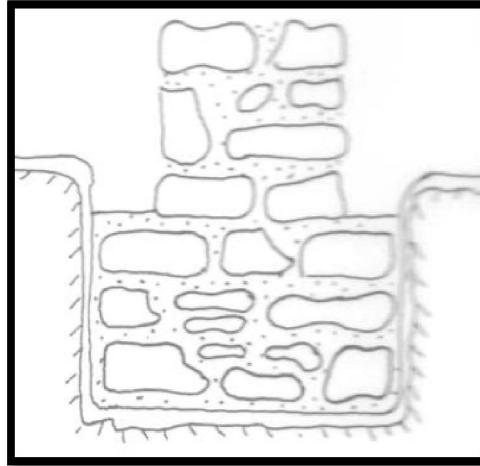
- **المادة المعدنية:** تعتبر المعادن من أكثر المواد المستخدمة في البناء، و إن كان إستخدامها ثانويا، فإن إستعمالها تنوع بتنوع وظيفته و نوعه.
- **طبيعة المادة المعدنية:** تعتبر المعادن من أهم المواد التي أستعملت في العمارة بشكل عام، و نفس الأمر ينطبق على منطقة ولهاصة، و تستعمل المعادن بصفة مكملة للبناء، و لعل أكثر مادة معدنية أستعملت في البناء هي الحديد و هي الوحيدة الموجودة في نماذجنا، و الراجع للمصحف الكريم يجد أن سورة قد سميت بإسمه، و قد ذكر هذا الأخير في ست مواضع منه، مما يستنتج أن إستخدامه قديم، و المعروف عنه كيميائيا أنه سريع الصدأ و التآكل بفعل الأحماض، و

أستعمل الحديد في الشبائيك المعدنية و الأبواب و النوافذ كليا أو في أقالها و مزالجاها، و أستخدمت أيضا المسامير الحديدية في المصنوعات الخشبية.

■ **تحضير المادة المعدنية:** يتم تحضير الحديد بصهره في بوتقة مغلقة، ثم يصب في القالب حتى يصبح كتلة بيضاء ملتتهبة، ثم يسحب منها بين الإرفيل و المكسب ثم يشكل حسب المراد¹.

2- **تقنيات البناء:** من المؤكد أن تقنيات البناء تختلف من التنفيذ البسيط إلى الإنشاء المعقد، و ينحصر في مجال هاذين الحدين تقنيات كثيرة للبناء، فبعض المباني إعتمدت على تقنيات محدودة و محددة من ناحية، في حين تنوعت التقنيات في المبنى الواحد من ناحية أخرى، و من أهم التقنيات المتخذة في إقامة العمارة الدينية في منطقة ولهاسة ما سنورده هنا.

● **تقنيات إقامة الأساسات:** تعتبر الأساسات أول ما يشرع به البناء، و هي القاعدة التي تحمل الأئينة داخليا و خارجيا، و من شروطها عادة و في الغالب أن يكون سمكها أكثر سمكا من الجدران، و يمكن الإشارة إلى أن بعد العمائر قد تبني دون أساس، و يدعى هنا بالأساس الطبيعي، و يتخذ هذا النوع في الأرضيات الصخرية أو الصعبة الحفر، بينما الأساسات الأخرى تدعى بالأساس البنائي².



شكل رقم (11): تشكيل الأساس – نقلا عن: سعاد بوشامة، المرجع السابق، ص291.

و كذلك أن يتباين شكلها تبعا للأرضية المختارة للبناء، فإذا كانت هذه الأخيرة مستوية فالأساس هو الآخر يأخذ شكلا مستويا و يعمق في الغالب ما بين 0.5 م و يصل إلى 1.5م، أما إن كانت الأرضية مائلة أو منحدره، فلا بد و أن يساير الأساس تلك الأرضية بشكل مائل عكسا حتى نصل إلى إستواء جهته العلوية، و التي ستكون في الأصل هي قاعدة الجدران، و

¹ زهران أحمد، فنون أشغال المعادن و التحف، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1965م، ص9.

² حجاري درية، المرجع السابق، ص 256.

في إعتقادي أن جل الأبنية الدينية الأثمدجية في دراستنا كان الأساس أول ما يقام فيها، و حسب المعاينة فإن الأساسات غالباً ما تملأ بالأحجار الكبيرة أو المتوسطة و حتى الصغيرة، و لا يشترط في ذلك أن تكون مهدبة، بل بالعكس من ذلك تماماً فإن أغلبها تكون غير مهدبة، و تغمر بالملاط ليتم ترابطها و تماسكها.



جزء من أساس مسجد سيدي لعرج



جزء من أساس مسجد سيدي لعرج



جزء من أساس مسجد زاوية الجازولي

لوحة رقم (93) : صور نماذج من أساسات مساجد ولهاسة - من تصوير الطالب-

و في الأخير يمكن القول أن الأساسات لعبت دورا كبيرا تحديد عدة معالم أزيلت أو تهدمت، مثلما حدث مع إعادة بناء ضريح سيدي ائمّد بن يخلف الذي فجرته الجماعات المسلحة في العشرية السوداء، أو الجزء المنهار من مسجد سيدي يعقوب بعد قصفه من طرف الفرنسيين، أو مسجد سيدي محبوب و ضريح سيدي اعمر بن علال الذي جرفتها السيول .

● تقنيات بناء الجدران:

✓ **تقنية الطابية:** لو تفقدنا المصادر التاريخية أو الجغرافية لنجدها قد تطرقت لهذه التقنية، فقد عبر عنها كل من الإدريسي و ابن حماد بأنها تقنية تنجز بقالب يملء بالتراب المضاف له الجير و الماء و مواد أخرى و جمعها طوايي¹، و قد ظهرت هذه التقنية منذ القديم و ساد إستخدامها أكثر عند المسلمين ، و زاد الإعتماد عليها في العهد الحمادي و المرابطي ثم الموحي و أصبحت أكبر تقنية حاضرة في البناء في هذه العهود، أما عن وسائلها فلقد لخصها ابن خلدون في القالب و الخليط المملوء بداخله و المركز الذي يدك به الخليط، و وسائل أخرى تزيد و تنقص حسب الخصوصيات و المراحل و التقاليد المطبقة في كل منطقة².

- **القالب:** واصل ابن خلدون في نفس الصفحة وصفه لأهم وسائل تقنية الطابية، فالقالب عنده هو مكعب مستطيل مفرغ من الأعلى و الأسفل، يتحدد قياسه بين طول بأربعة أذرع - 2 متر تقريبا- و عرض بذراعين³ -1 متر تقريبا-



صورة رقم (119): قالب تقنية الطابية-

الصورة من المعرض الوطني للفنون بقصبة الأوداية بالمغرب الأقصى في سبتمبر 2006م-

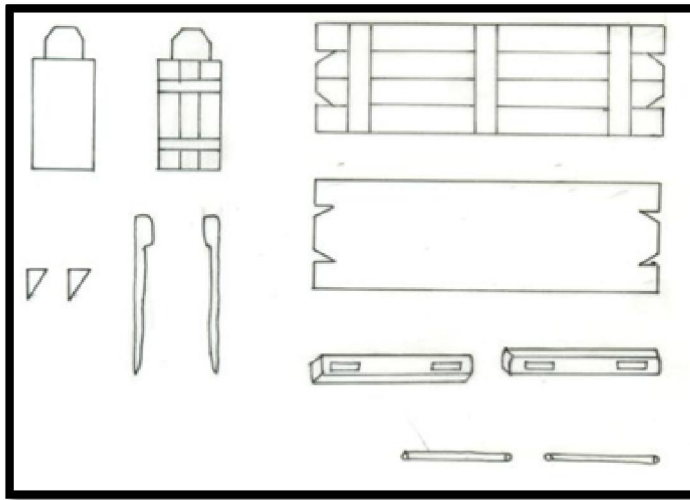
¹ أبي عبد الله الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 136. و: ابن حماد الصنهاجي ، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم ، تحقيق: أحمد البدوي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984م ، ص34.

² ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص437.

³ أكيد أن العرض يتناقص و يتزايد حسب نوعية المبنى ، فالمنشآت العسكرية التي تتطلب عرضا أكبر مثل الأسوار ، لا يمكن أن يكون لها نفس العرض في المباني السكنية أو الدينية.

و القالب في أغلب أصله أنه مصنوع من الخشب، و يتكون من عدة قطع جمعها ابن خلدون في فقرة قائلاً... و منها البناء بالتراب خاصة يتخذ لها لوحان من الخشب مقدران طولاً و عرضاً باختلاف العادات و التقاليد... فينصبان على أساس، و قد بوعد بينهما... و يوصل بينهما بأذرع من الخشب يربط عليها الحبال و الجدر، و يسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما بلوحيين آخرين صغيرين.¹ و يمكن حصر هذه القطع من القالب التي ذكرها ابن خلدون في اللوحين الخشبيين الكبيرين المحددين للطول، اللوحين الخشبيين الصغيرين المحددين للعرض، الأذرع الخشبية العمودية و الأفقية، الحبال و عصا شدة، بينما أهمل بن خلدون ذكر المتبثات.

- المركز: بضم الميم و كسر الكاف، هكذا سماه ابن خلدون، بينما ابن حيان فقد سماه بإسم المدوس و جمعه مداوس²، و هو أصله من الخشب كذلك، يستعمل في ذلك الخليط داخل القالب.
- الخليط: أشار إليه ابن خلدون بأنه خليط من التراب و الكلس، لكن لو رجعنا إلى المناطق التي ما زالت تعتمد على هذه التقنية في الجزائر و المغرب و موريتانيا و غيرها نرى تكويناً آخر للطابية مكونة من: التراب المخلوط مع الجير و طحين الآجر و كسر الحجارة و كمية من الماء، و هي نفس المكونات التي ذكرها حسن الوزان³.
- وسائل أخرى: تقصد بها وسائل النقل و معدات مزج الخليط.



شكل رقم (12): الأجزاء التي يتركب منها قالب تقنية الطابية.

¹ ابن خلدون، المرجع و الصفحة السابقين.

² ابن حيان، المصدر السابق، ص 96.

³ الوزان حسن، المصدر السابق، ص 127.

منقول عن: إسماعيل بن نعمان ، حرفة البناء ببلاد المغرب الأوسط: تقنية الطابية أنموذجا ، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، العدد 4 ، مخبر البحوث الإجتماعية و التاريخية ، الجزائر ، 2013م ، ص469-

و أما في دراستنا هذه فبما أن مقام بحثنا كان متعلقا بالعمارة الدينية الريفية (مساجد و أضرحة) بمنطقة ولهامة ، فمن المعلوم أن هذا النوع من المباني لا تستخدم فيه تقنية الطابية عادة، إلا أن هذا الأمر لم يمنع وجود إستثناءات، أبرزها بيت صلاة مسجد سيدي يعقوب و بعض مرافقه.



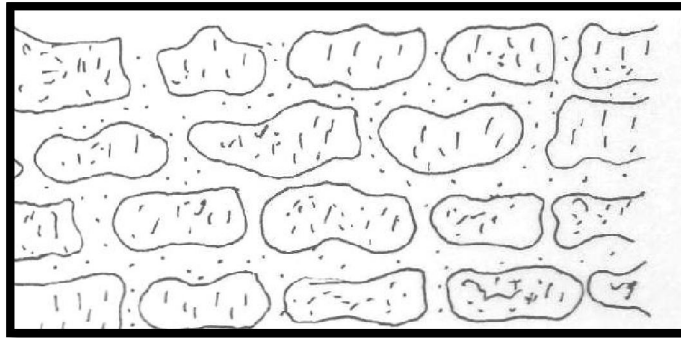
صورة رقم(120) : إستخدام تقنية الطابية في مسجد سيدي يعقوب –من تصوير الطالب-

و الإستثناء الثاني – و إن كنا غير متأكدين منه- يتمثل في ضريح سيدي البشير، و هذا إذا ما أخذنا في الإعتبار علوه الشامخ و كذا كثرة الفتحات في جدرانه، مثل التي تفتح عادة في المنشآت المبنية بهذا النوع من التقنيات كالأسوار.



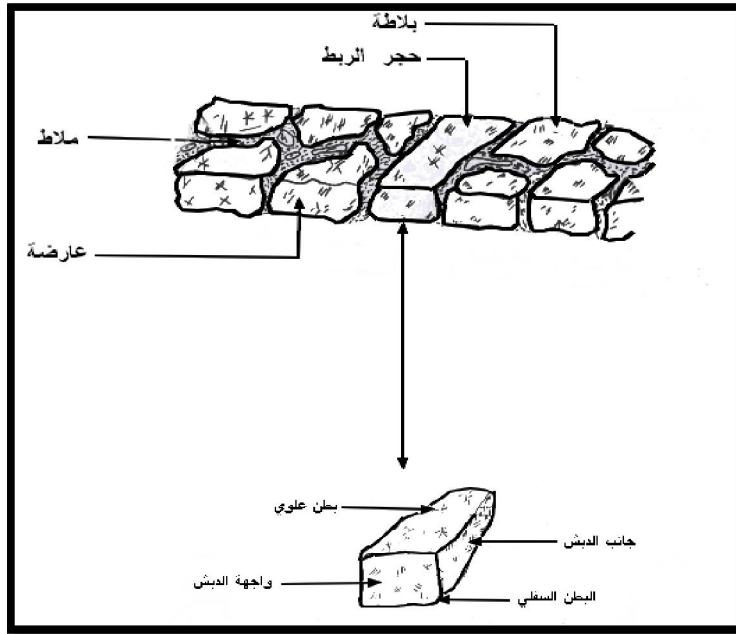
صورة رقم (121): الفتحات في جدران سيدي البشير—من تصوير الطالب-

✓ تقنية البناء بالحجارة أو بالدبش: غالبا ما يتم إختيار الحجارة المهذبة أو التي لها قابلية التهذيب، و هذا من أجل الحصول على واجهة مسطحة و مستوية، و تملأ الفراغات بينها بالملاط.



شكل رقم (13): تقنية البناء بالدبش—من إعداد الطالب-

و تسمى هذه التقنية أيضا بتقنية النظام الكبير، و هذا لإعتمادها على الحجارة الكبيرة المنحوتة أو المهذبة.



شكل رقم (14): العناصر الأساسية في تقنية البناء بالحجارة-نقلا عن بن سويسي محمد، العمارة الإسلامية الدينية بمنطقة تمنطيط: دراسة تاريخية و أثرية و معمارية، مذكرة لإتمام متطلبات نيل الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008م، ص 241-.

و لم تخلو مساجد و أضرحة منطقة ولهامة من البنايات ذات الحجارة المنحوتة، و هذا نظير توفرها من جهة و لقلّة تكاليفها من جهة اخرى.



البناء بالدبش بمسجد الزاوية-من إعداد الطالب-



البناء بالدبش بمسجد سيدي المهدي-من إعداد الطالب-



البناء بالدبش بضريح اولاد بودلال-من إعداد الطالب-



البناء بالدبش بالرواق الذي يسبق بيت صلاة مصلى سيدي دحمان-من إعداد الطالب-



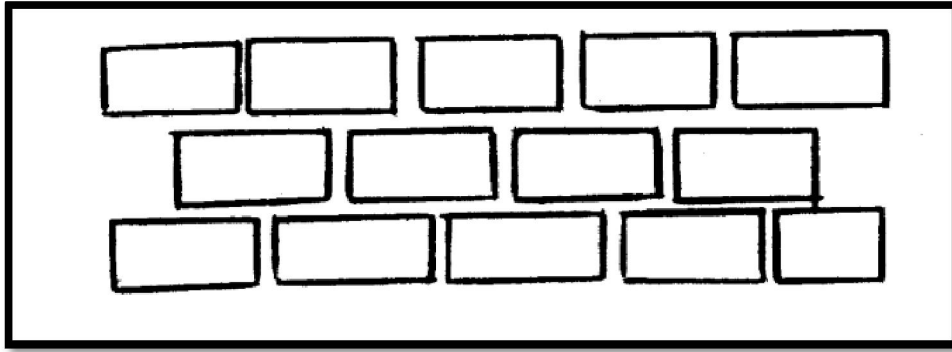
البناء بالدبش بحويطة سيدي دحمان-من إعداد الطالب-



البناء بالدبش بحويطة سيدي الحسين-من إعداد الطالب-

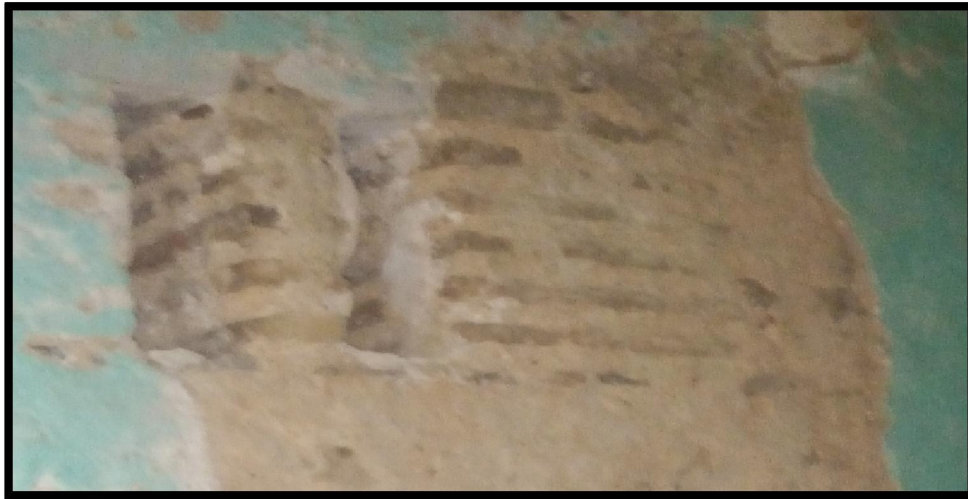
لوحة رقم (94) : البناء بالدبش في بعض النماذج المدروسة - من تصوير الطالب-

✓ تقنية المداميك : أو البناء بالآجر أو الطوب اللبن، وقد اختلفت طرق تنظيم الآجر في البناء، فمنها طريقة المداميك المتكررة التي تقوم على وضع مداميك من الحجر و أخرى من الحجارة بالتناوب أو عشوائيا سنشير إليها لاحقا، أو طريقة آدية و شناوي و وجدت طرق أخرى مثل المداميك السنبلية و المداميك المزدوجة، و المداميك الأفقية المنتظمة التي تقوم على الملاط و الآجر¹، و هذه التقنيات أستعملت بكثرة في البناء، لكن أهم تقنية ملاحظة في نماذجنا المدروسة هي تقنية المداميك الأفقية المنتظمة، فقد أستعملت في عدة عمائر.



شكل رقم (15) : طريقة البناء بالمداميك الأفقية بصفة منتظمة

و في هذه الطريقة نشكل الجدار عن طرق رص قطع الآجر بشكل طولي، و يفصل بين كل صف وصف الملاط، و أستعملت هذه الطريقة سواء في الجدران أو في العتبات.



صورة رقم(122): البناء بتقنية المداميك الأفقية بضريح سيدي حساين—من إعداد الطالب-

¹ نقاش أنقولا، دائرة المعارف: مادة آجر، مج 1، دار الوطن للنشر، بيروت، 1956م، ص78.



لوحة رقم (95): البناء بتقنية المداميك الأفقية في عتبات المدخل بمسجد سيدي المدني (على اليمين) و حويطة سيدي دحمان (على اليسار) - من إعداد الطالب -



صورة رقم (123): البناء بتقنية المداميك الأفقية المتعامدة بضريح سيدي عامر الصغير - من تصوير الطالب -

بينما تقنية تنضيد الآجر طوليا و عرضيا، أو كما تسمى بآدية و شناوي، فهي تتمثل بوضع قطع الآجر وفقا لجانبه الطولي أو العرضي بالتناوب، و أستعملت هي الأخرى في عدة مواطن من نماذجنا.



لوحة رقم (96): البناء بتقنية آدية و شناوي بمدخل مسجد سيدي المدني (على اليمين) و بجدران مسجد سيدي يعقوب (على اليسار) - من إعداد الطالب -

أما تقنية السنبلة فلم تتمكن من ملاحظتها كثيرا و هذا لأن أغلب النماذج تعرضت لتكسية المناطق المتضررة أو تلبسها أو طلائها، و وجدنا الإستثناء ضمن تقنية البناء المزدوجة في ضريح سيدي أعمار بالشهابنة، إذ ازدوجت فيه تقنية البناء بالديش أفقيا مع تقنية السنبلة.



صورة رقم (124): البناء بتقنية السنبلة في ضريح مولاي اعمر بالشهابنة - من إعداد الطالب -

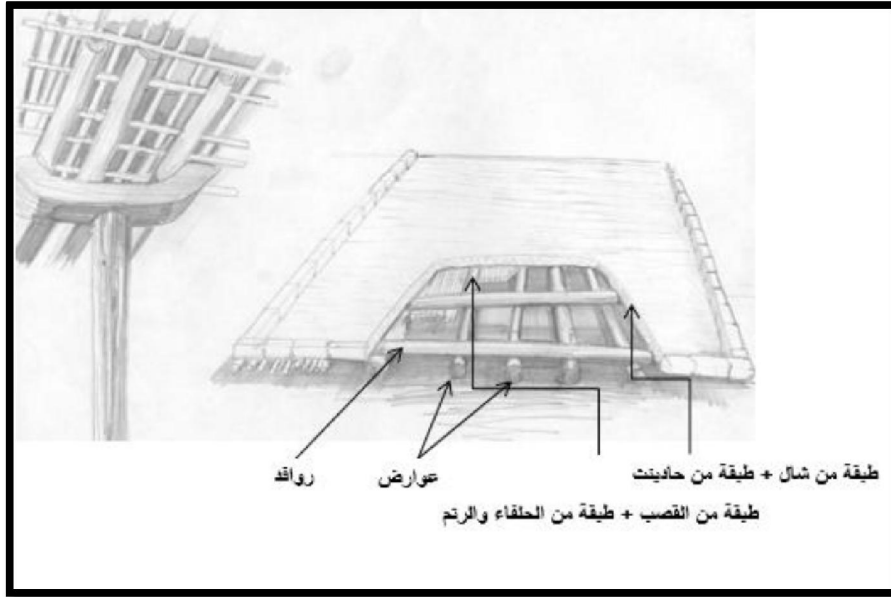
✓ **تقنية المزج:** من إسمها يتبين لنا أنها تقوم على الخلط في المادة البنائية، إذ يستعمل هذه التقنية فإننا لا تقتصر على نوع واحد و محدد من مادة البناء بل نستعمل نوعان أو أكثر كالأجر و الحجارة مثلا في آن واحد، سواء بنظام تناوب معين أو بطريقة عشوائية.



صورة رقم (125): إستعمال تقنية المزج بين الحجارة والأجر في ضريح سيدي عامر الصغير-من إعداد الطالب-

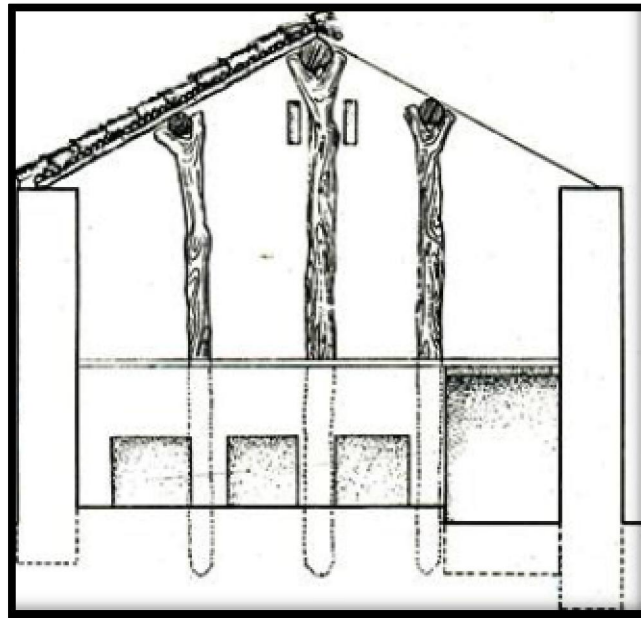
● تقنيات إقامة الأسقف: إن تعدد طرق التسقيف في مساجد و أضرحة مساجد ولهاصة مثلها مثل باقي المناطق، و هذا راجع بالدرجة الأولى إلى إختلاف أشكال هذه المباني و مادتها البنائية، و لقد تحدثنا سابقا عن أنظمة التسقيف في العمائر المدروسة، و سنحاول في هذا العنصر الحديث عن بعض كفيات و تقنيات إقامتها.

✓ تقنيات بناء الأسقف المائلة و المستوية: و يتكون فيها السقف من الأعلى إلى الأسفل غالبا من الملاط - أو القرميد- محمول على طبقة من القصب، المحمول هو الآخر على أغصان العرعار أو الدفلى أو الزيتون أو الصنوبر الذي يعلو العوارض المحمولة على الأعمدة أو الدعامات أو العقود أو الجدران.



شكل رقم (16): تقنية التسقيف المستوية المشار إليها—نقلا عن حجاري درية، المرجع السابق، ص 257

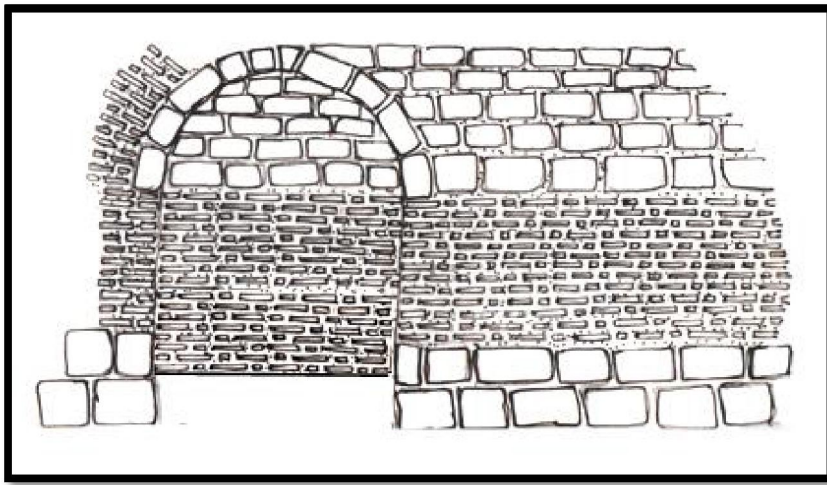
و تبدأ عمليات إقامة الأسقف عامة بجمع المواد الأولية المحتاج إليها، ثم يتم نقل هذه المواد إلى مكان البناء، و هذا بعد تجفيف ما يجفف و تنقية مل يهدب، و يتم البدء بتثبيت العوارض الأفقية و العمودية الحاملة للسقف، ثم نبدأ بتمديد هذه الأخيرة على حسب شكل السقف المراد ما بين المستوي أو المائل.



شكل رقم (17): تثبيت العوارض لرفع السقف- نقلا عن:

C.VICENTE, L'Habitation de grande Kabylie (Algérie), in: cahier des arts et techniques d'Afrique du nord, N°05, Toulouse, 1959, p22.-

✓ تقنيات بناء القباب و القبوات : إن أقدم طريقة ربما أستعملت في بناء القباب و تبدو أبسطها، هي تجهيز قالب أو هيكل خشبي، بشكل مجسم للقبّة ثم يغطى هذا الأخير بطبقة سميكة من الطين تشكل جدران القبّة ، ثم تطورت نفس الطريقة لكن مع تغيير الطبقة السميكة من الطين بوحدات من الطوب أو الآجر، بينما الطريقة الثانية تجلت في وضع قطع الطوب أو الآجر بطريقة مائلة من أعلى الجدران وصولاً بشكل متناظر وصولاً لنقطة الالتقاء أو قمة القبّة. بينما القبوات البرميلية فهي عبارة عن إمتداد لعقد مستند على جدارين، و هو الأقواس المعقودة بعضها لبعض، و تعمل هذه الأسقف بواسطة هيكل على شكل مجسم، أو تبنى بواسطة الطوب و الآجر و يستعان في بناء هذا النوع من الأسقف بملاط سريع الجفاف.



شكل رقم (18) : تقنية بناء القبوات -تقلا عن : رفيقة عتيق ، المرجع السابق، ص 117.-

و في منطقة ولهامة، و في نماذجنا المدروسة بالضبط يوجد حالتين للأسقف القبوية في كل من ضريح سيدي رحمون و خلوة الشيخ سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني.



لوحة رقم (97): إستخدام القبو في ضريح سيدي رحمون (على اليمين) و خلوّة سيدي يعقوب (على اليسار) - من تصوير الطالب -

- تقنيات بناء الحوامل و العقود: تعتبر الحوامل و الأكتاف و العقود من أهم عنصر حمل الثقل و توزيعه، و بذلك تأخذ دورا أساسيا في قيام العمارة و إقامتها.
- ✓ تقنيات بناء الأعمدة و الدعامات: يكمن الدور الأساسي للدعامات و الأعمدة في رفع السقف، سواء بطريقة مباشرة او بإرتكاز العقود عليها، و تبنى الدعامات بمواد بنائية مختلفة مثل الآجر و الطوب و الحجارة، بينما قد توضع الأعمدة في وحدة واحدة مباشرة، أو تركب أجزاء كبرى لتتركب العمود، أو تبنى أصلا مثل الدعامات غير أنها أصغر حجما و قاعدة عنها، و تبنى الدعامات و الأعمدة تماما مثل بناء الجدران، و قد أعطى الأستاذ دحدوح عبد القادر طريقتين في بناء عمائر قسنطينة يمكن تعميمها على كثير من البنايات الأثرية في الجزائر، أو إسقاطها عليها على الأقل، و تخص الطريقة الأولى البناء بالحجارة المنحوتة، و التي تتشكل فيها الدعامات من حجارة ضخمة ذات شكل مربع منحوت، تتموضع بشكل عمودي قطعة فوق قطعة، أما الطريقة الثانية فهي تخص الآجر، و تتم برص قطعتين أو أكثر من هذا الأخير على حسب سمك الدعامات، تغلوها في إتجاه مخالف قطع أخرى بنفس العدد تربط بينها طبقة رقيقة من الملاط¹.

¹ عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص685.

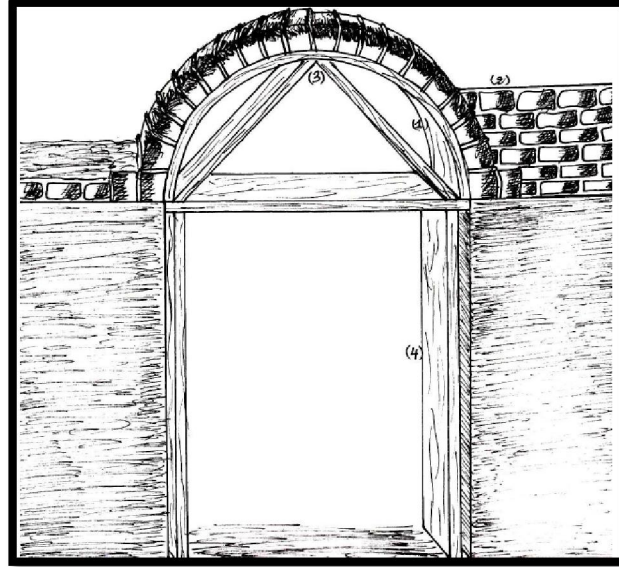
✓ تقنيات بناء العقود: أعطى حسين مؤنس تفصيلاً شاملاً عن مكونات العقد و تكونها قائلاً: "... يرتكز العمود أساساً على ابتكار العقد المخموس الذي يتكون من خمس قطع من الحجارة مهيأة على شكل أوتاد يعشق بعضها في بعض على صورة تجعلها تزداد تماسكاً كلما وقع ضغط على أعلاها ، و الحجر الوتدي الأوسط يسمى المفتاح ، و يضاف إلى الأحجار الوتدية الرئيسية واحد في كل جانب يسمى المقعد ثم تضاف أحجار وتدية أخرى تكمل استدارة العقد ، و يسمى الحجر الخامس من كل جهة باسم الفوسوار أيضاً، و بعد ذلك تترص أحجار أخرى تنزل بالعقد من الناحيتين على كتف البناء أو على رأس العمود الحامل للعقد و يسمى هذان الطرفان برجلي العقد، و تعرف كل قطعة من قطع الحجر التي تكون العقد بالصنجة إذا كان العقد من الحجر، أما إذا كان من الآجر فتعرف بالمدماك و هذا الأخير يتكون من عدد من الآجرات توضع قائمة على هيئة تكون - في مجموعها - صنجة".¹ و من كلامه نفهم أن العقد يبدأ تشكيله من الوسط بجامبي المفتاح و نسير به إلى الأسفل من الجانبين.

و لقد حصرنا العقود بدراستنا في خمس أنواع هي : العقود النصف دائرية، و العقود المدببة المرتدة، و العقود المتقاطعة، و العقود الحدوية، و العقود الموتورة المنخفضة، و برغم هذا التعدد في أنواع العقود ، إلا أن أسلوب بناءها واحد تقريباً، و يعتمد بالدرجة الأولى على إعداد قوالب خشبية بنفس هيئة العقد، ثم تقوم ببناء العقد بقطع الآجر أو الطوب أو الحجارة، و من أهم العقود المستخدمة في نماذج دراستنا و أكثرها توظيفاً نجد العقد النصف دائري، الذي أنتشر في العالم الإسلامي من شرقه و غربه، و ليس سهلاً أن نستقر على أول من ابتكره أو الفترة التي ظهر فيها بالذات، لكن يمكن القول أن الآشوريين إستعملوه في أعتاب الأبواب لملائمته المباني المشيدة من الطوب، و نفس الشيء يقال عن بلاد الرافدين التي ظهر فيها منذ الألف الثاني ق.م، و قد أستخدم في بنائه اللبن و الطابوق أو الآجر²، بينما أقدم أثر إسلامي له ما زال قائماً حتى الآن - مسجد قبة الصخرة - إستمر إستعماله في البناء بعد ذلك بغير إقطاع كما في قصر الحير الغربي و قصر خربة المفجر ، و قصر المشتى ، و قصر الطوبة في بادية الأردن ، فضلاً عن دار الإمارة في الكوفة ، و مدينة عمان الأموية³.

¹ حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص121.

² الياور طلعت ، تأثيرات العناصر المعمارية البابلية على العمارة العربية ، الإسلامية ، بحث مقبول للنشر ، بغداد ، 1997م ، ص9-10.

³ الهومني سعد مجد ، العمارة الأموية في مدينة عمان في ضوء التنقيبات الأثرية ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، 2004م ، ص282.



شكل رقم (19): خطوات بناء العقود—نقلا عن : درديش ليلي، المداخل بالعمائر الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة لإتمام متطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2، 2012م، ص160..-

أما العقد الآخر المستعمل بكثرة كذلك فهو العقد المدبب المرتد، وقد وجد هذا العقد لأول مرة في قصر ابن وردان بالقرب من حمص عام 564 م، كما أنه لم يكن معروفا لدى الساسانيين، أما في الإسلام فقد وجدنا العقد المدبب في الجامع الأموي بدمشق (86-96هـ / 705-715م)¹.

¹ عدنان أحمد أبودية، العناصر المعمارية وأصولها في مسجد قبة الصخرة، مجلة المهندس، العدد 7، جامعة الأخوان، عمان، 1013م، ص14.

المبحث الثاني: الخصائص الرمزية للأضرحة و مقوماتها الفنية و المعمارية

أغلب الأضرحة تتشابه فيما بينها، أما إذا دققنا النظر في هندستها فقد نلاحظ بعض الإختلافات البسيطة التي تؤثر لا إطلاقاً على النمط العام للبناء منها: إتجاه الفتحات و الأضرحة بشكل خاص، الحجم، طول الجدران، علو القبة، وجود الزخارف الرمزية مثل النجمة و الهلال و التفايح (الكريات)، وجود الشرفات .

و الرمز هو ما دل على غيره، دلالة معاني مجردة على أمور حسية أو معاني متصورة¹. و عرف الأستاذ حافظ الأسود الرموز بأنها: "تعرف طبقاً للإستخدامات و الوظائف التي تؤديها...و الرموز موضوعات إجتماعية تستخدم كي تمثل أو تصور أو تحل محل شيء ما على أساس من الإتفاق بين الناس."².

1/ خصائص الأضرحة: من أجل الإشارة لأهم الميزات و العلامات الرمزية الفارقة بين العمارة الدينية الجنائزية و غيرها من العمار، إعمدنا بالدرجة الأولى على الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الرمزية في الأضرحة أو أشارت إلى ذلك، و تمثل عملنا نحن في جمعها و تلخيصها. و يمكن القول أن أغلب الأضرحة تتشابه فيما بينها، لكن لو تمعنا و دققنا النظر في هندستها فقد نلاحظ بعض الإختلافات البسيطة التي تؤثر إطلاقاً على النمط العام للبناء منها: الحجم، طول الجدران، علو القبة، وجود الزخارف الرمزية مثل النجمة و الهلال و التفايح (الكريات)، وجود الشرفات .

أ- اتجاه الأضرحة نحو القبلة: تتجه أغلب الأضرحة في الجزائر (إن لم نقل كلها) نحو جهة القبلة، بجعل الباب في جهتها، أما الأضرحة التي لا تتجه أبوابها نحو القبلة فنجد داخلها كوات أو محاريب للإرشاد إلى جهات القبلة³، و لم تغب هذه الخاصية عن أضرحة ولهاصة، إذ تم مراعاة فتح الأبواب في واجهتها الشرقية القبليّة، و لم يخرج عن هذا النطاق، سوى ضريح سيدي يعقوب الذي فتح بابه في الجهة الغربية المقابلة للبحر، و هذا راجع ربما إلى كون واجهته الشرقية ملتصقة بالمئذنة و الخلوة، و كذلك فقد فتح المدخل الرئيسي لغرفة الدفن بضريح سيدي رحمون في الجهة الجنوبية و هذا راجع بالضرورة لكون تخطيطه النهائي مستطيل و غرفة الدفن مسبوقة بمساحة مسقفة فتح مدخلها في الجهة القبليّة، و نفس الشيء يقال عن حويطة سيدي دحمان،

¹ عبد المنعم الحفني، المرجع السابق، ص384.

² حافظ الاسود، الأنثروبولوجيا الإتصالية، دار النسيم للنشر و الطباعة، الفيوم، 2010م، ص63.

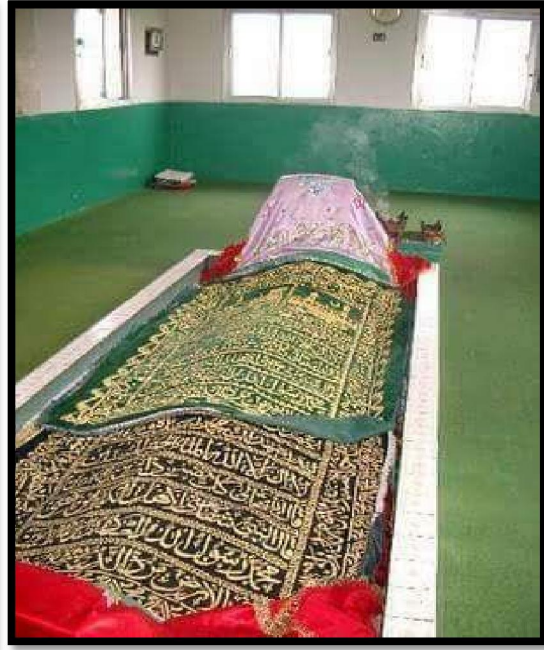
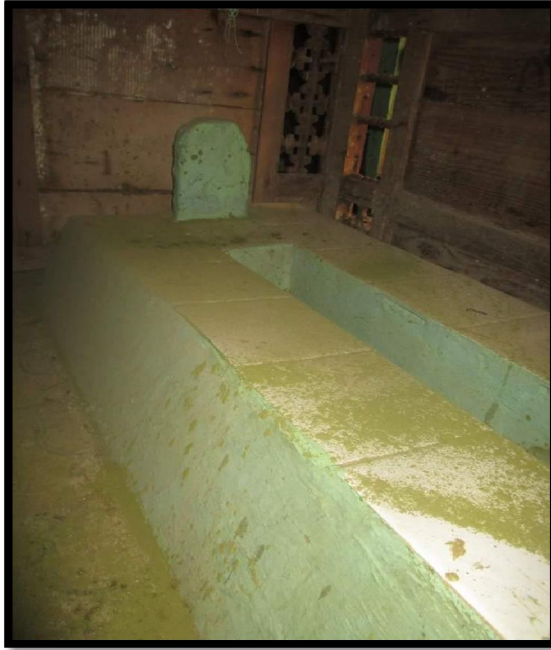
³ بعض النماذج من الأضرحة في الجزائر ينعدم بها توفر أي من الأشكال السابقة الدالة على القبلة، و إنما إكتفى المشرفون عليها باستعمال الطلاء لكتابة القبلة أو سهم أو وضعهما معا.

إذ فتح مدخله في الواجهة الجنوبية منه، و هذا راجع إلى رغبته في مقابلة شيخه سيدي العبدلي كما تقول الرواية المحلية، و للإشارة فإننا نقصد هنا بالأبواب المداخل الرئيسية المؤدية لغرفة الدفن مباشرة، و إلا فإن الكثير من الأفنية المحيطة بالأضرحة تم فتح أبوابها في غير جهة القبلة مثل الفناء المحيط بضريح سيدي محمد بن علي بالزاوية و سيدي محمد النجاري بسيدي رحمون، أما المساجد فكلها فتح فيها باب رئيسي في جهة القبلة - إحتوت بعض المساجد على مداخل ثانوية فتحت في واجهات أخرى- عدا مدخل مسجد سيدي محبوب المعاد الذي فتح بابه في الجهة الجنوبية.

ب- أهمية اتجاه اليمين: نلاحظ في أغلب الأضرحة في الجزائر ظاهرة توسيع جهة اليمين داخل الضريح، و هذا نظير تفاعل زواره بهذا الإتجاه، و لا يمكننا الجزم بأن هذه القاعدة قد طبقت بأضرحة و لهاصة، و هذا راجع بالدرجة الأولى إلى دفن شخصيات أخرى مع الشخصية الأصلية المدفونة به، أو نتيجة إعادة بناء و ترميم أضرحة أخرى.

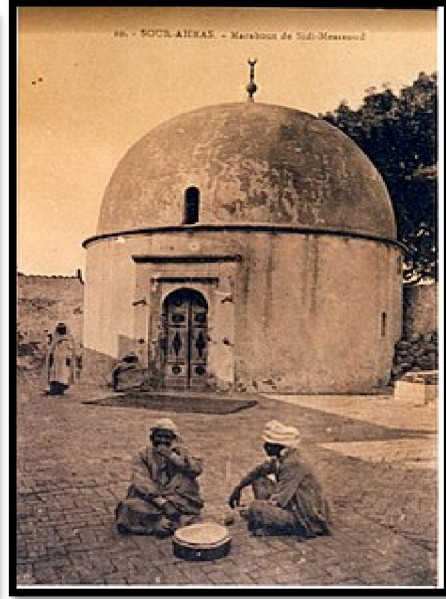
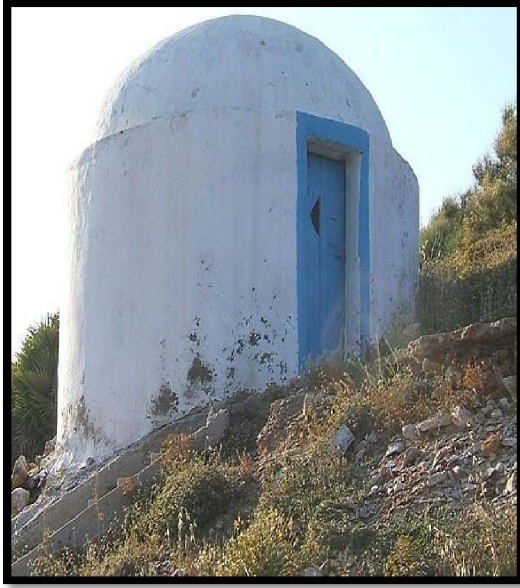
ت- الشكل العمودي للأضرحة: جاءت عدة أضرحة في الجزائر عمودية الشكل عكس الإمتداد الأفقي لكافة العمار الإسلامية¹، و تتميز هذه الأضرحة بعلوها المتوسط، و هذا راجع لرغبة المشيد في إبراز الضريح، و توسطت الأضرحة المدروسة في علوها، و مل يقال عنها أنها إرتفعت عن ما يجاورها من مباني، و يزيدا علوا قبتها المتجهة نحو السماء و هذا ما ساهم في بروز و ظهور هذه الأضرحة من بعيد، و يستثنى من هذا كله ضريح سيدي رحمون الذي إمتد أفقيا و طويلا، و هذا النوع من الأضرحة نجده كثيرا في الأضرحة ذات القبور الطويلة مثل ضريح سيدنا يوشع بدار يغمراسن قرب مدينة الغزوات، و ضريح الصحابي معن بن واردة بالقنطرة قرب بسكرة، و ضريح سيدي ميهوب بالمسيلة.

¹ باستثناء المئذنة أو الصومعة وما دخل معها و التي جاء امتدادها الراسي العمودي كضرورة مع وظيفتها.



لوحة رقم (98): صورتنا قبر الصحابي معن بن واردة بيسكرة (على اليمين) و سيدي ميهوب بالمسيلة (على اليسار) في الأعلى و قبر سيدنا يوشع بساحل الغزوات في الأسفل.

ث-الشكل التريبي للضريح: يغلب على الأضرحة في الجزائر الطابع التريبي (المربع و المستطيل، أو نسبيا و تقريبا من ذلك)، و قد برز نوع آخر من الأضرحة الدائرية في الشرق الجزائري خاصة مدينتنا عنابة و سوق أهراس، مثل ضريح سيدي مسعود الذي يعود للفترة العثمانية بسوق أهراس، و أضرحة سيدي أحمد لمقاتي.



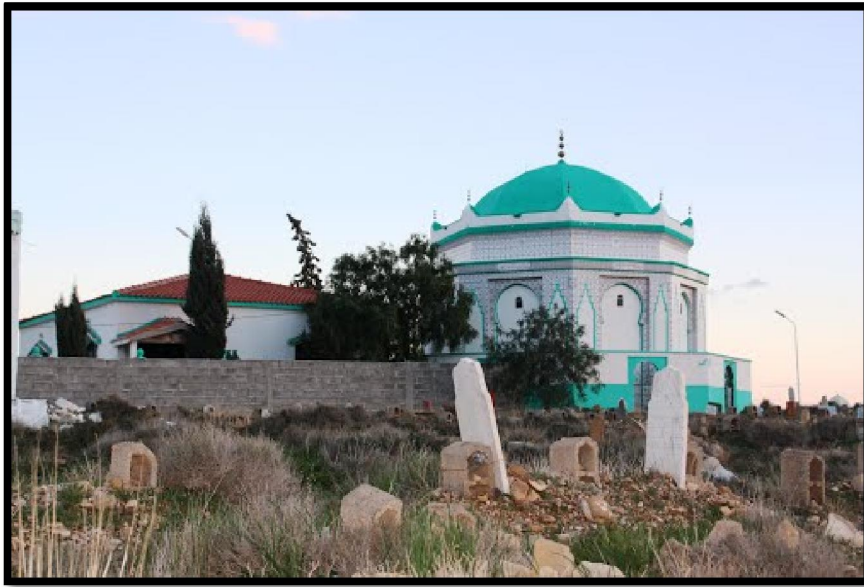
لوحة رقم (99) : صورتا ضريحا سيدي مسعود بسوق أهراس (على اليمين) - من الأرشيف الفرنسي على الأنترنت - و سيدي أحمد بعنابة - من موقع محلي لأحد هواة التصوير بالمنطقة - ذات المسقطان الدائريان

و كذلك نماذج قليلة بالغرب الجزائري مثل ضريح سيدي احمد المكي بسعيدة، جاء ضمن مجمع يضم ثلاث أضرحة إثنان منها مربعة، و هو دائري.



صورة رقم (126) : ضريح سيدي أحمد المكي بولاية سعيدة ذات المسقط الدائري على يسار الصورة

أو الأضرحة المئنة المسقط كضريح سيدي علي بن الحسن القاهري ببلدية أولاد بوغالم شرق مدينة مستغانم.



صورة رقم (127): ضريح سيدي علي بن الحسن ذات المسقط المئنة بولاية مستغانم

ج- ألوان الضريح: إستعان المشرفون على الأضرحة باللونين الأبيض و الأخضر غالبا لظليهما، و المعروف أن اللون هو تفاعل بين شكل من الأشكال و بين الأشعة الساقطة عليه، فأحيانا تطلّى الجدران بالأبيض و القبة بالأخضر كما هو الأمر في ضريح سيدي المدني، و أحيانا عكس ذلك كما هو الشأن في ضريح سيدي ورياش، و أحيانا يطلّى الضريح كلية بلون واحد مثل اللون الأخضر كضريح سيدي أحمد الأوشتاري، و صنع الإستثناء ضريح سيدي محمد النجاري، حيث جاء هيكله باللون الأبيض و تعلوه قبة ذو لون رمادي.

2/ الضعف الفني للأضرحة و أسبابه: عند المعاينة الفعلية لعدد من الأضرحة نلاحظ أمران:

- غير متناسقة معماريا.

- غير متكاملة فنيا.

و من أهم الدوافع¹ التي دفعت البناء لأن يقع في هاذين الأمرين نذكر:

- ضعف الإمكانيات المادية.

¹ هذه الدوافع وضعها الأستاذ بقسم الأنثروبولوجيا في جامعة مستغانم: عمور عفيف ، و أنا شخصيا لم أطلع على كتابه ، و لم أجد ه أصلا، فقط أحد الأصدقاء-موظف بإذاعة مستغانم- بعث لي صورة لنصف صفحة من هذا الكتاب تتضمن هذه الدوافع ، و حتى هو حسبته قد قام بتصويرها من النسخة الوحيدة التي إطلع عليها لهذا الكتاب.

- ضعف تصويره الفني.
- تقيده بنظام معماري متعارف عليه.
- الشبهة الدينية لاعتقاده ببدعة التزييق.
- و يمكن إضافة بعض العوامل الأخرى المقتبسة من هنا وهناك أو المستخلصة مثل:
- طبيعة البدو و إبتعادهم عن العمران كما ذكر ابن خلدون¹.
- غياب المدن و الأمراء عن الريف و إستقرارهم بعواصم معينة.
- عدم المغالاة بالبنيان في الأضرحة لأنها إنعكاس لحياة الولي البسيطة.

¹ عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص149.

الخاتمة

خاتمة

بعد تسليط الضوء على جزء من العمارة الدينية بمنطقة ولهاسة، تبين لنا غنى هذه الأخيرة بنماذج عديدة قابلة للدراسة و البحث، سواء النظري أو الميداني، و هذا ما حاولنا جاهدا الوصول إليه.

من أجل كل هذا فتشنا عن أهم المعطيات الجغرافية و التاريخية للمنطقة، و التي شكلت إضافة للإستقرار السياسي رغم تنوع السلالات الحاكمة لها، أهم عاملين لتحتل موقعا جاذبا للإستقرار و الإستثمار بها.

إن هاذين العنصرين إنعكسا إيجابا على المنطقة، فشهدت نهضة عمرانية و معمارية ، و هذا بعد تشكيل إطار إجتماعي متعدد الثقافات (شرفة- مرابطين- بربر- عرب- أندلسيين...).

من أهم العماير التي أخذت حيزا هاما من إهتمامات أهالي ولهاسة و حكامها الأضرحة و مساجدها، و هذا ضمن مساندة الحركة العلمية التي شهدتها المنطقة عبر فترات تاريخية متعاقبة.

ف وفاة ولي صالح أو عالم إستلزم على السكان تشييد ضريح على قبره، و هذا كله لترابط الخيال مع الحقيقة من جهة، و كذلك للإعتقاد بكرامات الولي من جهة أخرى.

و أهم ما نستنتجه من دراستنا هذه ، النقاط الآتية:

- منطقة ولهاسة كغيرها من المناطق التي تجمع بين المجالات الجبلية و الساحلية، أعتبرت حقلا خصبا للعمارة الدينية و في مقدمتها أضرحة الأولياء الصالحين، و ما إرتبط بها من مساجد و خلوات.
- الأضرحة لها أهمية إجتماعية و تاريخية و معمارية كبيرة ، إذ أعتبرت في أحيان كثيرة النواة الرئيسية لتشكيل التجمعات السكنية.
- إن المعطيات الجغرافية للمنطقة، حتمت على المعماري بها إهتمامه بالجوانب التقنية للعمارة، متجاوزا إلى حد بعيد التنميق و الزخرفة، إذ أهم وصف يمكن إطلاقه عليها هو البساطة .
- توفير المعماري في منطقة ولهاسة المجال المكاني الكافي حول الأضرحة، من أجل القيام بالمناسبات الموسمية و الإحتفالات الدينية، و الطقوس اليومية.
- الإعتماد على الشكل المربع الذي تعلوه قبة في إقامة الأضرحة، مقابل إتخاذ المساجد للشكل المستطيل لتوفير أكبر مساحة .

خاتمة

- تنوع الأضرحة و مساجدها ، في تخطيطها العام و تخطيط و حداتها و مختلف عناصرها المعمارية و الفنية، أدى بالضرورة إلى تنوع الطرز المعمارية لهذه الأخيرة.
 - شهدت المنطقة بحكم مكانها و مكوناتها الطبوغرافية و التضاريسية، و بحكم قربها من الساحل، تواجد عدد كبير من المواد البنائية، و ما إرتبط بها من تنوع في تقنيات البناء و التصنيع.
 - إن الهندسة المعمارية لأضرحة ولهاصة و مساجدها جاءت منسجمة مع روح البيئة الجغرافية و التاريخية.
 - إتسمت مختلف التصاميم بالزخارف النباتية أو الكتابية أو الرمزية، مع الإبتعاد الكامل عن الزخارف الحيوانية و الآدمية، إحتراما و إستجابة لمبادئ الدين الإسلامي.
- و في الأخير ما يسعنا إلا أن نأسف للوضع الذي آلت إليه الكثير من الأضرحة و المساجد بولهاصة، رغم الإهتمام الملاحظ من السكان المحليين، و الذي لم يتجاوز حد إعادة الطلاء أو التنظيف، مما يجعلنا نوصي في هذا المقام السلطات المحلية للإهتمام أكثر بهذا التراث الثقافي المهم للمنطقة ، خاصة إذا ما تم إعتاده في السياحة الدينية و المناسبات العديدة التي إشتهرت بها المنطقة.

قائمة

البيليوغرافيا

1/ المصادر و المراجع باللغة العربية :

1. القرآن الكريم.
- المصادر :
2. ابن أبي زرع علي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1999م.
3. ابن الأثير الجزري ، الكامل في التاريخ ، مطبعة القاهرة الوطنية ، القاهرة ، 2002م.
4. ابن الأثير الجزري ، البداية و النهاية ، المكتبة العلمية ، بيروت ، 1972م.
5. ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، المجلد 11 ، دار النفائس للنشر و التوزيع ، الرياض ، 2000م.
6. ابن حمادوش ، لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال (الرحلة) ، مؤسسة دكالة للنشر ، الرباط ، 2008م.
7. ابن حماد الصنهاجي ، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم ، تحقيق: أحمد البدوي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م.
8. ابن حوة بن يخلف مُجَدِّد ، منهاج بعض الشرفاء لأهالي غريس الخضراء ، تحقيق: بوعمامة يونس ، دار الأنوار البهية للطباعة ، مستغانم ، 2004م.
9. ابن حنبل احمد ، مسند الإمام احمد ، مؤسسة السنة للفنون الورقية ، المنامة ، 2010م.
10. ابن حوقل النصيبي أبي القاسم ، صورة الأرض ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، 1996م.
11. ابن حيان القرطبي ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، منشورات دار الآفاق ، الجديدة ، 1990م.
12. ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج7 ، دار الفكر ، بيروت ، 2004م.
13. ابن خلدون يحي ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تقديم تحقيق: عبد الحميد حاجيات ، ج1 ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1980م.
14. ابن رقية التلمساني ، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة ، كلية الآداب ، الجزائر ، 1977م.
15. ابن رويلة بن مُجَدِّد قَدُور ، ديوان العسكر المحمدي ، تحقيق : مُجَدِّد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، د ت.
16. ابن زاكور مُجَدِّد الفاسي ، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر و تطوان من فضلاء أكابر الأعيان ، دار نسيب للورقيات ، مكناس ، 2003م.
17. ابن زرفة الدحاوي ، الرحلة القميرية في السيرة المحمدية ، دار الوفد للنشر ، وهران ، 2005م.

18. ابن الزيات ، التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي ، تحقيق : أحمد التوفيق ، منشورات كلية الآداب بالرباط ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1997م.
19. ابن سحنون الراشدي ، الثغر الجماني في ايتسام الثغر الوهراني ، منشورات وزارة الثقافة والاتصال ، الجزائر ، 1981م.
20. ابن سعد ، الطبقات ، ج4 ، سلسلة إحياء التراث ، رقم 7 ، بيروت ، 2008م.
21. ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج 10 ، الدار المصرية للنشر ، القاهرة ، 1989م.
22. ابن مريم التلمساني المديوني ، البستان في ذكر العلماء و الأولياء بتلمسان ، طبعة دار الفقه المعرفي ، قسنطينة ، 1975م.
23. إبن مليح أبو عبد الله بن أحمد القيسي الشهير بالسراج ، أنس الساري و السارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال و المآرب سيد الأعاجم و الأعارب ، تحقيق : محمد الفاسي ، مطبعة محمد الخامس ، فاس ، 1970م.
24. ابن الملقن ، طبقات الاولياء ، تحقيق: نور الدين شريبة ، ط4 ، مكتبة الخانجي ، بيروت ، 1994.
25. ابن ميمون ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981م.
26. أبو راس الناصري ، الحلل السندسية في شأن وهران و الجزيرة الأندلسية ، دار صنين للطباعة و النشر ، طرابلس ، 2002م.
27. أبو راس الناصري ، فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته ، تحقيق: يونس كبير ، دار الفضائل للنشر ، معسكر ، 2000م.
28. إخوان الصفا ، رسائل إخوان الصفا و خلان الوفاء ، دار صادر ، بيروت ، د ت.
29. الإدريسي ، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق ، الديوان الوطني للمنشورات الجامعية ، الجزائر ، 1983م.
30. البكري أبي عبيد الله ، المغرب في ذكر افريقية و المغرب ، و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك ، دار الكتاب الاسلامي ، عمان ، 1999م.
31. البلاذري ، فتوح البلدان ، ج 5 ، دار المجد للنشر و التوزيع ، بيروت ، 2000م.
32. البيهقي ، المناقب: باب الإعتقاد ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1981م.
33. // // ، سنن البيهقي ، المؤسسة العالمية لإحياء التراث ، لندن ، 1999م.
34. التمنيطي محمد بن عبد الكريم ، جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني ، مخطوط بخزانة المطارفة ، د د ، د ت.
35. التنسي ، نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان و ذكر ملوكهم ، إصدارات المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1985م.

36. الجاحظ أبو عثمان عمر ، البيان و التبيين ، تحقيق: أحمد سلامة ، ج1 ، دار الفردوس للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1995م.
37. الجنيد أبو القاسم بن مُجَدِّد ، حلية الأولياء ، ج1 ، مركز الإمام الجنيد للدراسات و البحوث الصوفية المتخصصة ، وجدة ، 2006م.
38. الحميري عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خير الأقطار ، مؤسسة ناشر للثقافة ، بيروت ، 1980 م.
39. خوجة حمدان ، لمحة تاريخية و إحصائية عن إيالة الجزائر، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1999م.
40. الزركشي مُجَدِّد بن عبد الله ، إعلام الساجد بأحكام المساجد ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2007م.
41. الزهار الحاج احمد ، مذكرات احمد الشريف الزهار نقيب الأشراف ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2011 م.
42. السخاوي أبو الحسن ، تحفة الأحباب و بغية الطلاب في الخطط و المزارات و التراجم و البقاع و المباركات ، المكتبة البولاقية ، بولاق ، 2000م.
43. السعدي ، تفسير السعدي ، ج2 ، دار النفائس للطباعة و النشر ، جدة ، 1996م.
44. السمهودي المصري ، وفاء الوفا ، تحقيق: مُجَدِّد محي الدين عبد الحميد ، ج2 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1981م.
45. السيوطي عبد الرحمان ، بذل المجهود في خزانة المحمود ، مخطوط ، المكتبة الأزهرية ، القاهرة ، 1989 م.
46. // // ، الدر المنثور ، ج4 ، دار الإحسان لأعمال النشر و الطباعة ، عمان ، 2004م.
47. الشاطبي ، الإعتصام ، تحقيق: عمر العمراني ، دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع ، الرياض ، 2008.
48. الشافعي ، الرسالة ، ج3 ، مكتبة الحلبي ، القاهرة ، 1940م.
49. الشفشاوني مُجَدِّد بن عسكر الحسيني ، دوحة الناشر محاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، ط2 ، تحقيق: مُجَدِّد حجي ، دار الغرب للتأليف و الترجمة و النشر ، الرباط ، 1977م.
50. الشرقي أبو الطيب ، رحلة الشرقي ، تحقيق: نور الدين شوبد ، دار السويدي للنشر ، دبي ، 2013.
51. الطاهري مولاي أحمد ، نسيم النفحات من أخبار توات و من بها من الصالحين و العلماء و الثقات ، تحقيق: عبد الله الطاهري ، دار المسكات ، 2010 م ، بشار.
52. العبادي مُجَدِّد ابن العباس التلمساني ، تحقيق المقال و تسهيل المنال في شرح لامية الأفعال ، تحقيق و دراسة: مُجَدِّد الناصيري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1971م.

53. العشاوي أحمد ، السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في اسهاب اهل البيت المطهر، الكتاب الثاني ، المطبعة الخلدونية ، تلمسان ، 1961.
54. الغبريني أبو العباس أحمد ، عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة ببجاية ، تحقيق: راجح بونار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981م.
55. الفكون بن عبد الكريم ، منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم و الولاية، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987 م.
56. القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج 10 ، تسنيم الشرق للكتاب ، مسقط ، 2005م.
57. القشيري أبو القاسم ، الرسالة ، تحقيق: عبد الحليم محمود و محمود بن الشريف ، مطابع مؤسسة الشعب للصحافة و الطباعة و النشر ، القاهرة ، 1989م.
58. الفلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.
59. كاربخال مارمول ، إفريقيا ، ج2 ، تر: مُجَّد حجي ، الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر ، 1989م.
60. لوتيليو الأب ، المعالم العشرون لغرب وهران ، تر: سعاد ماحي ، دار مالك بن نبي ، وهران ، 1974.
61. مؤلف مجهول ، رسائل موحدة: مجموعة جديدة ، تحقيق: أحمد العزاوي ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، الفينطرة ، 2005م.
62. // // ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م.
63. مسلم بن عبد القادر ، خاتمة أنيس الغريب و المسافر : تاريخ بايات وهران المتأخرة ، دار الميراج للطباعة و النشر ، باتنة ، 1974 م .
64. مسلم ، صحيح مسلم ، ج9 ، ط2 ، الأنيس للعمل الورقي و الطباعة ، تونس ، 2000م.
65. المشرفي عبد القادر ، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبنني عامر ، منشورات الكراسك ، وهران ، 2012م.
66. المقريزي تقي الدين ، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، د.ت.
67. المقري ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، مؤسسة المجد ، الرياض ، 1996م.
68. المناوي مُجَّد ، فيض القدير ، ج5 ، مؤسسة الرسالة للنشر و الطباعة و التوزيع ، القاهرة ، 2015.
69. النبھاني ، جامع كرامات الأولياء ، دار الشرق للنشر ، دمشق ، 2000م.
70. النووي ، تهذيب الأسماء و الصفات ، دار البشرى للنشر و التوزيع ، تونس ، 1998م.
71. الهمذاني ، الأوتاد البالية ، مخطوطة محفوظة في مكتبة الملك سعود تحت رقم : 475 ج 112 ، متاحة على موقع المكتبة في الأنترنت.

72. الواقدي مُجَّد ابن عمر ، فتوح إفريقية ، تحقيق: أحمد المهنا ، ج 2 ، مطبعة و مكتبة المنار ، تونس ، 1966م.
73. الوزان الحسن ، وصف إفريقيا ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983م.
- المراجع:
74. الأسود حافظ ، الأنثروبولوجيا الإتصالية ، دار النسيم للنشر و الطباعة ، الفيوم ، 2010م.
75. أحمد مصطفى ، تشكيل الخشب ، دار الفكر العربي ، عمان ، 1990م.
76. أوقطاي أصلان آبا ، فنون الترك و عمائرهم ، تر: أحمد مُجَّد عيسى ، مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية ، إسطنبول ، 1987م.
77. الباشا حسن ، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1984م.
78. بن بريكة مُجَّد البوزيدي الحسني ، التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان ، موسوعة الحبيب للدراسات الصوفية ، الكتاب الأول ، دار المتون للنشر و الترجمة و الطباعة و التوزيع ، 2006م.
79. بن قرية صالح ، علم الآثار و الهوية المغربية ، دار الهدى ، عين مليلة ، 2012.
80. بن يخلف عبد القادر ، ولهاصة: تاريخ و أصالة ، دار الرحمة للنشر و الطباعة ، وهران ، 1968م.
81. بحيدي حسان و مُجَّد عبد القادر ، الزوايا و دورها في حفظ المخطوطات ، منشورات كلية العلوم الإنسانية ، جامعة وهران ، 2000م.
82. بركات حليم ، المجتمع العربي المعاصر: بحث إستطلاعي إجتماعي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط3 ، القاهرة ، 1986م.
83. بلعالم مُجَّد باي ، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و ما يربط توات من الجهات ، دار هومة ، الجزائر ، د.ت.
84. البلغيثي مولاي عبد الكبير ، إتحاف اللبيب ، مطبوع مع ديوان الشيخ ، دار الرشاد الحديثة ، طنجة ، 2011م.
85. بونار رابح ، المغرب العربي: تاريخه و ثقافته ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981م.
86. بوزيان عبد القادر مُجَّد ، صفوة البيان في أحكام الإقامة و الآذان ، دار النصر للطباعة ، الرباط ، 2013م.
87. بوزير عمار مُجَّد ، الآثار الإسلامية بالجزائر: مسجد سيدي غانم نموذجاً ، دار الألوكة ، بيروت ، 2010م.
88. التدمري عبد السلام ، الرباط و المرابطون ، مطابع دار البلاد ، طرابلس الشرق ، 1978م.

89. توفيق عبد الجواد ، تاريخ العمارة و الفنون الإسلامية ، ج 3 ، المطبعة الحديثة ، القاهرة ، 1972م.
90. جونجمان هنري كريس ، النجارة العامة ، تر:عبد المنعم عاكف ، دار الأهرام للنشر ، القاهرة ، 1970م.
91. حجي مُجَّد ، الزاوية الدلائية و دورها الديني و العلمي و السياسي ، مطبعة النجاح الجديدة ، 1988م.
92. الحدَّاد مُجَّد حمزة ، الرواق في العمارة الإسلامية بمكة المكرمة: دراسة تاريخية أثرية ، سلسلة العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية ، ج3 ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 2004م.
93. // // ، دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ، سلسلة العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية ، ج9 ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 2005م.
94. الحربي ممدوح ، الصوفية و طرقها ، دار الوفاء للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2001م.
95. حرب أديب ، التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر ، دار هومة للنشر ، الجزائر ، دت.
96. حسن محمود احمد ، قيام دولة المرابطين: صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، دت.
97. حملاوي علي ، نماذج من قصور منطقة الأغواط: دراسة تاريخية أثرية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2006م.
98. خليفة ربيع حامد ، الفنون الإسلامية في العصر العثماني ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 2001م.
99. دودو أبو العيد ، الجزائر في مؤلفات الرحالة الإسبان (1830م-1855م) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989م.
100. دونوفو ايدوارد ، الإخوان دراسة اثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر ، ترجمة: كمال فيلاي ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2003م.
101. رجب أحمد ، تاريخ و عمارة المزارات و الأضرحة الأثرية الإسلامية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 2005م.
102. رقيق ميلود ، عين تموشنت عبر العصور ، دار الكتاب العربي ، فرع سطيف ، 2010م.
103. زيعور علي ، العقلية الصوفية و نفسانية التصوف ، سلسلة : التحليل النفسي للذات العربية ، الكتاب الخامس ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، 1979م.
104. زهران أحمد ، فنون أشغال المعادن و التحف ، المكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1965م.
105. سالم عبد العزيز ، المغرب الكبير: العصر الإسلامي دراسة تاريخية و عمرانية و أثرية ، موسوعة تاريخ المغرب الكبير ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م.

106. سامح كمال الدين ، العمارة في صدر الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1991 م.
107. السباعي شقر مولاي أحمد ابن مولاي المأمون ، الإبداع و الإبداع في تزكية شرف أبناء أبي السباع ، مطبعة الجنوب ، الدار البيضاء ، 1994 م.
108. سعد الله ابو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2002 م.
109. سعد زغلول عبد الحميد ، العمارة و الفنون في دولة الإسلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2004.
110. شاوش محمد رمضان ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 م .
111. الشهابي قتيبة ، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1996.
112. الشهري محمد هزاع ، عمارة المسجد النبوي منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكي ، دار القاهرة للكتاب ، القاهرة.، 2005.
113. الطهراني آغا بزك ، الذريعة ، ج 16 ، دار الإرشاد للكتب ، طهران ، 1981 م ، ص 38.
114. الطيار عبد الغني الإدريسي ، الأشراف في ترجمة القاضي حشلاف ، مطبعة الاستقامة ، مستغانم ، 1972 م.
115. الطيف أحمد الفقيه ، المنستير و بطل التحرير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1962 م.
116. العدلوني محمد ، نصوص من التراث الصوفي في الغرب الإسلامي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 2008 م.
117. عزوق عبد الكريم و آخرون ، زوايا و مدارس الجزائر: دراسة أثرية معمارية فنية ، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الإجتماعية و الثقافية ، وهران ، 2014.
118. عقاب محمد الطيب ، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2002 م.
119. عميرة عبد الرحمن ، التصوف الإسلامي منهجا و سلوكا ، مكتبة الأزهرية ، القاهرة ، د.ت.
120. عميري إبراهيم ، مواد و تقنيات العمارة القديمة ، منشورات المديرية العامة للآثار و المتاحف ، دمشق ، 2010 م.
121. غاسبري ميساننا ، المعمار الإسلامي في ليبيا ، تعريب: علي الصادق حسنين ، دد ، دم ، 1973 م.

122. الغماري أحمد عبد الله الصديق ، إحياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور ، و يليه : إعلام الراكع الساجد بإتخاذ القبور مساجد ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ، 2008م .
123. فكري أحمد ، المسجد الجامع بالقيروان ، مطبعة المعارف ، القاهرة ، 1936 .
124. فيلالى مختار القاهر ، نشأة المرابطين والطرق الصوفية و أثرها في الجزائر خلال العهد العثماني ، دار الفن الجرافيكى للطباعة و النشر ، باتنة ، 1984م .
125. القابسي نجاح ، المشاهد و المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامى ، مجلة الثقافة العربية ، طرابلس ، 1982م .
126. قارى لطف الله ، إضاءة زوايا جديدة للتقنية العربية الإسلامية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 1996م .
127. قداش محفوظ و صارى جيلالى ، الجزائر صمود و مقاومات 1830-1962 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2012 .
128. القزوينى المهدي ، القاضي الحق في رد الأخباريين ، ط3 ، مكتبة الرشيد ، النجف ، 2001م .
129. كرىزول ، الآثار الإسلامية الأولى ، تر: عبلة عبد الهادي ، دار الروعة للنشر ، دمشق ، 1984
130. كىفتشن على شود ، الولاية و النبوة عند الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى ، تر: أحمد الطيب ، دار الشروق ، القاهرة ، 2004م .
131. لقبال موسى ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1979م .
132. // // ، عقبه بن نافع الفهرى ، الموسوعة التاريخية للشباب ، الجزائر ، 1985م .
133. لمعى صالح ، التراث الإسلامى في مصر ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، 1987 .
134. // // ، القباب في العمارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 2013م .
135. ماهر سعاد ، مساجد من السيرة النبوية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1987م .
136. محفوظى عامر بن المبروك ، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نايل ، مطبعة النعمان ، الجزائر ، 2000 م .
137. مجموعة مؤلفين ، خواص و إختبارات مواد البناء: تقنية معمارية ، المؤسسة العامة للتعليم الفنى و التدريب المهني ، الرياض ، دت .
138. مرزوق عبد العزيز ، الفنون الإسلامية في المغرب و الأندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1987م .
139. مؤنس حسين ، المساجد ، رقم 37 ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة و الفنون و الأداب ، الكويت ، 1978م .

140. الموسوي مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة و تطور المدن العربية الإسلامية ، مطبعة دار الجبل ، بيروت ، 1923م.
141. المومني سعد مُجَّد ، العمارة الأموية في مدينة عمان في ضوء التنقيبات الأثرية ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، 2004م.
142. الميللي مبارك مُجَّد ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1979م.
143. نسيب مُجَّد ، زوايا العلم و القرآن بالجزائر، دار الفكر ، الجزائر ، 2010م.
144. نيكلسون ، نظرة تاريخية في أصل التصوف و تطوره ، ترجمة أبي العلا عفيفي ، دار الشمال ، القاهرة ، 1947م.
145. نللي سلامة العامري ، الولاية و المجتمع ، ط 2 ، دار الفرابي ، بيروت ، 2006 م.
146. الياور طلعت ، تأثيرات العناصر المعمارية البابلية على العمارة العربية ، الإسلامية ، بحث مقبول للنشر ، بغداد ، 1997م.
- الموسوعات و المعاجم و القواميس :
147. ابن منظور أبي عبيد الله بن مكرم ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1986م.
148. ابن المجذوب عبد الكبير بن عبد الرحمان الفاسي ، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان و حوادث السنين ، موسوعة أعلام المغرب، ج6 ، تحقيق: مُجَّد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1996م.
149. الألوسي شهاب الدين ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، ج10 ، دار إحياء التراث ، بيروت ، 1985م.
150. أنقولا نقاش ، دائرة المعارف: مادة آجر ، مج1 ، دار الوطن للنشر ، بيروت ، 1956م.
151. البخاري ، موسوعة الحديث النبوي الشريف: الصحاح ، السنة ، المسانيد ، موقع روح الاسلام ، الإصدار الثاني ، 2007م.
152. البورنو مُجَّد صدقي ، الموسوعة الفقهية ، ج1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2003م.
153. الحفني عبد المنعم ، المعجم الصوفي: الكتاب الشامل لألفاظ الصوفية و لغتهم الاصطلاحية و مفاهيمهم و معاني ذلك و دلالاته ، دار الرشد ، القاهرة ، 1997م.
154. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ، معجم البلدان ، المجلد الثاني ، دار صادر ، بيروت ، 1980 م.
155. خيدوسي رابح و آخرون ، موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريون ، دار الحضارة ، ج2 ، الجزائر ، 2003م.

156. الرازي فخر الدين ، مختار الصحاح ، ضبط و تخريج و تعليق: مصطفى البغا ، دار الهدى للطباعة ، الجزائر، 1992 م.
157. رزق مُحمَّد عاصم ، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية ، مطبعة مدبولي ، القاهرة، 2000م.
158. الزمخشري جار الله محمود ، أساس البلاغة ، تحقيق: عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ، د ت.
159. الزبيدي مُحمَّد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د ت.
160. غالب عبد الرحيم ، موسوعة العمارة الإسلامية ، بروس برس ، بيروت ، 1988.
161. الفيومي أحمد بن مُحمَّد المقري ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، تحقيق: عبد العظيم الشناوي ، ط 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 2000م.
162. قلعجي مُحمَّد رواس ، معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ، 2000م.
163. مُحمَّد المعيدي ، دائرة المعارف الإسلامية ، تر: أحمد الشنتاوي ، طبعة بيروت ، وزارة المعارف ، 1988م.
164. ماسينيون ، دائرة المعارف الإسلامية ، مادة تصوف ، تعريب: طارق الحدسي ، طبعة 2004م.
165. وزير يحي ، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية ، الكتاب الثاني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1999م.

- المجلات و الدوريات :

166. أبودية عدنان أحمد ، العناصر المعمارية وأصولها في مسجد قبة الصخرة ، مجلة المهندس ، العدد 7 ، جامعة الأخوان ، عمان ، 1013م.
167. بن بلّة خيرة ، منابر مساجد الجزائر في العهد العثماني: دراسة أثرية فنية ، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب ، العدد 13 ، القاهرة ، 2012.
168. بن بية عبد الله محفوظ ، سبل الاستفادة من النوازل و العمل الفقهي في التطبيقات المعاصرة ، مجلة مجمع الفقه الإسلامي ، ج 2 ، عدد 11 ، منظمة المؤتمر الإسلامي ، جدة ، 2006م.
169. بن حمو مُحمَّد ، الحصون و المحارس بضواحي تلمسان: دراسة إحصائية لبعض النماذج ، مجلة منبر التراث الأثري ، العدد 2018 ، 6م ، ص 98.
170. بن نعمان إسماعيل ، حرفة البناء ببلاد المغرب الأوسط: تقنية الطابية أنموذجا ، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، العدد 4 ، مخبر البحوث الإجتماعية و التاريخية ، الجزائر ، 2013م.

171. بيدي مُجَّد ، الخصائص العامة لقصور الجنوب الغربي الجزائري: فصور عين الصفراء
أنموذجا ، مجلة دراسات ، المجلد الخامس ، العدد الأول ، جامعة بشار ، 2016م.
172. الحريري راشد مُجَّد فتحي ، كرامات الأولياء بين الوهم والحقيقة ، مجلة الفيصل ، العدد
211 ، الرياض ، 1994 م.
173. حمدوش زهيرة ، السقف الخشبي بالجزائر خلال الفترة العثمانية ، مجلة المعيار ،
المجلد التاسع ، العدد الأول ، 2018م.
174. حمد بن ياسر البحريني ، البدع و الخرافات و التقاليد و العادات عند الشيعة ، نشر: مُجَّد
رشيد رضا ، مجلة المنار الجزء الرابع ، المجلد الثالث عشر ، بغداد ، د ت.
175. الجادرجي رفعت ، التراث ضرورة ، مجلة إتحاد المهندسين العرب ، العدد 37 ، الأمانة
العامة لإتحاد المهندسين العرب ، بغداد ، 1985م.
176. رسلان عبد العزيز ، نشأة المئذنة ، مجلة الدارة ، عدد 7 ، جامعة الفيوم ، 2015م.
177. ساحي أحمد ، أحمد بن إدريس الأيلولي و دور زاوية في التراث العربي الإسلامي ، مجلة
الدراسات التاريخية ، العدد 7 ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1993م.
178. سالمبي نور الدين ، تقنيات بناء القصور بواحة فركلة ، مجلة المهندس ، العدد 23 ، مركز
الرازي للبحوث الهندسية ، مراكش ، 2000م
179. السلاني عبد الغني ، القباب في العالم الإسلامي ، مجلة التراث ، مجلد 7 ، عدد 12 ،
الخرطوم ، 2000م.
180. سيدي عابد عبد القادر ، التصورات الثقافية للعلاج التقليدي لدى زوار الضريح: مقارنة
سيكو أنثروبولوجية ، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع ، العدد 5 ، جامعة حسيبة بن
بوعلي ، الشلف ، 2017م.
181. شلوق فتيحة ، دراسة أثرية و معمارية لمسجد الخدري ، مجلة كلية الآداب و العلوم
الإنسانية ، العدد الرابع ، جامعة بسكرة ، 2009م.
182. عباس رضوان ، أكوام الحجارة المقدسة: الكركور أنموذجا ، مجلة التغير الإجتماعي و
العلاقات العامة في الجزائر ، العدد الثالث ، جامعة مُجَّد خيضر ، بسكرة ، د ت.
183. قرمان عبد القادر ، الدعائم و الحوامل في العمارة الإسلامية: دراسة نموذجية ، مجلة
آثار ، العدد 8 ، معهد الآثار ، الجزائر ، 2011م.
184. لعرج عبد العزيز ، الكتابات الأثرية في البلاطات الخزفية بضريح سيدي عبد الرَّحمان
الثعالبي ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد الثالث ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر.
185. مطروح أم الخير و دحماني صبرينة نعيمة ، الأضرحة بمدينة تلمسان: دراسة نموذجية ،
مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية ، العدد 10 ، جامعة لخضر حمة ، واد
سوف ، 2016 م.

- الملتقيات :

186. مُجَدِّ بَدَّاد ، إسهامات الفكر الصوفي الجزائري في إثراء الثقافة العربية الإسلامية ، الملتقى الوطني حول "أمجاد الفكر الصوفي الجزائري" ، دار الثقافة ، عين تموشنت ، 2011.

- الرّسائل و المذكرات الجامعية :

187. بديرينة ذيب ، المنابر الرخامية بمساجد الجزائر خلال العهد العثماني ، مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية ، معهد الآثار ، جامعة بوزريعة ، الجزائر ، 2010م.

188. بركة فاطمة الزهراء ، دراسة قصص لأولياء الصالحين المحليين بين الواقع و الأسطورة ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الشعبي ، قسم الأدب و اللغة العربية ، جامعة حمة لخضر ، الوادي ، 2015م.

189. بعارسية صباح ، حركة التصوف في الجزائر خلال القرن 10هـ/16م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 2006م.

190. بن بلة علي ، المصنوعات الخشبية بقصور قصبه الجزائر في أواخر العهد العثماني ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2 ، 2003م.

191. بن فضيل خديجة ، وعدة سيدي المُحَدِّ الواسيني بمغنية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية ، قسم التاريخ ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2016م.

192. بن سويسي مُجَدِّ ، العمارة الإسلامية الدينية بمنطقة تمنطيط: دراسة تاريخية و أثرية و معمارية ، مذكرة لإتمام متطلبات نيل الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2008م.

193. بن شامة سعاد ، المنشآت المعمارية الأثرية بمدينة البليدة: دراسة معمارية أثرية ، مذكرة لإتمام متطلبات الحصول على الماجستير ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2009.

194. بن لباد الغالي ، الزوايا في الغرب الجزائري: دراسة أنثروبولوجية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في الأنثروبولوجيا ، كلية الآداب و العلوم الاجتماعية و الانسانية ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 2009م.

195. بوخلخال خديجة ، قصر تاجموت بولاية الأغواط: دراسة أثرية و معمارية ، مذكرة لإتمام متطلبات الماجستير في الآثار الصحراوية و الريفية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2011م.

196. تنبريت نصيرة ، العمارة الدينية والمدنية بمدينة المدية خلال العهد العثماني: دراسة تاريخية و أثرية ، مذكرة لإتمام متطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، الجزائر ، 2009.

197. تسكورت يمينة ، الآثار الاسلامية المادية و اللامادية لمنطقة تيبازة خلال الفترة العثمانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الاسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر2 ، 2015م.
198. جلال جميلة ، الأعمال المعمارية للداي مصطفى باشا في مدينة الجزائر و ضواحيها من خلال وثائق الأرشيف و المعالم القائمة: دراسة معمارية و أثرية و فنية ، مذكرة لإتمام متطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر2 ، 2012م.
199. حجاري درية ، العمارة التقليدية الريفية بالأوراس: القنطرة-غوفي-أنموذجا ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراة في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة أبي القاسم سعد الله ، الجزائر ، 2017م.
200. حساني مختار ، الصراع بين الأمويين و الفاطميين على السيادة في المغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/10م ، مذكرة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة ، معهد علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ، 1978م.
201. خنقوق إسماعيل ، دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس (1844م-1931م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2011م.
202. دحدوح عبد القادر ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني: دراسة عمرانية أثرية ، رسالة مقدمة ضمن متطلبات الدكتوراة في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة بوزريعة ، الجزائر ، 2010م.
203. دحماني جمعية ، مسجد القليعة سيدي علي بن مبارك: دراسة أثرية معمارية و فنية ، مذكرة لإتمام متطلبات الحصول على شهادة الماجستير في الآثار العثمانية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر2 ، 2013م.
204. دحمون منى ، قصر بوسمغون بولاية البيض: دراسة أثرية تحليلية ، مذكرة لإتمام متطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر2 ، 2005م.
205. درديش ليلي ، المداخل بالعمائر الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني ، مذكرة لإتمام متطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر2 ، 2012م.
206. رابح فيسة مُحَمَّد ، العمران الريفي في منطقة بني سنوس (تلمسان) : دراسة تاريخية أثرية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر2 ، 2014م.
207. راجعي زكيّة ، مساكن الفحص بمدينة الجزائر في العهد العثماني: دراسة أثرية معمارية و فنية ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراة في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2007م.

208. لعرج عبد العزيز ، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية: دراسة أثرية ومعمارية و فنية، رسالة مقدمة لاتمام متطلبات دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 1999.
209. شهبي عبد العزيز ، مساجد أثرية في منطقتي الزاب و وادي ريغ ، بحث مقدم لاتمام متطلبات دكتوراه الحلقة الثالثة في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 1985م.
210. كريم الطيب ، المعالم المعمارية الإسلامية في إقليم الزاب الشرقي :دراسة تاريخية و أثرية ، مذكرة مكملة لمتطلبات الماجستير في الآثار الصحراوية ، قسم الآثار الصحراوية ، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2009م
211. لعزازي عتيق رفيقة ، مواد و تقنيات البناء بالجزائر خلال العهد العثماني ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2 ، 2013م.
212. ليهم زينب ، المساجد الريفية بمنطقة بجاية: دراسة معمارية أثرية ، مذكرة لإتمام متطلبات شهادة الماجستير في الآثار الريفية و الصحراوية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2 ، 2011م
213. مباركي عبد المجيد ، قصر مغرار التحتاني: دراسة أثرية و معمارية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية ، كلية الآداب و العلوم الإجتماعية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2001م.
214. عبلول شافية ، الأطلس الأثري لولاية برج بوعرريج: العصر القديم و الإسلامي ، مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2011م.
215. عمر محمد الأمين ، مواد البناء و تقنياته بالمغرب الأوسط ، مذكرة مقدمة لإتمام متطلبات نيل الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2 ، 2001م.
216. عطية مصطفى فادية ، عمائر القاهرة الجنائزية: دراسة أثرية معمارية ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية ، قسم الآثار الإسلامية ، جامعة القاهرة ، 2003م.
217. مصباحي عبد العزيز ، خطاب الزوايا في الجزائر الزاوية التجانية أنموذجا دراسة تداولية ، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه في الأنثروبولوجيا ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، 2012م.
218. مكحلي محمد ، سيدي بلعباس البوزيدي ولي و ولاية: دراسة تاريخية أنثروبولوجية ، مذكرة مقدمة لإتمام متطلبات نيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا ، قسم الثقافة الشعبية ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 1999م.

219. مهتاري فائزة ، أضرحة الاولياء في الغرب الجزائري ، اطروحة مقدمة لنيل الدكتوراة في الفنون الشعبية ، قسم الثقافة الشعبية ، كلية الاداب و العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة ابو بكر بلقايد ، تلمسان ، 2006.

220. موشموش مُجَّد ، مساجد مدينة تنس: دراسة تاريخية أثرية معمارية ، مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماجستير في الاثار الإسلامية ، معهد الأثار ، جامعة الجزائر ، 2009م.

- الجرائد و الحصص الوطنية :

221. ابن سنوسي بوزيان ، مسجد سيدي يعقوب...أسطورة الإسبان و رواية الخشب ، قناة الشروق ، 02 جويلية 2015.

222. برحيل عبد السلام ، مسجد "سيدي يعقوب" ببلدية ولهاسة: معلم تاريخي عمره 7 قرون ، جريدة الشروق اليومي ، العدد 1517 ، 2005م.

223. ولد الطاهر الخير ، العمارة المرابطية ، جريدة الإنتصار الأسبوعية ، عدد 52 ، نواكشوط ، 1989م.

224. ماني حبيب ، مفهوم البحر في الثقافة الشعبية بوهران ، جريدة الخبر ، العدد 2625 ، السنة التاسعة ، 1999م.

- التقارير و الوثائق و الشهادات الشفهية :

225. وثيقة أرشيفية عثمانية موجودة بمتحف الشلف ، تحمل رقم 1478 حد 45.

226. وثيقة مخطوطة محفوظة عند الدكتور مُجَّد طيب بزواية سيدي المهاجي بالشلف.

227. مخطوطات العقود و الأوقاف والميراث ، خاصة بالزوايا الأربع (الشاذلية سيدي يعقوب ، العيساوية بسيدي الجازولي ، الطيبية بالشهبانة ، سيدي ورياش)

228. مقابلة مسجلة مع سيدي يعقوب عبد الوهاب ، مقدم و إمام زاوية سيدي يعقوب ، 25 ديسمبر 2016.

229. مقابلة مسجلة بشير بسايح ، المشرف على مفاتيح المسجد الأثري ببني زهنة ، 26 أوت 2016م.

- المواثيق و المراسيم و القوانين:

230. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، قانون رقم 84-09 الصادر في يوم 8

فبراير 1984م المؤرخ بتاريخ 4 فبراير 1984م والمتعلق بالتنظيم الإقليمي للبلاد ، العدد 5 ، المادة 50 ، ص 152.

- المواقع الإلكترونية:

231. موقع الوكالة الوطنية للتنمية السياحية :

<http://www.andt-dz.org/ar>

232. موقع مديرية الإدارة المحلية لولاية عين تموشنت :

http://www.wilaya_aintemouchent.dz/secteurs/direction-administration-locale

233. موقع " سيدي يعقوب " :

<http://oulhassa.e-monsite.com/pages/articles-arabes/sidi-yacoub>

234. موقع الأرشيف الفرنسي :

<https://francearchives.fr/>

235. موقع قناة القدس التلفزيونية :

<https://www.altkia.com/al-quds/>

236. موقع "مساجدنا" :

<http://www.msajedna.ps/>

237. موقع وزارة الثقافة التونسية:

<https://www.culture.gov.tn/>

238. موقع وزارة الأوقاف المغربية:

<http://www.habous.gov.ma/>

239. موقع مؤسسة المعصومة للفكر الإباضي بغرداية

<http://www.maasooumma.dz>

240. مدونة الفنون الإسلامية في تونس:

<https://islamicarchaeology.blogspot.com/>

- المصادر الإدارية :

241. مديريات : الثقافة ، الشؤون الدينية و الأوقاف ، الإدارة المحلية ، السياحة ، مسح الأراضي ، البناء و التعمير لولاية عين تموشنت.

242. مديرية الثقافة لولاية المدية.

243. الديوان الوطني لحماية الممتلكات الثقافية: الدائرة الأثرية بعين تموشنت.

244. الأرشيف الجهوي — عين تموشنت -

245. دائرة ولهافة الغرابة (المصلحتان التقنية و التنظيم العام)

246. بلديتا : سوق الإثنيين و سيدي ورياش (المصلحتان التقنية و التنظيم العام)

2/المراجع باللغة الأجنبية:

- المراجع :

247. -Adam J.P , **La construction romaine : matériaux et techniques** , 3ème édit, Grand manuel Piccard , France, 1995.
- 248.-Andezian Sossie , **Expériences du divin dans l'Algérie contemporaine**, CNRS , Paris, 2000.
- 249.-Basset René , **Nadroma et les Traras** , le roux , Paris , 1901.
250. Boulifa Ahmed , **Le Djurdjura a travers l'histoire** , organisation et édition dépendant des Zouaoua , J Bringau imprimeur-editeur , Alger ,1925.
251. Campbell J.W.P , **Brick a world history** , Thames & Hudson Ltd, London,1998.
252. Daumas .E , **Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara (1837-1839)** , Collection de documents inédits par le Gouvernement Général d'Algérie , édition Jourdan , Paris, 1921.
253. Dokali Rachid , **Monnaies Almohades et Hafsidés découvertes à Ténès** , **Bulletin d'Archéologie Algérienne**, T3 , Editions De Boccard , Paris, 1969.
254. Dussert et Bettier , **Les mines et carrières en algérie** , Paris , 1937.
255. Ernest Diez , **L'Art de L'islam** , Petite bibliothèque, Payot , Paris , S D.
256. Golvin Lucie , **la mosquée : ses origines samarphologie et ses diverses fonction son role dans la vie musulman** , plus spécialement en Afrique du nord, Alger,1960.
257. Marcais.G , **L'Architecture Musulman d'occident** ,Paris ,1954.
258. Mouas Said, **Ain Temouchent à la rencontre du feu sacré** , la maison de la culture d'Ain temouchent , 2009 ,p91.
- الرسائل و المذكرات الجامعية :
259. Redjam Meriem , **L'évolution des éléments architecturaux et architectoniques de la mosquée en vue d'un cadre référentiel de conception**, mémoire de Magister en patrimoine architectural, Université Baji Mokhtar , Annaba, 2014.
260. Si bouazza zahra , **Intervention dans la zaouia de Sidi Yacoub :Un essai valorisation d'un lieu** ,mémoire en du diplôme de graduation en Architecture , dépt ARCH , UNEV Oran ,2004.

261. ANURB , **Amenagment et Reglement: Daira de Oulhasa** , PH2 , AinTemouchent , 2010.
262. Benjamin Gastineu, **la balle** , courrier de Tlemcen, 25 éme année , num 1287,1885 .
263. Caratini Robert , **Techniques de construction et métiers** , in encyclopédie , Bordas, 23 volume, Paris, Bruxelles, Montréal, 1975 .
264. Cauvet. C , **Les Marabouts, Petits monuments funéraires et votifs du Nord de l'Afrique**, In Revue Africaine, Paris, 1923.
265. Direction du tourisme , **SCHEMA DIRECTEUR D'AMENAGEMENT TOURISTIQUE DE LA WILAYA DE AIN TEMOUCHENT** , AIN TEMOUCHENT ; 2014.
266. VICENTE. C, **L'Habitation de grande Kabylie (Algérie)** , in cahier des arts et techniques d'Afrique du nord, N°05 , Toulouse, 1959.

الفهارس

فهرس

الملاحق

❖ فهرس الجداول:

- جدول رقم (1): معدلات درجة الحرارة بمنطقة و لهاسة.....ص11.
- جدول رقم (2): التجمعات السكنية الحضرية والريفية بمنطقة و لهاسة.....ص15.
- جدول رقم (3): عروش منطقة و لهاسة و أصولها.....ص17.
- جدول رقم (4): تصنيف إرنست للمساجد.....ص33.
- جدول رقم (5): تصنيف جورج مارسي للمساجد.....ص34.
- جدول رقم (6): تصنيف فريد الشافعي للمساجد.....ص34.
- جدول رقم (7): المقارنة بين زاويتين بجاية.....ص52.
- جدول رقم (8): أشكال القباب و توزيعها بأضرحة و لهاسة.....ص243.

❖ فهرس اللوحات:

- لوحة رقم (1) : خرائط التحول الإداري لمنطقة و لهاسة.....ص13.
- لوحة رقم (2) : صورتا قبة الصخرة و المسجد الأقصى بالحرم القدسي و مخططيهما.....ص36.
- لوحة رقم (3) : صورة اللوحان الرخاميتان المتبثتان بمسجد أوجلة و صورته و مخططه.....ص37.
- لوحة رقم (4) : صورتا اللوحة الرخامية المتبثة بمسجد الأنصار بالبيضاء.....ص38.
- لوحة رقم (5): مخطط مسجد سيدي غانم و صورته.....ص38.
- لوحة رقم (6) : صورة مسجد رباط شاعر بالسوس الأدنى و مخطط مسجد سيدي عقبة.....ص39.
- لوحة رقم (7): صورة مسجد طولقة و مخططه.....ص40.
- لوحة رقم (8) : صورة مسجد سيدي معيزة بتنس و مخططه.....ص43.
- لوحة رقم (9) : صورتا مسجدا أورير و سيدي موسى الخدري و مخططيهما.....ص43.
- لوحة رقم (10) : صور و مخططات المساجد الحمادية و الزيرية بالمغرب الأوسط.....ص44.
- لوحة رقم (11) : مخططات المساجد المرابطية بالمغرب الأوسط.....ص45.
- لوحة رقم (12) : صورة القبة الصليبية و مخططا مسقطها الأفقي و مقطعها العرضي.....ص56.
- لوحة رقم (13) : صورة ضريح إسماعيل السماني و مخطط مسقطه الأفقي.....ص57.
- لوحة رقم (14) : صورة مشهد آل طباطبا و مخطط مسقطها الأفقي و شكل لإعادة تصورها.....ص57.
- لوحة رقم (15): صورة القباب الست للبنات السبع و مخطط مساقطها الأفقية.....ص58.
- لوحة رقم (16) :صورة نقيشتا سيدي عقبة و مقام صاحب الطابع بالقيروان.....ص58.
- لوحة رقم (17) صورتان لضريح عبد الله بن ياسين القديمة و الحالية.....ص59.
- لوحة رقم (18) : صورتا ضريحي لالة عزيزة بالرمو و سيدي بوخرين بتونس.....ص59.
- لوحة رقم (19) : صورة غرفة الدفن في ضريح سيدي بومدين و مخططه.....ص60.

فهرس الملاحق

- لوحة رقم (20): صورتا ضريح سيدي أحمد البجائي القديمة و الحالية.....ص60.
- لوحة رقم(21): صور الحويطات الثلاث بمقبرة سيدي أحمد الأوثاري.....ص131.
- لوحة رقم (22): مخططا مسجدا سيدي لعرج و سيدي المدني.....ص136.
- لوحة رقم (23): مخططا مصليا سيدي محبوب و أولاد بودلال.....ص137.
- لوحة رقم(24) : مخططا مسجدا سيدي ورياش و البوحيميدي.....ص138.
- لوحة رقم (25): مخططا ضريحا سيدي مُحَمَّد المدني و سيدي ورياش.....ص142.
- لوحة رقم(26) : مخططات أضرحة قرية الشهابنة.....ص143.
- لوحة رقم (27): مخططات أضرحة وادي طربان.....ص144.
- لوحة رقم(28) : مخططات ضريحا زاوية الجازولي و ضريحا أولاد بودلال.....ص145.
- لوحة رقم (29) : مخططات أضرحة سيدي رحمون و سيدي مُحَمَّد و سيدي البشير و سيدي مُحَمَّد النجاري.....ص146.
- لوحة رقم (30): مخططات حويطات الدراسة.....ص147.
- لوحة رقم (31) : محاريب مساجد ولهاصة الأنموذجية.....ص150.
- لوحة رقم (32): أشكال تبين مراحل تشكل المئذنة من اليسار إلى اليمين.....ص151.
- لوحة رقم (33): شكلا تخطيط مكان المنبر الثابت و المتحرك.....ص153.
- لوحة رقم(34) : صور توابيت قبتا زاوية سيدي الجازولي.....ص159.
- لوحة رقم(35) : نماذج من الأعمدة المربعة بأضرحة ولهاصة.....ص169.
- لوحة رقم(36): نماذج من الأعمدة الأسطوانية بنماذج الدراسة.....ص170.
- لوحة رقم(37): أشكال لأنواع الدعامات المستخدمة بمنشآت ولهاصة الدينية.....ص171.
- لوحة رقم (38) : الدعامات المستطيلة بولهاصة.....ص172.
- لوحة رقم (39) الدعامة المربعة بولهاصة.....ص173.
- لوحة رقم(40): الدعامة المربعة المتمركزة ببت صلاة مسجد سيدي المدني.....ص173.
- لوحة رقم(41) : الدعامات المصمطة في أركان أضرحة سيدي أحمد الأوثاري.....ص174.
- لوحة رقم (42): الدعامتان المتقاطعتان.....ص175.
- لوحة رقم (43) : شكلا المثلثات الكروية و الحنيات الركنية.....ص176.
- لوحة رقم (44) : مناطق الإنتقال في الاضرحة النموذجية.....ص177.
- لوحة رقم (44) : مناطق الإنتقال في الاضرحة النموذجية.....ص178.
- لوحة رقم(45) : شكلا الأبواب ذات المصراع و ذات المصراعين.....ص187.
- لوحة رقم(46) : المدخلان التذكاريان بمسجد سيدي المدني.....ص189.
- لوحة رقم (47): شكلا المدخل من حيث نهايتهما العلوية.....ص190.
- لوحة رقم (48): صورتا المدخلين الرئيسيين بمسجد سيدي يعقوب.....ص191.

فهرس الملاحق

- لوحة رقم (49) : صورة مدخل رواق مسجد سيدي دحمان.....ص192.
- لوحة رقم (50) : صورتا مدخلي ضريحي سيدي ورياش و سيدي المدني.....ص196.
- لوحة رقم (51) : صور مداخل أضرحة طربان.....ص197.
- لوحة رقم (52): صور المداخل الداخلية و الخارجية في قبتا زاوية الجازولي.....ص198.
- لوحة رقم (53) : صورتا مدخلي ضريحي أولاد بودلال.....ص198.
- لوحة رقم (54) : صورتا مدخلي ضريحي أولاد عامر.....ص199.
- لوحة رقم (55): صور مداخل أضرحة الشهابنة.....ص201.
- لوحة رقم(56) : صورتا مدخلي ضريحا سيد المجد بن يخلف و سيدي احساين.....ص202.
- لوحة رقم(57) : صورتا مدخلي حويطتا سيدي سليمان و الثانية بمقبرة سيدي احمد.....ص203.
- لوحة رقم(58) : صورتا مدخلي حويطتا سيدي علي بوشنتوف و الأولى بمقبرة سيدي احمد.....ص204.
- لوحة رقم(59): نافذتين مستطيلتين كبيرتين في مسجدا سيدي ورياش و البوحميدي.....ص205.
- لوحة رقم(60) : نافذتين مستطيلتين في مسجدا سيدي يعقوب و سيدي ورياش.....ص207.
- لوحة رقم (61) : نافذتين مستطيلتين بمقصورة البوحميدي و رواقه.....ص208.
- لوحة رقم (62) : صورتا نوافذ مصلى أولاد بودلال.....ص208.
- لوحة رقم (63) : صورتا نافذتا مسجد سيدي دحمان.....ص209.
- لوحة رقم (64) : صورتا نافذتا محراب مسجد البوحميدي و مسجد بني زهنة.....ص211.
- لوحة رقم(65) : النافذة المعقودة أعلى مدخل ضريح أولاد إبراهيم العامري.....ص211.
- لوحة رقم (66) : النافذتان المعقودتان بضريح سيدي البشير.....ص212.
- لوحة رقم(67) : صورتا نموذج لنوافذ مسجد سيدي المدني و نوافذ مسجد بني زهنة.....ص112.
- لوحة رقم (68) : صورتا القضبان الحديدية.....ص113.
- لوحة رقم (69) : أنموذج شرافة من الشرافات.....ص233.
- لوحة رقم (70) : أنموذج شرافة من الشرافات.....ص233.
- لوحة رقم (71) : صورتان لأنموذج من مسننات ضريحا أولاد بودلال.....ص235.
- لوحة رقم (72) : أنموذج شرافة من الشرافات.....ص235.
- لوحة رقم (73) : أنموذج شرافة مثلثة مسطحة.....ص236.
- لوحة رقم (74): صورتا أنموذج الشرافة المثلثة المسطحة.....ص239.
- لوحة رقم (75) : صورتا السقفين القرميديين المائلين.....ص244.
- لوحة رقم (76) : المظهر الخارجي و الداخلي للسقف الجملوني بمسجد سيدي يعقوب.....ص247.
- لوحة رقم (77) : صورتا شاهدي قبر سيدي عثمان.....ص257.
- لوحة رقم (78) : صورتا شاهدي قبر سيدي البشير.....ص258.
- لوحة رقم (79) : صورة الكتابة و تفريغها.....ص261.

فهرس الملاحق

- لوحة رقم (80): صورتان لسقف سيدي يعقوب بن الحاج.....ص 267.
- لوحة رقم (81) : قطعة رخامية تغطي عتبي ضريحا سي طاهر و سيدي عامر الصغير.....ص 271.
- لوحة رقم (82) : الجرار و القطع الفخارية بسيدي محبوب.....ص 275.
- لوحة رقم (83) : الميزابان الفخاريان.....ص 275.
- لوحة رقم (84) : إستخدام الخشب في صنع توابيت أضرحة ولهاصة.....ص 279.
- لوحة رقم (85) : إستخدام الخشب في صنع منابر مساجد ولهاصة.....ص 280.
- لوحة رقم (86) : إستخدام القصب و الأخشاب المصنعة أو الطبيعية كعوارض.....ص 280.
- لوحة رقم (87) : الجمع بين عدة أنواع من الخشب في سقف واحد.....ص 280.
- لوحة رقم (88) : نماذج لمصاريع الأبواب الخشبية.....ص 282.
- لوحة رقم (89) : نماذج من الحواجب الخشبية بمدخل مساجد و أضرحة ولهاصة.....ص 283.
- لوحة رقم (90) : نماذج من مصاريع النوافذ في مساجد و أضرحة ولهاصة.....ص 284.
- لوحة رقم (91) : تقنية النقر و اللسان في تعشيق و تجميع القطع الزخرفية.....ص 286.
- لوحة رقم (92) : إستعمال المسامير في مختلف المصنوعات الخشبية.....ص 288.

- لوحة رقم (93) : صور نماذج من أساسات مساجد ولهاصة.....ص 293.
- لوحة رقم (94) : البناء بالدبش في بعض النماذج المدروسة.....ص 299.
- لوحة رقم (95) : البناء بتقنية المداميك الأفقية في العتبات.....ص 300.
- لوحة رقم (96) : البناء بتقنية آدية و شناوي.....ص 301.
- لوحة رقم (97) : إستخدام القبو في المبتني الدينية في ولهاصة.....ص 305.
- لوحة رقم (98) : صور القبور الطويلة.....ص 310.
- لوحة رقم (99) : صورتا ضريحا ذات مسقطان دائريان.....ص 311.

❖ فهرس الخرائط:

- الخارطة رقم (1) : خارطة الجزائر و يظهر فيها موقع ولاية عين تموشنت.....ص 9.
- الخارطة رقم (2) : موقع منطقة ولهاصة الغرابة في خريطة ولاية عين تموشنت.....ص 10.
- الخارطة رقم (3) : موضع قبيلة ولهاصة.....ص 17.
- الخارطة رقم (4) : منطقة ولهاصة كما جاءت في وصف البكري.....ص 27.

❖ فهرس المخططات:

- مخطط رقم (1) : الجامع الأموي بدمشق.....ص 36.
- مخطط رقم (2) : مصلى سيدي دحمان.....ص 137.
- مخطط رقم (3) : مجمع سيدي يعقوب.....ص 139.

❖ فهرس الأشكال:

- شكل رقم (1): تسلسل الأمراء السليمانيين على مدن المغرب الأوسط.....ص20.
- شكل رقم (2): مكونات المدخل الأساسية.....ص188.
- شكل رقم (3): تفصيل لتركيب الأبواب.....ص188.
- شكل رقم (4): أنموذجان عن النوافذ المثلثة.....ص217.
- شكل رقم (5): تقنية السقف الجملوني.....ص246.
- شكل رقم (6): تقنية التسقيف بالقصب.....ص247.
- شكل رقم (7): تصور لطريقة التسقيف التي تحدث عنها ابن خلدون.....ص248.
- شكل رقم (8): زهرة اللالة.....ص253.
- شكل رقم (9): أنواع مختلفة لزهور و ورود مستخدمة في تشكيل الزخارف النباتية.....ص254.
- شكل رقم (10): الألوان الثلاثة لقطع الطوب و الأجر.....ص273.
- شكل رقم (11): تشكيل الأساس.....ص292.
- شكل رقم (12): الأجزاء التي يتركب منها قالب تقنية الطابية.....ص295.
- شكل رقم (13): تقنية البناء بالدبش.....ص297.
- شكل رقم (14): العناصر الأساسية في تقنية البناء بالحجارة.....ص297.
- شكل رقم (15): طريقة البناء بالمداмик الأفقية بصفة منتظمة.....ص299.
- شكل رقم (16): تقنية التسقيف المستوية المشار إليها.....ص303.
- شكل رقم (17): تثبيت العوارض لرفع السقف.....ص303.
- شكل رقم (18): تقنية بناء القبوات.....ص304.
- شكل رقم (19): خطوات بناء العقود.....ص305.

❖ فهرس الصور:

- صورة رقم (1): مسجد موسى بن نصير بأغمات.....ص41.
- صورة رقم (2): صورة نشرها موقع مؤسسة المعصومة لبقايا مسجد أفلح.....ص42.
- صورة رقم (3): المئذنة العثمانية بالمسجد الأحمر المرابطي.....ص45.
- صورة رقم (4): مسجد و ضريح سيدي يعقوب.....ص89.
- صورة رقم (5): مسجد سيدي ورياش.....ص92.
- صورة رقم (6): ضريح سيدي ورياش.....ص93.
- صورة رقم (7): مسجد سيدي المدني.....ص95.
- صورة رقم (8): ضريح سيدي المدني.....ص96.
- صورة رقم (9): مسجد البوحميدي الولهاصي.....ص97.

فهرس الملاحق

- صورة رقم (10) : مسجد سيدي لعرج بني زهنة.....ص99.
- صورة رقم (11) : مسجد سيدي محبوب.....ص101.
- صورة رقم (12) : مصلى أولاد بودلال.....ص 102.
- صورة رقم (13) : مسجدا سيدي دحمان الأثري و العتيق.....ص 104.
- صورة رقم(14) : مسجد زاوية سيدي الجازولي.....ص105.
- صورة رقم (15) : ضريح سيد أحمد الأوشتاري.....ص 107.
- صورة رقم (16): ضريح سيد اعمر بن علال.....ص108.
- صورة رقم (17) : ضريح سي طاهر.....ص109.
- صورة رقم (18) : ضريح الحاج مُجَّد الجازولي.....ص111.
- صورة رقم (19) : ضريح سيدي مُجَّد بن علي.....ص112.
- صورة رقم (20) : ضريحا أولاد بودلال.....ص113.
- صورة رقم (21): ضريحا أولاد عامر.....ص116.
- صورة رقم (22) : ضريح مولاي أحمد.....ص117.
- صورة رقم (23) : ضريح مولاي مُجَّد.....ص118.
- صورة رقم(24) : ضريح مولاي أعمر.....ص119.
- صورة رقم (25) : ضريح سيدي المُجَّد بن يخلف.....ص120.
- صورة رقم (26): ضريح سيدي رحمون.....ص122.
- صورة رقم (27) : ضريح سيدي مُجَّد النجاري.....ص123.
- صورة رقم (28): ضريح سيدي احساين.....ص125.
- صورة رقم (29): ضريح سيدي البشير.....ص126.
- صورة رقم (30) : حويطة سيدي دحمان.....ص129.
- صورة رقم(31) : حويطة سيدي الحسين.....ص129.
- صورة رقم (32): حويطة سيدي سليمان.....ص132.
- صورة رقم (33) : حويطة سيدي علي بوشنتوف.....ص133.
- صورة رقم (34): مئذنة مسجد سيدي يعقوب.....ص152.
- صورة رقم (35) : منبر مسجد سيدي يعقوب.....ص155.
- صورة رقم (36) : منبر مسجد سيدي المديني.....ص156.
- صورة رقم (37) : منبر مسجد البوحميدي.....ص157.
- صورة رقم (38) : تابوت مولاي مُجَّد.....ص160.

- صورة رقم (39): تابوت سيدي عامر الصغير.....ص161.
- صورة رقم (40): تابوت سيدي يعقوب.....ص161.
- صورة رقم (41): تابوت سيدي المدني.....ص162.
- صورة رقم (42): تابوت سيدي مُحَمَّد النجاري.....ص163.
- صورة رقم (43): العمود ثماني الأضلاع المصمط.....ص170.
- صورة رقم (44): الدعامة المستطيلة التي تتمركز بوسط مسجد سيدي يعقوب.....ص171.
- صورة رقم (45): رقة القبة بضريح سيدي مُحَمَّد بن يخلف.....ص179.
- صورة رقم (46): عقود بيت الصلاة في مسجد سيدي يعقوب.....ص180.
- صورة رقم (47): العقود الوسطى و المصمطة بضريح سيدي ورياش.....ص180.
- صورة رقم (48): العقود المصمطة بجدران ضريح سيدي أحمد.....ص181.
- صورة رقم (49): العقود الركنية بوسط ضريح الحاج الجازولي.....ص181.
- صورة رقم (50): العقد المصمط في الجدار الشمالي لضريح أولاد بودلال الأول.....ص182.
- صورة رقم (51): العقود المصمطة في بضريح سيدي البشير.....ص182.
- صورة رقم (52): العقود الوسطى بضريح الحاج الجازولي.....ص183.
- صورة رقم (53): العقود المصمطة بضريح سيدي مُحَمَّد بن علي.....ص183.
- صورة رقم (54): العقود المصمطة بضريح سيدي عامر الصغير.....ص184.
- صورة رقم (55): العقود المصمطة بضريح سيدي حساين مولاي أحمد.....ص184.
- صورة رقم (56): العقود المركزية ببيت صلاة مسجد سيدي ورياش.....ص185.
- صورة رقم (57): العقود المركزية ببيت صلاة مسجد البوحميدي.....ص185.
- صورة رقم (58): العقود المركزية ببيت صلاة مسجد سيدي المدني.....ص186.
- صورة رقم (59): العقود المصمطة بجدران بيت صلاة مسجد سيدي لعرج.....ص186.
- صورة رقم (60): المدخل الشمالي لمسجد البوحميدي الولهاصي.....ص191.
- صورة رقم (61): المدخل الرئيسي و الوحيد بمسجد زاوية الجازولي.....ص192.
- صورة رقم (62): المدخل الرئيسي و الوحيد بمصلى ضريحا أولاد بودلال.....ص193.
- صورة رقم (63): المدخل الرئيسي و الوحيد بمسجد سيدي محبوب.....ص194.
- صورة رقم (64): المدخل الرئيسي بمسجد سيدي ورياش.....ص194.
- صورة رقم (65): المدخل الرئيسي بمسجد سيدي ورياش.....ص195.
- صورة رقم (66): مدخل ضريح سيد مُحَمَّد النجاري.....ص200.
- صورة رقم (67): مدخل ضريح سيدي رحمون.....ص200.
- صورة رقم (68): مدخل حويطة سيدي الحسين.....ص202.
- صورة رقم (69): جزء من نافذة مسجد سيدي محبوب.....ص205.

- صورة رقم (70) : نافذة مسجد الزاوية الجازولية.....ص206.
- صورة رقم (71) : النافذة المعقودة بضريح سيدي ورياش.....ص206.
- صورة رقم (72): أنموذج النافذة المعقودة الكبيرة بضريح سيدي المجد بن يخلف.....ص207.
- صورة رقم (73): النافذتان المكتفتان لمدخل الضريح الأول بأولاد بودلال.....ص209.
- صورة رقم (74) : نوافذ ضريح سيدي احساين.....ص210.
- صورة رقم(75) : النافذة المربعة بحويطة سيدي دحمان.....ص210.
- صورة رقم(76) : نافذة على شكل مزغل بضريح سيدي البشير.....ص213.
- صورة رقم (77) : النافذة التي تعلو مدخل ضريح سيدي حساينص213.
- صورة رقم (78) : النافذة المثلثة بضريح سيدي اعمر بالشهابنة.....ص214.
- صورة رقم (79) : الشباك الحديدي بضريح الحاج محمد الجازولي.....ص215.
- صورة رقم(80) : تقنية التشبيك بواسطة الأجر في مسجد بني زهنة.....ص216.
- صورة رقم (81) : شرافتا الركنان الشرقيان بضريح الحاج الجازولي.....ص232.
- صورة رقم (82) : أنموذج لشرافة متدرجة بضريح سيدي محمد النجاري.....ص234.
- صورة رقم (83) : أنموذج مسننتان متجاورتان من الأربع بضريح سيدي المدني.....ص234.
- صورة رقم(84) : أنموذج شرافة مثلثة مسطحة بضريح أولاد إبراهيم العامري.....ص236.
- صورة رقم (85) : أنموذج شرافة بشكل شبه منحرف بضريح سيدي احساين.....ص237.
- صورة رقم(86): أنموذج شرافة بشكل مربع مسنن احد الأضلاع بضريح سيدي ورياش.....ص237.
- صورة رقم(87) : أنموذج شرافة مثلثة مسننة جانبية بضريح سيدي عامر الصغير.....ص238.
- صورة رقم(88): شرفات مسجد سيدي يعقوب.....ص238.
- صورة رقم (89) : أنموذج شرافة جانبية على هيئة شبه منحرف بضريح سيدي ورياش.....ص239.
- صورة رقم (90) : سقف مسجد زاوية سيدي الجازولي.....ص245.
- صورة رقم (91) : سقف مصلى سيدي دحمان.....ص245.
- صورة رقم (92) : سقف مستوي بمسجد زاوية سيدي يعقوب.....ص248.
- صورة رقم (93) : الزخرفة الهندسية بتابوت سيدي محمد النجاري.....ص249.
- صورة رقم (94) : العبارات و الصيغ الدينية و التذكارية المنقوشة في تابوت سيدي يعقوب.....ص251.
- صورة رقم (95): العبارات و الصيغ الدينية المنقوشة في تابوت سيدي عامر الصغير.....ص252.
- صورة رقم (96) : اللوحة الفنية الزخرفية التي يحملها كل قطاع من تابوت سيدي المدني.....ص255.
- صورة رقم (97) : النجمة المزينة لريشتا منبر مسجد سيدي يعقوب.....ص256.
- صورة رقم (98) : العقد الزخرفي البارز.....ص259.
- صورة رقم (99) : قبة سيدي يعقوب من الداخل.....ص260.
- صورة رقم (100) : الزخرفة النباتية الجدارية بضريح سي الطاهر.....ص261.

- صورة رقم(101): السفود أو الجامور الذي يزين أعلى مدخل ضريح الحاج الجازولي.....ص 263.
- صورة رقم (102): القضيب المعدني الذي يعلو قبة ضريح سيدي مُحَمَّد بن علي.....ص 264.
- صورة رقم (103): السفود المستحدث الذي يعلو ضريح سيدي مُحَمَّد بن يخلف.....ص 264.
- صورة رقم(105): السفود أو الجامور الذي يعلو قبة ضريح سيدي يعقوب.....ص 265.
- صورة رقم (106): الجامور الذي يعلو قبة ضريح سيدي مُحَمَّد النجاري.....ص 266.
- صورة رقم (107): اللافتة الرخامية بـضريح سيدي مُحَمَّد بن يخلف.....ص 271.
- صورة رقم (108): القنوات المائية المكتشفة تحت واد طربان.....ص 274.
- صورة رقم(106): إستعمال التربة البيضاء و الماء كملاط بمسجد الزاوية.....ص 277.
- صورة رقم (107): إستعمال التربة البيضاء و الماء كملاط بمسجد سيدي يعقوب.....ص 277.
- صورة رقم (108): إستعمال المادة الجيرية و الماء كملاط.....ص 277.
- صورة رقم (109): تلبيس الجدران الداخلية لمسجد سيدي دحمان بالمونة.....ص 278.
- صورة رقم (110): تلبيس الجدران الخارجية لضريح أولاد إبراهيم العامري بالمونة.....ص 278.
- صورة رقم (111): إضافة سعف النخيل إلى العوارض الخشبية مكان القصب.....ص 281.
- صورة رقم (112): السقف الخشبي الجملوني بمسجد سيدي يعقوب.....ص 281.
- صورة رقم(113): الخزانة الخشبية بمصلى أولاد بودلال.....ص 284.
- صورة رقم(114): الشاهد الخشبي بـضريح سيدي أحمد الأوشتاري.....ص 284.
- صورة رقم (115): خرط درابزين جلسة الخطيب في منبر سيدي المدني.....ص 287.
- صورة رقم (116): تطعيم منبر سيدي يعقوب بنوع آخر من الخشب.....ص 290.
- صورة رقم (117): إستخدام تقنية التخريم في سقف مسجد سيدي يعقوب.....ص 290.
- صورة رقم (118): الزخارف المنفذة بالألوان في تابوت سيدي المدني.....ص 291.
- صورة رقم (119): قالب تقنية الطابية.....ص 292.
- صورة رقم(120): إستخدام تقنية الطابية في مسجد سيدي يعقوب.....ص 296.
- صورة رقم (121): الفتحات في جدران سيدي البشير.....ص 296.
- صورة رقم(122): البناء بتقنية المداميك الأفقية بـضريح سيدي حساين.....ص 300.
- صورة رقم (123): البناء بتقنية المداميك الأفقية المتعامدة بـضريح سيدي عامر الصغير.....ص 300.
- صورة رقم (124): البناء بتقنية السنبلة في ضريح مولاي اعمربالشهابنة.....ص 301.
- صورة رقم (125): إستعمال تقنية المزج بين الحجارة والأجر.....ص 302.
- صورة رقم(126): ضريح سيدي أحمد المكي بولاية سعيدة ذات المسقط الدائري.....ص 311.
- صورة رقم (127): ضريح سيدي علي بن الحسن ذات المسقط المثلث بولاية مستغانم.....ص 312.

فهرس

المواضيع

فهرس المواضيع

إهداء

شكر و عرفان

أ	مقدمة.....
9	الفصل التمهيدي: الإحاطة العامة بمجال الدراسة.....
9	المبحث الأول : التحديد الإقليمي لمنطقة ولهاسة.....
9	المطلب الأول : تحديد الموقع الجغرافي.....
9	1/ولاية عين تموشنت.....
10	2/منطقة ولهاسة.....
11	المطلب الثاني: الطبوغرافيا و المناخ.....
11	1/المختصر الطبوغرافي.....
11	2/ المعدلات المناخية.....
12	المطلب الثالث : التنظيم الإداري لمنطقة ولهاسة.....
12	1/من الإحتلال الفرنسي الى ما قبل التقسيم الإداري لسنة 1984م.....
14	2/ بداية من التقسيم الإداري لسنة 1984م.....
16	المطلب الرابع: تحديد جغرافية المجال القبلي للمنطقة.....
18	المبحث الثاني: منطقة ولهاسة خلال الفترتين الإسلاميتين الوسيطة و الحديثة.....
18	1/عهد قبائل بني يفرن و مغيلة.....
19	2/عهد قبيلة مغراوة.....
19	3/العهد الإدريسي.....
20	4/خلال الصراع الفاطمي الأموي.....
21	5/المنطقة خلال الحكم الزييري - الحمادي.....
22	6/السيطرة الموحدية للمنطقة.....
22	7/ولهاسة بين بني زيان و بني مرين.....
23	8/الإحتلال الإسباني للسواحل.....
23	9/المنطقة تحت حكم العثمانيين.....
24	10/التأرجح بين حكم الأمير عبد القادر و حكم العلويين.....
32	الفصل الأول: السياق المعارفي لظاهرة الأضرحة.....
32	المبحث الأول: الضبط العام للمصطلحات و المعاني ذات صلة بالموضوع.....
32	المطلب الأول: المصطلحات المعمارية.....
32	1/ المسجد.....

47.....	2/ الزاوية و الرباط.....
52.....	3/ الضريح
62.....	المطلب الثاني: المصطلحات الروحية.....
62	1/ التصوف.....
64.....	2/ الكرامة.....
68.....	3/- الولاية.....
70.....	المبحث الثاني: النظرة الشرعية لظاهرتي البناء فوق القبور و الدفن داخل المساجد.....
70.....	1/ تأصيل.....
74.....	2/ الحكم الشرعي لمسألة البناء على القبور.....
76.....	3/ الحكم الشرعي لمسألة الدفن داخل المساجد.....
79.....	المبحث الثالث: دور الأضرحة في تكوين التجمعات السكنية الريفية و الحضرية.....
79.....	المطلب الأول: لمحة سوسيوولوجية عن الأضرحة.....
81.....	المطلب الثاني: نماذج عن اعتماد الأضرحة كمنطلقات للتنظيم الإداري بالجزائر.....
82.....	1/ مشروع القرى الفلاحية الإشتراكية.....
82.....	الفصل الثاني: دراسة وصفية للنماذج المختارة
86.....	إستهلال : التوزيع الجغرافي للأضرحة بمنطقة ولهاصة.....
88.....	المبحث الأول: الأضرحة المتصلة بالمساجد.....
88.....	المطلب الأول: أضرحة المساجد.....
88.....	1/ مسجد سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني و ضريحه.....
91.....	2/ مسجد سيدي ورياش و ضريحه.....
94.....	3/ مسجد سيدي مُجَّد المدني و ضريحه.....
96.....	4/ مسجد البوحميدي الولهاصي.....
98.....	5/ مسجد سيدي لعرج.....
100.....	6/ مسجد سيدي محبوب.....
102	المطلب الثاني: مساجد الأضرحة.....
102.....	1/ مصلى ضريحا أولاد بودلال.....
103.....	2/ مسجد سيدي دحمان.....
104.....	3/ مسجد زاوية سيدي الجازولي.....
106.....	المبحث الثاني : الأضرحة المنفردة.....
106.....	1/ الأضرحة الثلاث بقربة طربان.....
107.....	2/ قبنا زاوية سيدي الجازولي.....

112.....	3/ضريحا أولاد بودلال
114.....	4/ضريحا أولاد عامر.....
116.....	5/أضرحة الشهابنة التحاتة.....
119	6/ضريح سيدي اُمجد بن يخلف.....
121.....	7/ضريح سيدي رحمون.....
122.....	8/ضريح سيدي مُجد النجاري.....
124.....	9/ضريح سيدي حساين.....
125.....	10/ضريح سيدي البشير.....
128.....	المطلب الثاني : الأضرحة غير مغطاة و الحويطات
128.....	1/حويطة سيدي دحمان.....
129.....	2/حويطة سيدي الحسين بقرية الشهابنة.....
130.....	3/حويطات مقبرة سيدي أحمد.....
132.....	4 /حويطة سيدي سليمان
133.....	5/حويطة سيدي علي بوشنتوف.....
135.....	الفصل الثالث: التحليل المعماري و الفني
135.....	المبحث الأول: النظام المعماري لأضرحة ولهاسة.....
135.....	1-المخططات.....
148.....	2-المحاريب.....
135.....	3-المآذن
135.....	1-المخططات.....
	-2
148.....	المحاريب.....
153.....	4-المصنوعات الخشبية المنقولة
160.....	5-الفضاءات المحيطة المكشوفة و المسقوفة.....
163.....	المطلب الثاني: العناصر المعمارية.....
167.....	1/وسائل الرفع و الدعم.....
167.....	2/عناصر الإنتقال.....
175.....	3-الفتحات.....
187.....	5/الشرافات.....
232.....	6/أنظمة التسقيف.....
249.....	المطلب الثالث : التحليل الفني (الزخرفة).....

1-المواضيع الزخرفية على التوايت	249
2-المواضيع الزخرفية على المنابر	255
3-شواهد القبور	256
4-الزخارف الجدارية	259
5-المواضيع الزخرفية التجسيمية أو المجسمة	262
المطلب الرابع : تقنيات البناء و موادها	268
1-مواد البناء	268
2-تقنيات البناء	292
المبحث الثاني: الخصائص الرمزية للأضرحة و مقوماتها الفنية و المعمارية	308
1- خصائص الأضرحة	308
2-الضعف الفني للأضرحة و أسبابه	312
خاتمة	315
الببليوغرافيا	318
الفهارس	338

